



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرف
عليه
صا
الرمز

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَضَلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْجِبٌ وَتَوْجِيهٌ وَتَسْبِيحٌ

مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ وَ مَكْتَبَةُ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ
تَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمَا

الجزء العاشر

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى (معروف) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن
(صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و...)

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٩	مجمع البيان فى تفسير القرآن المجلد ١٠
٣٩	اشاره
٣٩	اشاره
٤٢	(٤٢) سورة الجمعه مدينه و آياتها إحدى عشره (١١)
٤٢	اشاره
٤٢	[توضيح]
٤٢	فضلها
٤٢	تفسيرها
٤٣	[سوره الجمعه (٤٢): الآيات ١ الى ٥]
٤٣	اشاره
٤٣	اللغه
٤٣	الإعراب
٤٣	المعنى
٤٧	[سوره الجمعه (٤٢): الآيات ٦ الى ١١]
٤٧	اشاره
٤٧	اللغه
٤٩	المعنى
٥٤	(٤٣) سورة المنافقون مدينه و آياتها إحدى عشره (١١)
٥٤	اشاره
٥٤	[توضيح]
٥٤	فضلها
٥٤	تفسيرها
٥٥	[سوره المنافقون (٤٣): الآيات ١ الى ٥]

٥٥ اشاره

٥٥ القراءة

٥٥ الحججه

٥٥ اللغه

٥٧ الإعراب

٥٧ المعنى

٥٩ [سوره المنافقون (٦٣): الآيات ٦ الى ١١]

٥٩ اشاره

٥٩ القراءة

٥٩ الحججه

٦٠ اللغه

٦٢ المعنى

٦٤ (٦٤) سوره التغابن مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)

٦٤ اشاره

٦٤ [توضيح]

٦٤ عدد آيها

٦٤ فضلها

٦٤ تفسيرها

٦٥ [سوره التغابن (٦٤): الآيات ١ الى ٥]

٦٥ اشاره

٦٥ المعنى

٦٨ [سوره التغابن (٦٤): الآيات ٦ الى ١٠]

٦٨ اشاره

٦٨ القراءة

٦٨ الحججه

٦٨ الإعراب

٦٨ المعنى

٧١ [سوره التغابن (٦٤): الآيات ١١ الى ١٨]

٧١ اشاره

٧١ القراءة

٧١ الحججه

٧١ المعنى

٧٤ (٦٥) سوره الطلاق مدنيه و آياتها اثنتا عشره (١٢)

٧٤ اشاره

٧٤ [توضيح]

٧٤ عدد آيها

٧٤ فضلها

٧٤ تفسيرها

٧٥ [سوره الطلاق (٦٥): الآيات ١ الى ٥]

٧٥ اشاره

٧٥ القراءة

٧٥ الحججه

٧٦ الإعراب

٧٦ المعنى

٨٤ [سوره الطلاق (٦٥): الآيات ٦ الى ١٠]

٨٤ اشاره

٨٤ القراءة

٨٤ الحججه

٨٥ المعنى

٨٨ [سوره الطلاق (٦٥): الآيات ١١ الى ١٢]

٨٨ اشاره

٨٨ القراءة

الإعراب ٨٨

المعنى ٨٨

(٦٦) سورة التحريم مدنيه و آياتها اثنتا عشره (١٢) ٩٠

اشاره ٩٠

[توضيح] ٩٠

فضلها ٩٠

تفسيرها ٩٠

[سوره التحريم (٦٦): الآيات ١ الى ٥] ٩١

اشاره ٩١

القراءه ٩١

الحجه ٩١

اللغه ٩١

الإعراب ٩٣

المعنى ٩٥

[سوره التحريم (٦٦): الآيات ٦ الى ١٢] ٩٩

اشاره ٩٩

القراءه ٩٩

الحجه ٩٩

الإعراب ١٠٠

المعنى ١٠٠

(٦٧) سورة الملك مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠) ١٠٤

اشاره ١٠٤

[توضيح] ١٠٤

عدد آياتها ١٠٤

فضلها ١٠٤

تفسيرها ١٠٦

١٠٦----- [سوره الملك (٤٧): الآيات ١ الى ٥]

١٠٦----- اشارة

١٠٦----- القراءه

١٠٦----- الحججه

١٠٧----- اللغه

١٠٧----- الإعراب

١٠٧----- المعنى

١٠٩----- [سوره الملك (٤٧): الآيات ٦ الى ١١]

١٠٩----- اشارة

١٠٩----- القراءه

١٠٩----- الحججه

١٠٩----- اللغه

١١٠----- المعنى

١١٢----- [سوره الملك (٤٧): الآيات ١٢ الى ٢١]

١١٢----- اشارة

١١٢----- القراءه

١١٢----- الحججه

١١٢----- اللغه

١١٣----- الإعراب

١١٤----- المعنى

١١٦----- [سوره الملك (٤٧): الآيات ٢٢ الى ٣٠]

١١٦----- اشارة

١١٦----- القراءه

١١٦----- الحججه

١١٧----- اللغه

١١٧----- الإعراب

المعنى ١١٧

(٦٨) سورة القلم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢) ١٢٠

اشاره ١٢٠

[توضيح] ١٢٠

فضلها ١٢٠

تفسيرها ١٢٠

[سوره القلم (٦٨): الآيات ١ الى ١٦] ١٢١

اشاره ١٢١

القراءه ١٢١

الحجه ١٢١

اللغه ١٢١

الإعراب ١٢٣

المعنى ١٢٤

[سوره القلم (٦٨): الآيات ١٧ الى ٣٣] ١٣٠

اشاره ١٣٠

القراءه ١٣٠

اللغه ١٣٠

[سوره القلم (٦٨): الآيات ٣٤ الى ٤٥] ١٣٤

اشاره ١٣٤

اللغه ١٣٥

المعنى ١٣٥

[سوره القلم (٦٨): الآيات ٤٦ الى ٥٢] ١٣٨

اشاره ١٣٨

القراءه ١٣٨

الحجه ١٣٨

اللغه ١٣٨

١٤٢ (٦٩) سورة الحاقه مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)

١٤٢ اشاره

١٤٢ عدد آيها

١٤٢ اختلافها

١٤٢ فضلها

١٤٢ تفسيرها

١٤٣ [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١ الى ١٠]

١٤٣ اشاره

١٤٣ القراءه

١٤٣ الحججه

١٤٣ اللغه

١٤٣ الإعراب

١٤٤ المعنى

١٤٧ [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١١ الى ٢٤]

١٤٧ اشاره

١٤٧ القراءه

١٤٧ الحججه

١٤٧ اللغه

١٤٨ الإعراب

١٤٨ المعنى

١٥٠ [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ٢٥ الى ٣٧]

١٥٠ اشاره

١٥٠ اللغه

١٥١ الإعراب

١٥١ المعنى

١٥٢ [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ٣٨ الى ٥٢]

١٥٣ اشارة

١٥٣ القراءه

١٥٣ اللغه

١٥٤ المعنى

١٥٤ (٧٠) سورة المعارج مكيه و آياتها أربع و أربعون (٤٤)

١٥٤ اشارة

١٥٤ [توضيح]

١٥٤ عدد آيها

١٥٤ اختلافها

١٥٤ فضلها

١٥٤ تفسيرها

١٥٧ [سوره المعارج (٧٠): الآيات ١ الى ١٠]

١٥٧ اشارة

١٥٧ القراءه

١٥٧ الحجه

١٥٩ اللغه

١٥٩ المعنى

١٦٢ [سوره المعارج (٧٠): الآيات ١١ الى ٣٥]

١٦٢ اشارة

١٦٢ القراءه

١٦٢ الحجه

١٦٣ اللغه

١٦٣ الإعراب

١٦٤ المعنى

١٦٧ [سوره المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤]

١٦٧ اشارة

١٦٧ القراءه

١٦٧ الحججه

١٦٧ اللغه

١٦٨ المعنى

١٧١ (٧١) سورة نوح مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)

١٧١ اشاره

١٧١ عدد آيها

١٧١ اختلافها

١٧١ فضلها

١٧١ تفسيرها

١٧٢ [سوره نوح (٧١): الآيات ١ الى ١٤]

١٧٢ اشاره

١٧٢ اللغه

١٧٢ الإعراب

١٧٣ المعنى

١٧٤ [سوره نوح (٧١): الآيات ١٥ الى ٢٨]

١٧٤ اشاره

١٧٤ القراءه

١٧٤ الحججه

١٧٤ اللغه

١٧٨ الإعراب

١٧٨ المعنى

١٨٢ (٧٢) سورة الجن مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)

١٨٢ اشاره

١٨٢ [توضيح]

١٨٢ فضلها

١٨٢ تفسيرها

١٨٣ [سوره الجن (٧٢): الآيات ١ الى ١٠]

١٨٣ اشاره

١٨٣ القراءه

١٨٣ الحججه

١٨٥ اللغه

١٨٥ الإعراب

١٨٥ المعنى

١٨٩ [سوره الجن (٧٢): الآيات ١١ الى ٢٠]

١٨٩ اشاره

١٨٩ القراءه

١٨٩ الحججه

١٩٠ اللغه

١٩١ المعنى

١٩٤ [سوره الجن (٧٢): الآيات ٢١ الى ٢٨]

١٩٤ اشاره

١٩٤ القراءه

١٩٤ اللغه

١٩٤ الإعراب

١٩٤ المعنى

١٩٨ (٧٣) سوره المزمل مكيه و آياتها عشرون (٢٠)

١٩٨ اشاره

١٩٨ [توضيح]

١٩٨ عدد آياتها

١٩٨ اختلافها

١٩٨ فضلها

١٩٨ تفسيرها

١٩٩ [سوره المزمل (٧٣): الآيات ١ الى ١٠]

١٩٩ اشاره

١٩٩ القراءه

١٩٩ الحججه

٢٠١ اللغه

٢٠٢ الإعراب

٢٠٢ المعنى

٢٠٧ [سوره المزمل (٧٣): الآيات ١١ الى ١٩]

٢٠٧ اشاره

٢٠٧ اللغه

٢٠٨ المعنى

٢١٠ [سوره المزمل (٧٣): آيه ٢٠]

٢١٠ اشاره

٢١٠ القراءه

٢١٠ الحججه

٢١٠ المعنى

٢١٣ (٧٤) سوره المدثر مكيه و آياتها ست و خمسون (٥٦)

٢١٣ اشاره

٢١٣ عدد آيها

٢١٣ اختلافها

٢١٣ فضلها

٢١٣ تفسيرها

٢١٤ [سوره المدثر (٧٤): الآيات ١ الى ١٠]

٢١٤ اشاره

٢١٤ القراءه

الحجه ٢١٤

اللغه ٢١٤

الإعراب ٢١٤

المعنى ٢١٤

[سوره المدثر (٧٤): الآيات ١١ الى ٣١] ٢١٩

اشاره ٢١٩

اللغه ٢٢٠

الإعراب ٢٢٠

المعنى ٢٢١

[سوره المدثر (٧٤): الآيات ٣٢ الى ٥٦] ٢٢٥

اشاره ٢٢٥

القراءه ٢٢٥

الحجه ٢٢٥

اللغه ٢٢٧

الإعراب ٢٢٧

المعنى ٢٢٧

(٧٥) سوره القيامه مكيه و آياتها أربعون (٤٠) ٢٣١

اشاره ٢٣١

[توضيح] ٢٣١

اختلافها ٢٣١

فضلها ٢٣١

تفسيرها ٢٣١

[سوره القيامه (٧٥): الآيات ١ الى ١٥] ٢٣٢

اشاره ٢٣٢

القراءه ٢٣٢

الحجه ٢٣٢

المعنى ٢٣٤

[سوره القيامه (٧٥): الآيات ١٦ الى ٢٥] ٢٣٧

اشاره ٢٣٧

القراءه ٢٣٧

الحجه ٢٣٧

اللغه ٢٣٧

المعنى ٢٣٩

[سوره القيامه (٧٥): الآيات ٢٦ الى ٤٠] ٢٤٣

اشاره ٢٤٣

القراءه ٢٤٣

الحجه ٢٤٣

اللغه ٢٤٣

الإعراب ٢٤٤

المعنى ٢٤٤

(٧٦) سوره الإنسان مدنيه و آياتها إحدى و ثلاثون (٣١) ٢٤٧

اشاره ٢٤٧

[توضيح] ٢٤٧

عدد آياتها ٢٤٧

فضلها ٢٤٧

تفسيرها ٢٤٧

[سوره الإنسان (٧٦): الآيات ١ الى ١٠] ٢٤٨

اشاره ٢٤٨

القراءه ٢٤٨

الحجه ٢٤٨

اللغه ٢٤٩

المعنى ٢٥٢

٢٥٨ [سوره الإنسان (٧٦): الآيات ١١ إلى ٢٢]

٢٥٨ اشارة

٢٥٨ القراءه

٢٥٨ الحججه

٢٦٠ اللغه

٢٦١ الإعراب

٢٦١ المعنى

٢٦٤ [سوره الإنسان (٧٦): الآيات ٢٣ إلى ٣١]

٢٦٤ اشارة

٢٦٤ القراءه

٢٦٤ الحججه

٢٦٤ اللغه

٢٦٥ الإعراب

٢٦٥ المعنى

٢٦٧ (٧٧) سوره المرسلات مكيه و آياتها خمسون (٥٠)

٢٦٧ اشارة

٢٦٧ [توضيح]

٢٦٧ فضلها

٢٦٧ تفسيرها

٢٦٧ [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١ إلى ١٥]

٢٦٧ اشارة

٢٦٧ القراءه

٢٦٨ الحججه

٢٦٨ المعنى

٢٧٠ [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ إلى ٢٨]

٢٧٠ اشارة

٢٧٠ القراءه

٢٧٠ الحججه

٢٧٠ اللغه

٢٧١ الإعراب

٢٧١ المعنى

٢٧٢ [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ٢٩ الى ٤٠]

٢٧٢ اشاره

٢٧٢ القراءه

٢٧٣ الحججه

٢٧٣ المعنى

٢٧٥ [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ٤١ الى ٥٠]

٢٧٥ اشاره

٢٧٥ المعنى

٢٧٧ (٧٨) سوره النبا مكيه و آياتها أربعون (٤٠)

٢٧٧ اشاره

٢٧٧ [توضيح]

٢٧٧ عدد آيها

٢٧٧ اختلافها

٢٧٧ فضلها

٢٧٧ تفسيرها

٢٧٨ [سوره النبا (٧٨): الآيات ١ الى ١٦]

٢٧٨ اشاره

٢٧٨ القراءه

٢٧٨ الحججه

٢٧٨ اللغه

٢٧٩ الإعراب

٢٨٠ المعنى

٢٨١ [سوره النبأ (٧٨): الآيات ١٧ الى ٣٠]

٢٨١ اشاره

٢٨١ القراءه

٢٨٢ الحججه

٢٨٢ اللغه

٢٨٣ المعنى

٢٨٥ [سوره النبأ (٧٨): الآيات ٣١ الى ٤٠]

٢٨٥ اشاره

٢٨٦ القراءه

٢٨٦ الحججه

٢٨٦ اللغه

٢٨٨ المعنى

٢٩١ (٧٩) سوره النزعات مكيه و آياتها ست و أربعون (٤٦)

٢٩١ اشاره

٢٩١ عدد آيها

٢٩١ اختلافها

٢٩١ فضلها

٢٩١ تفسيرها

٢٩٢ [سوره النزعات (٧٩): الآيات ١ الى ١٤]

٢٩٢ اشاره

٢٩٢ القراءه

٢٩٢ الحججه

٢٩٢ اللغه

٢٩٤ المعنى

٢٩٨ [سوره النزعات (٧٩): الآيات ١٥ الى ٢٦]

٢٩٨ اشارة

٢٩٨ القراءه

٢٩٨ الحججه

٢٩٩ المعنى

٣٠١ [سوره النازعات (٧٩): الآيات ٢٧ الى ٤٦]

٣٠١ اشارة

٣٠١ القراءه

٣٠١ الحججه

٣٠٣ اللغه

٣٠٣ الإعراب

٣٠٤ المعنى

٣٠٦ (٨٠) سوره عبس مكيه و آياتها ثنتان و أربعون (٤٢)

٣٠٦ اشارة

٣٠٦ [توضيح]

٣٠٦ عدد آيها

٣٠٦ اختلافها

٣٠٦ فضلها

٣٠٦ تفسيرها

٣٠٧ [سوره عبس (٨٠): الآيات ١ الى ٢٣]

٣٠٧ اشارة

٣٠٧ القراءه

٣٠٧ الحججه

٣٠٨ اللغه

٣٠٨ الإعراب

٣٠٩ المعنى

٣١١ [سوره عبس (٨٠): الآيات ٢٤ الى ٤٢]

٣١١ اشارة

٣١١ القراءه

٣١٢ الحججه

٣١٢ اللغه

٣١٢ الإعراب

٣١٢ المعنى

٣١٥ (٨١) سورة التكوير مكيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩) -

٣١٥ اشارة

٣١٥ [توضيح]

٣١٥ عدد آيها

٣١٥ فضلها

٣١٥ تفسيرها

٣١٦ [سوره التكوير (٨١): الآيات ١ الى ١٤]

٣١٦ اشارة

٣١٦ القراءه

٣١٦ الحججه

٣١٨ اللغه

٣٢٠ الإعراب

٣٢٠ المعنى

٣٢٢ [سوره التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ٢٩]

٣٢٢ اشارة

٣٢٢ القراءه

٣٢٢ الحججه

٣٢٣ اللغه

٣٢٣ الإعراب

٣٢٣ المعنى

٣٢٤ (٨٢) سورة انفطرت مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)

٣٢٤ اشاره

٣٢٤ [توضيح]

٣٢٤ فضلها

٣٢٤ تفسيرها

٣٢٧ [سوره الانفطار (٨٢): الآيات ١ الى ١٩]

٣٢٧ اشاره

٣٢٧ القراءه

٣٢٧ الحججه

٣٢٨ اللغه

٣٢٨ المعنى

٣٣٢ (٨٣) سورة المطففين مكيه و آياتها ست و ثلاثون (٣٦)

٣٣٢ اشاره

٣٣٢ [توضيح]

٣٣٢ عدد آيها

٣٣٢ فضلها

٣٣٢ تفسيرها

٣٣٣ [سوره المطففين (٨٣): الآيات ١ الى ١٧]

٣٣٣ اشاره

٣٣٣ القراءه

٣٣٣ اللغه

٣٣٥ الإعراب

٣٣٥ المعنى

٣٣٩ [سوره المطففين (٨٣): الآيات ١٨ الى ٣٦]

٣٣٩ اشاره

٣٣٩ القراءه

الحجه ٣٣٩

اللغه ٣٤٠

الإعراب ٣٤٠

المعنى ٣٤١

(٨٤) سورة انشقت مكيه و آياتها خمس و عشرون (٢٥) ٣٤٤

اشاره ٣٤٤

[توضيح] ٣٤٤

عدد آيها ٣٤٤

اختلافها ٣٤٤

فضلها ٣٤٤

تفسيرها ٣٤٤

[سوره الانشقاق (٨٤): الآيات ١ الى ٢٥] ٣٤٥

اشاره ٣٤٥

القراءه ٣٤٥

الحجه ٣٤٥

اللغه ٣٤٦

المعنى ٣٤٩

(٨٥) سورة البروج مكيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢) ٣٥٣

اشاره ٣٥٣

[توضيح] ٣٥٣

فضلها ٣٥٣

تفسيرها ٣٥٣

[سوره البروج (٨٥): الآيات ١ الى ٢٢] ٣٥٤

اشاره ٣٥٤

القراءه ٣٥٤

الحجه ٣٥٤

اللغه - ٣٥٤

الإعراب - ٣٥٤

المعنى - ٣٥٨

(٨٦) سورة الطارق مكيه و آياتها سبع عشره (١٧) - ٣٦٤

اشاره - ٣٦٤

[توضيح] - ٣٦٤

فضلها - ٣٦٤

تفسيرها - ٣٦٤

[سوره الطارق (٨٦): الآيات ١ الى ١٧] - ٣٦٥

اشاره - ٣٦٥

القراءه - ٣٦٥

الحجه - ٣٦٥

اللغه - ٣٦٥

الإعراب - ٣٦٧

المعنى - ٣٦٧

(٨٧) سورة الأعلى مكيه و آياتها تسع عشره (١٩) - ٣٧٠

اشاره - ٣٧٠

[توضيح] - ٣٧٠

فضلها - ٣٧٠

تفسيرها - ٣٧٠

[سوره الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ١٩] - ٣٧٢

اشاره - ٣٧٢

القراءه - ٣٧٢

الحجه - ٣٧٢

اللغه - ٣٧٢

الإعراب - ٣٧٤

المعنى - ٣٧٤

(٨٨) سورة الغاشية مكيه و آياتها ست و عشرون (٢٦) - ٣٧٨

اشاره - ٣٧٨

[توضيح] - ٣٧٨

فضلها - ٣٧٨

تفسيرها - ٣٧٨

[سوره الغاشيه (٨٨): الآيات ١ الى ٢٦] - ٣٧٩

اشاره - ٣٧٩

القراءه - ٣٧٩

الحجه - ٣٧٩

اللغه - ٣٨١

الإعراب - ٣٨١

المعنى - ٣٨١

(٨٩) سورة الفجر مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠) - ٣٨٦

اشاره - ٣٨٦

[توضيح] - ٣٨٦

اختلافها - ٣٨٦

فضلها - ٣٨٦

تفسيرها - ٣٨٦

[سوره الفجر (٨٩): الآيات ١ الى ٣٠] - ٣٨٧

اشاره - ٣٨٧

القراءه - ٣٨٧

الحجه - ٣٨٨

اللغه - ٣٩٠

الإعراب - ٣٩١

المعنى - ٣٩١

٤٠٠ (٩٠) سورة البلد مكيه و آياتها عشرون (٢٠)

٤٠٠ اشاره

٤٠٠ [توضيح]

٤٠٠ فضلها

٤٠٠ تفسيرها

٤٠١ [سوره البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٢٠]

٤٠١ اشاره

٤٠١ القراءه

٤٠١ الحججه

٤٠٣ اللغه

٤٠٥ المعنى

٤١٠ (٩١) سورة الشمس مكيه و آياتها خمس عشره (١٥)

٤١٠ اشاره

٤١٠ عدد آياتها

٤١٠ اختلافها

٤١٠ فضلها

٤١٠ تفسيرها

٤١١ [سوره الشمس (٩١): الآيات ١ الى ١٥]

٤١١ اشاره

٤١١ القراءه

٤١١ الحججه

٤١١ اللغه

٤١٣ الإعراب

٤١٣ المعنى

٤١٦ (٩٢) سورة الليل مكيه و آياتها إحدى و عشرون (٢١)

٤١٦ اشاره

٤١٦ [توضيح]

٤١٦ فضلها

٤١٦ تفسيرها

٤١٧ [سوره الليل (٩٢): الآيات ١ الى ٢١]

٤١٧ اشاره

٤١٧ القراءه

٤١٧ الحججه

٤١٧ اللغه

٤١٧ الإعراب

٤١٩ المعنى

٤٢٢ (٩٣) سوره الضحى مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

٤٢٢ اشاره

٤٢٢ [توضيح]

٤٢٢ فضلها

٤٢٢ تفسيرها

٤٢٢ [سوره الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ١١]

٤٢٢ اشاره

٤٢٢ القراءه

٤٢٣ الحججه

٤٢٣ اللغه

٤٢٣ الإعراب

٤٢٤ المعنى

٤٣١ (٩٤) سوره الشرح مكيه و آياتها ثمان (٨)

٤٣١ اشاره

٤٣١ [توضيح]

٤٣١ فضلها

- ٤٣١ [سوره الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨]
- ٤٣١ اشاره
- ٤٣١ اللغه
- ٤٣٧ (٩٥) سوره التين مكيه و آياتها ثمان (٨)
- ٤٣٧ اشاره
- ٤٣٧ [توضيح]
- ٤٣٧ فضلها
- ٤٣٧ تفسيرها
- ٤٣٧ [سوره التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨]
- ٤٣٧ اشاره
- ٤٣٨ اللغه
- ٤٣٨ المعنى
- ٤٤١ (٩٦) سوره العلق مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)
- ٤٤١ اشاره
- ٤٤١ عدد آيها
- ٤٤١ اختلافها
- ٤٤١ فضلها
- ٤٤١ تفسيرها
- ٤٤٢ [سوره العلق (٩٦): الآيات ١ الى ١٩]
- ٤٤٢ اشاره
- ٤٤٢ اللغه
- ٤٤٤ المعنى
- ٤٤٨ (٩٧) سوره القدر مكيه و آياتها خمس (٥)
- ٤٤٨ اشاره
- ٤٤٨ [توضيح]
- ٤٤٨ عدد آيها

اختلافها ٤٤٨

فضلها ٤٤٨

تفسيرها ٤٤٨

[سوره القدر (٩٧): الآيات ١ الى ٥] ٤٤٩

اشاره ٤٤٩

القراءه ٤٤٩

الحجه ٤٤٩

اللغه ٤٤٩

الإعراب ٤٤٩

المعنى ٤٥١

(٩٨) سوره البينه مدنيه و آياتها ثمان (٨) ٤٥٨

اشاره ٤٥٨

[توضيح] ٤٥٨

عدد آيها ٤٥٨

اختلافها ٤٥٨

فضلها ٤٥٨

تفسيرها ٤٥٨

[سوره البينه (٩٨): الآيات ١ الى ٨] ٤٥٩

اشاره ٤٥٩

القراءه ٤٥٩

الحجه ٤٥٩

اللغه ٤٦٠

الإعراب ٤٦٠

المعنى ٤٦٠

(٩٩) سوره الزلزله مدنيه و آياتها ثمان (٨) ٤٦٣

اشاره ٤٦٣

٤٦٣ [توضيح]

٤٦٣ عدد آياتها

٤٦٣ اختلافها

٤٦٣ فضلها

٤٦٣ تفسيرها

٤٦٤ [سوره الزلزله (٩٩): الآيات ١ الى ٨]

٤٦٤ اشاره

٤٦٤ القراءه

٤٦٤ الحجه

٤٦٤ اللغه

٤٦٤ المعنى

٤٦٩ (١٠٠) سوره العاديات مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

٤٦٩ اشاره

٤٦٩ [توضيح]

٤٦٩ عدد آياتها

٤٦٩ فضلها

٤٦٩ النظم

٤٧٠ [سوره العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ١١]

٤٧٠ اشاره

٤٧٠ القراءه

٤٧٠ الحجه

٤٧٠ اللغه

٤٧٢ المعنى

٤٧٦ (١٠١) سوره القارعه مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

٤٧٦ اشاره

٤٧٦ عدد آياتها

٤٧٦ اختلافها

٤٧٦ فضلها

٤٧٦ تفسيرها

٤٧٧ [سوره القارعه (١٠١): الآيات ١ الى ١١]

٤٧٧ اشاره

٤٧٧ القراءه

٤٧٧ الحججه

٤٧٧ اللغه

٤٧٩ الإعراب

٤٧٩ المعنى

٤٨١ (١٠٢) سوره التكاثر مكيه و آياتها ثمان (٨)

٤٨١ اشاره

٤٨١ [توضيح]

٤٨١ فضلها

٤٨١ تفسيرها

٤٨١ [سوره التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]

٤٨١ اشاره

٤٨١ القراءه

٤٨٣ الحججه

٤٨٣ اللغه

٤٨٣ الإعراب

٤٨٤ المعنى

٤٨٧ (١٠٣) سوره العصر مكيه و آياتها ثلاث (٣)

٤٨٧ اشاره

٤٨٧ [توضيح]

٤٨٧ اختلافها

٤٨٧ فضلها

٤٨٧ تفسيرها

٤٨٧ [سوره العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]

٤٨٧ اشاره

٤٨٧ اللغه

٤٨٩ المعنى

٤٩٠ (١٠٤) سوره الهمزه مكيه و آياتها تسع (٩)

٤٩٠ اشاره

٤٩٠ [توضيح]

٤٩٠ فضلها

٤٩٠ تفسيرها

٤٩٠ [سوره الهمزه (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]

٤٩٠ اشاره

٤٩٠ القراءه

٤٩١ الحجه

٤٩١ اللغه

٤٩٢ الإعراب

٤٩٢ المعنى

٤٩٤ (١٠٥) سوره الفيل مكيه و آياتها خمس (٥)

٤٩٤ اشاره

٤٩٤ [توضيح]

٤٩٤ فضلها

٤٩٤ تفسيرها

٤٩٤ [سوره الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]

٤٩٤ اشاره

٤٩٤ القراءه

٤٩٤ الحجه

٤٩٤ اللغه

٤٩٤ الإعراب

٤٩٩ المعنى

٥٠٢ (١٠٦) سورة قريش مكيه و آياتها أربع (٤)

٥٠٢ اشاره

٥٠٢ [توضيح]

٥٠٢ اختلافها

٥٠٢ فضلها

٥٠٢ تفسيرها

٥٠٢ [سوره قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]

٥٠٢ اشاره

٥٠٤ القراءه

٥٠٤ الحجه

٥٠٤ اللغه

٥٠٤ الإعراب

٥٠٦ المعنى

٥٠٩ (١٠٧) سورة الماعون مكيه و آياتها سبع (٧)

٥٠٩ اشاره

٥٠٩ [توضيح]

٥٠٩ عدد آيها

٥٠٩ اختلافها

٥٠٩ فضلها

٥٠٩ تفسيرها

٥٠٩ [سوره الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]

٥٠٩ اشاره

٥١١ القراءه

٥١١ الحججه

٥١١ اللغه

٥١١ الإعراب

٥١١ المعنى

٥١٥ (١٠٨) سورة الكوثر مكيه و آياتها ثلاث (٣)

٥١٥ اشاره

٥١٥ [توضيح]

٥١٥ فضلها

٥١٥ تفسيرها

٥١٥ [سوره الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

٥١٥ اشاره

٥١٥ اللغه

٥١٦ الإعراب

٥١٦ المعنى

٥٢١ (١٠٩) سورة الكافرون مكيه و آياتها ست (٦)

٥٢١ اشاره

٥٢١ [توضيح]

٥٢١ فضلها

٥٢٢ تفسيرها

٥٢٣ [سوره الكافرون (١٠٩): الآيات ١ الى ٦]

٥٢٣ اشاره

٥٢٣ القراءه

٥٢٣ الحججه

٥٢٣ الإعراب

٥٢٣ المعنى

٥٢٧ (١١٠) سورة النصر مدنيه و آياتها ثلاث (٣) -

٥٢٧ اشاره

٥٢٧ [توضيح]

٥٢٧ فضلها

٥٢٧ تفسيرها

٥٢٧ [سوره النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

٥٢٧ اشاره

٥٢٧ الإعراب

٥٢٨ المعنى

٥٣٤ (١١١) سورة المسد مكيه و آياتها خمس (٥) -

٥٣٤ اشاره

٥٣٤ [توضيح]

٥٣٤ عدد آيها

٥٣٤ فضلها

٥٣٤ تفسيرها

٥٣٤ [سوره المسد (١١١): الآيات ١ الى ٥]

٥٣٤ اشاره

٥٣٤ القراءة

٥٣٥ الحجه

٥٣٥ اللغة

٥٣٥ المعنى

٥٣٨ (١١٢) سورة الإخلاص مكيه و آياتها أربع (٤) -

٥٣٨ اشاره

٥٣٨ [توضيح]

٥٣٨ عدد آيها

٥٣٨ اختلافها

٥٣٨ ----- فضـلـها

٥٤٠ ----- تفسـيرـها

٥٤١ ----- [سـورـه الإخـلاص (١١٢): الآيات ١ إلى ٤]

٥٤١ ----- اشارة

٥٤٢ ----- القراءه

٥٤٢ ----- الحجه

٥٤٢ ----- اللغه

٥٤٥ ----- المعنى

٥٥١ ----- (١١٣) سورـه الفلق مكيه و آياتها خمس (٥)

٥٥١ ----- اشارة

٥٥١ ----- [توضيح]

٥٥١ ----- عدد آيها

٥٥١ ----- فضـلـها

٥٥١ ----- تفسـيرـها

٥٥١ ----- [سـورـه الفلق (١١٣): الآيات ١ إلى ٥]

٥٥١ ----- اشارة

٥٥١ ----- اشارة

٥٥٣ ----- اللغه

٥٥٣ ----- النزول

٥٥٣ ----- المعنى

٥٥٥ ----- (١١٤) سورـه الناس مكيه و آياتها ست (٦)

٥٥٥ ----- اشارة

٥٥٥ ----- [توضيح]

٥٥٥ ----- فضـلـها

٥٥٥ ----- [سـورـه الناس (١١٤): الآيات ١ إلى ٦]

٥٥٥ ----- اشارة

٥٥٥ اشارة

٥٥٥ القراءة

٥٥٥ اللغه

٥٥٧ الإعراب

٥٥٧ المعنى

٥٦٠ تعريف مركز

مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ١٠

اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسي

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

اشاره

مجمع البيان فى تفسير القرآن

ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصحيح: هاشم رسولى

مصحيح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(٦٢) سورة الجمعة مدینه و آیاتها إحدى عشره (١١)

إشاره

[توضیح]

و هي إحدى عشره آیه بالإجماع.

فضلها

أبی بن کعب عن النبی ص قال و من قرأ سورة الجمعة أعطی عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة و بعدد من لم یأتها فی أمصار المسلمین.

منصور بن حازم عن أبی عبد الله (علیه السلام) قال من الواجب علی کل مؤمن إذا کان لنا شیعه أن یقرأ فی ليله الجمعة بالجمعه و سبح اسم ربک و فی صلاه الظهر بالجمعه و المنافقین فإذا فعل فکأنما یعمل عمل رسول الله ص و کان ثوابه و جزاؤه علی الله الجنه.

تفسیرها

لما ختم الله سبحانه سورة الصف بالترغیب فی عبادته و الدعاء إليها و ذکر تأیید المؤمنین بالنصر و الظهور علی الأعداء افتتح هذه السوره ببيان قدرته علی ذلك و علی جمیع الأشياء فقال:

ص: ٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)

اللغة

الأسفار الكتب واحدا سفر و إنما سمي بذلك لأنه يكشف عن المعنى بإظهاره يقال سفر الرجل عما مته إذا كشفها و سمرت المرأه عن وجهها فهي سافره و منه و الصبح إذا أسفر.

الإعراب

«وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» إن هذه مخففه من إن و لهذا لزمها اللام الفارقة في خبر كان لئلا يلتبس بأن النافيه و آخريين مجروره لأنه صفة محذوف معطوف على الأميين أى و فى قوم آخريين و يحتمل أن يكون منصوبا بالعطف على هم فى يعلمهم.

«يَحْمِلُ أَسْفَارًا» فى موضع النصب على الحال. «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ» المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم فيكون الذين فى موضع جر و يجوز أن يكون التقدير بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و على هذا يكون الذين فى موضع رفع و هو المخصوص بالذم.

المعنى

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» أى ينزهه سبحانه كل شىء و يشهد له بالوحدانيه و الربوبيه بما ركب فيها من بدائع الحكمة و عجائب الصنعه الداله على أنه قادر عالم حى قديم سميع بصير حكيم لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شىء و إنما قال مره سبح و مره يسبح إشاره إلى دوام تنزيهه فى الماضى و المستقبل «الْمَلِكِ» أى القادر على تصريف الأشياء «الْقُدُّوسِ» أى المستحق للتعظيم الطاهر عن كل نقص «الْعَزِيزِ» القادر الذى لا يمتنع عليه شىء «الْحَكِيمِ» العالم الذى يضع الأشياء موضعها «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ» يعنى العرب و كانت أمه أميه لا تكتب و لا تقرأ و لم يبعث إليهم نبي عن مجاهد و قتاده و قيل يعنى أهل مكه لأن مكه تسمى أم القرى «رَسُولًا مِنْهُمْ» يعنى محمداً ص نسبه نسبهم و هو من جنسهم كما قال لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ وَ وَجْهَ النِّعْمَةِ فِي أَنْهَ جَعَلَ النَّبُوَّةَ فِي أُمِّي مُوَافَقَتَهُ لَمَّا تَقَدَّمَتِ الْبَشَارَةُ بِهِ فِي كِتَابِ الْأَنْبِيَاءِ

السالفه ولأنه أبعد من توهم الاستعانه على ما أتى به من الحكمه بالحكم التي تلاها و الكتب التي قرأها و أقرب إلى العلم بأن ما يخبرهم به من إخبار الأمم الماضيه و القرون الخاليه على وفق ما فى كتبهم ليس ذلك إلا بالوحي «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» أى يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال و الحرام و الحجج و الأحكام «وَيُزَكِّيهِمْ» أى و يطهرهم من الكفر و الذنوب و يدعوهم إلى ما يصيرون به أذكيا «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» الكتاب القرآن و الحكمه الشرائع و قيل إن الحكمه تعم الكتاب و السنه و كل ما أرادته الله تعالى فإن الحكمه هى العلم الذى يعمل عليه فيما يجتنبى أو يجتنب من أمور الدين و الدنيا «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» معناه و ما كانوا من قبل بعثه إليهم إلا فى عدول عن الحق و ذهاب عن الدين بين ظاهر «وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ» أى و يعلم آخرين من المؤمنين «لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» و هم كل من بعد الصحابه إلى يوم القيامة فإن الله سبحانه بعث النبى إليهم و شريعته تلمهم و إن لم يلحقوا بزمان الصحابه عن مجاهد و ابن زيد و

قيل هم الأعاجم و من لا يتكلم بلغه العرب فإن النبى ص مبعوث إلى من شاهده و إلى كل من بعدهم من العرب و العجم عن ابن عمر و سعيد بن جبير و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام)

و روى أن النبى ص قرأ هذه الآيه فقبل له من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان و قال لو كان الإيمان فى الثريا لئالته رجال من هؤلاء

و على هذا فإنما قال منهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم يد واحده على من سواهم و أمه واحده و إن اختلف أجناسهم كما قال سبحانه وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ و من لم يؤمن بالنبى ص فإنهم ليسوا ممن عناهم الله تعالى بقوله «وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ» و إن كان مبعوثا إليهم بالدعوه لقوله سبحانه «وَيُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمْ» و من لم يؤمن فليس ممن زكاه و علمه القرآن و السنه و قيل إن قوله «لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» يعنى فى الفضل و السابقه فإن التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابه و خيار المؤمنين «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ» يعنى النبوه التى خص الله بها رسوله عن مقاتل «يُؤْتِيهِ» أى يعطيه «مَنْ يَشَاءُ» بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثه و تحمل أعباء الرساله «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» ذو المن العظيم على خلقه ببعث محمد ص و

روى محمد بن أبى عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء إلى رسول الله ص فقالوا يا رسول الله إن للأغنياء ما يتصدقون و ليس لنا ما نتصدق و لهم ما يحجون و ليس لنا ما نحج و لهم ما يعتقون و ليس لنا ما نعتق فقال ص من كبر الله مائه مره كان أفضل من عتق رقبه و من سبح الله مائه مره كان أفضل من مائه فرس فى سبيل الله يسرجها و يلجمها و من هلى الله مائه مره كان أفضل الناس عملا فى ذلك اليوم إلا من زاد فبلغ ذلك الأغنياء فقالوه فرجع

الفقراء إلى النبي ص فقالوا يا رسول الله قد بلغ الأغنياء ما قلت فصنعوه فقال ص «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»

ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراه مثلا فقال «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ» أى كلفوا القيام بها و العمل بما فيها «ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا» حق حملها من أداء حقها و العمل بموجبها لأنهم حفظوها و دونوها كتبهم ثم لم يعلموا بما فيها «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» لأن الحمار الذى يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحس بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب و لا يعمل بموجبه كمثل من لا يعلم ما فيما يحمله قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره أو جحده إذا لم يعمل به و على هذا فمن تلا القرآن و لم يفهم معناه و أعرض عنه إعراض من لا- يحتاج إليه كان هذا المثل لاحقا به و إن حفظه و هو طالب لمعناه فليس من أهل هذا المثل و أنشد أبو سعيد الضرير فى ذلك:

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر

لعمرك ما يدرى المطى إذا غدا بأسفاره إذ راح ما فى الغرائر

«بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم لأنه سبحانه ذم مثلهم و المراد به ذمهم و اليهود كذبوا بالقرآن و التوراه حين لم يؤمنوا بمحمد ص «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أى لا يفعل بهم من الألفاظ التى يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون و قيل لا يثيبهم و لا يهديهم إلى الجنة و عن محمد بن مهران قال يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم و تلا هذه.

ص: ٧

اشاره

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)

وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

اللغة

الزعم قول عن ظن أو علم و لذلك صار من باب الظن و العلم و عمل ذلك العمل قال:

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم فإني شريت الحلم بعدك بالجهل

و الأولياء جمع ولى و هو الحقيق بالنصره التى يوليها عند الحاجة و الله ولى المؤمنين لأنه يوليهم النصره عند حاجتهم و المؤمن ولى الله لهذه العله و يجوز أن يكون لأنه يولى المطيع له نصره عند حاجته و التمنى هو قول القائل لما كان ليته لم يكن و لما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضى و المستقبل و هو من جنس الكلام عن الجبائى و القاضى و قال أبو هاشم هو معنى فى النفس يوافق هذا القول و الجمع و الجمعه لغتان و جمعها جمع و جمعات قال الفراء و فيها لغه ثالثه جمع بفتح الميم كضحكه و همزه و إنما سمي جمع لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات و قيل لأنه تجتمع فيه الجماعات و قيل إن أول من سماها جمع كعب بن لؤى و هو أول من قال أما بعد و كان يقال للجمعه العروبه عن أبى سلمه و قيل إن أول من سماها جمع الأنصار قال ابن سيرين جمع أهل المدينه قبل أن يقدم النبى ص المدينه و قيل قبل أن تنزل الجمع قالت الأنصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام و للنصارى يوم أيضا مثل ذلك فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله عز و جل و نشكره و كما قالوا يوم السبت لليهود و يوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبه فاجتمعوا إلى أسعد بن زراره

فصلى بهم يومئذ و ذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه فذبح لهم أسعد بن زراره شاه فتغدوا و تعشوا من شاه واحده و ذلك لقلتهم فأنزل الله تعالى فى ذلك «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ» الآية فهذه أول جمعه جمعت فى الإسلام فأما أول جمعه جمعها رسول الله ص بأصحابه فقيل إنه قدم رسول الله ص مهاجرا حتى نزل قبا على عمرو بن عوف و ذلك يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الإثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و أسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ اليوم فى ذلك الموضع مسجد و كانت هذه الجمعة أول جمعه جمعها رسول الله ص فى الإسلام فخطب فى هذه الجمعة و هى أول خطبه خطبها بالمدينة فيما قيل

فقال الحمد لله أحمده و أستعينه و أستغفره و أستهديه و أومن به و لا أكفره و أعادى من يكفره و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و النور و الموغظه على فتره من الرسل و قله من العلم و ضلاله من الناس و انقطاع من الزمان و دنو من الساعة و قرب من الأجل من يطع الله و رسوله فقد رشد و من يعصهما فقد غوى و فرط و ضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة و أن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه و إن تقوى الله لمن عمل به على وجل و مخافه من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة و من يصلح الذى بينه و بين الله من أمره فى السر و العلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره و ذخرا فيما بعد الموت و حين يفتقر المرء إلى ما قدم و ما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه و بينه أمدا بعيدا و يحذركم الله نفسه و الله رءوف بالعباد و الذى صدق قوله و نجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فاتقوا الله فى عاجل أمركم و آجله فى السر و العلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا و من يتق الله فقد فاز فوزا عظيما و إن تقوى الله توقى مقتته و توقى عقوبته و توقى سخطه و إن تقوى الله تبيض الوجوه و ترضى الرب و ترفع الدرجه خذوا بحظكم و لا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم الله كتابه و نهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا و يعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم و عادوا أعداءه و جاهدوا فى سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم و سماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حى عن بينه و لا حول و لا قوه إلا بالله فأكثرُوا ذكر الله و اعلموا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه و بين الله يكفه الله ما بينه و بين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس و لا يقضون عليه و يملك من الناس و لا يملكون منه الله أكبر و لا قوه إلا بالله العلى العظيم

فلهذا صارت الخطبه شرطا فى انعقاد الجمعة.

قال جابر بن عبد الله أقبلت غير و نحن نصلى مع رسول الله ص الجمعة فانفض الناس إليها فما بقى غير اثنى عشر رجلا أنا فيهم فنزلت الآية «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا» وقال الحسن و أبو مالك أصاب أهل المدينة جوع و غلاء سعر فقدم دحيه بن خليفه بتجاره زيت من الشام و النبي ص يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا إليه بالبيع خشيه أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي ص إلا رهط فنزلت الآية

فقال و الذى نفسى بيده لو تابعتهم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادى ناراً

و قال المقاتلان بينا رسول الله ص يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحيه بن خليفه بن فروه الكلبى ثم أحد بنى الخزرج ثم أحد بنى زيد بن مناه من الشام بتجاره و كان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أته و كان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو بر أو غيره فينزل عند أحجار الزيت و هو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطلب ليؤذن الناس بقدمه فيخرج إليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعه و كان ذلك قبل أن يسلم و رسول الله ص قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق فى المسجد إلا اثنا عشر رجلا و امرأه

فقال ص لو لا هؤلاء لسموت عليهم الحجارة من السماء

و أنزل الله هذه الآية و قيل لم يبق فى المسجد إلا ثمانية رهط عن الكلبى عن ابن عباس و قيل إلا أحد عشر رجلا عن ابن كيسان و قيل إنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات فى كل يوم مره لغير تقدم من الشام و كل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتاده و مقاتل.

المعنى

لما تقدم ذكر اليهود فى إنكارهم ما فى التوراه أمر سبحانه نبيه ص أن يخاطبهم بما يفهمهم فقال «قُلْ» يا محمد «يا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا» أى سموا يهودا «إِنَّ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ» أى إن كنتم تظنون على زعمكم أنكم أنصار الله و أن الله ينصركم «مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» إنكم أبناء الله و أحبائه فإن الموت هو الذى يوصلكم إليه ثم أخبر سبحانه عن حالهم فى كذبهم و اضطرابهم فى دعواهم و أنهم غير واثقين بذلك فقال «وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ» من الكفر و المعاصى «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» أى عالم بأفعالهم و أحوالهم و قد تقدم تفسير الآيتين فى سوره البقره و فيه معجزه للرسول لأنه أخبر أنهم لا يتمنون الموت أبدا لما يعرفون من صدق النبي ص و كذبهم فكان الأمر كما قال و

روى أنه ص قال لو تمنوا لماتوا عن آخرهم

«قُلْ» يا محمد «إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ» أى إنكم و إن فررتم من الموت و كرهتموه فإنه لا بد ينزل بكم و يلقاكم و يدر ككم و لا- ينفعكم الهرب منه و إنما قال فإنه ملاقيكم بالفاء سواء فروا منه أو لم يفروا منه فإنه ملاقيهم مبالغه فى الدلاله على أنه لا- ينفع الفرار منه لأنه إذا كان الفرار بمنزله السبب فى ملاقاته فلا معنى للتعرض للفرار لأنه لا يباعد منه و إلى هذا المعنى

أشار أمير

ص: ١٠

المؤمنين (عليه السلام) في قوله كل امرئ لاق ما يفر منه و الأجل مساق النفس و الهرب منه موافاته

و قال زهير:

و من هاب أسباب المنايا ينلته و لو نال أسباب السماء بسلم

و لا- شك أنها تناله هابها أو لم يهبها و لكنه إذا كانت هيبته بمنزله السبب للمنيه فالهيبه لا معنى لها و قيل إن التقدير قل إن الموت هو الذى تفرون منه فجعل الذى فى موضع الخبر لا- صفه للموت و يكون «فَإِنَّهُ» مستأنفا «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى ترجعون إلى الله الذى يعلم سركم و علانيتكم يوم القيامة «فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا و يجازيكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» أى إذا أذن لصلاه الجمعة و ذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة و ذلك لأنه لم يكن على عهد رسول الله ص نداء سواه قال السائب بن زيد كان لرسول الله ص مؤذن واحد بلال فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاه ثم كان أبو بكر و عمر كذلك حتى إذا كان عثمان و كثر الناس و تباعدت المنازل زاد أذانا فأمر بالتأذين الأول على سطح دار له بالسوق و يقال له الزوراء و كان يؤذن له عليها فإذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه فإذا نزل أقام للصلاه فلم يعب ذلك عليه «فَاسْتَعِزَّ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» أى فامضوا إلى الصلاه مسرعين غير متثاقلين عن قتاده و ابن زيد و الضحاك و قال الزجاج معناه فامضوا إلى السعى الذى هو الإسراع و قرأ عبد الله بن مسعود

فامضوا إلى ذكر الله و روى ذلك عن على بن أبى طالب (عليه السلام) و عمر بن الخطاب و أبى بن كعب ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قال ابن مسعود لو علمت الإسراع لأسرعت حتى يقع ردائى عن كتفى و قال الحسن ما هو السعى على الأقدام و قد نهوا أن يأتوا الصلاه إلا و عليهم السكينه و الوقار و لكن بالقلوب و النيه و الخشوع و قيل المراد بذكر الله الخطبه التى تتضمن ذكر الله و المواعظ «وَ ذَرُّوا الْبَيْعَ» أى دعوا المبايعه قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلاه يوم الجمعة فإنه بيع حرام لا يجوز و هذا هو الذى يقتضيه ظاهر الآيه لأن النهى يدل على فساد المنهى عنه «ذَلِكُمْ» يعنى ما أمرتكم به من حضور الجمعة و استماع الذكر و أداء الفريضه و ترك البيع «خَيْرٌ لَكُمْ» و أنفع لكم عاقبه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» منافع الأمور و مضارها و مصالح أنفسكم و مفاسدها و قيل معناه اعلموا ذلك عن الجبائى و فى هذه الآيه دلالة على وجوب الجمعة و فى تحريم جميع التصرفات عند سماع أذان الجمعة لأن البيع إنما خص بالنهى عنه لكونه من أعم التصرفات فى أسباب المعاش و فيها دلالة على أن الخطاب للأحرار لأن العبد

لا- يملك البيع و على اختصاص الجمعة بمكان و لذلك أوجب السعى إليه و فرض الجمعة لازم لجميع المكلفين إلا أصحاب الأعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأه أو شيخا هما لا حراك به أو عبدا أو يكون على رأس أكثر من فرسخين من الجامع و عند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاه و العدد يتكامل عند أهل البيت (عليه السلام) بسبعه و قيل ينعقد بثلاثه سوى الإمام عن أبي حنيفه و الثورى و قيل إنما ينعقد بأربعين رجلا أحرارا بالغين مقيمين عن الشافعى و قيل ينعقد باثنين سوى الإمام عن أبى يوسف و قيل ينعقد بواحد كسائر الجماعات عن الحسن و داود و الاختلاف بين الفقهاء فى مسائل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ» يعنى إذا صليتم الجمعة و فرغتم منها ففرقوا فى الأرض «وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» أى و اطلبوا الرزق فى البيع و الشراء و هذا إباحه و ليس بأمر و إيجاب و

روى عن أنس عن النبى ص قال فى قوله «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا» الآيه ليس بطلب دنيا و لكن عياده مريض و حضور جنازه و زياره أخ فى الله

و قيل المراد بقوله «وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» طلب العلم عن الحسن و سعيد بن جبير و مكحول و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال الصلاه يوم الجمعة و الانتشار يوم السبت

و

روى عمرو بن زيد عن أبى عبد الله قال إنى لأركب فى الحاجه التى كفاها الله ما أركب فيها إلا التماس أن يرانى الله أضحى فى طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» أ رأيت لو أن رجلا دخل بيتا و طين عليه بابه ثم قال رزقى ينزل على كان يكون هذا أما أنه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلاثة قال رجل تكون عنده المرأه فيدعو عليها فلا يستجاب له لأن عصمتها فى يده لو شاء أن يخلى سبيلها لخلى سبيلها و الرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما أمر به و الرجل يكون عنده الشىء فيجلس فى بيته فلا ينتشر و لا يطلب و لا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له

«وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» أى اذكروه على إحسانه و اشكروه على نعمه و على ما وفقكم من طاعته و أداء فرضه و قيل إن المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكر ساعه خير من عباده سنه و قيل معناه اذكروا الله فى تجارتكم و أسواقكم كما

روى عن النبى ص أنه قال من ذكر الله فى السوق مخلصا عند غفله الناس و شغلهم بما فيه كتب له ألف حسنه و يغفر الله له يوم القيامة مغفره لم تخطر على قلب بشر

«لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ» أى لتفلحوا و تفوزوا بثواب النعيم علق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدم ذكره من أعمال الجمعة و غيرها و

صح الحديث عن أبى ذر قال قال رسول الله ص من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله و لبس

صالح ثيابه و مس من طيب بيته أو دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه و بين الجمعة الأخرى و زياده ثلاثه أيام بعدها
أورده البخارى فى الصحيح

و

روى سلمان التميمى عن النبى ص قال إن الله عز و جل فى كل يوم جمعه ستمائه ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار

ثم أخبر سبحانه عن جماعه قابلوا أكرم الكرم بالأهم اللؤم فقال «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا» أى عاينوا ذلك و قيل معناه إذا علموا
بيعا و شراء أو لهوا و هو الطبل عن مجاهد و قيل المزامير عن جابر «انْفَضُّوا إِلَيْهَا» أى تفرقوا عنك خارجين إليها و قيل مالوا إليها
و الضمير للتجاره و إنما خصت برد الضمير إليها لأنها كانت أهم إليهم و هم بها أسر من الطبل لأن الطبل إنما دل على التجاره
عن الفراء و قيل عاد الضمير إلى أحدهما اكتفاء به و كأنه على حذف و المعنى و إذا رأوا تجاره انفضوا إليها و إذا رأوا لهوا
انفضوا إليه فحذف إليه لأن إليها يدل عليه و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال انصرفوا إليها

«وَ تَرَكَوكَ قَائِمًا» تخطب على المنبر قال جابر بن سمره ما رأيت رسول الله ص خطب إلا و هو قائم فمن حدثك أنه خطب و
هو جالس فكذبه و سئل عبد الله بن مسعود أ كان النبى ص يخطب قائما فقال أ ما تقرأ «وَ تَرَكَوكَ قَائِمًا» و قيل أراد قائما فى
الصلاه ثم قال تعالى «قُلْ» يا محمد لهم «ما عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب على سماع الخطبه و حضور الموعظه و الصلاه و الثبات مع النبى
ص «خَيْرًا» و أحمد عاقبه و أنفع «مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» يرزقكم و إن لم تتركوا الخطبه و الجمعة.

ص: ١٣

(٦٣) سورة المنافقون مدنيه و آياتها إحدى عشره (١١)

أشاره

[توضيح]

مدنيه بالإجماع و هي إحدى عشره آيه.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الجمعه بما هو من علامات النفاق من ترك النبى ص قائما فى الصلاه أو فى الخطبه و الاشتغال باللهو و طلب الارتفاق افتتح هذه السوره بذكر المنافقين أيضا فقال:

ص: ١٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصِيدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو وغير عباس والكسائي خشب ساكنه الشين والباقون «خُشْبٌ» بضمها وقرأ نافع وروح عن يعقوب و سهل لووا بتخفيف الواو والباقون «لَوَّوْا» بتشديدها وهو اختيار أبي عبيدة وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا إيمانهم بالكسر.

الحج

قال أبو علي من قرأ خشب جعله مثل بدنه و بدن و مثله أسد و أسد و وثن و وثن في قوله إن يدعون من دونه إلا أننا قال سيبويه هي قراءة و التثقيل أن فعل قد جاء في نظيره قالوا أسد كما قالوا في جمع ثمر ثمر قال الشاعر

" يقدم إقداما عليكم كالأسد "

قال أبو الحسن التحريك في خشب لغة أهل الحجاز و حجه من قرأ لووا بالتخفيف قوله «لَيَّا بِالسَّتِنتِهِمْ» فاللى مصدر لوى مثل طوى طيا و التثقيل لأن الفعل للجماعة فهو كقوله مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ و قد جاء

" تلويه الخاتن زب المعذر "

أنشده أبو زيد و قوله إيمانهم بالكسر هو على حذف المضاف أى اتخذوا إظهار إيمانهم جنة و قد مر أمثال ذلك.

اللغة

الجنة السترة المتخذة لدفع الأذى كالسلاح المتخذ لدفع الجراح و الجنة البستان الذى يجنه الشجر و الجنة الجنون الذى يستر العقل و الفقه العلم بالشىء ففقت الحديث أفقحه و كل علم فقه إلا لما اختص به علم الشريعة و كل من علمها يقال أنه فقيه و أفقحتك الشىء بينت لك و فقه الرجل بالضم صار فقيها قال ابن دريد الجسم كل شخص مدرك و كل عظيم الجسم جسيم و جسام و الأجسام العظيم الجسم قال الشاعر:

و أجسم من عاد جسوم رجالهم و أكثر إن عدوا عديدا من الرمل

و اختلف المتكلمون فى حد الجسم فقال المحققون منهم هو الطويل العريض العميق و لذلك متى ازداد ذهابه فى هذه الجهات الثلاث قيل أجسم و جسيم و قيل هو المؤلف و قيل هو القائم بالنفس و معناه أنه لا يحتاج إلى محل و الصحيح القول الأول و الأجسام ما تألف من الجواهر و هى أجزاء لا- تتجزء ائتلفت بمعان يقال لها المؤلفات فإذا رفعت عنها بقيت أجزاء لا تتجزء و اختلف فى أقل أجزاء الأجسام و الصحيح أنه ما تألف من ثمانية أجزاء و قيل من ستة أجزاء عن أبى الهذيل و قيل من أربعة أجزاء عن البلخى.

ص: ١٥

«سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تقديره ساء العمل عملهم فقوله «ما كانوا يعملون» موصول وصله فى موضع رفع بأنه مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف هو المخصوص بالذم. «أَنَّى يُؤفَكُونَ» أنى فى موضع نصب على الحال بمعنى كيف و التقدير أ جاحدين يؤفكون و يجوز أن يكون فى محل نصب على المصدر و التقدير أى أفك يؤفكون و قيل معناه من أين يؤفكون أى يصرفون عن الحق بالباطل عن الزجاج فعلى هذا يكون منصوبا على الظرف و يصدون فى موضع نصب على الحال.

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه فقال «إِذَا جَاءَكَ» يا محمد «الْمُنَافِقُونَ» و هم الذين يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر و اشتقاقه من النفق و النافقاء كما قال الشاعر:

للمؤمنين أمور غير مخزیه و للمنافق سر دونه نفي

«قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ» أى أخبروا بأنهم يعتقدون أنك رسول الله «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» يا محمد «إِنَّكَ لَرَسُولُهُ» على الحقيقة و كفى بالله شهيدا «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» فى قولهم إنهم يعتقدون أنك رسول الله فكان إكذابهم فى اعتقادهم و أنهم يشهدون ذلك بقلوبهم و لم يكذبوا فيما يرجع إلى ألسنتهم لأنهم شهدوا بذلك و هم صادقون فيه و فى هذا دلالة على أن حقيقة الإيمان إنما هو بالقلب و من قال شيئا و اعتقد خلافه فهو كاذب «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً» أى ستره يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا و لا يسبوا و لا تؤخذ أموالهم «فَصَيَّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى فأعرضوا بذلك عن دين الإسلام و قيل معناه منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بأن دعوهم إلى الكفر فى الباطن و هذا من خواص المنافقين يصدون العوام عن الدين كما تفعل المبتدعه «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بئس الذين يعملونه من إظهار الإيمان مع إبطان الكفر و الصد عن السبيل «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا» بألسنتهم عند الإقرار بلا إله إلا الله محمد رسول الله «ثُمَّ كَفَرُوا» بقلوبهم لما كذبوا بهذا عن قتاده و قيل معناه آمنوا ظاهرا عند النبى و المسلمين ثم كفروا إذا خلوا بالمشركين و إنما قال ثم كفروا لأنهم جددوا الكفر بعد إظهار الإيمان «فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى ختم عليها بسمه تميز بها الملائكة بينهم و بين المؤمنين على الحقيقة و قيل لما ألقوا الكفر و العناد و لم يصغوا إلى الحق و لا فكروا فى المعاد خلاهم الله و اختارهم و خذلهم فصار ذلك طبعاً على قلوبهم و هو الفهم إلى ما اعتادوه من الكفر عن أبى مسلم «فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» أى لا يعلمون الحق من حيث أنهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق و الباطل «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ» بحسن منظرهم و تمام خلقتهم و جمال بزتهم «وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ

لِقَوْلِهِمْ» أى و إذا قالوا شيئاً أصغيت إلى كلامهم لحسن منطقهم و فصاحه لسانهم و بلاغته بيانهم «كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسَيِّنَةٌ» أى كأنهم أشباح بلا أرواح شبههم الله فى خلوهم من العقول و الأفهام بالخشب المسنده إلى شىء لا أرواح فيها و قيل أنه شبههم بخشب نخره متأكله لا- خير فيها و يحسب من رآها أنها صحيحة سليمة من حيث أن ظاهرها يروق و باطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع و باطنه عن الخير زائغ «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ» وصفهم الله تعالى بالخور و الهلع أى يظنون كل صيحة يسمعونها كأنه عليهم و المعنى يحسبون أنها مهلكتهم و أنهم هم المقصودون بها جينا و وجلا و ذلك مثل أن ينادى مناد فى العسكر أو يصيح أحد بصاحبه أو انفلتت دابه أو أنشدت ضاله و قيل معناه إذا سمعوا صيحة ظنوا أنها آية منزله فى شأنهم و فى الكشف عن حالتهم لما عرفوا من الغش و الخيانة فى صدورهم و لذلك قيل المريب خائف ثم أخبر سبحانه بعداوتهم فقال «هُمْ الْعِيدُونَ» لك و للمؤمنين فى الحقيقة «فَأَخَذَهُمُ» أن تأمنهم على سررك و توقعهم «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ» أى أخزاهم و لعنهم و قيل أنه دعاء عليهم بالهلا-ك لأن من قاتله الله فهو مقتول و من غالبه فهو مغلوب «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى أنى يصرفون عن الحق مع كثره الدلالات و هذا توبيخ و تفرير و ليس باستفهام عن أبى مسلم و قيل معناه كيف يكذبون من الإفك «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا» أى هلموا «يَسْتَعْذِرُونَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أُرْسِلَ بِهِمْ» أى أكثروا تحريكها بالهزاء لها استهزاء بدعائهم إلى ذلك و قيل أمالوها إعراضا عن الحق و كراهه لذكر النبى ص و ذلك لكفرهم و استكبارهم «وَ رَأَيْتَهُمْ» يا محمد «يَصُدُّونَ» عن سبيل [الله] الحق «وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» أى متكبرون مظهرون أنه لا حاجه لهم إلى الاستغفار.

إشارة

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسِيْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسِيْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا- تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا- يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَكِنَّ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْمَأْعَزُ مِنْهَا الْمَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَ لَا- أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)

وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)

القراءة

قرأ أبو عمرو و أكون بالنصب و الباقون «وَ أَكُنْ» بالجزم و قرأ حماد و يحيى بما يعلمون بالياء و الباقون بالتاء.

الحجة

من قرأ «وَ أَكُنْ» عطفه على موضع قوله «فَأَصَّدَّقَ» لأنه في موضع فعل مجزوم ألا ترى أنك إذا قلت أخرني أصدق كان جزما بأنه جواب الجزاء و قد أغنى السؤال عن ذكر الشرط و التقدير أخرني فإنك إن توخرني أصدق فلما كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط حمل قوله «وَ أَكُنْ» عليه و مثل ذلك قوله «مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ» لما كان فلا هادى له في موضع فعل مجزوم حمل و يذرهم عليه و مثل ذلك قول الشاعر:

فأبلوني بليتكم لعلى أصالحكم و ستدرج نوباً

حمل و استدرج على موضع الفاء المحذوفه و ما بعدها من لعلى و كذلك قوله:

أيا سلكت فإننى لك كاشح و على انتقاصك فى الحياه و ازدد

حمل و ازدد على موضع الفاء و ما بعدها و أما قول أبى عمرو و أكون فإنما حمله على اللفظ دون الموضع و كان الحمل على اللفظ أولى لظهوره فى اللفظ و قربه و زعموا أن فى

حرف أبى فأصدق و أكون و من قرأ بما يعملون بالياء فعلى قوله «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا» لأن النفس و إن كان واحدا فى اللفظ فالمراد به الكثره و من قرأ بالتاء كان خطابا شائعا.

اللغة

الانفضاض التفرق و فض الكتاب إذا فرقه و نشره و سميت الفضه فضه لتفرقها فى أثمان الأشياء المشتره و كل شىء يشغلك عن شىء فقد ألهاك عنه قال:

ألهى بنى جشم عن كل مكرمه قصيده قالها عمرو بن كلثوم

و قال امرؤ القيس:

فمثلك جبلى قد طرقت و مرضع فألهيتها عن ذى توائم محول

. النزول

نزلت الآيات فى عبد الله بن أبى المنافق و أصحابه و ذلك

أن رسول الله ص بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه و قائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويريه زوج النبى ص فلما سمع بهم رسول الله ص خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحيه قديد إلى الساحل فتزاحف الناس و اقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق و قتل منهم من قتل و نفل رسول الله ص أبناءهم و نساءهم و أموالهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت وارده الناس و مع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه و سنان الجهنى من بنى عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا- فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار و صرخ الغفارى يا معشر المهاجرين فأعان الغفارى رجل من المهاجرين يقال له جعال و كان فقيرا فقال عبد الله بن أبى لجعال إنك لهتاك فقال و ما يمنعنى أن أفعل ذلك و اشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله و الذى يحلف به لأزرنك و يهملك غير هذا و غضب ابن أبى و عنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السن فقال ابن أبى قد نافرونا و كاثرونا فى بلادنا و الله ما مثلنا و مثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما و الله لئن رجعنا إلى المدينه ليخرجن الأعرز منها الأذل يعنى بالأعرز نفسه و بالأذل رسول الله ص ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم و قاسمتوهم أموالكم أما و الله لو أمسكتم عن جعال و ذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم و لأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم و يلحقوا بعشائرتهم و مواليهم فقال زيد بن أرقم أنت و الله الذليل القليل المبغض فى قومك و محمد ص فى عز من الرحمن و موده من المسلمين و الله لا أحبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ص

و ذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله ص بالرحيل و أرسل إلى عبد الله فأتاه فقال ما هذا الذى بلغنى عنك فقال عبد الله و الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قط و إن زيدا لكاذب و قال من حضر من الأنصار يا رسول الله شيخنا و كبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم فى حديثه فعذره رسول الله ص و فشت الملامه من الأنصار لزيد و لما استقل رسول الله ص فسار لقيه أسيد بن الحضير فحياه بتحيه النبوه ثم قال يا رسول الله لقد رحى فى ساعه منكروه ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ص أ و ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه إن رجعت إلى المدينه أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد فأنت و الله يا رسول الله تخرجه إن شئت هو و الله الذليل و أنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فو الله لقد جاء الله بك و إن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه و إنه ليرى أنك قد استلبته ملكا و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ص فقال يا رسول الله أنه قد بلغنى أنك تريد قتل أبى فإن كنت لا بد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى و أنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى أن يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال بل ترفق به و تحسن صحبته ما بقى معنا قالوا و سار رسول الله ص بالناس يومهم ذلك حتى أمسى و ليلتهم حتى أصبح و صدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما إنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى خرج من عبد الله بن أبى ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ريح شديده آذتهم و تخوفوها و ضلت ناقه رسول الله ص و ذلك ليلا فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينه قيل من هو قال رفاعه فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب و لا- يعلم مكان ناقته ألا- يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق و بمكان الناقه و أخير رسول الله ص بذلك أصحابه و قال ما أزعم أنى أعلم الغيب و ما أعلمه و لكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق و بمكان ناقتى هى فى الشعب فإذا هى كما قال فجاءوا بها و آمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينه وجدوا رفاعه بن زيد فى التابوت أحد بنى قينقاع و كان من عظماء اليهود و قد مات ذلك اليوم قال زيد بن أرقم فلما وافى رسول الله ص المدينه جلست فى البيت لما بى من الهم و الحياء فنزلت سوره المنافقين فى تصديق زيد و تكذيب عبد الله بن أبى ثم أخذ رسول الله ص بإذن زيد فرفعه عن

الرحل ثم قال يا غلام صدق فوك و وعت أذناك و وعى قلبك و قد أنزل الله فيما قلت قرآنا و كان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فقال ما لك ويلك قال و الله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله و لتعلمن اليوم من الأعز من الأذل فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله ص فأرسل إليه أن خل عنه يدخل فقال أما إذا جاء أمر رسول الله ص فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى و مات فلما نزلت هذه الآيات و بان كذب عبد الله قيل له نزل فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله ص يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فقد آمنت و أمرتموني أن أعطى زكاه مالى فقد أعطيت فما بقى إلا أن أسجد لمحمد فنزل «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا» إلى قوله «وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

المعنى

ثم ذكر سبحانه أن استغفاره لا- ينفعهم فقال «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» أى يتساوى الاستغفار لهم و عدم الاستغفار «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» لأنهم يبطنون الكفر و إن أظهروا الإيمان «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» أى لا- يهدى القوم الخارجين عن الدين و الإيمان إلى طريق الجنة قال الحسن أخبره سبحانه أنهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم و قد كان النبى ص يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبه و أن يكون الباطن مثل الظاهر فبين الله تعالى أن ذلك لا ينفعهم مع إبطانهم الكفر و النفاق ثم قال سبحانه «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا- تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ» من المؤمنين المحتاجين «حَتَّى يَنْفُضُوا» أى يتفرقوا عنه و إنما قالوا هم من عند محمد ص و لكن الله سبحانه سماه رسول الله ص تشريفا له و تعظيما لقدره «وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و ما بينهما من الأرزاق و الأموال و الأغلاق فلو شاء لأغناهم و لكنه تعالى يفعل ما هو الأصلح لهم و يمتحنهم بالفقر و يتعبدهم بالصبر ليصبروا فيؤجروا و ينالوا الثواب و كريم المآب «وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» ذلك على الحقيقه لجهلهم بوجه الحكمة و قيل لا يفقهون أن أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ» من غزوه بنى المصطلق «لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ» يعنون نفوسهم «مِنْهَا الْأَذَلَّ» يعنون رسول الله ص و المؤمنين فرد الله سبحانه عليهم بأن قال «وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ» بإعلاء الله كلمته و إظهاره دينه على الأديان «وَ لِلْمُؤْمِنِينَ» بنصرته إياهم فى الدنيا و إدخالهم الجنة فى العقبى و قيل و لله العزه بالربوبيه و لرسوله بالنبوه و للمؤمنين بالعبوديه أخبر سبحانه بذلك ثم حقيقه بأن أعز رسوله و المؤمنين و فتح عليهم مشارق الأرض و مغاربها و قيل عز الله خمسه عز الملك و البقاء و عز العظمه و الكبرياء و عز البذل و العطاء و عز الرفعه و العلاء و عز الجلال و البهاء و عز الرسول خمسه عز

السبق و الابتداء و عز الأذان و النداء و عز قدم الصدق على الأنبياء و عز الاختيار و الاصطفاء و عز الظهور على الأعداء و عز المؤمنين خمسهم عز التأخير بيانه نحن الآخرون السابقون و عز التيسير بيانه و لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ * يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ و عز التبشير، بيانه و بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا و عز التوقير، بيانه و أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ * و عز التكثير، بيانه أنهم أكثر الأمم «وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» فيظنون أن العزه لهم و ذلك لجهلهم بصفات الله تعالى و ما يستحقه أولياؤه و وجه الجمع بين هذه الآيه و بين قوله فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا أن عز الرسول و المؤمنين من جهته عز اسمه و إنما يحصل به و بطاعته فله العز بأجمعه ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ» أى لا- تشغلکم «أَمْوَالُكُمْ وَ لَا- أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أى عن الصلوات الخمس المفروضة و قيل ذكر الله جميع طاعاته عن أبى مسلم و قيل ذكره شكره على نعمائه و الصبر على بلائه و الرضاء بقضائه و هو إشاره إلى أنه لا- ينبغى أن يغفل المؤمن عن ذكر الله فى بؤس كان أو نعمه فإن إحسانه فى الحالات لا ينقطع «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» أى من يشغله ماله و ولده عن ذكر الله «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا ثواب الله و رحمته «وَ أَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاهُمْ» فى سبيل البر فيدخل فيه الزكوات و سائر الحقوق الواجبه «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» أى أسباب الموت «فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا- أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ» أى هلا أخرتنى و ذلك إذا عين علامات الآخرة فيسأل الرجعه إلى الدنيا ليتدارك الفائت قالوا و ليس فى الزجر عن التفريط فى حقوق الله آيه أعظم من هذه و قوله «إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ» أى مثل ما أجلت لى فى دار الدنيا «فَأَصْدَقَ» أى فأصدق و أزكى مالى و أنفقه فى سبيل الله «وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى من الذين يعملون الأعمال الصالحه و قيل من الصالحين أى من المؤمنين و الآيه فى المطيعين لله و الآيه فى المؤمنين عن ابن عباس قال ما من أحد يموت و كان له مال فلم يؤد زكاته و أطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعه عند الموت قالوا يا ابن عباس اتق الله فإنما نرى هذا الكافر يسأل الرجعه فقال أنا أقرأ عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآيه إلى قوله

«مِنَ الصَّالِحِينَ» قال الصلاح هنا الحج و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا» يعنى الأجل المطلق الذى حكم بأن الحى يموت عنده و الأجل المقيد هو الأجل المحكوم بأن العبد يموت عنده إن لم يقتطع دونه أو لم يزد عليه أو لم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحه «وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى عليم بأعمالكم يجازيكم بها.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه الأخيره بما قبلها أن معناه أنه سبحانه لو علم أنكم تتوبون لجعل فى أجلكم تأخيرا إلى وقت آخر و لكنه علم أنكم لا تتوبون.

(٦٤) سورة التغابن مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)

اشاره

[توضيح]

و قال ابن عباس مكيه غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» إلى آخر السوره.

عدد آياتها

ثمانى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سوره التغابن دفع عنه موت الفجأه.

ابن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سوره التغابن فى فريضته كانت شفيعه له يوم القيامة و شاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنه.

تفسيرها

لما ختم الله تعالى تلك السوره بذكر الأمر بالطاعه و النهى عن المعصيه افتتح هذه السوره ببيان حال المطيع و العاصى فقال:

ص: ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)

المعنى

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» تسييح المكلفين بالقول و تسييح الجمادات بالدلالة «لَهُ الْمُلْكُ» منفردا دون غيره و الألف و اللام لاستغراق الجنس و المعنى أنه المالك لجميع ذلك و المتصرف فيه كيف يشاء «وَ لَهُ الْحَمْدُ» على جميع ذلك لأن خلق ذلك أجمع - الغرض فيه الإحسان إلى خلقه و النفع لهم به فاستحق بذلك الحمد و الشكر «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يوجد المعدوم و يفنى الموجود و يغير الأحوال كما يشاء «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ» أى أنشأكم و أوجدكم عن عدم كما أراد و الخطاب للمكلفين عن الجبائي و قيل بل هو عام و قد تم الكلام هنا ثم ابتداء فقال «فَمِنْكُمْ كَافِرٌ» لم يقر بأن الله خلقه كالدهرية «وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» مقر بأن الله خلقه عن الزجاج و قيل معناه فمنكم كافر فى السر مؤمن فى العلانية كالمنافقين و منكم مؤمن فى السر كافر فى العلانية كعمار و ذويه عن الضحاك و قيل فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب و منكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يريد فى شأن الأنواء عن عطاء بن أبى رباح و المراد بالآية ظاهر فلا معنى للاسترواح إلى مثل هذه التأويلات و المعنى أن المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل فيه أنواع الكفر و منهم مؤمن و لا يجوز حمله على أنه سبحانه خلقهم مؤمنين و كافرين لأنه لم يقل كذلك بل أضاف الكفر و الإيمان إليهم و إلى فعلهم و لدلاله العقول على أن ذلك يقع على حسب قصودهم و أفعالهم و لذلك يصح الأمر و النهى و الثواب و العقاب و بعثه الأنبياء على أنه سبحانه لو جاز أن يخلق الكفر و القبائح لجاز أن يبعث رسولا يدعو إلى الكفر و الضلال و يؤيده بالمعجزات تعالى عن ذلك و تقدس هذا و قد قال تعالى فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَ

قال النبى ص كل مولود يولد على الفطرة

تمام الخبر و

قال ص حكاية عن الله سبحانه خلقت عبادة كلهم حنفاء

و نحو ذلك من الأخبار كثير «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى خلق الكافر و هو عالم بما يكون منه من الكفر و خلق المؤمن و هو عالم بما يكون منه من الإيمان فيجازيهما على حسب أعمالهما «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ» أى بالعدل و بأحكام الصنعة و

صحہ التقدير و قيل معناه للحق و هو أن خلق العقلاء تعريضا إياهم للشواب العظيم و خلق ما عداهم تبعاً لهم لما في خلقهما لهم
من اللطف «وَصَوَّرَكُمُ» يعنى البشر كلهم «فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ» من حيث

ص: ٢٤

الحكمه و قبول العقل لا قبول الطبع لأن فى جملتهم من ليس على هذه الصفه و قيل فأحسن صوركم من حيث قبول الطبع لأن ذلك هو المفهوم من حسن الصور فهو كقوله «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» و إن كان فى جملتهم من هو مشوه الخلق لأن ذلك عارض لا يعتد به فى هذا الوصف فالله سبحانه خلق الإنسان على أحسن صور الحيوان كله و الصورة عباره عن بنيه مخصوصه «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» أى إليه المرجع و المال يوم القيامه «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» أى ما يسره بعضكم إلى بعض و ما يخفيه فى صدره عن غيره و الفرق بين الأسرار و الإخفاء أن الإخفاء أعم لأنه قد يخفى شخصه و يخفى المعنى فى نفسه و الأسرار يكون فى المعنى دون الشخص «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بأسرار الصدور و بواطنها ثم أخبر سبحانه أن القرون الماضيه جوزوا بأعمالهم فقال «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» أى من قبل هؤلاء الكفار «فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» أى وخيم عاقبه كفرهم و ثقل أمرهم بما نالهم من العذاب بالإهلاك و الاستئصال «وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم يوم القيامه.

إشارة

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب يوم نجمعكم بالنون و الباقون بالياء و قرأ أهل المدينة و ابن عامر نكفر عنه و ندخله بالنون فيهما و الباقون بالياء.

الحج

حجج الياء أن الاسم الظاهر قد تقدم و وجه النون أنه كقوله «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ» ثم جاء وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ.

الإعراب

«ذَلِكَ بِأَنَّهُ» الهاء ضمير الأمر و الشأن. «أَبَشَرٌ» مبتدأ و إنما جاز أن يكون مبتدأ مع كونه نكرة لأن الاستفهام سوغ ذلك كما أن النفي أيضا كذلك لكونهما غير موجبين يقال أ رجل في الدار أم امرأه و لا رجل في الدار و قيل أنه فاعل فعل مضممر يفسره قوله «يَهْدُونَنَا» كأنه قال أ يهدينا بشر يهدوننا و إنما أضمر لأن الاستفهام بالفعل أولى و قوله «أَن لَّنْ يُبْعَثُوا» تقديره أنهم لن يبعثوا فسدت الجملة عن المفعولين بما جرى فيها من ذكر الحديث و المحدث عنه و لما كان لن في «لَّنْ يُبْعَثُوا» دليل الاستقبال تعينت أن قبلها لأن تكون مخففة من الثقيلة لأن لن يمنعها من أن تكون ناصبه للفعل يوم نجمعكم ظرف لتبعثن.

المعنى

لما قرر سبحانه خلقه بأنهم أتتهم أخبار من مضى من الكفار و إهلا-كهم عقبه ببيان سبب إهلا-كهم فقال «ذَلِكَ» أي ذلك العذاب الذي نالهم في الدنيا و الذي ينالهم في الآخرة «بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ» أي بسبب أنه كانت تجيئهم «رُسُلُهُمْ» من عند الله «بِالْبَيِّنَاتِ» أي بالدلالات الواضحات و المعجزات الباهرات «فَقَالُوا» لهم «أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا» لفظه واحد و المراد به الجمع على طريق الجنس بدلاله قوله «يَهْدُونَنَا» و المعنى أ خلق مثلنا يهدوننا إلى الحق و يدعوننا إلى غير دين آباءنا استصغارا منهم للبشر أن يكونوا رسلا من الله إلى أمثالهم و استكبارا و أنفه من اتباعهم «فَكَفَرُوا» بالله و جحدوا رسله «وَ تَوَلَّوْا» أي عرضوا عن القبول منهم و التفكر في آياتهم «وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ» بسلطانه عن طاعه عباده و إنما كلفهم لنفعهم لا لحاجه منه إلى عبادتهم و قيل معناه و استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان و أوضحه من البيان عن زياده تدعو إلى الرشد و تهدي إلى الإيمان «وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» أي

غنى عن أعمالكم مستحمد إليكم بما ينعم به عليكم و قيل حميد أى محمود فى جميع أفعاله لأنها كلها إحسان ثم حكى سبحانه ما يقوله الكفار فقال «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا» قال ابن عمر زعم زامله الكذب و قال شريح زعم كنيه الكذب

ص: ٢٦

بين الله سبحانه بعض ما لأجله اختاروا الكفر على الإيمان و هو أنهم كانوا لا يقرون بالبعث و النشور فأمر النبي ص بأن يكذبهم فقال «قُلْ» يا محمد «بلى وَ رَبِّي» أى و حق ربي على وجه القسم «لَتُبْعَثُنَّ» أى لتحشرن أكد تكذبيهم بقوله «بلى» و باليمين ثم أكد اليمين باللام و النون «ثُمَّ لَتَسْتَبُؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ» أى لتخبرن و تحاسبن بأعمالكم و تجازون عليها «وَ ذَلِكَ» البعث و الحساب مع الجمع و الجزاء «عَلَى اللَّهِ يَسْتَبِيرُ» أى سهل هين لا يلحقه مشقه و لا معاناه فيه «فَأَمِنُوا» معاشر العقلاء «بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» و هو القرآن سماه نورا لما فيه من الأدله و الحجج الموصله إلى الحق فشبه بالنور الذى يهتدى به إلى الطريق «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عليم «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ» و هو يوم القيامة أى ذلك البعث و الجزاء يكون فى يوم يجمع فيه خلق الأولين و الآخرين «ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» و هو تفاعل من الغبن و هو أخذ شر و ترك خير أو أخذ خير و ترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا و أخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شر له و أخذ ما هو خير له فكان غابنا و الكافر ترك حظه من الآخرة و أخذ حظه من الدنيا فترك الخير و أخذ الشر فكان مغبونا فيظهر فى ذلك اليوم الغابن و المغبون و قيل يوم التغابن غبن أهل الجنة أهل النار عن قتاده و مجاهد و

قد روى عن النبي ص فى تفسير هذا قوله ما من عبد مؤمن يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا و ما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسره

«وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ» أى معاصيه «وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى مؤبدين فيها و لا- يفنى ما هم فيه من النعيم أبدا «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى النجاح الذى ليس وراءه شىء من العظمه «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بالله «وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى بحججنا و دلائلنا «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بئسَ الْمَصِيرُ» أى المال و المرجع.

اشاره

ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحِذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَضَيَّفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥)

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تَقَرَّبُوا اللَّهَ قَرَّبًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

القراءه

في الشواذ قراءه طلحه بن مصرف نهد قلبه بالنون و قراءه السلمي يهد قلبه بضم الياء و الباء على ما لم يسم فاعله و قراءه عكرمه و عمرو بن دينار يهدأ قلبه مهموزا و قراءه مالك بن دينار يهدا بالألف.

الحجه

من قرأ يهدأ مهموزا فمعناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ و من قرأ بالألف فإنه لين الهمز تخفيفا.

النزول

نزل قوله «مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ» في قوم أرادوا الهجرة فثبطهم نساؤهم و أولادهم عنها عن ابن عباس و مجاهد.

المعنى

ثم قال سبحانه «ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» أى ليس تصيبكم مصيبه «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» و المصيبه المضره التى تلحق صاحبها كالميه التى تصيبها و إنما عم ذلك سبحانه و إن كان فى المصائب ما هو ظلم و هو سبحانه لا يأذن بالظلم لأنه ليس منها إلا ما أذن الله فى وقوعه أو التمكن منه و ذلك إذن للملك الموكل به كأنه قيل لا يمنع من وقوع هذه المصيبه و قد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكأنه يأذن له بأن يكون و قيل معناه إلا بتخليه الله بينكم و بين من يريد فعلها عن البلخى و قيل أنه خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به و قيل معناه بعلم الله أى لا يصيبكم مصيبه إلا و الله عالم بها «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ» أى يصدق به و يرخى بقضائه «يَهْدِ قَلْبَهُ» أى يهد الله قلبه حتى يعلم أن ما أصابه فبعلم الله فيصبر عليه و لا يجزع لينال الثواب و الأجر و قيل معناه و من يؤمن بتوحيد الله و يصبر لأمر الله يعنى عند نزول المصيبه يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول إنا لله و إنا إليه راجعون عن ابن عباس. و قيل

إن المعنى يهد

قلبه فإن ابتلى صبر و إن أعطى شكر و إن ظلم غفر عن مجاهد و قال بعضهم فى معناه من يؤمن بالله عند النعمة فيعلم أنها فضل من الله يهد قلبه للشكر و من يؤمن بالله عند البلاء فيعلم أنه عدل من الله يهد قلبه للصبر و من يؤمن بالله عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام و الرضاء «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فيجازى كل امرئ بما عمله «وَأَطِيعُوا اللَّهَ» فى جميع ما أمركم به «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» فى جميع ما أتاكم به و دعاكم إليه و فيما أمركم به و نهاكم عنه «فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ» أى فإن أعرضتم عن القبول منه «فَإِنَّمَا عَلَى رُسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليه إلا- تبليغ الرسالة و قد فعل و المراد ليس عليه قهركم على الرد إلى الحق و إنما عليه البلاغ الظاهر البين فحذف للإيجاز و الاختصار «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و لا- تحق العبادة إلا له «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» و التوكل تفويض الأمور إليه و الرضاء بتقديره و الثقة بتدبيره و قد أمر الله عباده بذلك فينبغى لهم أن يستشعروا ذلك فى سائر أحوالهم «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» يعنى أن بعضهم بهذه الصفة و لذلك أتى بلفظه من و هى للتبعض يقول أن من هؤلاء من هو عدو لكم فى الدين فاحذروهم أن تطيعوهم و قيل إنه سبحانه إنما قال ذلك لأن من الأزواج من يتمنى موت الزوج و من الأولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله و ما من عدو أعدى ممن يتمنى موت غيره ليأخذ ماله و كذلك يكون من يحملك على معصية الله لمنفعه نفسه و لا عدو أشد عداوه ممن يختار ضررك لمنفعته قال عطاء يعنى قوما أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء و قال مجاهد يريد قوما أرادوا طاعة الله فمنعهم «وَإِنْ تَعَفُّوا» أى تركوا عقابهم «وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا» أى تتجاوزوا عنهم و تستروا ما سبق منهم إن عادوا إلى الحالة الجميله و ذلك أن الرجل من هؤلاء إذا هاجر و رأى الناس قد سبقوه بالهجرة و فقها فى الدين هم أن يعاقب زوجته و ولده الذين ثبطوه عن الهجرة و أن يلحقوا به فى دار الهجرة لم ينفق عليهم فأمر سبحانه بالعتفو و الصفح «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر لكم ذنوبكم و يرحمكم و قيل هو عام أى إن تعفوا و تصفحوا عمن ظلمكم فإن الله يغفر بذلك كثيرا من ذنوبكم عن الجبائى «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» أى محنة و ابتلاء و شدة للتكليف عليكم و شغل عن أمر الآخرة فإن الإنسان بسبب المال و الولد يقع فى الجرائم عن ابن مسعود قال لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال و أهل و ولد إلا و هو مشتمل على فتنة و لكن ليقول اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتنة. و

روى عبد الله بن بريده عن أبيه قال كان رسول الله ص يخطب فجاء الحسن و الحسين (عليه السلام) و عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران فنزل رسول الله ص إليهما فأخذهما فوضعهما فى حجره على المنبر و قال صدق الله عز و جل «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي و رفعتهما ثم أخذ في خطبته

«وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» أى ثواب جزيل و هو الجنة يعنى فلا تعصوه بسبب الأموال و الأولاد و لا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر و الذخر «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» أى ما أطقتم و الاتقاء الامتناع من الردى باجتناّب ما يدعو إليه الهوى و لا تنافى بين هذا و بين قوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» لأن كل واحد منهما إلزام لترك جميع المعاصى فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله لأن من لم يفعل قبيحا و لا أهل بواجب فلا عقاب عليه إلا أن فى أحد الكلامين تبينا أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق و كل أمر أمر الله به فلا- بد أن يكون مشروطا بالاستطاعة و قال قتاده قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ناسخ لقوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» و كأنه يذهب إلى أن فيه رخصه لحال التقيه و ما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقه و إن كانت قدره حاصله معه و قال غيره ليس هذا بناسخ و إنما هو مبين لإمكان العمل بهما جميعا و هو الصحيح «وَأَسْمِعُوا» من الرسول ما يتلو عليكم و ما يعظكم به و يأمركم و ينهاكم «وَأَطِيعُوا» الله و الرسول «وَأَنْفِقُوا» من أموالكم فى حق الله «خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ» مثله فأمنوا خيرا لكم و انتهوا خيرا لكم و قد مضى ذكر ذلك و قال الزجاج معناه قدموا خيرا لأنفسكم من أموالكم «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» حتى يعطى حق الله من ماله «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى المنجحون الفائزون بثواب الله و

قال الصادق (عليه السلام) من أدى الزكاه فقد وقى شح نفسه

«إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» قد مضى معناه و إطلاق اسم القرض هنا تطف فى الاستدعاء إلى الإنفاق «يُضَاعِفُهُ لَكُمْ» أى يعطى بدله أضعاف ذلك من واحد إلى سبعمائه إلى ما لا يتناهى فإن ثواب الصدقه يدوم «وَيَغْفِرْ لَكُمْ» ذنوبكم «وَاللَّهُ شَكُورٌ» أى مثيب مجاز على الشكر «حَلِيمٌ» لا- يعاجل العباد بالعقوبه و هذا غايه الكرم «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى السر و العلانيه و قيل المعدوم و الموجود و قيل غير المحسوس و المحسوس «الْعَزِيزُ» القادر «الْحَكِيمُ» العالم و قيل المحكم لأفعاله.

(٦٥) سورة الطلاق مدنيه و آياتها اثنتا عشرة (١٢)

إشاره

[توضيح]

و تسمى سورة النساء القصرى قال ابن مسعود فى حديث العده من شاء باهله أن سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله «و الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا» * و إنما أراد قوله «و أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» فإذا كانت حامله فعدتها وضع الحمل و هى مدنيه بالإجماع.

عدد آياتها

إحدى عشره آيه بصرى و اثنتا عشره آيه فى الباقيين.

اختلافها

ثلاث آيات «يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا» كوفى مكى و المدنى الأخير «و الْيَوْمِ الْآخِرِ» شامى «يا أُولَى الْأَلْبَابِ» المدنى الأول.

فضلها

أبى ابن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ص

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الطلاق و التحريم فى فريضة أعاده الله تعالى من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن و عوفى من النار و أدخله الله الجنة بتلاوته إياهما و محافظته عليهما لأنهما للنبى ص.

تفسيرها

لما ختم الله سورة التغابن بذكر النساء و التحذير منهن افتتح هذه السورة بذكرهم و ذكر أحكامهن و أحكام فراقهن فقال:

ص: ٣١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)

القراءه

قرأ حفص عن عاصم «بالغ» بغير تنوين «أمره» بالجر على الإضافة والباقون بالغ بالتنوين أمره بالنصب و في الشواذ قراءة داود بن أبي هند أن الله بالغ بالتنوين أمره بالرفع و

روى عن ابن عباس و أبي بن كعب و جابر بن عبد الله و علي بن الحسين (عليه السلام) و زيد بن علي و جعفر بن محمد و مجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن.

الحجه

قال أبو علي قوله بالغ أمره على سبيل أمره فيما يريد فيكم فهذا هو الأصل

و هو حكاية حال و من أضاف حذف التنوين استخفافا و المعنى معنى ثبات التنوين مثل عارضٌ مُمطرٌنا و أما قوله فى قبل عدتهن فإنه تفسير للقراءة المشهورة «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» أى عند عدتهن و مثله قوله «لَا يُجَلِّيهَا لَوْ قَتَلَهَا» أى عند وقتها و من قرأ بالغ أمره فالمعنى أمره بالغ ما يريد الله به و قد بلغ أمر الله ما أراد فالمفعول على ما رأيت محذوف.

الإعراب

«وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ» مبتدأ خبره محذوف لدلاله الكلام عليه فإذا جاز حذف الجملة بأسرها جاز حذف بعضها و قد جاء أيضا فى الصفة و إن قل نحو قوله «وَأُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» تقديره من كل شىء ء تؤتاه.

المعنى

نادى سبحانه نبيه فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» ثم خاطب أمته فقال «إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» لأنه السيد المقدم فإذا نودى و خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخله فى ذلك الخطاب عن الحسن و غيره و قيل إن تقديره يا أيها النبى قل لأمتك إذا طلقتم النساء عن الجبائى فعلى هذا يكون النبى ص خارجا عن الحكم و على القول الأول حكمه حكم أمته فى أمر الطلاق و على هذا انعقد الإجماع و المعنى إذا أردتم طلاق النساء مثل قوله سبحانه إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ و قوله فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» أى لزمان عدتهن و ذلك أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و مجاهد و ابن سيرين و قتاده و الضحاك و السدى فهذا هو الطلاق للعدة لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها و تحصل فى العدة عقيب الطلاق فالمعنى فطلقوهن لظهرهن الذى يحصيئه من عدتهن و لا تطلقوهن لحيضهن الذى لا يعتد به من قرئهن فعلى هذا يكون العدة الطهر على ما ذهب إليه أصحابنا و هو مذهب الشافعى و قيل إن المعنى قبل عدتهن أى فى طهر لم يجامعها فيه العدة الحيض كما يقال توضع للصلاة و لبست السلاح للحرب و هو مذهب أبى حنيفة و أصحابه و قيل إن اللام للسبب فكأنه قال فطلقوهن ليعتددن و لا شبهه أن هذا الحكم للمدخل بها لأن المطلقة قبل المسيس لا عده عليها و قد ورد به التنزيل فى سورة الأحزاب و هو قوله فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا و ظاهر الآية يقتضى أنه إذا طلقها فى الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه فلا يقع الطلاق لأن الأمر يقتضى الإيجاب و به قال سعيد بن المسيب و ذهب إليه الشيعة الإمامية و قال باقى الفقهاء يقع الطلاق و إن كان بدعه و خلاف الأمور به و كذلك أن جمع بين التطلقات الثلاث فإنها بدعه عند أبى حنيفة و أصحابه و إن كانت واقعه و عند المحققين من أصحابنا يقع واحده عند حصول شرائط صحه الطلاق و الطلاق فى الشرع عبارة عن تخليه المرأه بحل عقده من عقد النكاح و ذلك أن يقول أنت طالق يخاطبها أو يقول هذه طالق و يشير

إليها أو يقول فلانه بنت فلان طالق و لا يقع الطلاق عندنا إلا بهذا اللفظ لا بشيء من كنايات الطلاق سواء أراد بها الطلاق أو لم يرد بها و فى تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء ليس هاهنا موضعه و قد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد و اللعان كالخلع عند كثير من أصحابنا و إن لم يسم ذلك طلاقا و يحصل أيضا بالفسخ للنكاح بأشياء مخصوصه و بالرد بالعيب و إن لم يكن ذلك طلاقا و

روى البخارى و مسلم عن قتبيه عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته و هى حائض تطليقه واحده فأمر رسول الله ص أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر و تحيض عنده حيضه أخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فإذا أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العده التى أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء

و

روى البخارى عن سليمان بن حرب و روى مسلم عن عبد الرحمن بن بشر عن بهر و كلاهما عن شعبه عن أنس بن سيرين قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امرأته و هى حائض فذكر ذلك عمر للنبي ص فقال مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها إن شاء

و

جاءت الروايه عن على بن أبى طالب (عليه السلام) عن النبي ص أنه قال تزوجوا و لا تطلقوا فإن الطلاق يهتر منه العرش

و

عن ثوبان رفعه إلى النبي ص فقال أيما امرأه سألت زوجها الطلاق فى غير ما بأس فحرام عليها رائحه الجنه

و

عن أبى موسى الأشعري عن النبي ص قال لا تطلقوا النساء إلا من ربه فإن الله لا يحب الذواقين و الذواقات

و

عن أنس عن النبي ص أنه قال ما حلف بالطلاق و لا استحلف به إلا منافق هذه الأحاديث الأربعة منقوله عن تفسير الثعلبى

ثم قال سبحانه «وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ» أى عدوا الأقرء التى تعتد بها و قيل معناه عدوا أوقاف الطلاق لتطلقوا للعهده و إنما أمر الله سبحانه بإحصاء العده لأن لها فيها حقا و هى النفقه و السكنى و للزوج فيها حقا و هى المراجعة و منعها عن الأزواج لحقه و ثبوت نسب الولد فأمره تعالى بإحصائها ليعلم وقت المراجعة و وقت فوت المراجعة و تحريمها عليه و رفع النفقه و السكنى و لكيلا تطول العده لاستحقاق زياده النفقه أو تقصرها لطلب الزوج و العده هى قعود المرأه عن الزوج حتى تنقضى المده المرتبه فى الشريعة و هى على ضرور فضرر يكون بالأقرء لمن تحيض و ضرب يكون بالأشهر للصغيره التى لم تبلغ المحيض و مثلها

تحيض و هي التي بلغت تسع سنين و إذا كان سنها أقل من ذلك فلا عده عليها عند أكثر أصحابنا و قال بعضهم عدتها بالشهور و به قال الفقهاء و كذلك الكبيره الآيسه من المحيض و مثلها تحيض عدتها بالشهور و حده أصحابنا بأن

ص: ٣٤

يكون سنهأ أقل من خمسين سنه و من ستين سنه للقرشيات فإن كان سنهأ أكثر من ذلك فلا عده عليها عند أكثر أصحابنا و المتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور أيضا و الضرب الثالث من العده يكون بوضع الحمل فى الجميع إلا فى المتوفى عنها زوجها فإن عدتها عند أصحابنا أبعد الأجلين و فى ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم إن عده الطلاق للحره ثلاثه قروء أو ثلاثه أشهر و للأمه قرءان أو شهر و نصف و وضع الحمل لا يختلف قال سبحانه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» و لا تعصوه فيما أمركم به و «لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا يَخْرُجْنَ» هن أيضا يعنى فى زمان العده لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقه المعتده من مسكنه الذى كان يسكنها فيه قبل الطلاق و على المرأه أيضا أن لا تخرج فى عدتها إلا - لضروره ظاهره فإن خرجت أثمت «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» أى ظاهره و من قرأ بفتح الياء فالمراد بفاحشه مظهره أظهرتها و اختلف فى الفاحشه فقيل إنها الزنا فتخرج لإقامه الحد عليها عن الحسن و مجاهد و الشعبى و ابن زيد و

قيل هى البذاء على أهلها فيحل لهم إخراجها عن ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى على بن أسباط عن أبى الحسن الرضا قال الفاحشه أن تؤذى أهل زوجها و تسبهم

و قيل هى النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحول من بيت زوجها عن قتاده و قيل هى خروجها قبل انقضاء العده عن ابن عمر و فى روايه أخرى عن ابن عباس أنه قال إن كل معصيه لله تعالى ظاهره فهى فاحشه «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعنى ما ذكره سبحانه من أحكام الطلاق و شروطه «وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» بأن يطلق على غير ما أمر الله تعالى به «فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» أى أثم فيما بينه و بين الله عز و جل و خرج عن الطاعه إلى المعصيه و فعل ما يستحق به العقاب «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» أى بغير رأى الزوج فى محبه الطلاق و يوقع فى قلبه المحبه لرجعتها فيما بين الطلقه الواحده و الثانيه و فيما بين الثالثه قال الضحاك و السدى و ابن زيد لعل الله يحدث الرجعه فى العده و قال الزجاج و إذا طلقها ثلاثا فى وقت واحد فلا معنى له لقوله «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» و فى هذه الآيه دلالة على أن الواجب فى التطلاق أن يوقع متفرقا و لا يجوز الجمع بين الثلاث لأن الله تعالى أكد قوله «فَطَلَّقُوهُنَّ لِئَدَّتِهِنَّ» بقوله «وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ» ثم زاد فى التأكيد بقوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» فيما حده الله لكم فلا تعتدوه ثم قرر سبحانه حق الزوج فى المراجعة بقوله «لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ» فإن الزوجه إذا لم ترم بيتها تمكن الزوج من مراجعتها ثم دل بقوله «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» على أن من تعدى حدود الله تعالى فى الطلاق بطل حكمه و صار قوله «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» تأكيدا لحدود الله فى الطلاق و إعلاما بأن حق الرجعه لا ينقطع بجمع الطلاق فكأنه قال كونوا على رجاء الفائدة بالرجعه.

فقد يحدث الله الرغبه بعد الطلاق فإن قالوا قد أمر الله سبحانه فى الآيه بطلاق العده فكيف تقدمون أنتم طلاق السنه على طلاق العده فالجواب أن طلاق السنه أيضا طلاق العده إلا أن أصحابنا رضى الله عنهم قد اصطالحوا على أن يسموا الطلاق الذى لا يزداد عليه بعد المراجع طلاق السنه و الطلاق الذى يزداد عليه بشرط المراجع طلاق العده و مما يعضد ما ذكرته ما اشتهر من الأخبار فى كتبهم و رواياتهم و نقل عن متقدميهم مثل زرارہ بن أعين و بكير ابن أعين و محمد بن مسلم و غيرهم فمن ذلك

ما رواه يونس عن بكير بن أعين عن أبى جعفر (عليه السلام) قال الطلاق أن يطلق الرجل المرأه على طهر من غير جماع و يشهد رجلين عدلين على تطليقه ثم هو أحق برجعتها ما لم تمض ثلاثه قروء فهذا الطلاق الذى أمر الله به فى القرآن و أمر به رسول الله ص فى سنه و كل طلاق لغير مده فليس بطلاق

و

عن جرير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن طلاق السنه فقال على طهر من غير جماع بشاهدى عدل و لا يجوز الطلاق إلا بشاهدين و العده و هو قوله «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ» الآيه

و روى الحسن بن محبوب عن على بن رثاب عن زرارہ عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال كل طلاق لا يكون على السنه أو طلاق على العده فليس بشىء قال زرارہ قلت لأبى جعفر فسر لى طلاق السنه و طلاق العده فقال أما طلاق السنه فهو إن الرجل إذا أراد أن يطلق امرأته فلينتظر بها حتى تطمئ و تطهر فإذا خرجت من طمئتها طلقها تطليقه من غير جماع و يشهد شاهدين عدلين على ذلك ثم يدعها حتى تمضى أقرؤها و قد بان من منه و كان خاطبا من الخطاب إن شاءت تزوجته و إن شاءت لم تتزوجه و عليه نفقتها و السكنى ما دامت فى العده و هما يتوارثان حتى تنقضى العده و أما طلاق العده فإذا أراد الرجل أن يطلق امرأته طلاق العده فلينتظر بها حتى تحيض و تخرج من حيضها ثم يطلقها تطليقه من غير جماع و يشهد شاهدين عدلين و يراجعها من يومه ذلك إن أحب أو بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض و يشهد على رجعتها و يواقعها و تكون معه حتى تحيض فإذا حاضت و خرجت من حيضها طلقها تطليقه أخرى من غير جماع و يشهد على ذلك أيضا متى شاء قبل أن تحيض و يشهد على رجعتها و يواقعها و تكون معه حتى تحيض الحيضه الثالثه فإذا خرجت من حيضها طلقها الثالثه بغير جماع و يشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بان من منه و لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره

و الروايات فى هذا كثيره عن أئمه الهدى (عليه السلام) فعلى هذا فإنه يتركها فى طلاق السنه حتى تعدد ثلاثه قروء فإذا مضى ثلاثه قروء فإنها تبين منه بواحد و إذا تزوجها بعد ذلك بمهر جديد كانت عنده على تطليقتين باقيتين فإن طلقها أخرى طلاق السنه و تركها حتى تمضى أقرؤها فلا يراجعها فقد بان من بائنتين فإن تزوجها بعد ذلك و طلقها لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره و لو شاء أن يراجعها بعد الطلقه الأولى و الثانيه لكان ذلك إليه

فقد تبين أن هذا الطلاق هو طلاق للعدة أيضا إلا أن الفرق بينهما ما ذكرناه «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» معناه فإذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من العدة «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» أى راجعوهن بما يجب لهن من النفقة و الكسوة و المسكن و حسن الصحبة «أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة فتبين منكم و لا- يجوز أن يكون المراد بقوله «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» إذا انقضت أجلهن لأن الزوج لا يملك الرجعة بعد انقضاء العدة بل هى تملك نفسها و تبين منه بواحد و لها أن تتزوج من شاءت من الرجال «وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ» قال المفسرون أمروا أن يشهدوا عند الطلاق و عند الرجعة شاهدى عدل حتى لا تجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة و لا الرجل الطلاق و

قيل معناه و أشهدوا على الطلاق صيانه لدينكم و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و هذا أليق بالظاهر لأننا إذا حملناه على الطلاق كان أمرا يقتضى الوجوب و هو من شرائط صحه الطلاق و من قال إن ذلك راجع إلى المراجعة حمله على الندب «وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ» هذا خطاب للشهود أى أقيموها لوجه الله و اقصدوا بأدائها التقرب إلى الله لا- الطلب لرضا المشهود له و الإشفاق من المشهود عليه «ذَلِكَمُ» الأمر بالحق يا معشر المكلفين «يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى يؤمر به المؤمنون لينزجروا به عن الباطل و خص المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به فالطاعة الواجبه فيها و عظم بأن رغب فيها باستحقاق الثواب و فى تركها العقاب و المندوبه فيها و عظم باستحقاق المدح و الثواب على فعلها و المعاصى فيها و عظم بالزجر عنها و التخويف من فعلها باستحقاق العقاب و الترغيب فى تركها بما يستحق على الإخلال بها من الثواب «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» فيما أمره به و نهاه عنه «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» من كل كرب فى الدنيا و الآخرة عن ابن عباس و

روى عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله ص «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» قال من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و شدائد يوم القيامة

و عنه قال من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا و من كل ضيق مخرجا

و قيل معناه و من يطلق للسنة يجعل الله له مخرجا فى الرجعه «وَ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» عن عكرمه و الشعبى و الضحاك و

قيل إنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى أسر العدو ابنا له فأتى النبى ص فذكر له ذلك و شكاه إليه الفقيه فقال له اتق الله و اصبر و أكثر من قول لا- حول و لا قوه إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته إذ أتاه ابنه و قد غفل عنه العدو فأصاب إبلا و جاء بها إلى أبيه فذلك قوله «وَ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»

و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال «وَ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أى يبارك له فيما أتاه

و

عن أبى ذر الغفارى عن النبى ص قال إنى لأعلم آيه لو أخذ بها الناس لكفتهم «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» الآية فما زال يقولها و يعيدها

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» أَى و من يفوض أمره إلى الله

ص: ٣٧

و وثق بحسن تدبيره و تقديره فهو كافيه يكفيه أمر دنياه و يعطيه ثواب الجنه و يجعله بحيث لا يحتاج إلى غيره و

فى الحديث من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله

«إِنَّ اللَّهَ بِالْبَالِغِ أَمْرِهِ» أى يبلغ ما أراد من قضاياه و تدبيره على ما أراده و لا يقدر أحد على منعه عما يريد و قيل معناه أنه منفذ أمره فيمن يتوكل عليه و فيمن لم يتوكل عليه «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» أى قدر الله لكل شىء مقداراً و أجلاً لا زياده فيها و لا نقصان و قيل بين لكل شىء مقداراً بحسب المصلحه فى الإباحه و الإيجاب و الترغيب و التهيب كما بين فى الطلاق و العده و غيرهما و قيل قد جعل الله لكل شىء من الشده و الرخاء وقتاً و غايه و منتهى ينتهى إليه ثم بين سبحانه اختلاف أحكام العده باختلاف أحوال النساء فقال «وَاللَّائِي يَئُسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ» فلا يحضن

«إِنْ ارْتَبْتُمْ» فلا- تدرون لكبر ارتفاع حيضهن أم لعارض ثلاثة أشهر و هن اللواتى أمثالهن يحضن لأنهن لو كن فى سن من لا تحيض لم يكن للارتباب معنى و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و قيل معناه إن شككتن فلم تدروا أدمهن دم حيض أو استحاضه «فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ» عن مجاهد و الزهرى و ابن زيد و قيل معناه إن ارتبتم فى حكمهن فلم تدروا ما الحكم فيهن «وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ» تقديره و اللاتى لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر و حذف لدلاله الكلام الأول عليه و هن اللواتى لم يبلغن المحيض و مثلهن تحيض على ما مر بيانه

«وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» قال ابن عباس هى فى المطلقات خاصه و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فعدتها بعد الأجلين فإذا مضت بها أربعة أشهر و عشر و لم تضع انتظرت وضع الحمل و قال ابن مسعود و أبى بن كعب و قتاده و أكثر الفقهاء أنه عام فى المطلقات و المتوفى عنها زوجها فعدتهن وضع الحمل فإن كانت المرأة حاملاً باثنتين و وضعت واحد لم يحل للأزواج حتى تضع جميع الحمل لقوله «أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»

و روى أصحابنا أنها إذا وضعت واحدا انقطعت عصمتها من الزوج و لا يجوز لها أن تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الآخر فأما إذا كانت قد توفى عنها زوجها فوضعت قبل الأشهر الأربعة و العشر و جب عليها أن تستوفى أربعة أشهر و عشر

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» فى جميع ما أمره بطاعته فيه «يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا» أى يسهل عليه أمور الدنيا و الآخرة إما بفرج عاجل أو عوض آجل و قيل يسهل عليه فراق أهله و يزيل الهموم عن قلبه «ذَلِكَ» يعنى ما ذكره سبحانه من الأحكام فى الطلاق و الرجعه و العده «أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» بطاعته «يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ» من الصلاه إلى الصلاه و من الجمعة إلى الجمعة قال الربيع إن الله قد قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه و من آمن به هداه و من أقرضه جازاه و من وثق به أنجاه و من دعاه أجابه و لباه و تصديق ذلك

فى كتاب الله عز و جل «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعِفْهُ لَكُمْ» وَ مَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ» الْآيَةَ «وَ يُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا» فى الآخره و هو ثواب الحنه.

[سوره الطلاق (٦٥): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أَتَمَّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَ كَذَائِنَ مِنْ قَوِيهِ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)

القراءه

قرأ روح عن يعقوب مختلفا عنه من وجدكم بكسر الواو و القراءه بضم الواو وقرأ ابن كثير و كائن بالمد و الهمز و الباقون «وَ كَآئِنٌ» بالهمز و التشديد.

الحجه

يقال وجدت فى المال جده و وجدا و وجدا و وجدا بتعاقب الحركات الثلاث على الواو و وجدت الضال و وجدانا و وجدت من الحزن و جدا و من الغضب موجه و وجدانا و كآين أصله أى دخلت عليها الكاف الجاره كما دخلت على ذا فى كذا فموضع كآين رفع

ص: ٣٩

بالبتداء كما أن كذا كذلك ولا- موضع للكاف كما أن الكاف في كذا كذلك قال أبو علي مثقل هذا في أنه دخل على المبتدأ حرف الجر فصار مع المجرور في موضع رفع قولهم بحسبك أن تفعل كذا يريدون حسبك فعل كذا فالجار مع المجرور في موضع رفع و أنشد أبو زيد:

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غني مضر

و أكثر العرب تستعملها مع من و كذلك ما جاء في التنزيل و مما جاء منه في الشعر قوله:

و كائن بالأباطح من صديق يراني إن أصبت هو المصابا

و قول الآخر:

و كائن إليكم قاد من رأس فتنه جنودا و أمثال الجبال كتائبه.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المطلقة في النفقة و السكنى فقال «أَسْكُوهُنَّ» أى فى بيوتكم «مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» من المساكن «مِنْ وَجْدِكُمْ» أى من ملككم و ما تقدرون عليه عن السدى و أبى مسلم و قيل هو من الوجدان أى مما تجدونه من المساكن عن الحسن و الجبائى و قيل من سعتكم و طاقتكم من الوجد الذى هو المقدره قال الفراء يعول على ما يجد فإن كان موسعا وسع عليها فى المسكن و النفقه و إن كان فقيرا فعلى قدر ذلك و يجب السكنى و النفقه للمطلقة الرجعية بلا خلاف فأما المبتوتة ففيها خلاف فذهب أهل العراق إلى أن لها السكنى و النفقه معا و روى ذلك عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و ذهب الشافعى إلى أن لها السكنى بلا نفقه

و ذهب الحسن و أبو ثور إلى أنه لا سكنى لها و لا نفقه و هو المروى عن أئمة الهدى (عليه السلام)

و ذهب إليه أصحابنا و يدل عليه

ما رواه الشعبي قال دخلت على فاطمه بنت قيس بالمدينه فسألتها عن قضاء رسول الله ص فقالت طلقنى زوجى البته فخاصمته إلى رسول الله ص فى السكنى و النفقه فلم يجعل لى سكنى و لا نفقه و أمرنى أن أعتد فى بيت ابن أم مكتوم

و

روى الزهرى عن عبد الله أن فاطمه بنت قيس كانت تحت أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى و أنه خرج مع على بن أبى طالب (عليه السلام) إلى اليمن حين أمره رسول الله ص

على اليمن فأرسل إلى امرأته فاطمه بنت قيس بتطليقه كانت بقيت لها من طلاقها فأمر عياش ابن أبي ربيعة و الحرث بن هشام أن ينفقا عليها فقالا- والله ما لك من نفقه فأتت النبي ص فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقه إلا أن تكون حاملا فاستأذنته في الانتقال فأذن لها فقالت إني أنتقل يا رسول الله قال عند ابن أم مكتوم و كان أعمى تضع ثيابها عنده و لا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فأنكحها النبي ص أسامه بن زيد قال فأرسل إليها مروان بن الحكم قيصه بن ذؤيب فسألها عن هذا الحديث ثم قال مروان لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأه و سنأخذ بالعصمه التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمه حين بلغها قول مروان بيني و بينكم القرآن قال الله تعالى لا- تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ إِلَى قَوْلِهِ لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا قَالَتْ هَذَا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ مَرَاجِعُهُ وَ أَى أَمْرٍ يَحْدُثُ بَعْدَ الثَّلَاثِ

ثم قال سبحانه «وَلَا تَضَارَّوهُنَّ لِتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ» أَى لا- تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى السكنى و النفقه و الكسوه طالبين بالإضرار التضييق عليهن ليخرجن و قيل المعنى أعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن و مبيتهن و طهارتهن و لا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكنى عن أبى مسلم «وَ إِنْ كُنَّ أَوْلَادٍ حَمَلٍ» أَى كن حوامل «فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»، لأن عدتهن إنما تنقضى بوضع حملهن أمر الله سبحانه بالإنفاق على المطلقة الحامل سواء كانت رجعية أو مبتوته «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» أَى فإن أرضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهن أجر الرضاع يعنى أجره المثل «وَ أَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ» هذا خطاب للرجل و المرأة و الائتثار قبول الأمر و ملاقاته بالتقبل أمر الله تعالى المرضعه و المرضع له بالتلقى لأمره عز و جل و لأمر صاحبه إذا كان حسننا و قيل معناه و ليأمر بعضكم بعضا بالجميل فى إرضاع الوالد أَى بتراضى الوالد و الوالده بعد وقوع الفرقه فى الأجره على الأب و إرضاع الولد بحيث لا يضر بمال الوالد و لا بنفس الولد و لا يزداد على الأجر المتعارف و لا ينقص الولد عن الرضاع المعتاد قال الكسائى أصله التشاور و منه يَأْتَمُرُونَ بِكَ أَى يتشاورون و الأقوى عندى أن يكون المعنى دبروا بالمعروف بينكم فى أمر الولد و مراعاة أمه حتى لا يفوت الولد شفقتها و غير ذلك و يدل عليه قول امرئ القيس:

أ حار بن عمرو كأنى خمر و يعدو على المرء ما ياتمر

يعنى ما يدبره فى نفسه لأن الرجل بما دبر أمرا ليس برشد فيعدو عليه و يهلكه «وَ إِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى» و المعنى فإن اختلفتم فى الرضاع و فى الأجر فسترضع له امرأه

أخرى أجنبيه أى فليسترضع الوالد غير والده الصبى ثم قال سبحانه «لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ» أمر سبحانه أهل التوسعه أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهم «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ» أى ضيق عليه «رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» والمعنى و من كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك و على حسب إمكانه و طاقته «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا» أى إلا بقدر ما أعطها من الطاقه و فى هذا دلالة على أنه سبحانه لا يكلف أحدا ما لا يقدر عليه و ما لا يطيقه «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» أى بعد ضيق سعه و بعد فقر غنى و بعد صعوبه الأمر سهوله و فى هذا تسليه للصحابه فإن الغالب على أكثرهم فى ذلك الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد «وَكَأَيُّنْ مِنْ قَزْيِهِ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ» أى و كم من أهل قريه عتوا على الله و على أنبيائه يعنى جاوزوا الحد فى العصيان و المخالفه «فَحَاسِبِينَهَا حِسَابًا شَدِيدًا» بالمناقشه و الاستقصاء باستيفاء الحق و إيفائه قال مقاتل حاسبها الله تعالى بعملها فى الدنيا فجازاها بالعذاب و هو قوله «وَ عَذَابُنَا عَذَابًا نُكَرًا» فجعل المجازاه بالعذاب محاسبه و هو عذاب الاستئصال و قيل هو عذاب النار فإن اللفظ ماض بمعنى المستقبل و النكر المنكر الفظيع الذى لم ير مثله و قيل إن فى الآيه تقديمًا و تأخيرا تقديره فعذبناها فى الدنيا بالجوع و القحط و السيف و سائر المصائب و البلايا و حاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا و قيل الحساب الشديد هو الذى ليس فيه عفو «فَدَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا» أى ثقل عاقبه كفرها «وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا» أى خسرانا فى الدنيا و الآخرة و هو قوله «أَعَزَّدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا» يعنى عذاب النار و هذا يدل على أن المراد بالعذاب الأول عذاب الدنيا ثم قال «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ» أى يا أصحاب العقول و لا تفعلوا مثل ما فعل أولئك فيتزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف أولى الألباب بقوله «الَّذِينَ آمَنُوا» و خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك دون الكفار ثم ابتداء سبحانه فقال «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا» يعنى القرآن و

قيل يعنى الرسول عن الحسن و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

النظم

الوجه فى اتصال قوله «وَكَأَيُّنْ مِنْ قَزْيِهِ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا» الآيه بما قبله أنه سبحانه بين أن الخوف فى مقابله الرجاء و سبيل العاقل أن يحترز من المخوف و يقدم الاحتراز عن الخوف على الرجاء و الذى يقوى جانب الخوف أنه أهلك الأمم الماضيه بسبب عصيانها و تمردها عن أمر ربها.

ص: ٤٢

إشارة

رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)

القراءة

قرأ أهل المدينة و الشام ندخله بالنون و الباقون بالياء لتقدم الاسم على لفظ الغيبة و النون معناها معنى الياء.

الإعراب

رسولا يتنصب على ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون بدلا من ذكرا بدل الكل من الكل فعلى هذا يجوز أن يكون الرسول جبرائيل (عليه السلام) و يجوز أن يكون محمدا ص (و الثانى) أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره أرسل رسولا و يدل على إضماره قوله قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا فعلى هذا يكون الرسول معناه محمدا ص (و الثالث) أن يكون مفعول قوله ذِكْرًا و يكون تقديره أنزل الله إليكم إن ذكر رسولا و يكون الرسول يحتمل الوجهين.

المعنى

«رَسُولًا» إذا كان المراد به الوجه الأول و هو أن يكون بدلا من ذكرا و المراد به النبى ص أو جبرائيل (عليه السلام) فيجوز أن يكون المراد بالذكر الشرف أى ذا ذكر رسولا- «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ» أى واطحات «لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ» أى من ظلمات الكفر «إِلَى النُّورِ» أى نور الإيمان و قيل من ظلمات الجهل إلى نور العلم و إنما شبه الإيمان بالنور لأنه يؤدى إلى نور القبر و القيامة و الجنة و شبه الكفر بالظلمة لأنه يؤدى إلى ظلمة القبر و ظلمة جهنم «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا» أى يعطيه أحسن ما يعطى أحدا و ذلك مبالغه فى وصف نعيم الجنة «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» أى و خلق من الأرض مثلهن فى العدد لا فى الكيفيه لأن كيفيه السماء مخالفه لكيفيه الأرض و ليس فى القرآن آيه تدل على أن الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآيه و لا- خلاف فى السماوات أنها سماء فوق سماء و أما الأرضون فقال قوم إنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لو كانت مصمته لكانت أرضا واحده و فى كل أرض خلق خلقهم الله

كما شاء و روى أبو صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهن البحار و يظل جميعهن السماء و الله سبحانه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه و اشتبه على خلقه و

قد روى العياشى بإسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن (عليه السلام) قال بسط كفه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الأرض الدنيا و السماء الدنيا عليها قبه و الأرض و الثانية فوق السماء الدنيا و السماء الثانية فوقها قبه و الأرض الثالثة فوق السماء الثانية و السماء الثالثة فوقها قبه حتى ذكر الرابعة و الخامسة و السادسة فقال و الأرض السابعة فوق السماء السادسة و السماء السابعة فوقها قبه و عرش الرحمن فوق السماء السابعة و هو قوله «سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»

«يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» و إنما صاحب الأمر النبى ص و هو على وجه الأرض و إنما ينزل الأمر من فوق بين السماوات و الأرضين فعلى هذا يكون المعنى تنزل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء و قيل معناه ينزل الأمر بين السماوات و الأرضين من الله سبحانه بحياه بعض و موت بعض و سلامه حى و هلاك آخر و غنى إنسان و فقر آخر و تصريف الأمور على الحكمة «لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» بالتدبير فى خلق السماوات و الأرض و الاستدلال بذلك على أن صانعهما قادر لذاته عالم لذاته و ذلك قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» و معناه أن معلوماته متميزه له بمنزله ما قد أحاط به فلم يفتته شىء منها و كذلك قوله «وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» معناه أنه ليس بمنزله ما يحضره العلم بمكانه فيكون كأنه قد أحاط به.

(٦٦) سورة التحريم مدنيه و آياتها اثنتا عشره (١٢)

اشاره

[توضيح]

مدنيه اثنتا عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك أعطاه الله توبه نصوحا.

تفسيرها

لما تقدم فى تلك السوره أحكام النساء فى الطلاق و غيره افتتح سبحانه هذه السوره بأحكامهن أيضا فقال.

ص: ٤٥

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّهُ أَيْمَانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَارًا (٥)

القراءه

قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف و الباقون «عَرَّفَ» بالتشديد و اختار التخفيف أبو بكر بن عياش و هو من الحروف العشر التي قال إنى أدخلتها فى قراءه عاصم من قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) حتى استخلصت قراءته يعنى قراءه على (عليه السلام) و هى قراءه الحسن و أبى عبد الرحمن السلمى و كان أبو عبد الرحمن إذا قرأ إنسان بالتشديد حصبه و قرأ أهل الكوفه «تَظَاهَرَا عَلَيَّ» خفيفه الظاء و الباقون تظاهرا بالتشديد.

الحجه

قال أبو على التخفيف فى عرف أنه جازى عليه لا يكون إلا كذلك و لا يجوز أن يكون بمعنى العلم لأن النبى ص إذا أظهره الله على ما كان أسره إليه علم ذلك و لم يجر أن يعلم من ذلك بعضه مع إظهار الله إياه عليه و لكن يعلم جميعه و هذا كما تقول لمن يسىء أو يحسن أنا أعرف لأهل الإساءه أى لا يخفى على ذلك و لا مقابلته مما يكون وفقا له فالمعنى جازى على بعض ذلك و أعرض عن بعض و مثله و ما تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ أى يرى جزاءه و قوله يرى من رؤيه العين و كان مما جازى عليه:

تطبيقه حفصه تطبيقه واحده و أما «عَرَّفَ» بالتشديد فمعناه عرف بعضه و أعرض عن بعض فلم يعرفه إياه على وجه التكرم و الإغضاء و أما تظاهرا فالأصل فيه و أن تظاهرا بتائين فخفف فى القراءه الأولى بالحذف و فى القراءه الآخره بالإدغام.

اللغه

الحرام القبيح الممنوع منه بالنهى و نقيضه الحلال و هو الحسن المطلق بالإذن فيه و التحريم تبين أن الشىء حرام لا- يجوز و التحريم إيجاب المنع و الابتغاء الطلب و منه البغى طلب الاستعلاء بغير الحق و التحله و التحليل بمعنى و هما مصدران لقولهم حلت له كذا و تحله اليمين فعل ما يسقط التبعه فيه و اليمين واحد الأيمان و هو الحلف و كأنه مأخوذ من القوه لأنه يقوى كلامه بالحلف و قيل إنه مأخوذ من الجارحه لأن عاداتهم كانت عند الحلف ضرب الأيدي على الأيدي و الإسرار إلقاء المعنى إلى

نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره و التظاهر التعاون و الظهير المعين و أصله من الظهر و السائح الجارى و العرب تصف

ص: ٤٤

بذلك الماء الجارى الدائم الجريه ثم تصف به الرجل الذى يضرب فى الأرض و يقطع البلاد فتقول سائح و الثيب الراجعه من عند الزوج بعد الافتضاض من ثاب يثوب إذا رجع و البكر هى التى على أول حالها قبل الافتضاض.

الإعراب

قيل فى جمع القلوب فى قوله «صَيَعَتْ قُلُوبُكُمْ» وجوه (أحدها) أن التشبيه جمع فى المعنى فوضع الجمع موضع التشبيه كما قال «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» و إنما هو داود و سليمان (و الثانى) أن أكثر ما فى الإنسان اثنان اثنان نحو اليدين و الرجلين و العينين و إذا جمع اثنان إلى اثنين صار جمعا فيقال أيديهما و أعينهما ثم حمل ما كان فى الإنسان واحدا على ذلك لثلا يختلف حكم لفظ أعضاء الإنسان (و الثالث) أن المضاف إليه مثنى فكهوا أن يجمعوا بين تشيتين فصرفوا الأول منهما إلى لفظ الجمع لأن لفظ الجمع أخف لأنه أشبه بالواحد فإنه يعرب بإعراب الواحد و يستأنف كما يستأنف الواحد و ليست التشبيه كذلك لأنها لا تكون إلا على حد واحد و لا يختلف و من العرب من يثنى فيقول قلباهما قال الراجز فجمع بين اللغتين

" ظهراهما مثل ظهور الترسين "

و قال الفرزدق:

بما فى فؤادينا من البث و الهوى فيبرئ منهاض الفؤاد المشغف

و من العرب من يفرد و يروى أن بعضهم قرأ فبدت لهما سواتهما و الوجه فى الإفراد أن الإضافة إلى التشبيه تغنى عن تشبيه المضاف و فى جبريل أربع لغات جبريل على وزن قنديل و جبرئيل على وزن عندليب و جبرئيل على وزن جحمرش و جبريل بفتح الجيم و كسر الراء من غير همز و هو خارج عن أوزان العرب لأنه ليس فى العربية مثل قنديل و قد قرئ بذلك كله و قد ذكرنا اختلاف القراءه فيه فى سورة البقره و من العرب من يقول جبرال بتشديد اللام و منهم من يبدل من اللام نونا و قوله «هُوَ مَوْلَاةٌ» يجوز فى هو وجهان (أحدهما) أن يكون فصلا دخل ليفصل بين النعت و الخبر و الكوفيون يسمونه عمادا (و الثانى) أن يكون مبتدأ و مولاة الخبر و الجملة خبر إن و من جعل مولاة بمعنى السيد و الخالق كان الوقف على قوله «مَوْلَاةٌ» و جبريل مبتدأ «وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» عطف عليه و الملائكه عطف أيضا و ظهير خبره و جاز ذلك لأن

ص: ٤٧

فعيلاً يقع على الواحد و الجمع كفعول قال سبحانه خَلَصُوا نَجِيًّا فظهر كنجى و قال فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي و من جعل مولاه بمعنى ولى و ناصر جاز أن يكون الوقف على قوله «وَ جِبْرِيلُ» و على «صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ» و يتدئ و الملائكة بعد ذلك فيكون ظهير عائداً إلى الملائكة.

النزول

اختلف أقوال المفسرين فى سبب نزول الآيات فقول إن رسول الله ص كان إذا صلى الغداة يدخل على أزواجه امرأه امرأه و كان قد أهديت لحفصه بنت عمر بن الخطاب عكه من غسل فكانت إذا دخل عليها رسول الله ص حبسته و سقته منها و إن عائشه أنكرت احتباسه عندها فقالت لجويريه حبشيه عندها إذا دخل رسول الله ص على حفصه فادخلى عليها فانظري ما ذا تصنع فأخبرتها الخبر و شأن العسل فغارت عائشه و أرسلت إلى صواحبها فأخبرتهن و قالت إذا دخل عليك رسول الله ص يكره و يشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبه لأنه يأتيه الملك قال فدخلى رسول الله ص على سوده قالت فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ص ثم إنى فرقت من عائشه فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التى أجدها منك أكلت المغاير فقال لا و لكن حفصه سقتنى عسلاً ثم دخل على امرأه امرأه و هن يقلن له ذلك فدخلى على عائشه فأخذت بأنفها فقال لها ما شأنك قالت أجد ريح المغاير أكلتها يا رسول الله قال لا- بل سقتنى حفصه عسلاً فقالت جرت إذا نحلها العرطف فقال و الله لا أطعمه أبداً فحرمه على نفسه و قيل إن التى كانت تسقى رسول الله ص العسل أم سلمه عن عطاء بن أبى مسلم و قيل بل كانت زينب بنت جحش قال عائشه أن رسول الله ص كان يمكث عند زينب بنت جحش و يشرب عندها عسلاً فتواطأت أنا و حفصه أيتنا دخل عليها النبى ص فلتقل إنى أجد منك ريح المغاير أكلت مغاير فدخلى على إحداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش و لن أعود إليه فنزلت الآيات و قيل إن رسول الله ص. قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصه قالت يا رسول الله إن لى إلى أبى حاجه فأذن لى أن أزوره فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله ص إلى جاريتها ماريه القبطيه و كان قد أهداها له المقوقس فأدخلها بيت حفصه فوقع عليها فأتت حفصه فوجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب فخرج رسول الله ص و وجهه يقطر عرقاً فقالت حفصه إنما أذنت لى من أجل هذا أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى و على فراشى أما ما رأيت لى حرمه و حقاً فقال ص أليس هى جاريتى قد أحل الله ذلك لى اسكتى فهو حرام على ألتمس بذلك رضاك

فلا تخبرى بهذا امرأه منهن و هو عندك أمانه فلما خرج رسول الله ص قرعت حفصه الجدار الذى بينها و بين عائشه فقالت ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه أمته ماريه و قد أراحنا الله منها و أخبرت عائشه بما رأت و كانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه فنزلت «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ» فطلق حفصه و اعتزل سائر نسائه تسعه و عشرين يوما و قعد فى مشربه أم إبراهيم ماريه حتى نزلت آيه التخيير عن قتاده و الشعبي و مسروق و قيل إن النبي ص خلا- فى يوم لعائشه مع جاريتها أم إبراهيم ماريه القبطيه فوقفت حفصه على ذلك فقال لها رسول الله ص لا- تعلمى عائشه ذلك و حرم ماريه على نفسه فأعلمت حفصه عائشه الخير و استكتمتها إياه فأطلع الله نبيه ص على ذلك و هو قوله «وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا» يعنى حفصه عن الزجاج قال و لما حرم ماريه القبطيه أخبر حفصه أنه يملك من بعده أبو بكر ثم عمر فعرفها بعض ما أفشت من الخبر و أعرض عن بعض أن أبا بكر و عمر يملكان بعدى و قريب من ذلك ما

رواه العياشى بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكى عن أبى جعفر (عليه السلام) إلا أنه زاد فى ذلك أن كل واحده منهما حدثت أباهما بذلك فعاتبهما رسول الله فى أمر ماريه و ما أفشتا عليه من ذلك و أعرض عن أن يعاتبهما فى الأمر الآخر.

المعنى

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» ناداه سبحانه بهذا النداء تشريفا له و تعليما لعباده كيف يخاطبونه فى أثناء محاوراتهم و يذكرونه فى خلال كلامهم «لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» من الملاذ «تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ» أى تطلب به رضاء نساءك و هن أحق بطلب مرضاتك منك و ليس فى هذا دلالة على وقوع ذنب منه صغيرا أو كبيرا لأن تحريم الرجل بعض نسائه أو بعض الملاذ لسبب أو غير سبب ليس بقبیح و لا داخلا فى جملة الذنوب و لا يمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له ص إذا بالغ فى إرضاء أزواجه و تحمل فى ذلك المشقه و لو أن إنسانا أرضى بعض نسائه بتطبيق بعضهن لجاز أن يقال له لم فعلت ذلك و تحملت فيه المشقه و إن كان لم يفعل قبیحا و لو قلنا إنه عوتب على ذلك لأن ترك التحريم كان أفضل من فعله لم يمتنع لأنه يحسن أن يقال لتارك النفل لم لم تفعله و لم عدلت عنه و لأن تطيب قلوب النساء مما لا تنكره العقول و قد حكى أن عبد الله بن رواحه و كان من النقباء كانت له جاريه فاتهمته زوجته ليله فقال قولاً بالتعريض فقالت إن كنت لم تقربها فاقراً القرآن قال فأنشدت

شهدت فلم أكذب بأن محمدا رسول الذى فوق السماوات من عل

و أن أبا يحيى و يحيى كلاهما له عمل فى دينه متقبل

و أن التى بالجزع من بطن نخله و من دانها فل عن الخير معزل

فقال زدنى فأنشدت:

و فينا رسول الله نتلو كتابه كما لاح معروف مع الصبح ساطع

أتى بالهدى بعد العمى فنفسنا به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا رقدت بالكافرين المضاجع

فقال زدنى فأنشدت:

شهدت بأن وعد الله حق و أن النار مثوى الكافرينا

و أن محمدا يدعو بحق و أن الله مولى المؤمنين

فقال أما إذا قرأت القرآن فقد صدقتك فأخبرت به رسول الله ص فقال بعد أن تبسم خيركم خيركم لنساءه و اختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت على حرام فقال مالك هو ثلاث تطليقات و قال أبو حنيفة إن نوى به الظهار فهو ظهار و إن نوى الإيلاء فهو إيلاء و إن نوى الطلاق فهو طلاق بائن و إن نوى ثلاثا كان ثلاثا و إن نوى اثنتين فواحدة بائنه و إن لم يكن له نية فهو يمين قال الشافعى إن نوى الطلاق كان طلاقا و الظهار كان ظهارا و إن لم يكن له نية فهو يمين و روى عن ابن مسعود و ابن عباس و عطاء أنه يمين و قال أصحابنا أنه لا يلزم به شىء و وجوده كعدمه و هو قول مسروق و إنما أوجب الله فيه الكفاره لأن النبى ص كان حلف أن لا يقرب جاريتيه و لا يشرب الشراب المذكور فأوجب الله عليه أن يكفر عن يمينه و يعود إلى استباحه ما كان حرمه و بين أن التحريم لا يحصل إلا بأمر الله و نهيه و لا يصير الشىء حراما بتحريم من يحرمه على نفسه إلا إذا حلف على تركه «وَاللَّهُ غَفُورٌ» لعباده «رَحِيمٌ» بهم إذا رجعوا إلى ما هو الأولى و الأليق بالتقوى يرجع لهم إلى التولى «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» أى قد قدر الله تعالى لكم ما تحللون به أيمانكم إذا فعلتموها و شرع لكم الحنث فيها لأن اليمين ينحل بالحنث فسمى ذلك تحله و قيل معناه قد بين الله لكم كفاره أيمانكم فى سورة المائدة عن مقاتل قال أمر الله نبيه أن يكفر يمينه و يراجع وليدته فأعتق رقبه و عاد إلى

ماريه و قيل معناه فرض الله عليكم كفاره أيمانكم كما قال و إن أسأتم فلها أى فعلها فسمى الكفاره تحله لأنها تجب عند انحلال اليمين و فى هذا دلالة على أنه قد حلف و لم يقتصر على قوله هى على حرام لأن هذا القول ليس بيمين «وَ اللَّهُ» هو «مَوْلَاكُمْ» أى وليكم يحفظكم و ينصركم و هو أولى بكم و أولى بأن تتبغوا رضاه «وَ هُوَ الْعَلِيمُ» بمصالحكم «الْحَكِيمُ» فى أوامره و نواهيه لكم و قيل هو العليم بما قالت حفصه لعائشه الحكيم فى تدييره «وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ» و هى حفصه «حَدِيثًا» أى كلاما أمرها بإخفائه فالإسرار نقيض الإعلان «فَلَمَّا تَبَأَتْ» أى أخبرت غيرها بما خبرها «بِهِ» فأفشت سره «وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ» أى و أطلع الله نبيه ص على ما جرى من إفشاء سره «عَرَفَ بَعْضُهُ وَ أَعْرَضَ عَن بَعْضٍ» أى عرف النبى ص حفصه بعض ما ذكرت و أخبرها ببعض ما ذكرت و أعرض عن بعض ما ذكرت و عن بعض ما جرى من الأمر فلم يخبرها و كان ص قد علم جميع ذلك لأن الإعراض إنما يكون بعد المعرفة لكنه أخذ بمكارم الأخلاق و التغافل من خلق الكرام قال الحسن ما استقصى كريم قط و أما عرف بالتخفيف فمعناه غضب عليها و جازاها بأن طلقها تطلقه ثم راجعها بأمر الله و قيل جازاها بأن هم بطلاقها «فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ» أى فلما أخبر رسول الله ص حفصه بما أظهره الله عليه «قَالَتْ» حفصه «مَنْ أُنْبَأَكَ هَذَا» أى من أخبرك بهذا «قَالَ» رسول الله ص «تَبَأَنِي الْعَلِيمُ» بجميع الأمور «الْخَبِيرُ» بسرائر الصدور ثم خاطب سبحانه عائشه و حفصه فقال «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ» من التعاون على النبى ص بالإيذاء و التظاهر عليه فقد حق عليكما التوبة و وجب عليكم الرجوع إلى الحق «فَقَدْ صَيَّغَتْ» أى مالت «قُلُوبُكُمَا» إلى الإثم عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة و عدلت عن الثواب إلى ما يوجب الإثم و قيل تقديره إن تتوبا إلى الله يقبل توبتكما و قيل إنه شرط فى معنى الأمر أى توبا إلى الله فقد صغت قلوبكما «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» أى و إن تتعاوننا على النبى ص بالإيذاء عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ص قال عائشه و حفصه أوردته البخارى فى الصحيح «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ» الذى يتولى حفظه و حياطته و نصرته «وَ جَبْرِيْلُ» أيضا معين له و ناصر يحفظه «وَ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى خيار المؤمنين عن الضحاك و قيل يعنى الأنبياء عن قتاده و قال الزجاج صالح هنا ينوب عن الجميع كما تقول يفعل هذا الخير من الناس تريد كل خير قال أبو مسلم هو صالحوا المؤمنين على الجمع و سقطت الواو فى المصحف لسقوطها فى اللفظ و وردت الرواية من طريق الخاص و العام أن المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين على (عليه السلام) و هو قول مجاهد و

فى كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن

سدير الصيرفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال لقد عرف رسول الله ص عليا (عليه السلام) أصحابه مرتين أما مره فحيث قال من كنت مولاة فعلى مولاة و أما الثانيه فحيث نزلت هذه الآيه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» الآيه أخذ رسول الله ص بيد علي (عليه السلام) فقال أيها الناس هذا صالح المؤمنين

و

قالت أسماء بنت عميس سمعت أن النبي ص يقول «وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» علي بن أبي طالب (عليه السلام)

«وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ» أى بعد الله و جبريل و صالح المؤمنين عن مقاتل «ظهير» أى أعوان للنبي ص و هذا من الواحد الذى يؤدى معنى الجمع كقوله «وَ حَسَنٌ أَوْلِيكَ رَفِيقًا» «عسى رَبُّهُ» أى واجب من الله ربه «إِنْ طَلَّقُكَ» يا معشر أزواج النبي «أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ» أى أصلح له منكن ثم نعت تلك الأزواج اللائى كان يبدله بهن لو طلق نساءه فقال «مُسْلِمَاتٍ» أى مستسلمات لما أمر الله به «مُؤْمِنَاتٍ» أى مصدقات لله و رسوله مستحقات للثواب و التعظيم و قيل مصدقات فى أفعالهن و أقوالهن «قَانِتَاتٍ» أى مطيعات لله تعالى و لأزواجهن و قيل خاضعات متذللات لأمر الله تعالى و قيل ساكنات عن الخنا و الفضول عن قتاده «تَائِبَاتٍ» عن الذنوب و قيل راجعات إلى أمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن و قيل نادمات على تقصير وقع منهن «عَابِدَاتٍ» لله تعالى بما تعبدهن به من الفرائض و السنن على الإخلاص و قيل متذللات للرسول بالطاعة «سَائِحَاتٍ» أى ماضيات فى طاعه الله تعالى و قيل صائمات عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل مهاجرات عن ابن زيد و أبيه زيد بن أسلم و الجبائى و إنما قيل للصائم سائح لأنه يستمر فى الإمساك عن الطعام كما يستمر السائح فى الأرض «تَيِّبَاتٍ» و هن الراجعات من عند الأزواج بعد افتضاضهن «وَ أَبْكَارًا» أى عذارى لم يكن لهن أزواج.

ص: ٥٢

اشاره

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَهُ نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيَمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ بئسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ (١٠)

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كَتَبْنَا مِنْ الْفَاتِحِينَ (١٢)

القراءه

قرأ حماد و يحيى عن أبى بكر نصوحا بضم النون و الباقون بفتح النون و قرأ أهل البصره و حفص «و كُتِبَ» بضم الكاف و التاء على الجمع و الباقون و كتابه على الواحد.

الحجه

قال أبو على يشبه أن يكون النصوح بالضم مصدرًا و ذلك إن ذا الرمه قال:

" أحبك حبا خالطته نصاحه "

فالنصاحه على فعاله و ما كان على فعال من المصادر فقد يكون منه الفعول نحو الذهاب و الذهاب و يكون قد وصف بالمصدر نحو عدل و رضا قال أبو الحسن نصحته فى معنى صدقته و توبه نصوح أى صادقته و الفتح كلام العرب و لا أعرف الضم

و حجه من قال «وَكُتِبَ» أنه في موضع جمع ألا- ترى أنها قد صدقت بجميع كتب الله تعالى و من قال و كتابه أراد الكثرة و الشيعاء و قد يجىء ذلك في الأسماء المضافه كما يجىء في الأسماء المفردة كما قال «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا».

الإعراب

«وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» مبتدأ نورهم مبتدأ ثانى و «يَسِيعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» فى موضع الخبر و الجملة خبر المبتدأ الأول و قوله «امرأت فرعون» تقديره مثل امرأه فرعون فحذف المضاف و هو بدل من قوله مثلاً.

المعنى

لما أدب سبحانه نساء النبى ص أمر عقبيه المؤمنين بتأديب نسائهم فقال مخاطبا لهم «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا» أى احفظوا و احرسوا و امنعوا «أَنْفُسِكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا» و المعنى قوا أنفسكم و أهليكم النار بالصبر على طاعة الله و عن معصيته و عن اتباع الشهوات و قوا أهليكم النار بدعائهم إلى الطاعة و تعليمهم الفرائض و نهيهم عن القبائح و حثهم على أفعال الخير و قال مقاتل بن حيان و هو أن يؤدب الرجل المسلم نفسه و أهله و يعلمهم الخير و ينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم أن يفعل بنفسه و أهله و عبيده و إمائه فى تأديبهم و تعليمهم ثم وصف سبحانه النار التى حذرهم منها فقال «وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ» أى حطب تلك النار الناس و حجاره الكبريت و هى تزيد فى قوه النار و قد مر تفسيره «عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ» أى غلاظ القلوب لا يرحمون أهل النار أقوياء يعنى الزبانية التسعة عشر و أعوانهم «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» و فى هذا دلالة على أن الملائكة الموكلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله فى أوامره و نواهيه و قال الجبائى إنما عنى أنهم لا يعصونه و يفعلون ما يأمرهم به فى دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف و إنما هى دار جزاء و إنما أمرهم الله تعالى بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم و لذاتهم فى تعذيب أهل النار كما جعل سرور المؤمنين و لذاتهم فى الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار يوم القيامة فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ» و ذلك أنهم إذا عذبوا يأخذون فى الاعتذار فلا يلتفت إلى معاذيرهم و يقال لهم لا تعتذروا اليوم فهذا جزاء فعلكم و ذلك قوله «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» ثم عاد سبحانه إلى خطاب المؤمنين فى دار التكليف فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ» من معاصيه و ارجعوا إلى طاعته «تَوْبَهُ نُصُوحًا» أى خالصه لوجه الله

و روى عكرمه عن ابن عباس قال قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع فى ذنب كما لا يعود اللبى إلى الضرع

و قال ابن مسعود التوبة النصوح هى التى تكفر كل

سيئه و هو في القرآن ثم تلا هذه الآية و قيل أن التوبه النصوح هي التي ينصح الإنسان فيها نفسه بإخلاص الندم مع العزم على أن لا- يعود إلى مثله في القبح و قيل هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه عن الحسن و قيل هي الصادقة الناصحة عن قتاده و قيل هي أن يستغفر باللسان و يندم بالقلب و يمسك بالبدن عن الكلي و قيل هي التوبه المقبوله و لا- تقبل ما لم يكن فيها ثلاث خوف أن لا تقبل و رجاء أن تقبل و إدمان الطاعه عن سعيد بن جبير و قيل هي أن يكون الذنب نصب عينيه و لا- يزال كأنه ينظر إليه و قيل هي من النصح و هو الخياطه لأن العصيان يخرق الدين و التوبه ترقعه و قيل لأنها جمعت بينه و بين أولياء الله كما جمع الخياط الثوب و ألصق بعضه ببعض و قيل لأنها أحكمت طاعته و أوثقتها كما أحكم الخياط الثوب و أوثقه «عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار» أي يحطها عنكم و يدخلكم الجنة و عسى من الله واجب ثم قال «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» أي لا- يعذبهم الله بدخول النار و لا يذلهم بذلك بل يعزهم بإدخالهم الجنة و قيل لا يخزي الله النبي أي لا يشوره فيما يريد من الشفاعه بل يشفعه في ذلك «نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم» مفسر في سوره الحديد و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) يسعى أئمة المؤمنين يوم القيامة بين أيديهم و بأيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة

«يَقُولُونَ رَبَّنَا» و هو في موضع نصب على الحال تقديره قائلين ربنا «أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا» و قيل أن قوله «وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» مبتدأ و «نورهم يسعى» خبره و «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا» خبر آخر من «الَّذِينَ آمَنُوا» و حال منهم و فيه وجه آخر ذكرناه في الإعراب و قيل «أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا» معناه وفقنا للطاعه التي هي سبب النور «وَاغْفِرْ لَنَا» أي استر علينا معاصينا و لا تهلكنا بها «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من إطفاء نور المنافقين و إثبات نور المؤمنين ثم خاطب سبحانه النبي ص فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ» بالقتال و الحرب «وَالْمُنَافِقِينَ» بالقول الرادع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود فلذلك سماه جهادا و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين و قال أن رسول الله ص لم يقاتل منافقا قط إنما كان يتألفهم

«وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ» أي اشدد عليهم من غير محاباه و قيل اشدد عليهم في إقامة الحد عليهم قال الحسن أكثر من يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلظ عليهم في إقامة الحد «وَمِأْوَاهُمْ» أي مآل الكفار و المنافقين «جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» أي المال و المستقر ثم ضرب الله المثل لأزواج النبي حثا لهن على الطاعه و بيانا لهن أن مصاحبه الرسول مع مخالفته لا تنفعهن فقال «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا» أي نبيين من أنبيائنا «صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا» قال ابن عباس

كانت امرأه نوح كافره تقول للناس أنه مجنون و إذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابره من قوم نوح به و كانت امرأه لوط تدل على أضيافه فكان ذلك خيانتها و ما بغت امرأه نبي قط و إنما كانت خيانتها فى الدين و قال السدى كانت خيانتها أنهما كانتا كافرتين و قيل كانتا منافقتين و قال الضحاك خيانتها النميمه إذا أوحى الله إليهما أفشياه إلى المشركين «فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» أى و لم يغن نوح و لوط مع نبوتها عن امرأتيهما من عذاب الله شيئاً «وَقِيلَ» أى و يقال لهما يوم القيامة «ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» و قيل أن اسم امرأه نوح واغله و اسم امرأه لوط واهله و قال مقاتل والغه و والهه «وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» و هى آسيه بنت مزاحم قيل إنها لما عاينت المعجز من عصا موسى و غلبته السحره أسلمت فلما ظهر لفرعون إيمانها نهاها فأبت فأوتد يديها و رجليها بأربعة أوتاد و ألقاها فى الشمس ثم أمر أن يلقي عليها صخره عظيمه فلما قرب أجلها «قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» فرفعها الله تعالى إلى الجنه فهى فيها تأكل و تشرب عن الحسن و ابن كيسان و قيل أنها أبصرت بيتا فى الجنه من دره و انتزع الله روحها فألقيت الصخره على جسدها و ليس فيه روح فلم تجد ألما من عذاب فرعون و قيل أنها كانت تعذب بالشمس و إذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكه و جعلت ترى بيتها فى الجنه عن سلمان «وَنَجَّيْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ» أى دينه و قيل و جماعه عن ابن عباس «وَنَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» من أهل مصر قالوا قطع الله بهذه الآيه طمع من ركب المعصيه رجاء أن يقطعه صلاح غيره و أخبر أن معصيه الغير لا تضر من كان مطيعا قال مقاتل يقول الله سبحانه لعائشه و حفصه لا تكونا بمنزله امرأه نوح و امرأه لوط فى المعصيه و كونا بمنزله امرأه فرعون و مريم و هو قوله «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا» أى منعت فرجها من دنس المعصيه و عفت عن الحرام و قيل معناه منعت فرجها من الأزواج لم تتبع زوجا و لا غيره «فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا» أى فنفخ جبرائيل بأمرنا فى جيبها من روحنا عن قتاده و قال الفراء كل شق فهو فرج و «أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا» منعت جيب درعها من جبرائيل و قيل نفخ جبرائيل فى فرجها و خلق الله منه المسيح و هو الظاهر و لذلك ذكره و قال فى سوره الأنبياء فيها و عاد الضمير إلى التى أحصنت فرجها و قيل معناه خلقنا المسيح فى بطنها و نفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير فى فيه يعود إلى المسيح «وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا» أى بما تكلم الله تعالى و أوحاه إلى أنبيائه و ملائكته و قيل صدقت بوعد الله و وعيده و أمره و نهيه «وَكُتِبَ» أى و صدقت بكتب الله المنزله على أنبيائه مثل التوراه و الإنجيل و من وحد فالمراد به الإنجيل «وَكَاَنَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ» أى المطيعين لله سبحانه و الدائمين على طاعته و يجوز أن يكون من القنوت فى الصلاه و يجوز أن يريد بالقائمين رهطها و عشيرتها الذين كانت مريم

منهم و كانوا أهل بيت صلاح و طاعه و لم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث و

جاءت الروايه عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله ص على خديجه و هى تجود بنفسها فقال أكره ما نزل بك يا خديجه و قد جعل الله فى الكره خيرا كثيرا فإذا قدمت على ضراتك فأفريئهن منى السلام قالت يا رسول الله و من هن قال مريم بنت عمران و آسيه بنت مزاحم و حلیمه أو كلیمه أخت موسى شك الراوى فقالت بالرفاء و البنين

و

عن أبى موسى عن النبى ص قال كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا أربع آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون و مريم بنت عمران و خديجه بنت خويلد و فاطمه بنت محمد ص.

ص: ٥٧

(٤٧) سورة الملك مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)

اشاره

[توضيح]

و

تسمى سورة المنجيه لأنها تنجى صاحبها من عذاب القبر و قد ورد به الخير

و تسمى الواقيه لما روى عن النبي ص أنها الواقيه من عذاب القبر

و هي مكيه.

عدد آياتها

إحدى و ثلاثون آيه مكي و المدنى الأخير و ثلاثون آيه فى الباقيين.

اختلافها

آيه واحده «قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ» مكي و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة تبارك فكأنما أحيا ليله القدر

و

عن ابن عباس قال قال رسول الله ص وددت أن تبارك الملك فى قلب كل مؤمن

و

عن أبى هريره أن رسول الله ص قال أن سورة من كتاب الله ما هى إلا ثلاثون آيه شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار و

أدخلته الجنة و هى سورة تبارك

و عن ابن مسعود قال إذا وضعت الميت فى قبره يؤتى من قبله فيقال له ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسوره

الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ بى سورة الملك ثم قال هى الممانعه من عذاب

القبر و هى فى التوراه سورة الملك من قرأها فى ليله فقد أكثر و أطيب و

روى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سورة الملك هي المانع تمنع من عذاب القبر و هي مكتوبه في التوراه سورة الملك و من قرأها في ليله فقد أكثر و أطاب و لم يكتب من الغافلين و إنى لأرکع بها بعد العشاء الآخره و أنا جالس و إن الذي كان يقرأها في حياته في يومه و ليلته إذا دخل عليه في قبره ناکر و نكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما ليس لكما إلى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقوم على فيقرأ سورة الملك في كل يوم و ليله فإذا أتياه من قبل جوفه قال لهما ليس لكما إلى ما

قبلى سبيل كان هذا العبد وقد وعى سورة الملك و إذا أتياه من قبل لسانه قال لهما ليس لكما إلى ما قبلى سبيل قد كان هذا العبد يقرأ فى كل يوم و ليله سورة الملك.

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة تبارك الذى بيده الملك فى المكتوبه قبل أن ينام لم يزل فى أمان الله حتى يصبح و فى أمانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة إن شاء الله.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بأن الوصله لا تنفع إلا بالطاعه و أصل الطاعه المعرفه و التصديق بالكلمات الإلهيه افتتح هذه السوره بدلائل المعرفه و آيات الربوبيه فقال:

[سوره الملك (٦٧): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِنًا وَ هُوَ حَسِيرٌ (٤)

وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي من تفوت بتشديد الواو من غير ألف و هى قراءه الأعمش و الباقون «تَفَاوُتٍ» بالألف.

الحجه

قال أبو الحسن تفاوت أجود لأنهم يقولون تفاوت الأمر و لا- يكادون يقولون تفوت الأمر قال و هى أظن لغه قال سيبويه قد يكون فاعل و فعل بمعنى نحو ضاعف و ضعف و تفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فعل فعلى هذا القياس يكون تفاعل و تفعل بمعنى و تفاوت و تفوت بمعنى.

تبارك أصله من البرك و هو ثبوت الطائر على الماء و البركه ثبوت الخير بنمائه و قوله «طَبَاقًا» مصدر طوبقت طباقا فهي مطبق بعضها على بعض عن الزجاج و قيل هو جمع طبق مثل جمل و جمال و التفاوت الاختلاف و الاضطراب و الفطور الشقوق و الصدوع من الفطر و هو الشق الخاسئ الذليل الصاغر و قيل هو البعيد مما يريد منه و قيل للكلب اخسأ و الحسير من الإبل المعيبى الذى لا فضل فيه للسير قال:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيبيض و أما جلدها فصليب

و السعير النار المسعره و أعتدنا أصله أعددنا أى هيأنا فأبدلت الدال تاء.

الإعراب

«الَّذِي خَلَقَ» بدل من «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف فعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ما قبله و على الوجه الأول لا يجوز و قوله «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» تعليق لأن التقدير ليلوكم فيعلم أيكم أحسن عملا و ارتفع أى بالابتداء و إنما لم يعمل فيه ما قبله لأنه على أصل الاستفهام و طباقا نصب على الحال إذا أردنا فى سماوات معنى الألف و اللام و إن جعلناها نكرة كان طباقا صفتها و قوله «كَرَّتَيْنِ» منصوب على المصدر أى رجعتين.

المعنى

أخبر سبحانه عن عظمته و علو شأنه و كمال قدرته فقال «تَبَارَكَ» أى تعالى و جل عما لا يجوز عليه فى ذاته و أفعاله عن أبى مسلم و قيل معناه تعالى بأنه الثابت الذى لم يزل و لا يزال و قيل معناه تعظيم بالحق من ثبوت الأشياء به إذ لولاه لبطل كل شىء لأنه لا يصح سواه شىء إلا و هو مقدوره أو مقدور مقدوره الذى هو القدره و قيل معناه تعالى من جميع البركات منه إلا أن هذا المعنى مضمرة فى الصفة غير مصرح به و إنما المصرح به أنه تعالى باستحقاق التعظيم «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» و الملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة و التدبير و معناه الذى هو المالك و له الملك يؤتیه من يشاء و يتصرف فيه كما يشاء و إنما ذكر اليد تأكيدا و لأن أكثر التصرفات و العطايا باليد «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من إنعام و انتقام و قيل معناه أنه قادر على كل شىء يصح أن يكون مقدورا له و هو أخص من قولنا وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* لأنه لا شىء إلا و يجب أن يعلمه إذ لا شىء إلا و يصح أن يكون معلوما فى نفسه و لا يوصف سبحانه بكونه قادرا على ما لا يصح أن يكون مقدورا فى نفسه مثل ما تقضى وقته مما لا يبقى ثم وصف سبحانه نفسه فقال «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ» أى خلق الموت

للتعبد بالصبر عليه و الحياه للتعبد بالشكر عليها و قيل خلق الموت للاعتبار و الحياه للتزود و قيل إنما قدم ذكر الموت على الحياه لأنه إلى القهر أقرب كما قدم البنات على البنين في قوله «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً» الآية و قيل إنما قدمه لأنه أقدم فإن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات كالنطفه و التراب ثم اعترضت الحياه «لِيُتْلَوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» أى ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر و النهى فيجازى كل عامل بقدر عمله و قيل ليلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا و أحسن له استعدادا و أحسن صبيرا على موته و موت غيره و أيكم أكثر امتثالا للأوامر و اجتنابا عن النواهي في حال حياته

قال أبو قتاده سألت النبي ص عن قوله تعالى «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» ما عنى به فقال يقول أيكم أحسن عقلا ثم قال أتمكم عقلا و أشدكم لله خوفا و أحسنكم فيما أمر الله به و نهى عنه نظرا و إن كان أقلكم تطوعا

و

عن ابن عمر عن النبي ص أنه تلا قوله تعالى «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» إلى قوله «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» ثم قال أيكم أحسن عقلا و أروع عن محارم الله و أسرع في طاعة الله

و عن الحسن أيكم أزهّد في الدنيا و أترك لها «وَهُوَ الْعَزِيزُ» في انتقاله ممن عصاه «الْعُفُورُ» لمن تاب إليه أو لمن أراد التفضل عليه بإسقاط عقابه و التكليف إنما يصح بالترغيب و التهيب لأن معناه تحمل المشقه في الأمر و النهى ثم عاد سبحانه إلى وصف نفسه فقال «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» أى أنشأهن و اخترعهن «طَبَاقًا» واحده فوق الأخرى و قيل أراد بالمطابقه المشابهه أى يشبه بعضها بعضا في الإتقان و الأحكام و الاتساق و الانتظام «مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ» أى اختلاف و تناقض من طريق الحكمه بل ترى أفعاله كلها سواء في الحكمه و إن كانت متفاوتة في الصور و الهيئات يعنى في خلق الأشياء على العموم و في هذا دلالة على أن الكفر و المعاصى لا يكون من خلق الله تعالى لكثرة التفاوت في ذلك و قيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السماوات من عيب و اعوجاج بل هى مستقيمه مستويه كلها مع عظمها «فَارْجِعِ الْبَصَرَ» أى فرد البصر و أدره في خلق الله و استقص في النظر مره بعد أخرى و التقدير أنظر ثم ارجع النظر في السماء «هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ» أى شقوق و فتوق عن سفیان و قيل من وهن و خلل عن ابن عباس و قتاده «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ» أى ثم كرر النظر مرتين لأن من نظر في الشىء كره بعد أخرى بأن له ما لم يكن بائنا و قيل معناه أدم النظر و التقدير ارجع البصر مره بعد أخرى و لا يريد حقيقه التشبيه لقوله «وَهُوَ حَسِيرٌ» و لا يصير حسيرا بمرتين و نظيره قولهم لبيك و سعديك أى إلبابا بعد إلباب و إسعادا بعد إسعاد يعنى كلما دعوتنى فأنا ذو إجابته بعد إجابته و ذو ثبات بمكانى بعد ثبات من قولهم لب بالمكان و ألب إذا ثبت و أقام و هو نصب على المصدر أى أجيبك إجابته بعد إجابته «يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ

خاسيةً» أى يرجع إليك بصرك بعيدا عن نيل المراد ذليلا صاغرا عن ابن عباس كأنه ذل كذله من طلب شيئا فلم يجده و أبعده عنه «وَهُوَ حَسِيذٌ» أى كال معى عن قتاده و التحقيق أن بصر هذا الناظر بعد الإعياء يرجع إليه بعيدا عن طلبته خائبا فى بغيته ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا» لأن هذه اللام هى التى يتلقى بها القسم أى حسنا السماء الدنيا يعنى التى هى أدنى إلى الأرض و هى التى يراها الناس «بِمَصَابِيحٍ» واحدها مصباح يعنى الكواكب سماها المصابيح لإضاءتها و هى السرج «وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» الذين يسترقون السمع و قيل ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين فأما الكواكب أنفسها فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى إفناءها عن الجبائى «وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ» يعنى أنا جعلنا مع الكواكب رجوما للشياطين هيأنا لهم و ادخرنا لأجلهم عذاب النار المسعره المشعله و فى هذا دلالة على أن الشياطين مكلفه.

[سوره الملك (٦٧): الآيات ٦ الى ١١]

إشاره

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)

فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)

القراءه

قرأ أبو جعفر و الكسائى فسحقا بضمتمين و الباقون بالتخفيف.

الحججه

سحق و سحق مثل عنق و عنق و طنب و طنب و نحو ذلك و كلاهما حسن.

اللغه

الشهيق صوت تقطيع النفس كالنزع و إذا اشتد لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كأنها تطلب الوقود قال رؤبه:

ص: ٦٢

حشرج فى الجوف سحىلا أو شهق حتى يقال ناهق و ما نهق

وقىل إن الشهىق فى الصدر و الزفىر فى الحلق و الفور ارتفاع الشىء بالعلىان يقال فارت القدر تفور و منه الفواره لارتفاعها بالماء ارتفاع العلان و منه فار الدم من الجرح و فار الماء من الأرض و السحق البعد يقال أسحقهم الله إسحاقا و سحقا أى ألزمهم الله سحقا عن الخىر فحاء المصدر على غير لفظه كما قال وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا وَ تَقْدِيرَهُ فَأَسْحَقَهُمْ إِسْحَاقًا وَ أَمَا سَحَقْتَهُ سَحَقًا فمعناه باعدته بالتفرىق عن حال اجتماعه حتى صار كالغبار.

المعنى

لما تقدم وعىد الشىاطىن الذىن دعوا إلى الكفر و الضلال أتبعه سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال «وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» أى بئس المال و المرجع و إنما وصف ببئس و هو من صفات الذم و العقاب حسن لما فى ذلك من الضرر الذى يجب على كل عاقل أن يتقىه بغايه الجهد و لا يجوز قىاسا على ذلك أن يوصف به فاعل العقاب لأنه لا يقال بئس الرجل إلا على وجه الذم و وجه الحكمه فى فعل العقاب ما فىه من الزجر المتقدم للمكلف و لا يمكن أن يكون مزجورا إلا به و لولاه لكان مغرى بالقبح «إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا» أى إذا طرح الكفار فى النار سمعوا للنار صوتا فظىعا مثل صوت القدر عند فورانها و غلىانها فىعظم بسماع ذلك عذابهم لما ىرد على قلوبهم من قوله «وَ هِيَ تَفُورٌ» أى تغلى بهم كغلى المرجل «تَكَادُ تَمَيَّرُ» أى تتقطع و تتفرق «مِنَ الْعَظِيطِ» أى شده الغضب سسمى سبحانه شده التهاب النار غىظا على الكفار لأن المغتاظ هو المتقطع مما ىجد من الألم الباعث على الإىقاع بغيره فحال جهنم كحال المتغىظ «كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا» أى كلما طرح فى النار «فَوُجَّ» من الكفار «سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» أى تقول لهم الملائكه الموكلون بالنار على وجه التبكىت لهم فى صىغه الاستفهام أ لم ىجئكم مخوف من جهه الله سبحانه ىخوفكم عذاب هذه النار «قَالُوا بلى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِن شىءٍ» أى فىقولون فى جوابهم بلى قد جاءنا مخوف فلم نصدقه و كذبناه و لم نقبل منه بل قلنا له ما نزل الله شىئا مما تدعونا إلىه و تحذرنا منه فتقول لهم الملائكه «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فى ضلالٍ كَبِىرٍ» أى لستم اليوم إلا- فى عذاب عظيم و قىل معناه قلنا للرسل ما أنتم إلا فى ضلال أى ذهاب عن الصواب كبرى فى قولكم أنزل الله علنا كتابا «وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ» من النذر ما جاءونا به و دعونا إلىه و عملنا بذلك «ما كُنَّا فى

أَصْحَابِ السَّعِيرِ» و قال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعى و يفكر و نعقل عقل من يميز و ينظر ما كنا من أهل النار و

فى الحديث عن ابن عمر أن النبى ص قال إن الرجل ليكون من أهل الجهاد و من أهل الصلاة و الصيام و ممن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و ما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله

و

عن أنس بن مالك قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله ص فقال رسول الله ص كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده فى العباده و أصناف الخير و تسألنا عن عقله فقال إن الأحقق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر و إنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات و ينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم

ثم قال سبحانه «فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ» فى ذلك الوقت الذى لا ينفعهم فيه الإقرار و الاعتراف و الإقرار مشتق من قر الشىء أى يقر قرارا إذا ثبت و الاعتراف مأخوذ من المعرفة و الذنب مصدر لا- يثنى و لا- يجمع و متى جمع فلاختلاف جنسه «فَسِيحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ» هذا دعاء عليهم أى أسحقتهم الله و أبعدهم من النجاه سحقا و إذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة به فالجواب أنهم قد علموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا أم لم يعترفوا فليس يدعوهم إلى أحد الأمرين إلا مثل ما يدعوهم إلى الآخر فى أنه لا فرج فيه فاستوى الأمران عليهم الاعتراف و ترك الاعتراف و الجزع و ترك الجزع.

ص: ٦٤

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَاسْتَرْوُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَمْ مَنِ امْتَنَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦)

أَمْ مَنِ امْتَنَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَمْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)

القراءة

قرأ ابن كثير النشور و أمتنم و قرأ أبو جعفر و نافع و أبو عمرو و يعقوب بهمزة واحده ممدوده و هو تحقيق الهمزة الأولى و تخفيف الثانية بأن تجعل بين بين و قرأ الباقون «أَمْ مَنِ امْتَنَنْتُمْ» بهمزتين.

الحجة

أما الأول فهو تخفيف الهمزة الأولى بأن جعلت واوا و هذا في المنفصل نظير قولهم في المتصل التؤده و جون في جمع جؤنه فأما الهمزة التي هي فاء من قولهم «أَمْ مَنِ امْتَنَنْتُمْ» بعد تخفيف الأولى بقلبها واوا فإنه يجوز فيه التحقيق و التخفيف فإن حقق كان لفظه النشور و أمتنم و إن خفف كان القياس أن تجعل بين بين أعني بين الألف و الهمزة لتحركها بالفتحة و من قال

" لا هناك المرتع "

و قلبها ألفا كان القياس أن يقول هنا النشور و أمتنم بقلبها ألفا محضه و سيبويه يجيز هذا القلب في الشعر و غير حال السعه و كان قياس قول أبي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من أنه إذا اجتمع همزتان خفف الأولى منهما دون الثانية أن يقلب الأولى منهما هنا واوا كما فعله ابن كثير فأما الثانية فإن شاء حققها و إن شاء خففها و تخفيفها أن تجعل بين الهمزة و الألف و لعل أبا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضوع فأخذ فيه بالوجه الآخر و هو تخفيف الثانية منهما إذا التقتا دون الأولى.

اللغة

اللفظ من الله الرأفة و الرحمة و الرفق و اللطيف الرفيق بعباده يقال لطف به يلطف لطفًا إذا رفق به و الذلول من المراكب ما لا صعبه فيه و مناكب الأرض ظهورها و منكب كل شيء أعلاه و أصله الجانب و منه منكب الرجل و الريح النكباء و النشور الحياه بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشورًا إذا عاش و أنشره الله أحياه قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر

و أصله من النشر ضد الطى و الحاصب الحجارة التى ترمى بها كالحصاء و حصبه بالحصاه يحصبه حصبا إذا رماه بها و يقال للذى يرمى به حاصب أى ذو حصب.

الإعراب

«بِالْغَيْبِ» فى موضع نصب على الحال «أَلَا-يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» فيه وجوه (أحدها) أن يكون «مَنْ خَلَقَ» فى موضع رفع بأنه فاعل يعلم و التقدير أ لا يعلم من خلق الخلق ضمائر صدورهم (الثانى) أن يكون «مَنْ خَلَقَ» فى موضع نصب بأنه مفعول به و تقديره أ لا يعلم الله من خلقه (و الثالث) أن يكون استفهاما فى موضع نصب بأنه مفعول و فاعل خلق الضمير المستكن فيه العائد إلى الله تعالى و الأول أصح الوجوه و قوله «أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ» فى موضع نصب بأنه بدل من فى قوله «مَنْ فِي السَّمَاءِ» و هو بدل الاشتمال «فَمَاذَا هِيَ تَمُورُ» إذا ظرف المفاجاه و هو معمول. قوله «هِيَ تَمُورُ» جملة فى موضع نصب على الحال من «يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ» و ذو الحال الأرض و «أَنْ يُرْسِلَ» بدل أيضا مثل قوله «أَنْ يَخْشِفَ» و قوله «كَيْفَ نَذِيرٍ» مبتدأ و خبر و الخبر مقدم و الجملة متعلقة بقوله «فَسَتَعْلَمُونَ» و التقدير فستعلمون محذور إنذارى أم لا و قوله «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ» كيف هنا خبر كان و قوله «وَ يَقْبِضْنَ» معطوف على «صَافَاتٍ» و إنما عطف الفعل على الاسم و من الأصل المقرر أن الفعل لا يعطف إلا على الفعل كما أن الاسم لا يعطف إلا على الاسم لأنه و إن كان فعلا فهو فى موضع الحال فتقديره تقدير اسم فاعل و صافات حال فجاز أن يعطف عليه فكأنه قال صافات و قابضات و قد جاء مثل هذا فى الشعر قال:

بات يعشيها بعضب باتر يعدل فى أسوقها و جائر

«أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ» من هنا استفهام فى موضع رفع بالابتداء دخل عليه أم المنقطعه و هذا مبتدأ ثان و الذى خبره و قد وصل بالمبتدأ و الخبر و هو قوله «هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ» و «يَنْصُرُكُمْ» صفة الجند.

ص: ٦٦

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بالوعد فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ» أى يخافون عذاب ربهم باتقاء معاصيه و فعل طاعاته على وجه الاستسرار بذلك لأن الخشية متى كانت بالغيب على ما ذكرنا كانت بعيدة من الرياء خالصه لوجه الله و خشية الله بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب و خشيته فى الظاهر بترك المعاصى لا يستحق بها الثواب فإذا الخشية بالغيب أفضل لا محاله و قيل بالغيب معناه أنه يخشونه و لم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه و قيل يخافونه حيث لا يراهم مخلوق لأن أكثر ما ترتكب المعاصى إنما ترتكب فى حال الخلوه فهم يتركون المعصيه لثلا يجعلوا الله سبحانه أهون الناظرين إليهم و لأن من تركها فى هذه الحال تركها فى حال العلانيه أيضا «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» لذنوبهم «وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» أى عظيم فى الآخره لا فناء له ثم قال سبحانه مهددا للعصاه «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» يعنى أنه عالم بإخلاص المخلص و نفاق المنافق فإن شئتم فأظهروا القول و إن شئتم فأبطونه فإنه عليم بضمائر القلوب و من علم إضمار القلب علم أسرار القول قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله ص فيخبره به جبرئيل فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم لكيلا يسمع آل محمد فنزلت الآية «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» قيل فى معناه وجوه (أحدها) ألا يعلم ما فى الصدور من خلق الصدور (و ثانيها) ألا يعلم سر العبد من خلقه أى من خلق العبد فعلى الوجهين يكون «مَنْ خَلَقَ» بمعنى الخالق (و ثالثها) أن يكون من خلق بمعنى المخلوق و المعنى ألا يعلم الله مخلوقه «وَهُوَ اللَّطِيفُ» أى العالم بما لطف و دق و قيل اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بالطف التدبير و اللطيف التدبير من يدبر تدبيرا نافذا لا يجفو عن شىء يدبره به و قيل اللطيف من كان فعله فى اللطف بحيث لا يهتدى إليه غيره و هو فعيل بمعنى فاعل كالقدير و العليم و قيل هو بمعنى الملطف كالبديع بمعنى المبدع و قيل اللطيف الذى يكلف اليسير و يعطى الكثير «الْحَبِيرُ» العالم بالعباد و أعمالهم ثم عدد سبحانه أنواع نعمه ممتنا على عباده بذلك فقال «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا» أى سهله ساكنه مسخره تعملون فيها ما تشتهون و قيل ذلولا- لم يجعلها بحيث يمتنع المشى فيها بالحزونه و الغلظ و قيل ذلولا موطأه للتصرف فيها و المسير عليها و يمكنكم زراعتها «فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا» أى فى طرقها و فجاجها عن مجاهد و قيل فى جبالها لأن منكب كل شىء أعلاه عن ابن عباس و قتاده ثم إن كان هذا أمر ترغيب فالمراد فامشوا فى طاعه الله و إن كان للإباحه فقد أباح المشى فيها لطلب المنافع فى التجارات «وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ» أى كلوا مما أنبت الله فى الأرض و الجبال من الزروع و الأشجار حلالا «وَأَلَيْهِ النُّشُورُ» أى و إلى حكمه المرجع فى القيامه و قيل معناه و إليه الإحياء للمحاسبه فهو مالك النشور و القادر عليه عن الجبائى ثم

هدد سبحانه الكفار زاجرا لهم عن ارتكاب معصيته و الجحود لربوبيته فقال «أَأْمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» أى أمنتكم عذاب من فى السماء سلطانه و أمره و نهيه و تدبيره لا بد أن يكون هذا معناه لاستحاله أن يكون الله جل جلاله فى مكان أو فى جهة و قيل يعنى بقوله «مَنْ فِي السَّمَاءِ» الملك الموكل بعذاب العصاه «أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ» يعنى أن يشق الأرض فيغييكم فيها إذا عصيتموه «فَإِذَا هِيَ تَمُورُ» أى تضطرب و تتحرك و المعنى أن الله يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب فوقهم و هم يخسفون فيها حتى تلقيهم إلى أسفل و المور التردد فى الذهاب و المجرى ء مثل الموج «أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا» أى ريحا ذات حجر كما أرسل على قوم لوط حجاره من السماء و قيل سحابا يحصب عليكم الحجاره «فَسَتَعْلَمُونَ» حينئذ «كَيْفَ نَذِيرٍ» أى كيف إنذارى إذا عاينتم العذاب «وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» رسلى و جحدوا وحدانيتى «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أى عقوبتى و تغييرى ما بهم من النعم و قيل كيف رأيتم إنكارى عليهم بإهلاكهم و استئصالهم ثم نبه سبحانه على قدرته على الخسف و إرسال الحجاره فقال «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ» تصف أجنحتها فى الهواء فوق رؤوسهم «وَأَيُّبُضْنَ» أجنحتهن بعد البسط و هذا معنى الطيران و هو بسط الجناح و قبضه بعد البسط أى يضربن بأرجلهن و يبسطن أجنحتهن تاره و يقبضن أخرى فالجو للطائر كالماء للسباح و قيل معناه أن من الطير ما يضرب بجناحه فيصف و منه ما يمسكه فيدف و منه الصفيف و الدفيف «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُنُ» بتوطئه الهواء لهن و لو لا ذلك لسقطن و فى ذلك أعظم دلالة و أوضح برهان و حجه بأن من سخر الهواء هذا التسخير على كل شىء قدير و الصف وضع الأشياء المتواليه على خط مستقيم و القبض جمع الأشياء عن حال البسط و الإمساك اللزوم المانع من السقوط عن على بن عيسى «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ» أى بجميع الأشياء عليم «أَمْنُ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ» هذا استفهام إنكار أى لا جند لكم ينصركم منى و يمنعكم من عذابى إن أردت عذابكم عن ابن عباس و لفظ الجند موحد و لذلك قال «هَذَا الَّذِي» و كأنه سبحانه يقول للكفار بأى قوه تعصونى أ لكم جند يدفع عنكم عذابى بين بذلك أن الأصنام لا يقدرن على نصرتهم «إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» أى ما الكافرون إلا فى غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم و قيل معناه ما هم إلا فى أمر لا حقيقه له من عباده الأوثان يتوهمون أن ذلك ينفعهم و الأمر بخلافه «أَمْنُ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ» أى الذى يرزقكم إن أمسك الله الذى هو رازقكم أسباب رزقه عنكم و هو المطر ها هنا «بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» أى ليسوا يعتبرون فينظرون بل تمادوا و استمروا فى اللجاج و جاوزوا الحد فى

تماديهم و نفورهم عن الحق و تباعدهم عن الإيمان لما كان للمشركين صوارف كثيره عن عباده الأوثان و هم كانوا يتقحمون بذلك على العصيان فقد لجوا في عتوهم قال الفراء قوله «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ» الآية تعريف حجه ألزمها الله العباد فعرفوا فأقروا بها و لم يردوا لها جوابا فقال سبحانه «بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ».

[سوره الملك (٦٧): الآيات ٢٢ الى ٣٠]

اشاره

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦)

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنًا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَيَتَعَلَّمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)

القراءه

قرأ يعقوب تدعون ساكنه الدال خفيفه و هو قراءه الحسن و الضحاك و قتاده و الباقون «تَدْعُونَ» بالتشديد و قرأ الكسائي فسيعلمون بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

أما قوله تدعون فالمعنى هذا الذى كنتم به تدعون الله كقوله تعالى «سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» و أما «تَدْعُونَ» بالتشديد فمعناه تتداعون بوقوعه قال ابن جنى

يعنى كان الدعوه بوقوعه فاشيه بينكم كقوله تعالى فى معنى العموم «وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ» أى لا يفش هذا فيكم و ليس معنى تدعون هنا من ادعاء الحقوق و إنما بمعنى تتداعون من الدعاء لا من الدعوى كما فى قول الشاعر

" فما برحت خيل تثوب و تدعى "

يعنى تتداعى بينهما يا لفلان.

اللغة

يقال كيبته فأكب و هو نادر مثل قشعت الريح السحاب فأقشعت و نزت البئر فأنزفت أى ذهب ماؤها و نسلت ريش الطائر فأنسل و الزلفه القربه و هو مصدر يستوى فيه الواحد و الجمع و منه المزدلفه لقربه من مكه و قد تجمع الزلفه زلفا قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفا فزلفا

و ساءه الأمر يسوؤه سوءا أى غمه و حزنه و منه أساء يسيء إذا فعل ما يؤدى إلى الغم و ماء غور أى غائر وصف بالمصدر مبالغه كما يقال هؤلاء زور فلان و ضيفه و المعين قيل أنه مفعول مأخوذ من العين فعلى هذا يكون مثل مبيع من البيع و قيل أنه من الإمعان فى الجرى فعلى هذا يكون على وزن فعيل فكأنه قيل ممعن فى الإسراع و الظهور.

الإعراب

قليلًا صفة مصدر محذوف أى تشكرون شكرًا قليلًا و ما مزيده «فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» يحتمل أن يكون من استفهاما فيكون اسما موصولًا قال أبو على دخلت الفاء فى قوله «فَمَنْ يُجِيرُ» و قوله «فَمَنْ يَأْتِيكُمْ» لأن أ رأيتم بمعنى انتبهوا أى انتبهوا فمن يجير و انتبهوا فمن يأتيتكم كما تقول قم فزيد قائم قال و لا- يكون الفاء جواب الشرط و إنما يكون جواب الشرط مدلول «أَ رَأَيْتُمْ» قال و إن شئت كان الفاء زائده مثلها فى قوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ» و يكون الاستفهام سادا مسده مفعولى أ رأيتم كقولهم أ رأيت زيدا ما فعل و هذا من دقائقه.

المعنى

ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر و المؤمن فقال «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ» أى منكسا رأسه إلى الأرض فهو لا يبصر الطريق و لا من يستقبله ينظر أمامه و لا يمينه و لا شماله و هو الكافر المقلد لا يدري أ محق هو أم مبطل هذا «أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا» أى مستويا قائما يبصر الطريق و جميع جهاته كلها فيضع قدمه حيث لا يعثر و هو المؤمن الذى سلك طريق الحق و عرفه و استقام عليه و أمكنه دفع المضار عن نفسه و جلب المنافع إليها «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى على طريق واضح قيم و هذا معنى قول ابن عباس و مجاهد و قيل

أن هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبا على وجهه يوم القيامة كما قال وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَنِ قِتَادِهِ «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ» بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود «وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ» تسمعون به المسموعات «وَالْأَبْصَارَ» تبصرون بها المبصرات «وَالْأَفْئِدَةَ» يعنى القلوب تعقلون بها و تسدبرون فأعطاكم آلات التفكير و التمييز و الوصول إلى العلم «قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» أى تشكرون قليلا و قيل معناه قليلا شكركم فتكون ما مصدرية «قُلْ» لهم يا محمد «هُوَ» الله تعالى «الَّذِي ذَرَأَكُمْ» أى خلقكم «فِي الْمَأْرُضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» منها أى تبعثون إليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان يقوله الكفار مستبطين عذاب الله مستهزئين بذلك فقال «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ» من الخسف و الحاصب أو البعث و الجزاء «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن ذلك يكون «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ» يعنى علم الساعة «وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ» مخوف لكم به «مُبِينٌ» أى مبين لكم ما أنزل الله إلى من الوعد و الوعيد و الأحكام ثم ذكر سبحانه حالهم عند نزول العذاب و معانيته فقال «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً» أى فلما رأوا العذاب قريبا يعنى يوم بدر عن مجاهد و قيل معانيه عن الحسن و قيل أن اللفظ ماض و المراد به المستقبل و المعنى إذا بعثوا و رأوا القيامة قد قامت و رأوا ما أعد لهم من العذاب و هذا قول أكثر المفسرين «سَيِّئٌ وَجْوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى اسودت وجوههم و علتها الكآبه يعنى قبحت وجوههم بالسواد و قيل معناه ظهرت على وجوههم آثار الغم و الحسرة و نالهم السوء و الخزى «وَ قِيلَ» لهؤلاء الكفار إذا شاهدوا العذاب «هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ» قال الفراء تدعون و تدعون واحد مثل تدخرون و تدخرون و المعنى كنتم به تستعجلون و تدعون الله بتعجيله و هو قولهم إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ الْآيَةَ عن ابن زيد و قيل هو تدعون من الدعوى أى تدعون أن لا-جنه و لا- نار عن الحسن و روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش قال لما رأوا لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا و

عن أبى جعفر (عليه السلام) فلما رأوا مكان على (عليه السلام) من النبى ص سيئت وجوه الذين كفروا يعنى الذين كذبوا بفضله «قُلْ» لهؤلاء الكفار «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَ مَنْ مَعِىَ» بأن يميتنا «أَوْ رَحِمَنَا» بتأخير آجالنا «فَمَنْ يُجِيرِ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» استحقوقه بكفرهم و ما الذى ينفعهم فى دفع العذاب عنهم و قيل أن الكفار كانوا يتمنون موت النبى ص و موت أصحابه فقليل له قل لهم إن أهلكنى الله و من معى ذلك بأن يميتنى و يميت أصحابى فمن الذى ينفعكم و يؤمنكم من العذاب فإنه واقع بكم لا محاله و قيل معناه أ رأيتم أن عذبنى الله و من معى أو رحمتنا أى غفر لنا فمن يجيركم أى نحن مع إيماننا

بين الخوف و الرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب و لا رجاء لكم كما للمؤمنين عن ابن عباس و ابن كيسان ثم قال «قُلْ» لهؤلاء الكفار على وجه التوبيخ لهم «هُوَ الرَّحْمَنُ» أى إن الذى أدعوكم إليه هو الرحمن الذى عمت نعمته جميع الخلائق «آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيهِ تَوَكَّلْنَا» أى عليه اعتمدنا و جميع أمورنا إليه فوضنا «فَسَيَتَعَلَّمُونَ» معاشر الكفار يوم القيامة «مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» اليوم أ نحن أم أنتم و من قرأ بالياء فمعناه فسيعلم الكفار ذلك «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا» أى غائرا ناضبا فى الآبار و العيون «فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» أى ظاهر للعيون عن أبى مسلم و الجبائى و قيل بماء جار عن ابن عباس و قتاده أراد سبحانه أنه المنعم بالأرزاق فاشكروه و اعبدوه و لا تشركوا به شيئا و ذكر مقاتل أنه أراد بقوله «ماؤكم» بئر زمزم و بئر ميمون و هى بئر عاديه قديمه و كان ماؤهم من هاتين البئرين و المعين الذى تناله الدلاء و تراه العيون.

(٦٨) سورة القلم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)

اشاره

[توضيح]

و تسمى أيضا سورة ن و هي مكيه عن الحسن و عكرمه و عطاء و قال ابن عباس و قتاده من أولها إلى قوله «سَنَسِيْمُهُ عَلَيَّ الْخُرْطُومِ» مكي و ما بعده إلى قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» مدني و ما بعده إلى قوله «يَكْتُبُونَ» مكي و ما بعده مدني و هي اثنتان و خمسون آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب قال قال النبي ص و من قرأ سورة ن و القلم أعطاه ثواب الذين حسن أخلاقهم

على بن ميمون عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة ن و القلم في فريضه أو نافله آمنه الله أن يصيبه في حياته فقر أبدا و أعاده إذا مات من ضمه القبر إن شاء الله.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار و وعيدهم و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ٧٣

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)
 فَسْتَبْصِرْ وَيُبَصِّرُونَ (٥) بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ
 (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)
 وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ
 بَيْنَ (١٤)

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)

القراءة

مضى ذكر اختلاف القراءة فى إظهار النون وإخفائها من نون فى سورة ياسين فلا- وجه لإعادته وقرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب و سهل آن كان بهمزه واحده ممدوده على الاستفهام وقرأ أبو بكر عن عاصم و حمزه أ إن كان بهمزتين وقرأ الباقون «أَنْ كَانَ» بفتح الهمزة من غير استفهام.

الحج

قال أبو على «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ» لا- يخلو من أن يكون العامل فيه تتلى من قوله «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا» أو قال من قوله «قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أو شىء ثالث فلا يجوز أن يعمل واحد منهما فيه ألا ترى أن تتلى قد أضيفت إذا إليه والمضاف إليه لا يعمل فيما قبله لا- تقول القتال زيدا حين يأتى ولا يجوز أن يعمل فيه قال أيضا لأن قال جواب إذا وحكم الجواب أن يكون بعد ما هو جواب له ولا يتقدم عليه فكما لا يعمل فيه الفعل الأول فكذلك لا يعمل فيه الثانى فإذا لم يعمل فيه واحد من هذين الفعلين وليس فى الكلام غيرهما علمت أنه محمول على شىء آخر مما دل باقى الكلام عليه والذى يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد أو يكفر أو يستكبر عن قبول الحق ونحو ذلك وإنما جاز أن يعمل فيه المعنى وإن كان متقدما عليه لشبهه بالظرف والظرف قد تعمل فيه المعانى وإن تقدم عليه ويدلك على مشابهته الظرف تقدير اللام معه وإن من النحويين من يقول أنه فى موضع جر كما أنه لو كانت اللام معه ظاهره كان كذلك ومن قرأ بهمزه ممدوده فإنه يزيد همزه بعدها همزه مخففة.

اللغة

السطر الكتابه وهو وضع الحروف على خط مستقيم واستطر اكتب والمسطر آله التسطير والممنون المقطوع يقال منه السير يمينه منا إذا قطعه والمين الضعيف والخلق المرور فى الفعل على عادته فالخلق الكريم الصبر على الحق وتدبير الأمور على

مقتضى العقل و فى ذلك الأناه و الرفق و الحلم و المداراه و المفتون المبتلى بتخييل الرأى كالمجنون يقال فتن فلان بفلانه و أصل الفتنه الابتلاء و الاختبار و المهين الضعيف الذليل و المهانه الذله

ص: ٧٤

و القله و الهماز الوقاع فى الناس بما لى له أن يعىبهم به و الأصل فىه الدفع بشده اعتماده و منه الهمزه حرف من الحروف المعجمه فهى نبره تخرج من الصدر بشده اعتماده و النميم التضرب بين الناس بنقل الكلام الذى يغىظ بعضهم على بعض و النميم و النميمه بمعنى و منه النمام المشموم لأنه بحده ريحه كالمخبر عن نفسه و العتل الجافى الغليظ و أصله الدفع عتله يعتله إذا زعزعه بغلظه و جفاء و الزنيم الدعى الملقق بالقوم و لى منهم و أصله الزنمه و هى الهنيه المتدليه تحت حلق الجدى و يقال للئى له زنمتان قال الشاعر:

زنيم لى يعرف من أبوه بغى الأم ذو حسب لئيم

و قال حسان:

و أنت زنيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

و يقال وسمه يسمه وسمما و سمه و الخرطوم ما نتا من الأنف و هو الذى يقع به الشم و منه قيل خرطوم الفيل و خرطمه إذا قطع أنفه.

الإعراب

«بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ» فىه وجوه (أحدها) أن المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال لى له معقول و ما له محصول قال الراعى:

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما و لا لفؤاده معقولا

(و ثانيها) أن يكون المفتون اسم المفعول و الباء مزيده و التقدير أيكم المفتون و يكون مبتدأ و خبرا و تكون الجملة معلقه بقوله «يُبْصِرُونَ» (و ثالثها) أن الباء بمعنى فى و المعنى فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين فى فرقه الإسلام أو فى فرقه الكفر المجنون و هذا قول الفراء و قال الراجز فى زياده الباء:

نحن بنى جعده أصحاب الفلج نضرب بالسيف و نرجو بالفرج

أى و نرجو الفرغ.

ص: ٧٥

«ن» اختلفوا فى معناه فقيل هو اسم من أسماء السوره مثل حم و ص و ما أشبه ذلك و قد ذكرنا ذلك مع غيره من الأقوال فى مفتتح سوره البقره و قيل هو الحوت الذى عليه الأرضون عن ابن عباس و مجاهد و مقاتل و السدى و قيل هو حرف من حروف الرحمن فى روايه أخرى عن ابن عباس و قيل هو الدواه عن الحسن و قتاده و الضحاك و

قيل نون لوح من نور و روى مرفوعا إلى النبى ص

و

قيل هو نهر فى الجنة قال الله له كن مدادا فجمد و كان أبيض من اللبن و أحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب فكتب القلم ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و قيل المراد به الحوت فى البحر و هو من آيات الله إذ خلقها فى الماء فإذا فارق الماء مات كما أن حيوان البر إذا خالط الماء مات «وَ الْقَلَمِ» الذى يكتب به أقسم الله به لمنافع الخلق فيه إذ هو أحد لسانى الإنسان يؤدى عنه ما فى جنانه و يبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه و به تحفظ أحكام الدين و به تستقيم أمور العالمين و قد قيل إن البيان بيانان بيان اللسان و بيان البنان و بيان اللسان تدرسه الأعوام و بيان الأقلام باق على مر الأيام و قيل إن قوام أمور الدين و الدنيا بشيئين القلم و السيف و السيف تحت القلم و قد نظمه بعض الشعراء و أحسن فيما قال:

إن يخدم القلم السيف الذى خضعت له الرقاب و دانت حذره الأمم

فالموت و الموت شىء لا يغالبه ما زال يتبع ما يجرى به القلم

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت إن السيوف لها مذ أرهفت خدم

«وَ مَا يَسْطُرُونَ» أى و ما يكتبه الملائكه مما يوحى إليهم و ما يكتبونه من أعمال بنى آدم فكان القسم بالقلم و ما يسطر بالقلم و قيل إن ما مصدرية و تقديره و القلم و سطرهم فيكون القسم بالكتابه و على القول الأول يكون القسم بالمكتوب «ما أنت بنعمه ربك بمنجئون» هو جواب القسم و معناه لست يا محمد بمنجون بنعمه ربك كما تقول ما أنت بنعمه ربك بجاهل و جاز تقديم معمولها به الباء لأنها زائده مؤكده و تقديره انتفى عنك الجنون بنعمه ربك و قيل هو كما يقال ما أنت بمنجون بحمد الله و قيل معناه بما أنعم عليك ربك من كمال العقل و النبوه و الحكمة لست بمنجون أى لا يكون مجنونا من أنعمنا عليه بهذه النعم و قيل معناه ما أنت بمنجون و النعمه لربك كما يقال سبحانك اللهم و بحمدك أى و الحمد لك و هذا تقرير لنفى الجنون عنه و قالوا إن هذا جواب لقول المشركين يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك

لَمَجْنُونٌ «وَإِنَّ لَكَ» يا محمد «لَأَجْرًا» أى ثوابا من الله على قيامك بالنبوه و تحملك أعباء الرساله «غَيْرَ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع و هو ثواب الجنة يعنى لا تبال بكلامهم مع ما لك عند الله من الثواب الدائم و الأجر العظيم و قيل غير ممنون أى لا يمن به عليك عن أبى مسلم و المعنى غير مكدر باليمن الذى يقطع عن لزوم الشكر فقد قيل المنه تكدر الصنيعه و قال ابن عباس ليس من نبى إلا و له مثل أجر من آمن به و دخل فى دينه ثم وصف سبحانه نبيه ص فقال «وَإِنَّكَ» يا محمد «لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» أى على دين عظيم و هو دين الإسلام عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قيل معناه إنك متخلق بأخلاق الإسلام و على طبع كريم و حقيقه الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب و إنما سمى خلقا لأنه يصير كالخلق فيه فأما ما طبع عليه من الآداب فإنه الخيم فالخلق هو الطبع المكتسب و الخيم هو الطبع الغريزى و قيل الخلق العظيم الصبر على الحق و سعه البذل و تدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح و الرفق و المداراه و تحمل المكاره فى الدعاء إلى الله سبحانه و التجاوز و العفو و بذل الجهد فى نصره المؤمنين و ترك الحسد و الحرص و نحو ذلك عن الجبائى و قالت عائشه كان خلق النبى ص ما تضمنه العشر الأول من سوره المؤمنين و من مدحه الله سبحانه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح و قيل سمى خلقه عظيما لأنه عاشر الخلق بخلقهم و زابلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق و باطنه مع الحق و قيل لأنه امتثل تأديب الله سبحانه إياه بقوله خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ و قيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه و يعضده ما

روى عنه قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

و

قال أدبنى ربي فأحسن تأديبى

و

قال ص إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل و صائم النهار

و

عن أبى الدرداء قال قال النبى ص ما من شىء أثقل فى الميزان من خلق حسن

و

عن الرضا على بن موسى (عليه السلام) عن آبائه عن النبى ص قال عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق فى الجنة لا محاله و إياكم و سوء الخلق فإن سوء الخلق فى النار لا محاله

و

عن أبى هريره عن النبى ص قال أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون و يؤلفون و أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبراء العثرات

«فَسْتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ» أى فسترى يا محمد و يرون يعنى الذين رموه بالجنون «بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ» أى أيكم المجنون الذى فتن بالجنون أنت أم هم و قيل بأيكم الفتنة و هو الجنون يريد أنهم يعلمون عند العذاب أن الجنون كان بهم حين كذبوك و تركوا دينك لا بك و قيل معناه فستعلم و يعلمون فى أى الفريقين المجنون الذى فتنه

ص: ٧٧

الشیطان ثم أخبر سبحانه أنه عالم بالفريقين فقال «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» الذى هو سبيل الحق و عدل عنه و جار عن السلوك فيه «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» إليه العالمين بموجهه فيجازى كلا بما يستحقه و يستوجه أخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسينى القائنى رحمه الله قال حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الشيرازى قال حدثنا أبو بكر الجرجاني قال حدثنا أبو أحمد البصرى قال حدثني عمرو بن محمد بن تركي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن شمر عن دلهم بن صالح عن الضحاک بن مزاحم قال: لما رأته قريش تقديم النبي ص عليا (عليه السلام) و إعظامه له نالوا من علي و قالوا قد افتتن به محمد فأنزل الله تعالى «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» قسم أقسم الله به «مَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ بِمُهْتَدٍ» «وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» يعنى القرآن إلى قوله «بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» و هم النفر الذين قالوا ما قالوا و هو أعلم بالمهتدين على ابن أبى طالب ع ثم قال سبحانه للنبي ص «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ» بتوحيد الله عز و جل الجاحدين لنبوتك و لا تجبهم إلى ما يلتمسون منك و لا توافقهم فيما يريدون «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» أى و د هؤلاء الكفار أن تلين لهم فى دينك فيلينون فى دينهم شبه التليين فى الدين بتليين الدهن عن ابن عباس و قيل معناه و دوا لو تكفر فيكفرون عن الضحاک و عطاء و ابن عباس فى روايه أخرى و قيل معناه و دوا لو تركن إلى عباده الأصنام فيما لثونك و الإدهان الجريان فى ظاهر الحال على المقاربه مع إضمار العداوه و هو مثل النفاق و قيل و دوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك عن الحسن ثم قال «وَلَا تُطِعْ» يا محمد «كُلَّ حَلَّافٍ» أى كثير الحلف بالباطل لقله مبالاته بالكذب «مَهِينٍ» فعيل من المهانه و هى القله فى الرأى و التمييز و قيل ذليل عند الله تعالى و عند الناس و قيل كذاب لأن من عرف بالكذب كان ذليلا حقيرا عن ابن عباس و قيل يعنى الوليد بن المغيرة قال عرض على النبي ص المال ليرجع عن دينه و قيل يعنى الأخنس ابن شريق عن عطاء و قيل يعنى الأسود بن عبد يغوث عن مجاهد «هَمَّازٍ» أى وقاع فى الناس مغتاب عن ابن عباس «مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ» أى قتات يسعى بالنميمة و يفسد بين الناس و يضرب بعضهم على بعض «مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ» أى بخيل بالمال و قيل مناع عشيرته عن الإسلام بأن يقول من دخل دين محمد لا أنفعه بشىء أبدا عن ابن عباس «مُعْتَدٍ» أى مجاوز عن الحق غشوم ظلوم عن قتاده «أَثِيمٍ» أى آثم فاجر فاعل ما يآثم به و قيل معتد فى فعله أثيم فى معتقده و قيل معتد فى ظلم غيره أثيم فى ظلم نفسه

«عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ» أى هو عتل مع كونه مناعا للخير معتديا أثيما و هو الفاحش السيئ الخلق روى ذلك فى خبر مرفوع

و قيل هو القوى فى كفره عن عكرمه و قيل الجافى الشديد الخصومه بالباطل

عن الكلبي و قيل الأكل المنوع عن الخليل و قيل هو الذى يعتل الناس فيجرهم إلى حبس أو عذاب و منه قول الشاعر:

فيا ضيعه الفتیان إذ يعتلونه ببطن الشرى مثلب الفئيق المسدم

«زَنِيمٍ» أى دعى ملصق إلى قوم ليس منهم فى النسب قال الشاعر:

زَنِيمٍ تداعاه الرجال تداعيا كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

و قيل هو الذى له علامه فى الشر و هو معروف بذلك فإذا ذكر بالشر سبق القلب إليه كما أن العنز يعرف بين الأغنام بالزئمه فى عنقه عن الشعبي و قيل هو الهجين المعروف بالشر عن سعيد بن جبیر و

قيل هو الذى لا أصل له عن على (عليه السلام)

و قيل هو المعروف بلؤمه كما تعرف الشاه بزئمتها عن عكرمه و

روى أنه سأل النبى ص عن العتل الزئيم فقال هو الشديد الخلق الشحيح الأكل الشراب الواجد للطعام و الشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف

و

عن شداد ابن أوس قال قال رسول الله ص لا يدخل الجنة جواظ و لا جعظرى و لا عتل زئيم قلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجعظرى قال اللفظ الغليظ قلت فما العتل الزئيم قال كل رحيب الجوف سىء الخلق أكل شراب غشوم ظلوم زئيم

قال ابن قتيبه لا- نعلم أن الله وصف أحدا و بلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لأنه وصف بالحلف و المهانه و العيب للناس و المشى بالنمائم و البخل و الظلم و الإثم و الجفاء و الدعوه فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا و الآخرة «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَيْنَ» أى لا تطعه لأن كان ذا مال و بنين يعنى لماله و بنيه عن الزجاج و الفراء و من قرأ بالاستفهام فلا بد أن يكون صله ما بعده لأن الاستفهام لا يتقدم عليه ما كان فى حيزه فيكون المعنى أ لأن كان ذا مال و بنين يجحد آياتنا أى جعل مجازاه النعم التى خولها من البنين و المال الكفر بآياتنا و هو قوله «إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أحاديث الأوائل التى سطرت و كتبت لا أصل لها ثم أوعده سبحانه فقال «سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ» أى سنسمه يوم القيامة بسمه تشوه خلقته فيعرف من

رآه أنه من أهل النار و إنما خص الأنف لأن الإنسان يعرف بوجهه و الأنف وسط الوجه و هذا على عادة العرب فإنهم يقولون شمش فلان بأنفه و أرغم الله أنفه و حمى فلان أنفه و قيل معناه سيجعل له فى الآخرة العلم الذى يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم و جائز أن يفرد بسمه لمبالغته فى عداوه النبى ص فىخص من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوه يتبين بها من غيره عن الزجاج و قال الفراء الخرطوم قد خص بالسمة لأنه فى مذهب الوجه فإن بعض الوجه يؤدى عن الكل و قيل إن المعنى سنخطمه بالسيف فى القتال حتى يبقى أثره ففعل ذلك يوم بدر عن ابن عباس و قيل سنعلمه بشين يبقى على الأبد عن قتاده و قال القتيبي العرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون ألصق به عارا لا يفارقه لأن السمة لا تنمحق و لا يعفو أثرها و قد ألحق الله بمن ذكر عارا لا يفارقه بما وسمه به من العيوب التى هى كالوسم فى الوجه و قيل إن الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شرب الخمر قال الشاعر:

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه و من يشرب الخرطوم يصبح مسكرا.

إشارة

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَشْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١)

أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (٢٦)

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْبِحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١)

عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)

القراءة

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو أن يبدلنا بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قد مر ذكره في سورة الكهف.

اللغة

الصرم و الجداد في النخل بمنزله الحصاد و القطاف في الزرع و الكرم يقال صرمت النخلة و جددتها و أصرم النخل و أجدت حان ذلك منها و الصريم الليل الأسود و أنشد أبو عمرو:

ألا بكرت و عاذلتى تلوم تجهلنى و ما انكشف الصريم

و قال الآخر:

تطاول ليلك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم

إذا ما قلت أقشع أو تناهى جرت من كل ناحيه غيوم

و يسمى النهار أيضا صريما فهو من الأضداد لأن الليل ينصرم عند مجىء النهار و النهار ينصرم عند مجىء الليل و الصريم أيضا المصروم أى صرم جميع ثمارها و قيل الصريم منقطع الرمل الذى لا نبات فيه قال امرؤ القيس:

و ظل لصيران الصريم غماغم تدعسها بالسمهرى المغلب

و الطائف الطارق بالليل و إذا قيل طاف به صلح في الليل و النهار و أنشد الفراء:

أطفت بها نهارا غير ليل و ألهى ربها طلب الرخال

و الرخال الإناث من أولاد الضأن واحدها رخل و الحرد المنع من قولهم حاردت السنه إذا منعت قطرها و حاردت الناقه إذا منعت لبنها قال الكميت:

و حاردت المكد الجلاذ و لم يكن بعقبه قدر المستعيرين معقب

و يروى النكد و هى النوق الغزيرات الألبان و قيل إن أصل الحرد القصد قال:

أقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنه المغله

أى يقصد و حرد يحرد حردا و قيل الحرد الغضب و الحنق قال الأشهب بن رميله:

أسود شرى لاقت أسود خفيه تساقوا على حرد دماء الأسود

. المعنى

ثم قال سبحانه «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ» يعنى أهل مكه أى اختبرناهم بالجوع و القحط «كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» أى البستان الذى فيه الشجر قال سعيد بن جبير و هذه الجنه حديقه كانت باليمن فى قريه يقال لها صروان بينها و بين صنعاء اثنا عشر ميلا كانت لشيخ و كان يمسك منها قدر كفايته و كفايه أهله و يتصدق بالباقى فلما مات قال بنوه نحن أحق بها لكثره عيالنا و لا يسعنا أن نفعل كما فعل أبونا و عزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم إلى ما قص الله تعالى فى كتابه و هو قوله «إِذْ أَقْسَمُوا» أى حلفوا فيما بينهم «لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ» أى ليقطعن ثمرتها إذا دخلوا فى وقت الصباح «وَلَا يَسْتَتِنُونَ» أى غير مستثنين فى إيمانهم فلم يقولوا إن شاء الله فإن قول القائل لأفعلن كذا إلا- أن يشاء الله استثناء و معناه إلا أن يشاء الله منعى أو تمكين مانعى «فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ» أى أحاطت بها النار فاحترقت عن ابن عباس و قيل معناه طرقها طارق من أمر الله عن قتاده «وَهُمْ نَائِمُونَ» أى فى حال نومهم قال مقاتل بعث الله نارا بالليل على جنتهم فأحرقتها حتى صارت مسوده فذلك قوله «فَأَصْرِمَتْ كَالصَّرِيمِ» أى كالليل المظلم و الصريمان الليل و النهار

ص: ٨٢

لانصرام إحداهما من الآخر عن ابن عباس و أبي عمرو بن العلاء و قيل الصريم المصروم ثماره أى المقطوع و المعنى أنها صارت كأن جميع ثمارها قطعت عن الجبائى و قيل الصريم الذى صرم عنه الخير فليس فيه شىء منه عن الحسن و قيل كالصريم أى كالرمله انصرفت عن معظم الرمل عن مؤرج و قيل كالرماد الأسود بلغه خزيمه «فَتَنَادَوْا مُضِيحِينَ» أى نادى بعضهم بعضا وقت الصباح و أصل التنادى من الندى بالقصر لأن النداء الدعاء بندى الصوت الذى يمتد على طريقه يا فلان لأن الصوت إنما يمتد للإنسان بندى حلقه «أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَزْثِكُمْ» أى تنادوا بأن غدوا معنا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرتكم و الحرث الزروع و الأعناب «إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ» أى قاطعين النخل «فَانْطَلَقُوا» أى فمضوا إليها «وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ» أى يتسارون بينهم و أصله من خفت فلان يخفت إذا أخفى نفسه «أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ» هذا ما كانوا يتخافتون به «وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ» أى على قصد منع الفقراء «قَادِرِينَ» عند أنفسهم و فى اعتقادهم على منعهم و إحراز ما فى جنتهم و قيل على حرد أى على جد و جهد من أمرهم عن مجاهد و قتاده و أبى العالیه و قيل على جد فى المنع عن أبى عبيده و قيل على حنق و غضب من الفقراء عن سفيان و قيل قادرين مقدرين موافاتهم فى الجنة فى الوقت الذى قدروا إصرامها فيه و هو وقت الصبح و التقدير قصدوا الجنة للوقت الذى قدروا إصرامها فيه عن أبى مسلم «فَلَمَّا رَأَوْهَا» أى رأوا الجنة على تلك الصفة «قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ» ضللنا عن الطريق فليس هذا بستاننا عن قتاده و قيل معناه إنا لصالون عن الحق فى أمرنا فلذلك عوقبنا بذهاب ثمر جنتنا ثم استدرکوا فقالوا «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» و المعنى أن هذه جنتنا و لكن حرمانا نفعها و خيرها لمنعنا حقوق المساكين و تركنا الاستثناء «قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ» أى أعدلهم قولاً- عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل معناه أفضلهم و أعقلهم و قيل أوسطهم فى السن «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ» كأنه كان حذرهم سوء فعالهم قال لو لا تستنون عن مجاهد لأن فى الاستثناء التوكل على الله و التعظيم لله و الإقرار بأنه لا يقدر أحد على فعل شىء إلا بمشيئة الله فلذلك سماه تسيحاً و قيل معناه هلا تعظمون الله بعبادته و اتباع أمره و قيل معناه هلا تذكرون نعم الله عليكم فتؤدوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من أموالكم و قيل معناه هلا نزهتم الله تعالى عن الظلم و اعترفتم بأنه لا يظلم و لا يرضى منكم بالظلم و قيل معناه لم لا تصلون ثم حكى عنهم أنهم «قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» فى عزمنا على حرمان المساكين من حصتهم عند الصرام فحرمانا قطعها و بالانتفاع بها و المعنى أنه سبحانه منزّه عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعله ظلماً و إنما الظلم وقع منا حيث منعنا الحق «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ» أى يلوم بعضهم بعضاً على ما فرط منهم «قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا

كُنَّا طَاغِينَ» قد غلونا في الظلم و تجاوزنا الحد فيه و الويل غلظ المكروه الشاق على النفس و الويس دونه و الويح بينهما قال عمرو بن عبيد يجوز أن يكون ذلك منهم توبه و يجوز أن يكون على حد ما يقول الكافر إذا وقع في الشده «عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا» أى لما تابوا و رجعوا إلى الله قالوا لعل الله يخلف علينا و يولينا خيرا من الجنه التى هلكت «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ» أى نرغب إلى الله و نسأله ذلك و نتوب إليه مما فعلناه و قرئ يبدلنا بالتشديد و التخفيف و معناهما واحد «كَذَلِكَ الْعَذَابُ» فى الدنيا للعاصيين «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» و الأكبر هو الذى يصغر مقدار غيره بالإضافه إليه و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال بلغنى أن القوم أخلصوا و عرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنه يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا و قال أبو خالد اليمامى رأيت تلك الجنه و رأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم.

[سوره القلم (٦٨): الآيات ٣٤ الى ٤٥]

اشاره

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨)

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَهْدِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَيَلِّهَهُمُ الْبُذُلَ زَعِيمٍ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)

فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)

الزريم والكفيل والضمين والقبيل نظائر والساق للإنسان و ساق الشجرة ما تقوم عليه و كل نبت له ساق و يبقى صيفا و شتاء فهو شجره قال طرفه:

للفتى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه

و تقول العرب قامت الحرب على ساق و كشفت عن ساق يريدون شدتها و قال جد أبي طرفه:

كشفت لكم عن ساقها و بدا من الشر الصراح

و قال آخر:

قد شمرت عن ساقها فشدوا و جدت الحرب بكم فجدوا

و القوس فيها وتر عرد

. الإعراب

كيف فى محل نصب على الحال تقديره أ جائرین تحكمون أم عادلین و يجوز أن يكون فى محل المصدر و تقديره أى حكم تحكمون و تحكمون فى موضع النصب على الحال من معنى الفعل فى قوله «لَكُمْ» لأن معنى قوله «ما لكم» أى شىء ثبت لكم و أم فى جميع ذلك منقطعه «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ» كسرت أن المكان اللام فى لما و لولاها لوجب فتحها لأنه مفعول تدرسون و هو كقوله وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ و قوله «إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ» مثله و إن شئت قلت إنما كسرت إن لأن ما قبله يمين و هى تكسر فى جواب القسم و قوله «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» العامل فى الظرف قوله «فَلْيَأْتُوا» و «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» حال و «مَنْ يُكْذِبُ» يجوز أن يكون مفعولا معه و يجوز أن يكون عطفًا على ضمير المتكلم من ذرنى.

المعنى

لما ذكر سبحانه ما أعدّه بالآخره للكافرين عقبه بذكر ما أعدّه للمتقين فقال «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» يتنعمون فيها و يختارونها على جنات الدنيا التى يحتاج صاحبها إلى المشقه و العناء ثم استفهم سبحانه على وجه الإنكار فقال «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ» أى لا نجعل المسلمين كالمشركين فى الجزاء و الثواب و ذلك أنهم كانوا يقولون إن كان بعث و جزاء كما يقوله محمد فإن حالنا يكون أفضل فى الآخره كما فى

الدنيا فأخبر سبحانه أن ذلك لا يكون أبدا «ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» هذا تهجين لهم و توبيخ و معناه أى عقل يحملكم على تفضيل الكفار حتى صار سببا لإصراركم على الكفر و لا يحسن فى الحكمة التسويه بين الأولياء و الأعداء فى دار الجزاء «أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ» معناه بل ألكم كتاب تدرسون فيه ذلك فأنتم متمسكون به لا تلتفتون إلى خلافه فإذا قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه و فى الكتاب الذى هو القرآن عليكم أكبر الحجة لأنه الدلالة القائمه إلى وقت قيام الساعة و المعجزه الشاهده بصدق من ظهرت على يده «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ» فيه وجهان (أحدهما) أن تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم فيه ما تخيرون إلا- أنه حذف الباء و كسرت إن لدخول اللام فى الخبر (و الثانى) إن معناه أن لكم لما تخيرونه عند أنفسكم و الأمر بخلاف ذلك و لا يجوز أن يكون ذلك على سبيل الخير المطلق «أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى بل لكم عهود و موثيق علينا عاهدناكم بها فلا ينقطع ذلك إلى يوم القيامة «إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ» لأنفسكم به من الخير و الكرامه عند الله تعالى و قيل بالغه معناها مؤكده و كل شىء متناه فى الجوده و الصحه فهو بالغ ثم قال سبحانه لنيبه ص «سَلُّهُمْ» يا محمد «أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ» يعنى أيهم كفيل بأن لهم فى الآخره ما للمسلمين «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» معناه أم لهم شركاء فى العباده مع الله و هى الأصنام فليأتوا بهؤلاء الشركاء أن كانوا صادقين فى أنها شركاء الله و قيل معناه أم لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فتقوم به الحجة فليأتوا بهم يوم القيامة يشهدون لهم على صحه دعواهم إن كانوا صادقين فى دعواهم «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» أى فليأتوا بهم فى ذلك اليوم الذى تظهر فيه الأهوال و الشدائد و قيل معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد الفظيع عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و سعيد بن جبیر قال عكرمه سأل ابن عباس عن قوله «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» فقال إذا خفى عليكم شىء فى القرآن فابتغوه فى الشعر فإنه ديوان العرب أ ما سمعتم قول الشاعر

(و قامت الحرب بنا على ساق)

هو يوم كرب و شده و قال القتيبى أصل هذا أن الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق فى موضع الشده و أنشد لدريد بن الصمه:

كميش الإزار خارج نصف ساقه بعيد من الآفات طلاع أنجد

فتأويل الآيه يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق «و يُدْعَوْنَ

إِلَى السُّجُودِ» أَى يُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ اسْجُدُوا «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ» وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ شِدَّةَ الْأَمْرِ وَصَعُوبَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَدْعُوهُمْ إِلَى السُّجُودِ وَإِنْ كَانُوا لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ لَيْسَ إِنَّهُمْ يُؤْمَرُونَ بِهِ وَهَكَذَا كَمَا يَفْزَعُ الْإِنْسَانُ إِلَى السُّجُودِ إِذَا أَصَابَهُ هَوْلٌ مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا «خَاشَتِ عَهَّ أَبْصَارُهُمْ» أَى ذَلِيلُهُ أَبْصَارُهُمْ لَا يَرْفَعُونَ نَظْرَهُمْ عَنِ الْأَرْضِ ذَلِيلُهُ وَمِهَانُهُ «تَزْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» أَى تَغْشَاهُمْ ذَلِيلُهُ النَّدَامَةُ وَالْحَسْرَةُ «وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» أَى أَصْحَاءُ يُمْكِنُهُمُ السُّجُودُ فَلَا يَسْجُدُونَ يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمَرُونَ بِالصَّلَاةِ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَفْعَلُوا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ كَانُوا يَسْمَعُونَ حَى عَلَى الْفَلَاحِ فَلَا يَجِيبُونَ وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَاللَّهُ مَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَّا فِي الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجَمَاعَاتِ وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ أَنَّهُ عَرَضَ لَهُ الْفَالَجُ فَكَانَ يَهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا يَزِيدَ لَوْ جَلَسْتَ فَإِنَّ لَكَ رِخْصَةً قَالَ مَنْ سَمِعَ حَى عَلَى الْفَلَاحِ فَلْيَجِبْ وَ لَوْ حَبَا وَ

رَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُمَا قَالَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَفْحَمَ الْقَوْمِ وَدَخَلَتْهُمُ الْهَيْبَةُ وَشَخِصَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ لَمَّا رَهَقَهُمْ مِنَ النَّدَامَةِ وَالْخِزْيِ وَالْمَذَلَّةِ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ أَى يَسْتَطِيعُونَ الْأَخْذَ بِمَا أَمَرُوا بِهِ وَالتَّرْكَ لَمَّا نَهَوْا عَنْهُ وَ لِذَلِكَ ابْتَلُوا

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ يُؤْذَنُ الْمُؤْذَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُ وَتَصَلِبُ ظُهُورُ الْمُنَافِقِينَ فَيَصِيرُ سَجُودَ الْمُسْلِمِينَ حَسْرَةً عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَ نَدَامَةً وَ

فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ تَصِيرُ ظُهُورُ الْمُنَافِقِينَ كَالسَّفَائِدِ

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ «فَمَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَيْدِيثِ» هَذَا تَهْدِيدٌ مَعْنَاهُ فَمَذَرْنِي أَى كَلَّ أَمْرَهُمْ إِلَى كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ دَعْنِي وَ إِيَّاهُ يَقُولُ خَلَّ بَيْنِي وَ بَيْنَ مَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَ لَا تَشْغَلُ قَلْبَكَ بِهِ فَإِنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَهُ «سَسَّيْتُمْ تَدْرِي جُحُومٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» أَى سَنَأْخِذُهُمْ إِلَى الْعِقَابِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَ

رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ إِذَا أَحْدَثَ الْعَبْدُ ذَنْبًا جَدَّدَ لَهُ نِعْمَةً فَيَدْعُ الْاسْتِغْفَارَ فَهُوَ الْاسْتِدْرَاجُ

«وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» أَى وَ أَطِيلُ آجَالَهُمْ وَ لَا أَبَادِرُ إِلَى عَذَابِهِمْ مَبَادِرَهُ مِنْ يَخْشَى الْفُوتَ فَإِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفُوتَ أَنْ عَذَابِي لَشَدِيدٍ.

إشاره

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُكْنُ كَصَاحِبِ الْوَحْيِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِّذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)

القراءه

قرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء و الباقون «لَيُزْلِقُونَكَ» بضم الياء.

الحجه

من قرأ بفتح الياء جعله من زلقه و زلقته أنا مثل حزن و حزنه و شترت عينه و شترتها قال أبو على و الخليل يذهب في ذلك إلى أن المعنى جعلت فيه شترا و جعلت فيه حزنا كما أنك إذا قلت كحلته و دهنته أردت جعلت ذلك فيه و من قرأ أزلقه الفعل بالهمزة و معنى «لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ» ينظرون إليك نظر البغضاء كما ينظر الأعداء و مثله قول الشاعر:

يتفارضون إذا التقوا في مجلس نظرا يزيل مواقع الأقدام.

اللغه

المغرم ما يلزم من الدين الذى يلح فى اقتضائه و أصله من اللزوم بالإلحاح و منه قوله إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا أى لازما ملحا قال الشاعر:

و يوم الجفار و يوم النصار كانا عذابا و كانا غراما

و المثقل المحمل الثقل و هو مثقل بالدين و مثقل بالعيال و مثقل بما عليه من الحقوق اللازمه و أمور الواجبه و المكظوم المحبوس عن التصرف فى الأمور و منه كظمت رأس القربه إذا شددته و كظم غيظه إذا حبسه بقطعه عما يدعو إليه و كظم خصمه إذا أجابه بالمسكت و العراء الأرض العاربه من النبات قال قيس بن جعد:

و رفعت رجلا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابي

. المعنى

ثم خاطب سبحانه النبى ص فقال على وجه التوبيخ للكفار «أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا» هذا عطف على قوله أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ذكر سبحانه جميع ما يحتج به فقال أم

تسأل يا محمد هؤلاء الكفار أجزاء على أداء رسالته و الدعاء إلى الله «فَهُمْ مَتَّعْتُمُ الْمَغْرَمَ» أى هم من لزوم ذلك «مُتَّقِلُونَ» أى محملون الأثقال «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ» أى هل عندهم علم بصحة ما يدعون به لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه و يتوارثونه و ينبغي أن يبرزوه ثم قال للنبي ص «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» فى إبلاغ رسالته و ترك مقابلتهم بالقبيح و قيل اللام تجرى مجرى إلى و المعنى اصبر إلى أن يحكم الله بنصر أوليائك و قهر أعدائك و قيل معناه فاصبر لحكم الله فى التخليه بين الظالم و المظلوم حتى يبلغ الكتاب أجله «وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» يعنى يونس أى لا تكن مثله فى استعجال عقاب قومه و إهلاكهم و لا- تخرج من بين قومك من قبل أن يأذن لك الله كما خرج هو «إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ» أى دعا ربه فى جوف الحوت و هو محبوس عن التصرف فى الأمور و الذى نادى به قوله لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ و قيل مكظوم أى مخنق بالغم إذ لم يجد لغيظه شفاء «لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ» أى لو لا أن أدركته رحمه من ربه بإجابه دعائه و تخليصه من بطن الحوت و تبقيته فيه حيا و إخراجه منه حيا «لَنَبِّدَهُ» أى طرح «بِالْعَرَاءِ» أى الفضاء «وَهُوَ مَيِّدٌ مُؤَمٌّ» ملوم ملوم قد أتى بما يلام عليه و لكن الله تعالى تداركه بنعمه من عنده فطرح بالعراء و هو غير مذموم «فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ» أى اختاره الله نبياً «فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى من جملة المطيعين لله التاركين لمعاصيه «وَأِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا» إن هذه هى المخففه من الثقيله و التقدير و أنه يكاد أى قارب الذين كفروا «لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ» أى ليزهقونك أى يقتلونك و يهلكونك عن ابن عباس و كان يقرأها كذلك و قيل ليصرعونك عن الكلبي و قيل يصيبونك بأعينهم عن السدى و الكل يرجع فى المعنى إلى الإصابه بالعين و المفسرون كلهم على أنه المراد فى الآيه و أنكر الجبائي ذلك و قال إن إصابه العين لا تصح و قال على بن عيسى الرمانى و هذا الذى ذكره غير صحيح لأنه غير ممتنع أن يكون الله تعالى أجرى العاده لصحة ذلك لضرب من المصلحه و عليه إجماع المفسرين و جوزة العقلاء فلا مانع منه و

جاء فى الخبر أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين فأسترقى لهم قال نعم فلو كان شىء يسبق القدر لسبقه العين

و قيل إن الرجل منهم كان إذا أراد أن يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثه أيام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك و ذلك بأن يقول للذى يريد أن يصيبه بالعين لا أرى كاليوم إبلا أو شاء أو ما أراد أى كإبل أراها اليوم فقالوا

للنبي ص كما كانوا يقولون لما يريدون أن يصيبوه بالعين عن الفراء و الزجاج و قيل معناه أنهم ينظرون إليك عند تلاوه القرآن و الدعاء إلى التوحيد نظر عداوه و بغض و إنكار لما يسمعونه و تعجب منه فيكادون يصرعونك بحده نظرهم و يزيلونك عن موضعك و هذا مستعمل في الكلام يقولون نظر إلى فلان نظرا يكاد يصرعني و نظرا يكاد يأكلني فيه و تأويله كله أنه نظر إلى نظرا لو أمسكته معه أكلى أو يصرعني لفعل عن الزجاج و قوله «لَمَّا سَمِعُوا الذُّكْرَ» يعنى القرآن «وَيَقُولُونَ» مع ذلك «إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ» أى مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره و وفور عقله تكذيبا عليه و معانده له «وَمَا هُوَ» أى و ما القرآن «إِلَّا ذِكْرٌ» أى شرف «لِلْعَالَمِينَ» إلى أن تقوم الساعة و قيل معناه و ما محمد ص إلا شرف للخلق حيث هداهم إلى الرشد و أنقذهم من الضلاله لما نسيوه إلى الجنون و صفه بما ينفى ذلك عنه و قيل المراد بالذكر أنه يذكرهم أمر آخرتهم و الثواب و العقاب و الوعد و الوعيد قال الحسن دواء إصابه العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية.

(٦٩) سورة الحاقه مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)

اشاره

عدد آياتها

إحدى و خمسون آيه بصرى و شامى و آيتان فى الباقيين.

اختلافها

آيتان «الْحَاقَّةُ» الأولى كوفى «كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ» حجازى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الحاقه حاسبه الله حسابا يسيرا

و

روى جابر الجعفى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أكثروا من قراءه الحاقه فإن قراءتها فى الفرائض و النوافل من الإيمان بالله و رسوله و لم يسلب قارئها دينه حتى يلقى الله.

تفسيرها

لما ذكر فى آخر سورة القلم حديث القيامة و عيد الكفار افتتح هذه السوره بذكر القيامة أيضا و أحوال أهل النار فقال:

ص: ٩١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادُ بِالْقَارِعَةِ (٤)

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَ أَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مِنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩)

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠)

القراءة

قرأ أهل البصره و الكسائي و من قبله بكسر القاف و فتح الباء و الباقون «وَمَنْ قَبْلَهُ» بفتح القاف و سكون الباء.

الحج

قال سيبويه قبل لما ولى الشىء تقول ذهبت قبل السوق و لى قبلك حق أى فيما يليك و اتسع فيه حتى صار بمنزله لى عليك حق و حجه من قرأ أنهم زعموا أن فى قراءة أبى و جاء فرعون و من معه و هذا يقوى و من قبله لأن قبل لما ولى الشىء مما لم يتخلف عنه و هو يتبعه و يحف به و حجه من قال «وَمَنْ قَبْلَهُ» أن معناه و من قبله من الأمم التى كفرت كما كفر هو.

اللفظ

قال ابن الأنبارى الحاقه الواجبه حق أى و جب يحق حقا و حقوقا فهو حاق و قال الفراء تقول العرب لما عرفت الحق منى هربت و الحقه و الحاقه بمعنى و قيل سميت القيامة الحاقه لأنها تحق الكفار من قولهم حاقتة فحققتة مثل خاصمته فخصمته و سميت القارعه لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافه إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن و دريت الشىء درايه و دريه علمته و أدريته أعلمته و الطاغية الطغيان مصدر مثل العافية و الصرصر الريح الشديده الصوت و الحسوم المتواليه مأخوذ من حسم الداء بمتابعه الكى عليه فكأنه تتابع الشر عليهم حتى استأصلهم و قيل هو من القطع فكأنها حسمتهم حسوما أى أذهبتهم و أفنتهم و قطعت دابرتهم و الخاويه الخاليه التى لا شىء فى أجوافها.

الإعراب

العامل فى «الْحَاقَّةُ» أحد شيئين إما الابتداء و الخبر «مَا الْحَاقَّةُ» كما تقول زيد ما زيد و إما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحاقه ثم قيل أى شىء الحاقه تفخيما لشأنها و حسوما نصب على المصدر الموضوع موضع الصفه لثمانيه أى تحسمهم حسوما و يجوز أن يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد و رقود و ساجد و سجد و على هذا فيكون منصوبا على أنه صفه لثمانيه أيضا و صرعى نصب على الحال و قوله «كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» جملة فى موضع الحال من صرعى أى صرعوا أمثال نخل خاويه و

من مزیده فی قوله «مِنْ بَاقِيهِ».

المعنى

«الْحَيَّاقَةُ» اسم من أسماء القيامة فى قول جميع المفسرين و سميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور و هى الصادقة الواجبه
الصدق لأن جميع أحكام القيامة واجبه

ص: ٩٢

الوقوع صادقاً الوجود «مَا الْحَاقَّةُ» استفهام معناه التفخيم لحالها و التعظيم و لشأنها ثم زاد سبحانه فى التهويل فقال «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ» أى كأنك لست تعلمها إذ لم تعينها و لم تر ما فيها من الأهوال قال الثورى يقال للمعلوم ما أدراك و لما ليس بمعلوم ما يدريك فى جميع القرآن و إنما قال لمن يعلمها ما أدراك لأنه إنما يعلمها بالصفه ثم أخبر سبحانه عن المكذبين بها فقال «كَذَّبَتْ ثَمُودٌ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ» أى بيوم القيامة و إنما حسن أن توضع القارعه موضع الكنايه لتذكر بهذه الصفه الهائله بعد ذكرها بأنها الحاقه إلا فقد كان يكفى أن يقول كذبت ثمود و عاد بها ثم أخبر سبحانه عن كيفية إهلاكهم فقال «فَأَمَّا ثَمُودُ» و هم قوم صالح «فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ» أى أهلكوا بطغيانهم و كفرهم عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه أهلكوا بالصيحه الطاغيه و هى التى جاوزت المقدار حتى أهلكتهم عن قتاده و الجبائى و أبى مسلم و قال الزجاج أهلكوا بالرجفه الطاغيه و قيل بالخصله المتجاوزة لحال غيرها فى الشده التى أهلك الله بها أهل الفساد «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصِرٍ» أى بارده عن ابن عباس و قتاده كأنه تصطك الأسنان بما يسمع من صوتها لشده بردها و قيل الصرصر الشديده العصفوف المتجاوزة لحدها المعروف «عَاتِيَةٍ» عتت على خزانها فى شده الهبوب روى الزهرى عن قبيصه بن ذؤيب أنه قال ما يخرج من الريح شىء إلا عليها خزان يعلمون قدرها و عددها و كيلها حتى كانت التى أرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدر غضب الله فلذلك سميت عاتيه «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ» أى سلطها الله و أرسلها عليهم «سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ» قال وهب و هى التى تسميها العرب أيام العجوز ذات برد و رياح شديده و إنما نسبت هذه الأيام إلى العجوز لأن عجوزاً دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب فانقطع العذاب فى اليوم الثامن و قيل سميت أيام العجوز لأنها فى عجز الشتاء و لها أسامى مشهوره قالوا لليوم "الأول" صن "و للثانى" صنبر " و الثالث" وبر " و للرابع" مطفى الجمر " و للخامس" مكفى الظعن و قيل "للسادس" الأمر " و للسابع" المؤتمر " و الثامن" المعلل " و قال فى ذلك شاعرهم:

كسع الشتاء بسبعه غبر أيام شهلتنا مع الشهر

فبأمر و أخيه مؤتمر و معلل و بمطفى الجمر

فإذا انقضت أيام شهلتنا بالصن و الصنبر و الوبر

ذهب الشتاء موليا هربا و أتتك وافده من النجر

«حُسُومًا» أى ولاء متتابعه ليست لها فتره عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و مجاهد و قتاده كأنه تتابع عليهم الشر حتى استأصلهم و قيل دائمه عن الكلبي و مقاتل و قيل قاطعه قطعهم قطعا حتى أهلكتهم عن الخليل و قيل مشائيم نكداء قليله الخير حسمت الخير عن أهلها عن عطيه «فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا» أى فى تلك الأيام و الليالى «صَيْرَعِي» أى مصروعين «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» أى أصول نخل باليه نخره عن قتاده و قيل خاويه فارغه خاليه الأجواف عن السدى و قيل ساقطه مثل قوله أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ» أى من نفس باقيه و قيل من بقاء و الباقيه بمعنى المصدر مثل العافيه و الطافيه و المعنى هل ترى لهم من بقيه أى لم يبق منهم أحد «وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ» مر معناه «وَالْمُؤْتَفِكَاتُ» أى و جاء أهل القرى المؤتفكات أى المنقلبات بأهلها عن قتاده و هى قرى قوم لوط يريد الأمم و الجماعات الذين اتفكوا «بِالْخَاطِئَةِ» أى بخطيئتهم التى هى الشرك و الكفر فالخاطئه مصدر كالخطأ و الخطيئه و قيل معناه بالأفعال الخاطئه أى بالنفس الخاطئه «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ» فيما أمرهم به و قيل إن المراد بالرسول الرساله كما فى قول الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر و لا أرسلتهم برسول

أى برساله عن أبى مسلم و الأول أظهر «فَأَخَذَهُمُ» الله العقوبه «أَخَذَهُ رَابِيَةً» أى زائده فى الشده عن ابن عباس و قيل ناميه زائده على عذاب الأمم و قيل عاليه المذكوره خارجه عن العاده.

إشارة

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَتَعْيِبَهَا أُمَّةً (١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ وَاحِدَةً (١٣) وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)

وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ آقَرُوا كِتَابِيَهُ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ (٢٠)

فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ (٢٣) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)

القراءة

قرأ ابن كثير في روايه القواس و تعيها بسكون العين مختلسا و هو بين الكسر و السكون و الباقون بكسر العين و قرأ حمزه و الكسائي لا يخفى بالياء و الباقون بالتاء.

الحج

الوجه في سكون العين من تعيها إنه جعل حرف المضارعه مع ما بعده بمنزله فخذ فأسكن لأن حرف المضارعه لا تنفصل من الفعل فصار كقولك فهو و فهي و الياء و التاء في قوله لا يخفى حسن.

اللغة

الجارية السفينه التي من شأنها أن تجرى على الماء و الجارية المرأة الشابه لأنه يجرى فيها ماء الشباب يقال وعيت العلم أعيه وعيا و أوعيت المتاع جعلته في الوعاء قال:

إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع

و الدك البسط و منه الدكان و اندك سنام البعير إذا انفرش على ظهره و الأرجاء النواحي واحدا رجاء مقصور و الشنيه رجوان و هاؤم أمر للجماعه بمنزله هاكم تقول للواحد هاء يا رجل و للثنتين هاؤما يا رجلا و للجماعه هاؤم يا رجال و للمرأة هاء يا امرأه بكسر الهمزة و ليس بعدها ياء و للمرأتين هاؤما و للنساء هاؤن هذه لغة أهل الحجاز و تميم و قيس يقولون هاء يا رجل مثل قول أهل الحجاز و للثنتين هاء و للجماعه هاؤا و للمرأة هائي و للنساء هان و بعض

العرب يجعل مكان الهمزة كافاً فيقول هاك هاك ما هاك هاك هاك هاك و معنا خذ و تناول و يؤمر بها و لا ينهى و وقف الكسائي على هاؤم و ابتداء «أَقْرَأُ كِتَابِيَهٗ» إعلاما منه أنه لا يذهب إلى إعمال الفعل الأول و إنما العمل للثاني و الراضيه المرضيه فاعله بمعنى مفعول لأنها في معنى ذات رضى كما قيل لابن و تأمر أى ذو لبن و ذو تمر قال النابغه:

كلينى لهم يا أميمه ناصب و ليل أقاسيه بطى ء الكواكب

يعنى ذو نصب فكان العيشه أعطيت حتى رضيت لأنها بمنزله الطالبه كما أن الشهوه بمنزله الطالبه للمشتهى و قيل هو مثل ليل نائم و سر كاتم و ماء دافق على وجه المبالغه فى الصفه من غير التباس فى المعنى و القطوف جمع قطف و هو ما يقطف من الثمر و القطف بالفتح المصدر.

الإعراب

كتابى مفعول اقروا لأنه يليه «قُطُوفُهَا دَائِيَهٗ» جمله مجروره الموضع لأنها صفه جنه.

المعنى

ثم بين سبحانه قصه نوح (عليه السلام) فقال «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ» أى جاوز الحد المعروف حتى غرقت الأرض بمن عليها إلا من شاء الله نجاته «حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَهٗ» أى حملنا آباءكم فى السفينه عن ابن عباس و ابن زيد «لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَهٗ» أى لنجعل تلك الفعله التى فعلناها من إغراق قوم نوح و نجاه من حملناه عبره لكم و موعظه تتذكرون بها نعم الله تعالى و تشكرونه عليها و تتفكرون فيها فتعرفون كمال قدرته و حكمته «وَوَعَيْنَاهُ أُذُنًا وَاَعَيْنَاهُ» أى و تحفظها أذن حافظه لما جاء من عند الله عن ابن عباس و قيل سامعه قائله لما سمعت عن قتاده و قال الفراء لتحفظها كل أذن فتكون عظه لمن يأتى بعد و

روى الطبرى بإسناده عن مكحول أنه لما نزلت هذه الآية قال النبى ص اللهم اجعلها أذن على ثم قال على (عليه السلام) فما سمعت شيئا من رسول الله ص فنسيته

و

روى بإسناده عن عكرمه عن بريده الأسلمى أن رسول الله ص قال لعلى (عليه السلام) يا على إن الله تعالى أمرنى أن أدنيك و لا أقصيك و أن أعلمك و تعى و حق على الله أن تعى فنزل «وَوَعَيْنَاهُ أُذُنًا وَاَعَيْنَاهُ»

أخبرنى فيما كتب بخطه إلى المفيد أبو الوفاء عبد الجبار عبد الله بن على الرازى قال حدثنى الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى و الرئيس أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الكاتب و الشيخ أبو عبد الله حسن بن أحمد بن حبيب الفارسى قالوا حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد

الجرجاني قال سمعت أبا عمرو عثمان بن خطاب المعمر المعروف بأبي الدنيا الأشج قال سمعت علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول لما نزلت «وَ تَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» قال النبي ص سألت الله عز و جل أن يجعلها أذنك يا علي

«فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ وَاحِدَةً» و هي النفخة الأولى عن عطا و النفخة الأخيرة عن مقاتل و الكلبى «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ» أى رفعت من أماكنها «فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» أى كسرتا كسره واحده لا تشنى حتى يستوى ما عليها من شىء مثل الأديم الممدود و قيل ضرب بعضها ببعض حتى تفتت الجبال و سفتها الرياح و بقيت الأرض شيئاً واحداً لا جبل فيها و لا رايه بل تكون قطعه مستويه و إنما قال دكنا لأنه جعل الأرض جملة واحده و الجبال دكة واحده «فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» أى قامت القيامة «وَ أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ» أى انفرج بعضها من بعض «فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ» أى شديده الضعف بانتفاض بنيتها و قيل هو أن السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف فى الوهى و الضعف «وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا» أى على أطرافها و نواحيها عن الحسن و قتاده و الملك اسم يقع على الواحد و الجمع و السماء مكان الملائكة فإذا وهت صارت فى نواحيها و قيل إن الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به فى أهل النار من السوق إليها و فى أهل الجنة من التحية و التكرمه فيها «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ» يعنى فوق الخلائق «يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «ثَمَانِيَةً» من الملائكة عن ابن زيد و

روى ذلك عن النبي ص أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين فيكونون ثمانية

و قيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ» يعنى يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين «لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ» أى نفس خافية أو فعله خافية و قيل الخافية مصدر أى خافية أحد و روى فى الخبر عن ابن مسعود و قتاده أن الخلق يعرضون ثلاث عرضات ثنتان فيها معاذير و جدال و الثالثة تطير الصحف فى الأيدي فأخذ يمينه و أخذ بشماله و ليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه فإنه عز اسمه العالم لذاته يعلم جميع ما كان منهم و لكن ليظهر ذلك لخلقه ثم قسم سبحانه حال المكلفين فى ذلك اليوم فقال «فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ» لأهل القيامة «هَؤُومٌ» أى تعالوا «أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ» و إنما يقوله سرورا به لعلمه بأنه ليس فيه إلا الطاعات فلا يستحى أن ينظر فيه غيره و أهل اللغه يقولون إن معنى هؤوم خذوا «إِنِّي ظَنَنْتُ» أى علمت و أيقنت فى الدنيا «أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ» و الهاء لنظم رءوس الآى و هى هاء الاستراحة و المعنى إني كنت مستيقنا فى دار الدنيا بأنى ألقى حسابى يوم القيامة عالما بأنى أجازى على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب فكنت أعمل بما أصل به إلى هذه المثوبه «فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ» أى فى حاله من العيش راضيه يرضاها بأن لقي الثواب

و آمن العقاب «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» أى رفيعه القدر و المكان «قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» أى ثمارها قريبه ممن يتناولها قال البراء بن عازب يتناول الرجل من الثمره و هو نائم و

قد ورد فى الخبر عن عطاء بن يسار عن سلمان قال قال رسول الله ص لا يدخل الجنة أحدكم إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عاليه قطوفها دانيه

و قيل معناه لا يرد أيديهم عن ثمرها بعد و لا شوكة عن قتاده «كُلُوا وَ اشْرَبُوا» أى يقال لهم كلوا و اشربوا فى الجنة «هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ» أى قدمتم من أعمالكم الصالحه «فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» الماضيه يعنى أيام الدنيا و يعنى بقوله «هَنِيئًا» إنه ليس فيه ما يؤذى فلا يحتاج فيه إلى إخراج فصل بغائط أو بول.

[سوره الحاقه (٦٩): الآيات ٢٥ الى ٣٧]

أشاره

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشَهَادَةٍ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (٢٥) وَ لَمْ أَذْرَ مَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩)

حُذُوهُ فَغُلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَ لَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤)

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُنَ (٣٧)

اللغه

القاضيه الفاصله بالإماتة يقال قضى فلان إذا مات و أصله فصل الأمر و منه قضيه الحاكم و منه قضاء الله و هو فى الإخبار بما يكون على القطع و التصليه إلزام النار و منه الاصطلاء و هو القعود عند النار للدفاء و الجحيم النار العظيمه و السلسله حلق منتظمه كل واحده منها فى الأخرى و يقال سلسل كلامه إذا عقد شيئاً منه بشىء و تسلسل الشىء إذا استمر على الولاء شيئاً قبل شىء و ذرع الثوب يذره ذرعاً مأخوذ من الذراع و الغسلين الصديد الذى ينغسل بسيلانه من أبدان أهل النار و وزنه فعلين من الغسل.

قوله «كِتَابِيَّةٌ» و «حِسَابِيَّةٌ» و «مَالِيَّةٌ» و «سُلْطَانِيَّةٌ» قال الزجاج الوجه أن يوقف على هذه الهاءات و لا توصل لأنها أدخلت للوقف و قد حذفها قوم فى الوصل و لا أحب مخالفه المصحف و لا أن أقرأ و أثبت الهاءات فى الوصل و هذه رءوس آيات فالوجه أن يوقف عندها و كذلك قوله ما هيئة «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ» الجار و المجرور خبر ليس ليصح قوله «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ» أى و لا له طعام و لا يكون الخبر هاهنا لأن التقدير يصير و لا طعام هاهنا إلا من غسلين و هذا غير جائز إذ هنا طعام غير غسلين و لا يكون الخبر اليوم لأن حميم جثه و ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حال أهل النار فقال «وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ» أى أعطى «كِتَابَهُ» الذى هو صحيفه أعماله «بِشِّمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً» أى تمنى أنه لم يؤته لما يرى فيه مقابح أعماله التى يسود لها وجهه «وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ» أى و لم أدر أى شىء حسابى لأنه لا حاصل له فى ذلك الحساب و إنما هو كله عليه «يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ» الهاء فى ليتها كناية عن الحال التى هم فيها و قيل هى كناية عن الموتة الأولى و القاضيه القاطعه للحياه أى ليت الموتة الأولى التى متنا لم نحى بعدها عن الفراء يتمنى دوام الموت و أنه لم يبعث للحساب و قال قتاده تمنى يومئذ الموت و لم يكن فى الدنيا شىء عنده أكره من الموت «مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ» أى ما دفع عنى مالى من عذاب الله شيئا و قيل معناه إنى قصرت همتى على تحصيل المال ليكشف الكرب عنى فما نفعنى اليوم «هَلَكَّ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ» أى حجتى عن ابن عباس و مجاهد أى ضل عنى ما كنت أعتقده حجة و قيل معناه هلك عنى تسلطى و أمرى و نهى فى دار الدنيا على ما كنت مسلطا عليه فلا أمر لى و لا نهى ثم أخبر سبحانه أنه يقول للملائكة «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ» أى أوثقوه بالغل و هو أن تشد إحدى يديه و رجله إلى عنقه بجامعه «ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ» أى ثم أدخلوه النار العظيمة و ألزموه إياها «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا» أى طولها «سِتْرَانِ» أى اجعلوه فيها لأنه يؤخذ عنقه فيها ثم يجر بها قال الضحاك إنما تدخل فى فيه و تخرج من دبره فعلى هذا يكون المعنى ثم اسلكوا السلسله فيه فقلب كما يقال أدخلت القلنسوه فى رأسى و قال الأعشى:

" إذا ما السراب ارتدى بالأكم "

و إنما ارتدى الأكم بالسراب و لكنه قلب و قال نوف البكالى كل ذراع سبعون باعا و الباع أبعد مما بينك و بين مكه و كان فى رحبه الكوفه و قال الحسن الله أعلم بأى ذراع هو و قال سويد بن نجیح إن جميع أهل النار فى تلك السلسله و لو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب من

حرها ثم قال سبحانه «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ» شأنه أى لم يكن يوحد الله فى دار التكليف ولا يصدق به «وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ» وهو المحتاج الفقير والمعنى أنه كان يمنع الزكاه و الحقوق الواجبه «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ» أى صديق ينفعه «وَلَا- طَعَامٌ» أى و لا- له اليوم طعام «إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ» و هو صديد أهل النار و ما يجرى منهم فالطعام هو ما هبى للأكل و لذلك لا يسمى التراب طعاما للإنسان فلما هبى الصديد لأكل أهل النار كان ذلك طعاما لهم و قيل إن أهل النار طبقات فمنهم من طعامه غسيلين و منهم من طعامه الزقوم و منهم من طعامه الضريع لأنه قال فى موضع آخر لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ و قيل يجوز أن يكون الضريع هو الغسيلين فعبر عنه بعبارتين عن قطرب و قيل يجوز أن يكون المراد ليس لهم طعام إلا من ضريع و لا شراب إلا من غسيلين كما قال الشاعر:

علفتها تبا و ماء باردا حتى شقت هماله عيناها

«لَا يَأْكُلُهُ» أى لا يأكل الغسيلين «إِلَّا الْخَاطِئُونَ» و هم الجائرون عن طريق الحق عامدين و الفرق بين الخاطى و المخطى أن المخطى قد يكون من غير تعمد و الخاطى المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم قال امرؤ القيس:

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا

إشاره

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢)

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)

وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْبِرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحِيقُ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)

القراءه

قرأ ابن كثير و ابن عامر و يعقوب و سهل يؤمنون و يذكرون بالياء كناية عن الكفار و الباقون بالتاء خطابا لهم و كلاهما حسن.

اللغه

الوتين نياط القلب و إذا انقطع مات الإنسان قال الشماخ بن ضرار:

إذا بلغتني و حملت رحلى عرابه فاسرقى بدم الوتين

. الإعراب

قليلًا فى الموضوعين صفة مصدر محذوف و ما مزيده و تقديره إيمانًا قليلًا تؤمنون و تذكرًا قليلًا تذكرون و يجوز أن يكون صفة لظرف محذوف أى وقتًا قليلًا تؤمنون و وقتًا قليلًا تذكرون و يجوز أن تكون ما مصدرية و يكون التقدير قليلًا إيمانكم و قليلًا تذكركم يكون ما فى موضع رفع بقليل و قوله «مِنْ أَحَدٍ» فى موضع رفع لأنه اسم ما و من مزيده لتأكيد النفى تقديره فما منكم أحد و الأصل فما أحد منكم فمنكم فى موضع رفع بكونه صفة على الموضع أو فى موضع جر على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار فى موضع النصب على الحال حاجزين منصوب بأنه خبر ما و لم يبطل قوله «مِنْكُمْ» عمل ما و إن فصل بينهما لأنه ظرف و الفصل بالظرف فى هذا الباب كلا فصل قال أبو على إن جعلت منكم مستقرا كان حاجزين صفة أحد و إن جعلت منكم غير مستقر كان حاجزين خبر ما و على الوجهين فقوله «حَاجِزِينَ»

محمول على المعنى و أقول فى بيانه أنه إن كان فى منكم ضمير لأحد و يكون خيرا له متقدما عليه فىكون حاجزين صفه لأحد و تقديره ما منكم قوم حاجزون عنه و يكون ما غير عامله هنا على غير لغه تميم أيضا و يكون حاجزين مجرورا حملا على اللفظ و كونه غير مستقر هو أن يكون على ما ذكرناه قبل.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم فقال «فلا أقسم بما تُبصِرُونَ و ما لا تُبصِرُونَ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن يكون قوله «لا» ردا لكلام المشركين فكأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون أقسم بالأشياء كلها ما يبصر منها و ما لا يبصر و يدخل فيها جميع المكونات « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » يعنى محمدا ص عن الفراء و قتاده و (ثانيها) أن لا مزيده مؤكده و التقدير فأقسم بما ترون و ما لا ترون (و ثالثها) أنه نفى للقسم و معناه لا يحتاج إلى القسم لوضوح الأمر فى أنه رسول كريم فإنه أظهر من أن يحتاج فى إثباته إلى قسم عن أبى مسلم و (رابعها) أنه كقول القائل لا و الله لا أفعل ذلك و لا و الله لأفعلن ذلك و قال الجبائى إنما أراد أنه لا يقسم بالأشياء المخلوقات ما يرى و ما لا يرى و إنما أقسم بربها لأن القسم لا يجوز إلا بالله « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » قال إنه قول الله على الحقيقة و إنما الملك و جبرائيل و الرسول يحكون ذلك و إنما أسنده إليهم من حيث إن ما يسمع منهم كلامهم فلما كان حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة فى العرف قال الجبائى و الرسول الكريم جبرائيل و الكريم الجامع لخصال الخير « وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ وَ لا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا ما تَدْكُرُونَ » قول الشاعر ما ألفه بوزن و جعله مقفى و له معنى و قول الكاهن السجع و هو كلام متكلف يضم إلى معنى يشاكله طهره الله سبحانه من الشعر و الكهانه و عصمه عنهما و إنما منعه سبحانه من الشعر و نزهه عنه لأن الغالب من حال الشعر أن يدعو إلى الهوى و يبعث على الشهوه و النبى ص إنما يأتى بالحكم التى يدعو إليها العقل للحاجه إلى العمل عليها و الاهتداء بها و أيضا فإنه سبحانه منعه من قول الشعر دلالة على أن القرآن ليس بصفه الكلام المعتاد بين الناس و أنه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الأنواع المعتاده و إذا بعد عما جرت به العاده فى تأليف الكلام فذلك أدل على إعجازه و قوله «قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ» معناه لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى يريد بالقليل نفى إيمانهم أصلا كما تقول لمن لا- يزورك قل ما تأتينا و أنت تريد لا تأتينا أصلا فالمعنى لا تؤمنون به و لا تتذكرون و لا تتفكرون فتعلموا المعجز و تفصلوا بينه و بين الشعر و الكهانه «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» بين أنه منزل من عنده على لسان جبرائيل حتى لا يتوهم أنه كلام جبرائيل «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا» محمد ص «بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ» معناه و لو

كذب علينا و اختلق ما لم نقله أى لو تكلف القول و أتى به من عند نفسه «لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» أى لأخذنا بيده التى هى اليمين على وجه الإذلال كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فأخذها إهانه عن ابن جرير و قيل معناه لقطعنا يده اليمنى عن الحسن و أبى مسلم فعلى هذا تكون الباء مزيدة أى لأخذنا منه اليمين و قيل معناه لأخذنا منه بالقوه و القدره أى لأخذناه و نحن قادرون عليه مالكون له عن الفراء و المبرد و الزجاج و إنما أقام اليمين مقام القوه و القدره لأن قوه كل شىء فى ميامنه عن ابن قتيبه «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» أى و لكننا قطعنا منه وتينه و نهلكه قال مجاهد و قتاده هو عرق فى القلب متصل بالظهر و قيل هو حبل القلب «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» أى فما منكم أحد يحجزنا عنه و المعنى أنه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاتبناه ثم لم تقدرُوا أنتم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه أن القرآن ما هو فقال «وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» أى و إنه لعظه لمن اتقى عقاب الله بطاعته «وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ» بالقرآن أى علمنا أن بعضكم يكذبه أشار سبحانه إلى أن منهم من يصدق و منهم من يكذب «وَإِنَّهُ لَحَسْبُ رَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى إن هذا القرآن حسره عليهم يوم القيامة حيث لم يعملوا به فى الدنيا «وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» معناه و إن القرآن للمتقين لحق اليقين و الحق هو اليقين و إنما إضافه إلى نفسه كما يقال مسجد الجامع و دار الآخرة و بارحه الأولى و يوم الخميس و ما أشبه ذلك فيضاف الشىء إلى نفسه إذا اختلف لفظه و قيل إن الحق هو الذى معتقده على ما اعتقد و اليقين هو الذى لا شبهه فيه «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» الخطاب للنبي ص و المراد به جميع المكلفين و معناه نزه الله سبحانه عما لا- يجوز عليه من الصفات و العظيم هو الجليل الذى يصغر شأن غيره فى شأنه و يتضاءل كل شىء لعظمته و سلطانه.

(٧٠) سورة المعارج مكيه و آياتها أربع و أربعون (٤٤)

إشاره

[توضيح]

قال الحسن إلا قوله «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ».

عدد آياتها

أربع و أربعون آيه غير الشامي ثلاث شامي.

اختلافها

آيه «أَلْفَ سَنَةٍ» غير الشامي.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال قال رسول الله ص و من قرأ سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون و الذين هم على صلواتهم يحافظون

و

عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال من أدمن قراءه سأل سائل لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله و أسكنه جنته مع محمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الحاقه بوعيد الكفار افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ١٠٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ لَهُ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر سأل بغير همز و الباقون بالهمز و قرأ الكسائي يعرج بالياء و قرأ الباقون بالتاء و قرأ ابن كثير في روايه البزى و عاصم في روايه البرجمي عن أبي بكر و لا يسأل بضم الياء و الباقون «لا يسئل» بفتح الياء.

الحجّه

قال أبو علي من قرأ سأل جعل الألف منقلبه عن الواو التي هي عين مثل قال و خاف و حكي أبو عثمان عن أبي زيد أنه سمع من يقول هما يتساولان فمن قال سأل كان على هذه اللغة و من قرأ «سأل» فجعل الهمزة عين الفعل فإن حقق قال سأل و إن خفف جعلها بين الألف و الهمزة و أما قول الشاعر:

سألت هذيل رسول الله فاحشه ضلت هذيل بما قالت و لم تصب

و يمكن فيه الوجهان و كل القراءة على همز سائل لأنه لا يخلو إما أن يكون من يتساولان أو من اللغة الأخرى فإن كان من الأول لم يكن فيه إلا الهمز كما يكون في قائل و خائف لأن العين إذا اعتلت بالفعل اعتلت في اسم الفاعل و اعتلالها لا يكون بالحذف للالتباس فقلب إلى الهمزة و إن كانت في لغة من همز فليس فيه إلا- الهمز كما يكون في نائر إلا أنك إن شئت خففت الهمزة فجعلتها بين بين و كذلك في الوجه الآخر و أما يعرج و «تعرج» فالياء و التاء فيه حسنتان و من ضم قوله و لا يسئل حميم حميما فالمعنى و الله أعلم لا- يسئل حميم عن حميمه ليعرف شأنه من جهته كما يتعرف الخبر الصديق من جهة صديقه و القريب عن قريبه فإذا كان كذلك فالكلام إذا بنيت الفعل للفاعل قلت سألت زيدا عن حميمه و إذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه و قد يحذف الجار فيصل الفعل إلى الاسم الذي كان مجرورا قبل حذف الجار فينتصب بأنه مفعول الاسم الذي أسند إليه الفعل المبني للمفعول به فعلى هذا انتصب قوله «حميماً» و يدل على هذا المعنى قوله يُبَصِّرُونَهُمْ أى يبصر الحميم الحميم تقول بصرت به فإذا ضعفت عين الفعل صار الفاعل مفعولاً فتقول بصرتي زيد بكذا فإذا حذفت الجار قلت بصرتي زيد كذا فإذا بنيت الفعل للمفعول به و قد حذفت الجار قلب بصرت زيدا فعلى هذا قوله يُبَصِّرُونَهُمْ فإذا بصروهم لم يحتج إلى تعرف شأن الحميم من حميمه و إنما جمع فقيل يبصروهم لأن الحميم و إن كان مفرداً في اللفظ فالمراد به الكثيره

و الجمع يدلک علی ذلك قوله فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ و من قرأ «و لَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» فالمعنى لا يسأل الحميم عن حميمه فى ذلك اليوم لأنه يذهل عن ذلك و يشغل عنه بشأنه كما قال يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ إِلَى قَوْلِهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.

اللغة

المعارج مواضع العروج و هو الصعود مرتبه بعد مرتبه و منه الأعرج لارتفاع إحدى رجله عن الأخرى قال الزجاج المهمل دردى الزيت و قيل هو الجارى بغلظه و عكزه على رفق من أمهله إمهالا و العهن الصوف المنقوش و الحميم القريب النسب إلى صاحبه و أصله من القرب قال:

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال

. الإعراب

بعذاب الباء تتعلق بسأل لأن معناه دعا داع بعذاب و قيل إن الباء بمعنى عن و تقديره عن عذاب قال:

دع المعمر لا تسأل بمصرعه و أسأل بمصقله البكرى ما فعلا

يريد عن مصرعه و عن مصقله و اللام فى قوله «لِلْكَافِرِينَ» بمعنى على و يتعلق بواقع أى واقع على الكافرين و قيل إنه يتعلق بمحذوف فيكون صفة لسائل تقديره سأل سائل كائن للكافرين أى منهم.

المعنى

«سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» قيل إن هذا السائل هو الذى قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآيه و هو النضر بن الحارث بن كلده فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلا له و هو واقع بهم لا محاله عن مجاهد و قيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذى تذكر يا محمد فجاء جوابه بأنه «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» عن الحسن و قيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين و ذلك الداعى هو النبى ص عن الجبائى و تكون الباء فى بعذاب مزیده على التوكيد كما فى قوله وَ هُزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ وَ التَّقْدِيرِ سَأَلَ سَائِلٌ عَذَابًا وَاقِعًا وَ قيل هى بمعنى عن و عليه تأويل قول الحسن لأنهم سألوا عن العذاب لمن هو و قيل الباء للتعدى أى بإنزال عذاب و عليه تأويل قول مجاهد و قيل إن معنى سأل سائل على قراءه من قرأ بالألف من سأل يسيل سيلا و التقدير سأل سائل بعذاب واقع و قيل سائل اسم واد فى جهنم سمى به لأنه يسيل بالعذاب عن ابن زيد و

أخبرنا السيد أبو الحمد

قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الشيرازي قال حدثنا أبو بكر الجرجاني قال حدثنا أبو أحمد البصري قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصار قال حدثنا محمد بن أيوب الواسطي قال حدثنا سفيان بن عيينه عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه ع قال لما نصب رسول الله ص عليا (عليه السلام) يوم غدير خم و قال من كنت مولاه فعلى مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ص النعمان بن الحرث الفهري فقال أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله و أمرتنا بالجهاد و الحج و الصوم و الصلاة و الزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شىء منك أو أمر من عند الله فقال و الله الذى لا إله إلا هو أن هذا من الله فولى النعمان بن الحرث و هو يقول اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله و أنزل الله تعالى «سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»

و قوله «لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ» أى ليس لعذاب الله دافع من الله و قيل معناه بعذاب للكافرين واقع من الله أى وقوعه من الله و ذى المعارج صفة الله سبحانه و قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه ذى الفواضل العالیه و الدرجات التى يعطيها للأنبياء و الأولياء فى الجنة لأنه يعطيهم المنازل الرفيعه و الدرجات العليه و هو معنى قول قتاده و الجبائى (و ثانيها) أنها معارج السماء أى مواضع عروج الملائكة عن ابن عباس و مجاهد و قال الكلبي معناه ذى السماوات لأن الملائكة تعرج فيها (و ثالثها) أنه بمعنى ذى الملائكة أى مالك الملائكة التى تعرج إلى السماء و منه ليله المعراج لأنه عرج بالنبي ص إلى السماء فيها «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ» أى تصعد الملائكة و يصعد الروح أيضا معهم و هو جبرائيل خصه بالذكر من بين الملائكة تشريفا له «إِلَيْهِ» أى إلى الموضع الذى لا يجرى لأحد سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم إلى ذلك الموضع عروجا إليه كقول إبراهيم (عليه السلام) «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي وَعَدَنِي رَبِّي «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» اختلف فى معناه فقيل تعرج الملائكة إلى الموضع الذى يأمرهم الله به فى يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة و ذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع و قوله فى سورة السجده فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ هو لما بين السماء الدنيا و الأرض فى الصعود و النزول خمسمائة سنة فى الصعود و خمسمائة سنة فى النزول عن مجاهد و المراد أن الآدميين لو احتاجوا إلى قطع هذا المقدار الذى قطعت الملائكة فى يوم واحد لقطعوه فى هذه المده و قيل أنه يعنى يوم القيامة و أنه يفعل فيه من الأمور و يقضى فيه من الأحكام بين العباد ما لو فعل فى الدنيا لكان مقداره خمسين ألف سنة عن الجبائى و هو معنى قول قتاده و عكرمه و

روى أبو

ص: ١٠٧

سعيد الخدرى قال قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم فقال و الذى نفس محمد بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاه مكتوبه يصلها فى الدنيا

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال لو ولى الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا و الله سبحانه يفرغ من ذلك فى ساعه

و

عنه أيضا قال لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة فى الجنة و أهل النار فى النار

وقيل معناه أن أول نزول الملائكة فى الدنيا و أمره و نهيه و قضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء و هو القيامة هذه المده فىكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة لا يدري كم مضى و كم بقى و إنما يعلمه الله عز و جل و قال الزجاج يجوز أن يكون قوله «فى يَوْمٍ» من صله واقع فىكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة و ذلك العذاب يقع يوم القيامة «فَأَصْبِرْ» يا محمد على تكذيبهم إياك «صَبْرًا جَمِيلًا» لا جزع فيه و لا شكوى على ما تقاسيه «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ نَرَاهُ قَرِيبًا» أخبر سبحانه أنه يعلم مجىء يوم القيامة و حلول العقاب بالكفار قريبا و يظنه الكفار بعيدا لأنهم لا يعتقدون صحته و كل ما هو آت فهو قريب دان فالرؤية الأولى بمعنى الظن و الثانية بمعنى العلم ثم أخبر سبحانه أنه متى يقع العذاب بهم فقال «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَيْلِ» أى كدردى الزيت عن ابن عباس و قيل كعكر القطران عن عطاء و قيل مثل الفضة إذا أذيت عن الحسن و قيل مثل الصفر المذاب عن أبى مسلم «وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» أى كالصوف المصبوغ و قيل كالصوف المنفوش عن مقاتل و قيل كالصوف الأحمر عن الحسن يعنى إنها تلين بعد الشده و تتفرق بعد الاجتماع قال الحسن إنها أولا تصير كثيبا مهيلا ثم تصير عنها منفوشا ثم هباء منشورا «وَ لَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» لشغل كل إنسان بنفسه عن غيره عن مجاهد و قيل لا يسأل حميم حميما أن يتحمل عنه من أوزاره ليأسه منه ذلك فى الآخرة عن الحسن و قال الأخفش الحميم من يخصه الرجل موده و شفقه من قريب الرحم و بعيده و الحامه الخاصه و قيل معناه أنه لا يحتاج إلى سؤاله لأنه يكون لكل علامه يعرف بها فعلامه الكافرين سواد الوجوه و زرقه العيون و علامه المؤمنين نضاره اللون و بياض الوجوه.

ص: ١٠٨

إشاره

يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ (١١) وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (١٢) وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَى (١٥)

نَزَاعَهُ لِلشَّوْى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (١٧) وَ جَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠)

وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلنَّسَائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (٢٥)

وَ الَّذِينَ يُصَيِّدُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)

فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥)

القراءه

قرأ حفص «نَزَاعَهُ» بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ ابن كثير لأماناتهم بغير ألف بعد النون و الباقون «لِأَمَانَاتِهِمْ» بالجمع و قرأ حفص و يعقوب و سهل «بِشَهَادَاتِهِمْ» على الجمع و الباقون بشهادتهم و كلهم قرءوا «عَلَى صَلَاتِهِمْ» على التوحيد.

الحجه

قال أبو علي من قرأ إنها لظى نزاعه للشوى فرفع نزاعه جاز في رفعه ما جاز في قولك هذا زيد منطلق و هذا بعلی شیخ و من نصب فعلى وجهين (أحدهما) أن يكون حالا (و الآخر) أن يحمل على فعل فحمله على الحال يبعد لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فإن قلت فإن في قوله «لظى» معنى التلظى و التلهب فإن ذلك لا يستقيم لأن لظى معرفه

لا- ينتصب عنها الأحوال ألا ترى أن ما استعمل استعمال الأسماء من اسم فاعل أو مصدر لم يعمل هذا النحو من حيث جرى مجرى الأسماء فبأن يعمل الاسم المعرفه عمله أولى و يدللك على تعريف هذا الاسم و كونه علما أن التنوين لم يلحقه فإذا كان كذلك لم ينتصب الحال عنه فإن جعلتها مع تعريفها قد صارت معروفه بشده التلظى جاز أن تنصبه بهذا المعنى الحادث فى العلم و على هذا قوله تعالى وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ عُلِقَتِ الظُّرُفُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ مِنَ التَّيْبِيرِ وَ الْأَلطَافِ فَإِنْ عُلِقَتِ الْحَالُ بِالْمَعْنَى الْحَادِثِ فِي الْعِلْمِ كَمَا عُلِقَتِ الظُّرُفُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ مِنَ التَّيْبِيرِ وَ الْأَلطَافِ لِأَنَّ الْحَالُ كَالظُّرُفِ فِي تَعْلُقِهَا بِالْمَعْنَى كَتَعْلُقِ الظُّرُفِ بِهِ وَ كَانَ وَجْهًا وَ إِنْ عُلِقَتِ نَزَاعَهُ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ نَحْوِ أَعْيُنِهَا نَزَاعَهُ لِلشَّوَى لَمْ يَمْتَنِعْ أَيْضًا وَ أَمَا قَوْلُهُ لِأَمَانَتِهِمْ عَلَى الْإِنْفِرَادِ وَ إِنْ كَانَ مَضَافًا إِلَى جَمَاعِهِ وَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمَانَةٌ فَلَأَنَّهُ مَصْدَرٌ يَقَعُ عَلَى جَمِيعِ الْجِنْسِ وَ يَتَنَاوَلُهُ وَ مِنْ جَمْعِ فَلَاخْتِلَافِ الْأَمَانَاتِ وَ كَثْرَةِ ضَرْوبِهَا فَأَشْبَهَتْ بِذَلِكَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ لِلجِنْسِ وَ الْقَوْلِ فِي الشَّهَادَةِ وَ الشَّهَادَاتِ مِثْلَ الْقَوْلِ فِي الْأَمَانَةِ وَ الْأَمَانَاتِ.

اللغة

الموده مشتركة بين التمنى و بين المحبه يقال وددت الشىء أى تمنيته و وددته أى أحببته أود فيهما جميعا و الافتداء الضرع عن الشىء ببدل منه و الفصيله الجماعه المنقطعه عن جملة القبيله برجوعها إلى أبوه خاصه عن أبوه عامه و لظى اسم من أسماء جهنم مأخوذه من التوقد و النزاعه الكثيره النزاع و هو اقتلاع عن شده ضم و الاقتلاع أخذ بشده اعتماد و الشوى جلده الرأس واحدها شواه قال الأعشى:

قالت قتيله ما له قد جللت شيبا شواته

و الشوى الأكارع و الأطراف و الشوى ما عدا المقاتل من كل حيوان يقال رماه فأشواه أى أصاب غير مقتله و رمى فأصمى أى أصاب المقتل و الشوى أيضا الخسيس من المال و الهلوع الشديد الحرص الشديد الجزع و الإشفاق رقه القلب عن تحمل ما يخاف من الأمور فإذا قسا قلب الإنسان بطل الإشفاق و العادى الخارج عن الحق يقال عدا فلان إذا اعتدى و عدا فى مشيه إذا أسرع و هو الأصل و العادى الظالم بالإسراع إلى الظلم.

الإعراب

يجوز أن يكون العامل فى الظرف من قوله يَوْمٌ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَيْلِ قوله «يُبَصَّرُونَهُمْ» و قوله «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ» يجوز أن يكون استئناف كلام و يجوز أن يكون فى محل الجر

بدلاً من تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. هلوعاً و منوعاً و جزوعاً منصوبه على الحال و التقدير خلق هلوعاً، جزوعاً إذا مسه الشر، منوعاً إذا مسه الخير و المصلين منصوب على الاستثناء و قوله «إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ» قيل أن على هذه محموله على المعنى و التقدير فإنهم يلامون على غير أزواجهم و يدل عليه قوله «فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» عن الزجاج و قيل تقديره إلا من أزواجهم فيكون على بمعنى من.

المعنى

لما وصف سبحانه القيامة و أخبر أن الحميم فيه لا يسأل حميمه لشغله بنفسه قال «يُبَصَّرُونَهُمْ» أى يعرف الكفار بعضهم بعضاً ساعه ثم لا يتعارفون و يفر بعضهم من بعض عن ابن عباس و قتاده و قيل يعرفهم المؤمنون عن مجاهد أى يبصر المؤمن أعداءه على حالهم من العذاب فيشمت بهم و يسر و قيل يعرف أتباع الضلالة رؤساءهم و قيل إن الضمير يعود إلى الملائكة و قد تقدم ذكرهم أى يعرفهم الملائكة و يجعلون بصراء بهم فيسوقون فريقاً إلى الجنة و فريقاً إلى النار «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ» أى يتمنى العاصى «لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بِبَنِيهِ» يتمنى سلامته من العذاب النازل به بإسلام كل كريم عليه من أولاده الذين هم أعز الناس عليه «وَ صَاحِبَتِهِ» أى زوجته التى كانت سكناً له و ربما آثرها على أبويه «وَ أَخِيهِ» الذى كان ناصر له و معينا «وَ فَصِيْلَتِهِ» أى و عشيرته «الَّتِي تُؤْوِيهِ» فى الشدائد و تضمه و يأوى إليها فى النسب «وَ مَنْ فِي الْمَآرِضِ جَمِيعاً» أى و بجميع الخلائق يقول يود لو يفتدى بجميع هذه الأشياء «ثُمَّ يُنْجِيهِ» ذلك الفداء «كُلًّا» لا- ينجيه ذلك قال الزجاج كلا- ردع و تنبيه أى لا- يرجع أحد من هؤلاء فارتدعوا «إِنَّهَا لَطِي» يعنى أن نار جهنم أو القصة لظى نزاعه للشوى و سميت لظى لأنها تتلظى أى تشتعل و تلتهب على أهلها و قيل لظى اسم من أسماء جهنم و قيل هى الدرکه الثانيه منها و هى «نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى» تنزع الأطراف فلا تترك لحماً و لا جلداً إلا أحرقتة عن مقاتل و قيل تنزع الجلد و أم الرأس عن ابن عباس و قيل تنزع الجلد و اللحم عن العظم عن الضحاك و قال الكلبي يعنى تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان و قال أبو صالح الشوى لحم الساق و قال سعيد بن جبیر العصب و العقب و قال أبو العاليه محاسن الوجه «تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى» يعنى النار تدعو إلى نفسها من أدبر عن الإيمان و تولى عن طاعه الله و رسوله عن قتاده و المعنى أنه لا يفوت هذه النار كافر فكأنها تدعوه فيجيبها كرها و قيل إن الله تعالى ينطق النار حتى تدعوهم إليها و قيل معناه تدعو زبانيه النار من أدبر و تولى عن الحق فجعل ذلك سبحانه دعاء من النار عن الجبائي و قيل تدعو أى تعذب رواه المبرد عن الخليل قال يقال دعاك الله أى عذبك «وَ جَمَعَ» المال «فَأَوْعَى» أى أمسكه فى الوعاء فلم ينفقه فى طاعه الله فلم يؤد زكاه و لم يصل رحماً و قيل جمعه من باطل و منعه عن الحق

«إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا» أى ضجورا شحيحا جزوعا من الهلع و هو شده الحرص و قال أهل البيان تفسيره فيما بعده «إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا» يعنى إذا أصابه الفقر لا- يحتسب لا- يصبر و إذا أصابه الغنى منعه من البر ثم استثنى سبحانه الموحدين المطيعين فقال «إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» مستمرون على أدائها لا يخلون بها و لا يتركونها و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أن هذا فى النوافل

و قوله «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» فى الفرائض و الواجبات و قيل هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة عن عقبه عن عامر و الزجاج «وَالَّذِينَ فِي أُمُورِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِّلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» يعنى الزكاه المفروضه و السائل الذى يسأل و المحروم الفقير الذى يتعفف و لا يسأل و قد سبق تفسيرها و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال الحق المعلوم ليس من الزكاه و هو الشىء الذى تخرجه من مالك إن شئت كل جمعه و إن شئت كل يوم و لكل ذى فضل فضله

و

روى عنه أيضا أنه قال هو أن تصل القرابه و تعطى من حرمك و تصدق على من عاداك

«وَالَّذِينَ يُصَيِّدُونَ بِنَوْمٍ الْيَوْمِ الَّذِينَ» أى يؤمنون بأن يوم الجزاء و الحساب حق لا- يشكون فى ذلك «وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» أى خائفون «إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ» أى لا- يؤمن حلوله بمستحقه و هم العصاه و قيل معناه يخافون أن لا تقبل حسناتهم و يؤخذون بسيناتهم و قيل غير مأمون لأن المكلف لا يدرى هل أدى الواجب كما أمر به و هل انتهى عن المحذور على ما نهى عنه و لو قدرنا أن إنسانا يعلم ذلك من نفسه لكان آمنا «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» يعنى الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه و سبب إلا على الأزواج أو ملك الأيمان من الإماء «فَبِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» على ترك حفظ الفروج عنهم «فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» فمن طلب وراء ما أباحه الله له من الفروج فأولئك هم الذين تعدوا حدود الله و خرجوا عما أباحه لهم و معنى وراء ذلك ما خرج عن حده من أى جهه كان «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» أى حافظون و الأمانه ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا و الودائع و الحكومات و نحوها و قيل الأمانه الإيمان و ما أخذ الله عباده من التصديق بما أوجبه عليهم و العمل بما يجب عليهم العمل به «وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ» أى يقيمون الشهادات التى تلتزمهم إقامتها و الشهاده الإخبار بالشىء أنه على ما شاهدوه ذلك أنه قد يكون عن مشاهده للمخبر به و قد يكون عن مشاهده ما يدعو إليه «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» أى يحفظون أوقاتها و أركانها فيؤدونها بتمامها و لا يضيعون شيئا منها و

روى محمد بن الفضيل عن أبى الحسن (عليه السلام) أنه قال أولئك أصحاب الخمسين صلاه من شيعتنا

و

روى زراره عن أبى جعفر (عليه السلام)

قال هذه الفريضة من صلاها لوقتها عارفا بحقتها لا يؤثر عليها غيرها كتب الله له بها براءة لا يعذبه و من صلاها لغير وقتها مؤثرا عليها غيرها فإن ذلك إليه إن شاء غفر له و إن شاء عذبه

و «أولئك» من وصفوا بهذه الصفات «في جنات» أي بساتين يجنهما الشجر «مكرمون» معظمون مبعجلون بما يفعل بهم من الثواب.

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤]

إشارة

فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠)

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)

القراءة

قرأ ابن عامر و حفص و سهل «إلى نُصْبٍ» بضم نون و الباقون إلى نصب بفتح النون و سكون الصاد.

الحجج

قال أبو علي يجوز أن يكون نصب جمع نصب مثل سقف و سقف و ورد و من ثقل فقال نصب كان بمنزلة أسد و يمكن أن يكون النصب و النصب لغتين كالضعف و الضعف و ما أشبه ذلك و يكون الثقل كشغل و شغل و طنّب و طنّب.

اللفه

قال الزجاج المهطع المقبل بصره على الشيء لا يزايله و ذلك من نظر العدو و قال أبو عبيده الإهطاع الإسراع و عزيز جماعات في تفرقه واحدهم عزه و إنما جمع بالواو و النون لأنه عوض مثل سنه و سنون و أصل عزه عزوه من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره فكل جماعه من هذه الجماعات مضافه إلى الأخرى.

قال الراعى:

أخليفه الرحمن إن عشيرتى أمسى سوامهم عزيزين فلولا

و قال عنتره:

و قرن قد تركت لدى مكر عليه الطير كالعصب العزينا

وقيل إن المحذوف من عزه هاء و الأصل عزهه و هو من العزهاه و هو المنقبض عن النساء و عن اللهو معهن قال الأحوص:

إذا كنت عزهاه عن اللهو و الصبى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

و

عن أبى هريره قال خرج النبى ص على أصحابه و هم حلق حلق متفرقون فقال ما لى أراكم عزيزين

و الأجدات القبور واحدها جدث و جدف بمعناه و الإيفاض الإسراع و النصب الصنم الذى كانوا يعبدونه قال الأعشى:

و ذا النصب المنسوب لا تنسكنه لعاقبه و الله ربك فاعبدا

. الإعراب .

«فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا» ما رفع بالابتداء و اللام خبره و فيه ضميره و قبلك فى موضع الحال من كفروا أو من المجرور على تقدير
فما لهم ثابتين قبلك و مهطعين حال من الضمير فى قبلك و يجوز فى قبلك أن يكون ظرفا للأم و أن يكون ظرفا لمهطعين و
يجوز أن يكون مهطعين حالا- بعد حال و عن اليمين يتعلق به و عزيزين حال بعد حال و يجوز أن يتعلق عن اليمين بعزيزين و معناه
مجتمعين عن اليمين و عن الشمال. «كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ» جملة منصوبه الموضع على الحال من قوله «سِرَاعًا» «خَاشِعَةً
أَبْصَارُهُمْ» حال من الضمير فى يوفضون.

المعنى

ثم قال سبحانه على وجه الإنكار على الكفار «فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى

ص: ١١٤

أى شىء للذين كفروا بتوحيد الله أى ما بالهم و ما حملهم على ما فعلوا «قِيلَ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ صَلَاتِكُمْ وَاسْتَمِعُوا كَلِمَةَ رَبِّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» مسرعين إليك عن أبى عبيده و قيل متطلعين عن الحسن و قيل مقبلين عنك بوجههم لا- يلتفتون عنك أى ناظرين إليك بالعداوة و المراد بالذين كفروا هنا المنافقون «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ» أى عن يمينك و عن شمالك «عَزِيزٍ» أى جماعات متفرقين عصبه عصبه و جماعه جماعه «أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ» أى من هؤلاء المنافقين ب «أَنْ يُدْخَلَ جَنَّهَ نَعِيمٍ» كما يدخل أولئك الموصوفون قبل هذا و إنما قال هذا لأنهم كانوا يقولون إن كان الأمر على ما قال محمد فإن لنا فى الآخرة عند الله أفضل مما للمؤمنين كما أعطانا فى الدنيا أفضل مما أعطاهم «كَلَّا» أى لا يكون و لا يدخلونها «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» أى من النطفه عن الحسن أى من كان أصله من هذا الماء المهين فكيف استوجب الجنة بأصله و بنفسه إنما يستوجبها بالأعمال الصالحه نبه سبحانه بهذا على أن الناس كلهم من أصل واحد و إنما يتفاضلون بالإيمان و الطاعه و تحقيقه إنما خلقناهم من المقادير و الأنجاس فمتى يدخلون الجنة و لم يؤمنوا بى و لم يصدقوا رسولى و قيل معناه خلقناهم من الجنس الذين يعلمون أو من الخلق الذين يعلمون و يفقهون و يلزمهم الحجه و لم نخلقهم من الجنس الذى لا- يفقه كالبهائم و الطير و قيل معناه خلقناهم من أجل ما يعلمون من الثواب و العقاب و التكليف للطاعات تعريضا للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم أى من أجل ما تعلم قال الأعشى:

أأزمت من آل ليلي ابتكارا و شطت على ذى هوى أن تزارا

أى من أجل آل ليلي و دل قوله و شطت على ذى هوى أنه لم يزمع من عندهم و إنما أزمع من أجلهم للمصير إليهم «فَلَا أُقْسِمُ» هو مفسر فى سورة الحاقه «بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ» يعنى مشارق الشمس و مغاربها فإن لها ثلاثمائة و ستين مطالعا لكل يوم مطلع لا تعود إليه إلى قابل عن ابن عباس «إِنَّا لَفَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ» هذا جواب

القسم يعنى أنا نقدر على أن نهلكهم و نأتى بدلهم بقوم آخرين خيرا منهم «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» هذا عطف على جواب القسم أى و إن هؤلاء الكفار لا يفوتون بأن يتقدموا على وجه يمنع لحاق العذاب بهم فإنهم لم يكونوا سابقين و لا العقاب مسبوqa منهم و التقدير و ما نحن بمسبوقين يفوت عقابنا إياهم فإنهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا و قيل معناه و ما نحن بمغلوبين عن أبى مسلم «فَأَنذَرُهم يَخُوضُوا» فى باطلهم «وَيَلْعَبُوا» فإن و بال ذلك عائد عليهم «حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ» يعنى يوم القيامة «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» أى القبور «سِرَاعاً» مسرعين لشده السوق «كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ» أى كأنهم يسعون و يسرعون إلى علم نصب لهم عن الجبائى و أبى مسلم و قيل كأنهم إلى أوثانهم يسعون للتقرب إليها عن ابن عباس و قتاده «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» أى ذليله خاضعه لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم «تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» أى تغشاهم مذله «ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى» وصفه اليوم الذى «كَانُوا يُوعَدُونَ» به دار التكليف فلا يصدقون به و يجحدونه قد شاهدوه فى تلك الحال.

(٧١) سورة نوح مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)

اشاره

عدد آياتها

ثمان و عشرون آيه كوفى تسع بصرى شامى ثلاثون فى الباقيين.

اختلافها

أربع آيات سُوعاً فَأَدْخِلُوا نَاراً كلاهما غير الكوفى وَ نَشراً كوفى و المدنى الأخير أَضَلُّوا كَثِيراً مكى و المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرّكهم دعوه نوح

أبو عبد الله (عليه السلام) قال من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر و يقرأ كتابه فلا يدع أن يقرأ سورة إنا أرسلنا نوحاً فأى عبد قرأها محتسباً صابراً فى فريضه أو نافله أسكنه الله مساكن الأبرار و أعطاه ثلاث جنان مع جنته كرامه من الله و زوجته مائتى حوراء و أربعه آلاف ثيب إن شاء الله تعالى.

تفسيرها

لما ختم سبحانه تلك السوره بوعيد أهل التكذيب افتتح هذه السوره بذكر قصه نوح و قومه و ما نالهم بالتكذيب تسليه للنبي ص فقال:

ص: ١١٧

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُوا (٣) يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَ إِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَ أَصْرُوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِشْرَارًا (٩)

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَ يُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ يُجْعِلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يُجْعِلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)

اللغة

الاستغشاء طلب التغشى و الإصرار الإقامه على الأمر بالعزيمة عليه و المدرار الكثير الدرور بالغيث و المطر و الأمداد إلحاق الثانى بالأول على النظام حالا بعد حال يقال أمده بكذا و مد النهر نهر آخر و الأموال جمع المال و هو عند العرب النعم و أصل الوقار الثبوت و ما به يكون الشىء عظيما من الحلم الذى يمتنع معه الخرق و الرجاء بمعنى الخوف قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عواسل.

الإعراب

«أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» فى موضع نصب بأرسلنا لأن الأصل بأن أنذر قومك فلما سقطت الباء أفضى الفعل و قيل إن موضعه جر و إن سقطت الباء و قد تقدم بيانه و يجوز أن يكون أن هذه المفسره بمعنى أى. و جهارا مصدر وضع موضع الحال أى دعوتهم مجاهرا لهم بالدعاء إلى التوحيد و قوله «مِدْرَارًا» نصب على الحال. لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» جملة فى موضع الحال أيضا و العامل فى الحال ما فى لكم فى معنى الفعل. وقارا منصوب بأنه مفعول ترجون.

أخبر سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَا» أى بعثنا «نُوحًا» رسولا «إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» معناه أرسلنا لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا قال الحسن أمره أن ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ثم حكى أن نوحا امتثل ما أمر الله سبحانه به بأن قال «قَالَ يَا قَوْمِ» أضافهم إلى نفسه فكأنه قال أنتم عشيرتى يسوؤنى ما يسوؤكم «إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ» أى مخوف مبين وجوه الأدله فى الوعيد و بيان الدين و التوحيد «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ» أى اعبدوا الله وحده و لا تشرکوا به شيئا و اتقوا معاصيه «وَ أَطِيعُوا» فيما أمركم به لأن طاعتى مقرونه بطاعه الله و طاعه الله واجبه عليكم لمكان نعمه السابقه التى لا توازيها نعمه منعم «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» أى فإنكم إن فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم و من مزيده و قيل إن من هاهنا للتبعيض و المعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفه و هى بعض الذنوب التى تضاف إليكم و لما كانت ذنوبهم التى يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الإطلاق لما يكون فى ذلك من الإغراء بالقبیح قيد سبحانه هذا التقييد «وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» و فى هذا دلالة على ثبوت أجلين كأنه شرط فى الوعد بالأجل المسمى عباده الله و التقوى فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الأجل الأقصى بالأجل الأدنى ثم قال «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ» يعنى الأقصى «إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صحه ذلك و تؤمنون به قال الحسن يعنى بأجل الله يوم القيامة جعله أجلا للبعث و يجوز أن يكون هذا حكاية عن قول نوح (عليه السلام) لقومه أن يكون إخبارا منه سبحانه عن نفسه «قال» نوح «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا» إلى عبادتك و خلع الأنداد من دونك و إلى الإقرار بنبوتى «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» أى لم يزدادوا بدعائى إياهم إلا فرارا من قبوله و نفارا منه و إدبارا عنه و إنما سمي كفرهم عند دعائه زياده فى الكفر لأنهم كانوا على كفر و ضلال فلما دعاهم نوح (عليه السلام) إلى الإقلاع عن ذلك و الإقرار به و لم يقبلوه فكفروا بذلك كان ذلك زياده فى الكفر لأن الزيادة هى إضافة الشىء إلى مقدار قد كان حاصلًا و لو حصلًا جميعًا فى وقت واحد لم يكن لأحدهما زياده على الآخر «وَ إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ عِبَادَتِكَ لِنَتَّغْفِرَ لَهُمْ» سيئاتهم «جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ» لثلا يسمعون كلامى و دعائى «وَ اشْتَتَعَشُوا نِيَابَهُمْ» أى غطوا بها وجوههم لثلا يرونى «وَ أَصَرُّوا» أى داموا على كفرهم «وَ اشْتَتَكَبَرُوا اشْتَتَكَبَرًا» أى تكبروا و أنفوا عن قبول الحق و الإصرار الإقامه على الأمر بالعزيمه عليه فلما كانوا عازمين على الكفر كانوا مصرين و قيل إن الرجل منهم كان يذهب بابنه إلى نوح فيقول له احذر هذا لا يغوينك فإن أبى قد ذهب بى إليه و أنا مثلك فحذرنى مثل ما حذرتك عن قتاده «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا» أى بأعلى صوتى عن ابن عباس و قيل مجاهره

يرى بعضهم بعضاً أى ظاهراً غير خفى «ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا» أى دعوتهم فى العلانية وفى السر وقيل معناه
 إني أعلنت جماعه بالدعوه وأسرت جماعه ثم أعلنت للذين أسرت وأسرت للذين أعلنت لهم ومعناه إني سلكت معهم فى
 الدعوه كل مذهب وتلطفت لهم فى ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» أى اطلبوا منه المغفره على كفركم و
 معاصيكم «إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» لكل من طلب منه المغفره فمتى رجعت عن كفركم وأطعتموه «يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا» أى
 كثيره الدرور بالغيث وقيل إنهم كانوا قد قحطوا وأسنتوا وهلكت أموالهم وأولادهم فلذلك رغبهم فى رد ذلك بالاستغفار مع
 الإيمان والرجوع إلى الله قال الشعبى قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر ليستسقى فلم يذكر إلا الاستغفار حتى
 نزل فلما نزل قيل له ما سمعناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية «وَ
 يُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنٍ» أى يكثر أموالكم وأولادكم المذكور عن عطا «وَ يَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ» أى بساتين فى الدنيا «وَ يَجْعَلُ لَكُمْ
 أَنْهَارًا» تسقون بها جناتكم قال قتاده علم نبي الله نوح أنهم كانوا أهل حرص على الدنيا فقال هلموا إلى طاعه الله فإن فيها درك
 الدنيا والآخرة وروى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكا إليه الجدوبه فقال له الحسن استغفر الله و أتاه آخر فشكا إليه
 الفقر فقال له استغفر الله و أتاه آخر فقال ادع الله أن يرزقنى ابنا فقال له استغفر الله فقلنا أتاك رجال يشكون أبوابا و يسألون
 أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسى إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح إنه قال
 لقومه «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» إلى آخره و

روى على بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال سأل رجل أبا جعفر (عليه السلام) و أنا عنده فقال له
 جعلت فداك إني كثير المال و ليس يولد لى ولد فهل من حيله قال نعم استغفر ربك سنة فى آخر الليل مائه مره فإن ضيقت
 ذلك بالليل فاقضه بالنهار فإن الله يقول «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» إلى آخره

ثم قال نوح (عليه السلام) لهم على وجه التبكيت «مَا لَكُمْ» معاشر الكفار «لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» أى لا تخافون الله عظمه فالوقار
 العظمه اسم من التوقير و هو التعظيم و الرجاء الخوف هنا و المعنى لا تعظمون الله حق عظمته فتوحدوه و تطيعوه عن ابن عباس و
 مجاهد و قيل معناه ما لكم لا ترجون لله

عاقبه عن قتاده أى لا- تطمعون فى عاقبه لعظمه الله تعالى و قيل معناه ما لكم لا تخافون الله عذابا و لا ترجون منه ثوابا فى روايه
أخرى عن ابن عباس و قيل معناه ما لكم لا ترجون الله عاقبه الإيمان و توحيدون الله عن الزجاج و قيل معناه ما لكم لا تعتقدون الله
إثباتا عن أبى مسلم «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» أى خلقكم طورا نطفه ثم طورا علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأه
خلقا آخر نبت له الشعر و كمل له الصورة عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل أطوارا أحوالا حالا بعد حال و قيل معناه صيانا
ثم شبانا ثم شيوخا و قيل خلقكم مختلفين فى الصفات أغنياء و فقراء و زمنا و أصحاء و طوالا و قصارا و الآيه محتمله للجميع.

ص: ١٢١

إشارة

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩)

لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَعَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبْرًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَلَا يَئُوثَ وَنَسِيرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤)

مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذِلُّوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)

القرءاءة

قرأ أهل المدينة ودا بالضم و الباقون بالفتح وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم و الباقون «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ» بالتاء و المد و الهمزة و قد ذكرنا الاختلاف في ولده في سورة مريم (عليه السلام).

الحجج

قال أبو عبيده زعموا أن ودا كان صنم لهذا الحي من كلب و حكاه بالفتح قال و سمعت قول الشاعر:

فحياك ود ما هداك لفتيه و خوص بأعلى ذى طواله هجد

و قال أبو الحسن ضم أهل المدينة الواو و عسى أن يكون لغه في اسم الصنم و سمعت هذا البيت:

حياك ودا فإننا لا يحل لنا لهو النساء و أن الدين قد عزما

الواو مضمومه و خطاياهم جمع التكسير و خطيئات جمع التصحيح و ما زائده كالتى فى قوله فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ و قوله فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ*.

اللغة

الفجاج الطرق المتسعة المتفرقة واحدها فج و قيل الفج المسلك بين جبلين و السواع هنا صنم و فى غيره الساعه من الليل و مثله السعواء و الكبار الكبير جدا يقال كبير ثم كبار ثم كبار و مثله عجيب و عجاب و عجاب و حسن و حسان و حسان و

روى أن أعرابيا سمع النبي ص يقرأ «وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا» فقال ما أفصح ربك يا محمد

و هذا من جفاء الأعراب لأن الله تعالى سبحانه لا يوصف بالفصاحة و ديارا فيعال من الدوران و نحوه القيام و الأصل قيوام و ديوار فقلبت الواو ياء و أدغمت إحداهما فى الأخرى قال الزجاج يقال ما بالدار ديار أى ما بها أحد يدور فى الأرض قال الشاعر:

ص: ١٢٢

و ما نبالى إذا ما كنت جارتنا أن لا يجاورنا إلاك ديار

فجعل المتصل موضع المنفصل ضروره.

الإعراب

طباقاً منصوباً على أحد وجهين أن يكون على تقدير خلقهن طباقاً و أن يكون نعنا لسبع أى سبع سماوات ذات طباق نباتا مصدر فعل محذوف تقديره أنبتكم فنبتم نباتا و قال الزجاج هو محمول على المعنى لأن معنى أنبتكم جعلكم تنبتون نباتا و ما من قوله «مِمَّا حَاطِئَاتِهِمْ» مزيدة لتأكيد الكلام.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المكلفين منبها لهم على توحيده فقال «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا» أى واحده فوق الأخرى كالقباب «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المعنى و جعل القمر نورا فى السماوات و الأرض عن ابن عباس قال يضىء ظهره لما يليه من السماوات و يضىء وجهه لأهل الأرض و كذلك الشمس (و ثانيها) أن معنى فيهن معهن يعنى و جعل القمر معهن أى مع خلق السماوات نورا لأهل الأرض (و ثالثها) أن معنى فيهن فى حيزهن و إن كان فى واحده منها كما تقول أتيت بنى تميم و إنما أتيت بعضهم «وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا» أى مصباحا يضىء لأهل الأرض كما كانت الشمس جعل فيها النور للاستضاءه به كانت سراجا فهى سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان «وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا» يعنى مبتدأ خلق آدم و آدم خلق من الأرض و الناس ولده و هذا كقوله «وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً» و قيل معناه أنه أنشأ جميع الخلق باغتذاء ما تنبتة الأرض و نما فيها و قيل معناه أنبتكم من الأرض بالكبر بعد الصغر و بالطول بعد القصر «ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا» أى فى الأرض أمواتا «وَيُخْرِجُكُمْ» منها عند البعث أحياء «إِخْرَاجًا» و إنما ذكر المصدر تأكيدا «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا» أى مبسوطة ليتمكنكم المشى عليها و الاستقرار فيها ثم بين أنه إنما جعلها كذلك «لِتَسِيلُوا مِنْهَا سَيْلًا فَجَاجًا» أى طرقا واسع و قيل طرقا مختلفه عن ابن عباس و قيل سبلا فى الصحارى و فجاجا فى الجبال و إنما عدد سبحانه هذه الضروب من النعم امتنانا على خلقه و تنبيها لهم على استحقاقه للعباده خالصه من كل شرك و دلالة لهم على أنه عالم بمصالحهم و مدبر لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب أن لا يقابلوا هذه النعم الجليله بالكفر و الجحود ثم عاد سبحانه إلى ذكر نوح (عليه السلام) بقوله «قَالَ نُوحٌ» على سبيل الدعاء «رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي» فيما أمرتهم به و نهيتهم عنه يعنى قومه «وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَ وَاوَدَّهُ إِلَّا خَسَارًا» أى و اتبعوا أغنياء

قومهم اغترارا بما آتاهم الله من المال و الولد فقالوا لو كان هذا رسولا لله لكان له ثروه و غنى و قرئ «وَلَمَدُهُ» و ولده بالضم و الفتح فالولد الجماعه من الأولاد و الولد الواحد و قيل هما سواء و الخسار الهلاك بذهاب رأس المال و قيل إن معناه اتبع الفقراء و السفله الرؤساء الذين لم يزددهم كثره المال و الأولاد إلا هلاكاً في الدنيا و عقوبه في الآخرة «وَمَكَرُوا» في دين الله «مَكْرًا كُبْرًا» أى كبيراً عظيماً عن الحسن و قيل معناه قالوا قولاً عظيماً عن ابن عباس و قيل اجترءوا على الله و كذبوا رسله عن الضحاك و قيل مكرهم تحريشهم سفلتهم على قتل نوح (عليه السلام) «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ» أى لا تتركوا عباده أصنامكم ثم خصوا أصناما لهم معروفه بعد دخولها في الجمله الأولى تعظيماً لها فقالوا «لَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَ لَا سُوعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسِيرًا» و هذه أسماء أصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب فيما بعد عن ابن عباس و قتاده و قيل إن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوح (عليه السلام) فنشأ قوم بعدهم يأخذون أخذهم في العباده فقال لهم إبليس لو صورتم صورهم كان أنشط لكم و أشوق إلى العباده ففعلوا فنشأ بعدهم قوم فقال لهم إبليس إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فمبدأ عباده الأوثان كان ذلك الوقت عن محمد بن كعب و قيل كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند و يحول بينه و بين الكفار لئلا يطوفوا بقبره فقال لهم إبليس إن هؤلاء يفخرون عليكم و يزعمون أنهم بنو آدم دونكم و إنما هو جسد و أنا أصور لكم مثله تطيفون به فنحت خمسه أصنام و حملهم على عبادتها و هى ود و سواع و يعوق و يغوث و نسر فلما كان أيام الغرق دفن الطوفان تلك الأصنام و طمها التراب فلم تزل مدفونه حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب فاتخذت قضاعه ودا فعبدوها بدومه الجندل ثم توارثها بنوه الأكبر فالأكابر حتى صارت إلى كلب فجاء الإسلام و هو عندهم و أخذ بطنان من طى يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً ثم أن بنى ناجيه أرادوا أن ينزعوه منهم ففروا به إلى بنى الحرث بن كعب و أما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الأ-كبر فالأكبر حتى صار إلى همدان و أما نسر فكان لختعم يعبدونه و أما سواع فكان لآل ذى الكلاع يعبدونه عن ابن عباس و قيل إن أوثان قوم نوح صارت إلى العرب فكانت ود بدومه الجندل و سواع برهاط لهذيل و كان يغوث لبنى غطيف من مراد و كان يعوق لهمدان و كان نسر لآل ذى الكلاع من حمير و كان اللات لثقيف و أما العزى فلسليم و غطفان و جشم و نضر و سعد بن بكر و أما مناه فكانت لفديد و أما إساف و نائله و هبل فلاهل مكه و كان إساف حيال الحجر الأسود و كانت نائله حيال الركن اليمانى و كان هبل فى جوف الكعبه

ثمانية عشر ذراعاً عن عطا و قتاده و الشمالي و قال الواقدي كان ود على صورة رجل و سواع على صورة امرأه و يغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس و نسر على صورة نسر من الطير «وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا» أى ضل عبادتها و بسببها كثير من الناس نظيره رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ و قيل معناه و قد أضل كبراًؤهم كثيراً من الناس عن مقاتل و أبى مسلم و على هذا فإن الضمير فى أضلوا يعود إلى أكبر قوم نوح «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا» أى هلاكاً كما فى قوله «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» و قيل إلا- فتنه بالمال و الولد و قيل إلا ذهاباً عن الجنة و الثواب قال البلخي لا تزدهم إلا منعا من الطاعات عقوبه لهم على كفرهم فإنهم إذا ضلوا استحقوا منع الألفاظ التى تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها و يمتثلون و لا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق و الإيمان لأن ذلك لا يجوز فى صفه الحكيم تعالى الله عن ذلك «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا» أى من خطيئاتهم و ما مزيده و التقدير من أجل ما ارتكبه من الخطايا و الكبائر «أُغْرِقُوا» على وجه العقوبه «فَأُدْخِلُوا نَارًا» بعد ذلك ليعاقبوا فيها «فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا» أى لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله و إنما أتى سبحانه بألفاظ المضى على معنى الاستقبال لصدق الوعد به و قال الضحاك أغرقوا فادخلوا ناراً فى الدنيا فى حاله واحده كانوا يغرقون من جانب و يحترقون فى النار من جانب و أنشد ابن الأنبارى:

الخلق مجتمع طورا و مفترق و الحادثات فنون ذات أطوار

لا تعجبن لأضداد إذا اجتمعت فالله يجمع بين الماء و النار

«وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا» أى نازل دار يعنى لا تدع منهم أحداً إلا أهلكته قال قتاده ما دعا بهذا عليهم إلا بعد أن أنزل عليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلذلك قال «إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ» أى إن تركهم و لم تهلكهم يضلوا عبادك عن الدين بالإغواء و الدعاء إلى خلافه «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» و إلا فلم يعلم نوح الغيب و إنما قال ذلك بعد أن أعلمه الله إياه و المعنى و لا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافراً لأنه لا يذم على الكفر من لم يقع منه فعل الكفر و قال مقاتل و الربيع و عطاء إنما قال ذلك نوح (عليه السلام) لأن الله تعالى أخرج من أصلابهم كل من يكون مؤمناً و أعقم أرحام نسائهم و أبيض أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة و أخبر الله تعالى نوحاً بأنهم لا يؤمنون و لا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاه فأهلكهم كلهم و لم يكن فيهم صبي وقت العذاب ثم دعا لنفسه و للمؤمنين و المؤمنات فقال «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِرِجَالِي»

و اسم أبيه لمك بن متوشلخ و اسم أمه سمحاء بنت أنوش و كانا مؤمنين و قيل يريد آدم و حواء «وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا» أى دخل دارى و قيل مسجدى عن الضحاک و قيل سفینتى و قيل يريد بيت محمد ص «وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» عامه و قيل من أمه محمد ص عن الكلبي «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا» أى هلاكا و دمارا قال أهل التحقيق دعا نوح (عليه السلام) دعوتين دعوه على الكافرين و دعوه للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الأرض و نرجو أن يستجيب أيضا دعوته للمؤمنين فيغفر لهم.

ص: ١٢٦

(٧٢) سورة الجن مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)

اشاره

[توضيح]

و هي ثمان و عشرون آيه

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة الجن أعطى بعدد كل جنى و شيطان صدق بمحمد و كذب به عتق رقبه.
حنان بن سدير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من أكثر قراءة قل أوحى لم يصبه في حياه الدنيا شىء من أعين الجن و لا من نفثهم و لا من سحرهم و لا من كيدهم و كان مع محمد ص فيقول يا رب لا أريد بهم بدلا و لا أريد بدرجتى حولا.

تفسيرها

لما تقدم فى سورة نوح (عليه السلام) أتباع قومه أكابرههم افتتح سبحانه فى هذه السوره اتباع الجن نبينا ص ليعلم الفرق بين من ربحت صفقته و بين من خسرت بيعته فقال:

ص: ١٢٧

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤)

وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَ الْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَ أَنَّا لَمَسِينَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا (٨) وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا (٩)

وَ أَنَّا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر «قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ» بفتح الألف و لم يختلفوا فيه ثم قرأ في الآية الثالثة و «أَنَّهُ تَعَالَى» بالفتح و في الرابعة «وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ» بالفتح و في السادسة «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ» بالفتح و يقرأ ما سواها بالكسر إلا قوله «وَ أَن لَّوِ اسْتَقَامُوا» وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ» فإنه يقرأ هذه الثلاثة بالفتح و قال الرواه عنه ما كان مردودا على الوحي فهو أنه بالفتح و ما كان من قول الجن فهو بالكسر و هذا قول غير مستقيم على قراءته و يمكن أن يكون قد وقع خلل في روايته و قرأ ابن عامر و أهل الكوفة غير أبي بكر بالفتح من قوله أنه تعالى إلى قوله و أنا منا المسلمون و قرأ الباقون كله بالكسر إلا قوله «وَ أَن لَّوِ اسْتَقَامُوا» وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ» فإنهما بالفتح لم يختلفوا فيه و قرأ نافع و عاصم بروايه أبي بكر و إنه لما قام بالكسر و الباقون بالفتح و قرأ يعقوب أن لن تقول بتشديد الواو و فتحها و فتح القاف و روى ذلك عن الجحدري و الحسن و الباقون «أَنَّ لَّنْ نَقُولَ» بالتخفيف و في الشواذ قراءه جويه بن عابد قل أحى إلى على وزن فعل.

الحجة

قال أبو على أما قوله «أَنَّ لَّوِ اسْتَقَامُوا» فإنه يجوز فيه أمران (أحدهما) أن تكون أن المخففه من الثقيله فيكون محمولا على الوحي كأنه أوحى إلى أن لو استقاموا و فصل لو بينها و بين الفعل كفصل السين و لا في قوله «أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ» وَ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ (و الآخر) أن يكون أن قبل لو بمنزله اللام في قوله «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ» إلى قوله «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» و قوله «لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَ يَعْفُرْنَا لَنُكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» فتلحق مره و تسقط أخرى لأن لو بمنزله فعل الشرط فكما لحقت اللام زائده قبل أن الداخلة على الشرط كذلك لحقت أن هذه قبل لو و معنى أَنَّ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ قد قيل فيه قولان (أحدهما) لو استقاموا على طريقه الهدى (و الآخر) لو استقاموا على الطريقه الكفر

و يستدل على القول الأول بقوله تعالى «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ» و قوله «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» و يستدل على الآخر بقوله تعالى «وَ لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سِقُوفًا مِنْ فِضَّةٍ» " و أما " قوله «وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» فزعم سيبويه أن المفسرين حملوه على أوحى كأنه و أوحى إلى أن المساجد لله و مذهب الخليل أنه على قوله و لأن المساجد لله فلا تدعوا كما أن قوله «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ» * على قوله و لأن هذه أمتكم أمه واحده و أنا ربكم فاعبدون أى لهذا فاعبدون و مثله فى قول الخليل لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ كأنه قال لهذا فليعبدوا قال سيبويه و لو قرأ و إن المساجد بالكسر لكان جيدا فأما قوله «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» فإنه على «أَوْحَى إِلَيَّ» و يكون أن يقطع من قوله «أَوْحَى» و يستأنف به كما جوز سيبويه القطع من أوحى فى قوله و إن المساجد لله و على هذا يحمل قراءه من كسر إن من قوله «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» و من قرأ كل ذلك بالفتح فإنه للحمل على أوحى و يجوز أن يكون على غيره كما حمل المفسرون وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ عَلَى الْوَحْيِ و حمله الخليل على ما ذكرناه عنه فأما ما جاء من ذلك بعد قول فحكايه كما حكى قوله «قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ» و كذلك ما بعد فاء الجزاء لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء و لذلك حمل سيبويه وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ عَلَى أَنْ الْإِبْتِدَاءَ فِيهَا مَضْمَرٌ وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ وَ مَنْ قرأ لن تقول فيكون قوله «كَذِبًا» منصوبا على المصدر من غير حذف موصوف و ذلك أن لن تقول فى معنى تكذب فجرى مجرى تبسمت و ميض البرق فإنه منصوب بفعل مضمر دل عليه تبسمت أى أو مضت فكأنه قال إن لن تكذب الإنس و الجن على الله كذبا قال ابن جنى و من رأى أن ينتصب و ميض البرق بنفس تبسمت لأنه فى معنى أو مضت أيضا كذبا بنفس تقول لأنه بمعنى كذب و من قرأ «أَنَّ لَنْ تَقُولَ» على وزن تقوم فإن كذبا وصف مصدر محذوف أى قولاً كذبا فكذبا هاهنا وصف لا مصدر كما فى قوله «وَ جَاؤُا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ» أى كاذب فإن جعلته هاهنا مصدرا نصبته نصب المفعول به أى لن تقول كذبا كقولك قلت حقا و قلت شعرا و لا يحسن أن تجعله مع تقول وصفا أى تقول تقولاً كذبا لأن التقول لا يكون إلا كذبا فلا فائده فيه و من قرأ أحى فهو من وحيته إليه بمعنى أوحيت و أصله وحي فلما انضمت الواو ضمنا لازما همزت و نحوه وَ إِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتُ أَي وَ قَتَّ قَالَ الْعَجَّاجُ

" وحي لها القرار

اللغة

الجد أصله القطع و منه الجد العظمه لانقطاع كل عظمه عنها لعلوها عليه و منه الجد أبو الأب لانقطاعه بعلو أبوته و كل من فوقه لهذا الولد أجداد و الجد الحظ لانقطاعه بعلو شأنه و الجد خلاف الهزل لانقطاعه عن السخف و منه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع فى غالب الأمر و الرهق لحاق الإثم و أصله اللحوق و منه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الأعشى:

لا شىء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى وامق ما لم يصب رهقا

أى لم يغش إثمًا.

الإعراب

حرسا منصوب على التمييز و هو جمع حارس و يجوز أن يكون جمع حرسى فيكون مثل عربى و عرب و شديدا مذكر محمول على اللفظ و يمكن أن يكون على النسبه أى ذات شده و مقاعد نصب لأنه ظرف مكان. «أَشْرُّ أُرَيْدَ» مبتدأ و خبر و إنما جاز أن تكون النكرة مبتدأ من غير تخصيص لأجل همزه الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفى لأن كليهما يفيد معنى العموم.

المعنى

أمر سبحانه نبيه محمدا ص أن يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم فقال «قُلْ» يا محمد «أَوْحَى إِلَيَّ» إنما ذكره على لفظ ما لم يسم فاعله تفخيما و تعظيما و الله سبحانه أوحى إليه و أنزل الملك عليه «أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ» أى استمع القرآن طائفه من الجن و هم جيل رفاق الأجسام خفيفه على صوره مخصوصه بخلاف صوره الإنسان و الملائكة فإن الملك مخلوق من النور و الإنس من الطين و الجن من النار «فَقَالُوا» أى قالت الجن بعضها لبعض «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا» و العجب ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه و خروجه عن العاده فى مثله فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العاده فى الكلام و خفى سببه عن الأنام كان عجبا لا محاله و أيضا فإنه مبين لكلام الخلق فى

المعنى و الفصاحه و النظام لا يقدر أحد على الإتيان بمثله و قد تضمن أخبار الأولين و الآخرين و ما كان و ما يكون أجراه الله على يد رجل أمى من قوم أميين فاستعظموه و سموه عجبا «يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» أى يدل على الهدى و يدعو إليه و الرشد ضد الضلال «فَأَمَّا بِهِ» أى صدقنا بأنه من عند الله «وَلَنْ نُشْرِكَ» فيما بعد «بِرَبِّنَا أَحَدًا» فنوجه العباده إليه بل نخلص العباده لله تعالى و المعنى أنا قد بدأنا بأنفسنا فقبلنا الرشد و الحق و تركنا الشرك و اعتقدنا التوحيد و فى هذا دلالة على أنه ص كان مبعوثا إلى الجن و الإنس و على أن الجن عقلاء مخاطبون و بلغات العرب عارفون و على أنهم يميزون بين المعجز و غير المعجز و أنهم دعوا قومهم إلى الإسلام و أخبروهم بإعجاز القرآن و أنه كلام الله تعالى لأن كلام العباد لا يتعجب منه و

روى الواحدى بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله ص على الجن و ما رأهم انطلق رسول الله ص فى طائفه من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ و قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا و بين خبر السماء و أرسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك إلا من شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض و مغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ص و هو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ و هو يصلى بأصحابه صلاه الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له و قالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم و قالوا «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» فأوحى الله تعالى إلى نبيه ص «قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمِعَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ» و رواه البخارى و مسلم أيضا فى الصحيح

و

عن علقمه بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم مع النبي ص ليله الجن فقال ما كان منا معه أحد فقدناه ذات ليله و نحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله ص أو استطير فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا يا رسول الله أين كنت لقد أشفقنا عليك و قلنا له بنتا الليله بشر ليله بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا أنه أتانى داعى الجن فذهبت أقرئهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم و آثار نيرانهم فأما أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه

و عن أبى روق قال هم تسعه نفر من الجن قال أبو حمزه الثمالى و بلغنا أنهم من بنى الشيصبان هم أكثر الجن عددا و هم عامه جنود إبليس و قيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين رأهم النبي ص فأمنوا به و أرسلهم إلى سائر الجن «وَأَنَّ تَعَالَى حَيْدُ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَهُ وَ لَا وَلَمَدًا» الاختيار كسر إن لأنه من قول الجن لقومهم و هو معطوف على قوله «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا» أى و قالوا تعالى جد ربنا و قال الفراء من فتح فتقديره فأمنوا به و آمنوا بأنه تعالى جد ربنا و كذلك كل ما كان بعده ففتح أن بوقوع الإيمان عليه و المعنى تعالى جلال ربنا و عظمته عن اتخاذ الصحابه و الولد عن الحسن

و مجاهد و قيل معناه تعالت صفات الله التي هي له خصوصا و هي الصفات العاليه التي ليست للمخلوقين عن أبي مسلم و قيل معناه جل ربنا في صفاته فلا- تجوز عليه صفات الأجسام و الأعراض عن الجبائي و قيل تعالى قدره ربنا عن ابن عباس و قيل تعالى ذكره عن مجاهد و قيل فعله و أمره عن الضحاک و قيل علا ملك ربنا عن الأخفش و قيل تعالى آلاؤه و نعمه على الخلق عن القرظي و الجميع يرجع إلى معنى واحد و هو العظمة و الجلال على ما تقدم ذكرهما و منه قول أنس بن مالك كان الرجل إذا قرأ سورة البقره جد في أعيننا أى عظم و

قال الربيع بن أنس أنه قال ليس لله تعالى جد و إنما قالته الجن بجهاله فحكاه سبحانه كما قالت و روى ذلك عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام)

«وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهًا» أى جاهلنا «عَلَى اللَّهِ شَطَطًا» أرادوا بسفيهم إبليس عن مجاهد و قتاده و الشطط السرف في ظلم النفس و الخروج عن الحق فاعترفوا بأن إبليس كان يخرج عن الحد في إغواء الخلق و دعائهم إلى الضلال و قيل شططا أى قولاً بعيداً من الحق و هو الكذب في التوحيد و العدل «وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» اعترفوا بأنهم ظنوا أن لن يقول أحد من الإنس و الجن كذبا على الله في اتخاذ الشريك معه و صاحبه و الولد أى حسبنا أن ما يقولونه من ذلك صدق و أنا على حق حتى سمعنا القرآن و تبينا الحق به و فى هذا دلالة على أنهم كانوا مقلده حتى سمعوا الحجة و انكشف لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه و فى إشاره إلى بطلان التقليد و وجوب اتباع الدليل «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ» أى يعتصمون و يستجيرون و كان الرجل من العرب إذا نزل الوادى فى سفره ليلا- قال أعوذ بعزير هذا الوادى من شر سفهاء قومه عن الحسن و مجاهد و قتاده و كان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجن تحفظهم قال مقاتل و أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفه ثم فشا فى العرب و قيل معناه و أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من أجل الجن و من معره الجن عن البلخي قال لأن الرجال لا تكون إلا فى الناس و قال الأولون فى الجن رجال مثل ما فى الناس «فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» أى فزاد الجن الإنس إثما على إثمهم الذى كانوا عليه من الكفر و المعاصى عن ابن عباس و قتاده و قيل رهقا أى طغيانا عن مجاهد و قيل فرقا و خوفا عن الربيع و ابن زيد و قيل شرا عن الحسن و قيل زادوهم ذله و ضعفا قال الزجاج يجوز أن يكون الإنس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقا و ذلك أن الجن كانوا يزدادون طغيانا فى قومهم بهذا التعوذ فيقولون سدنا الإنس و الجن و يجوز أن يكون الجن زاد الإنس رهقا «وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا» قيل معناه قال مؤمنوا الجن لكفارهم

إن كفار الإنس الذين يعوذون برجال من الجن في الجاهلية حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن أن لن يبعث الله رسولا بعد موسى أو عيسى و وراء هذا أن الجن مع تمردهم و عتوهم لما سمعوا القرآن آمنوا و اهدتوا به فأنتم معاشر العرب أولى بالتفكر و التدبر لتؤمنوا و تهتدوا مع أن الرسول من جنسكم و لسانه لسانكم و قيل إن هذه الآية مع ما قبلها اعتراض من إخبار الله تعالى يقول إن الجن ظنوا كما ظننتم معاشر الإنس أن الله لا يحشر أحدا يوم القيامة و لا يحاسبه عن الحسن و قيل يعني لن يبعث الله أحدا رسولا عن قتاده ثم حكى عن الجن قولهم «وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ» أى مسسناها و قيل معناه طلبنا الصعود إلى السماء فعبر عن ذلك باللمس مجازا عن الجبائى و قيل التمسنا قرب السماء لاستراق السمع عن أبى مسلم «فَوَحَّيْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا» أى حفظه من الملائكة شدادا «وَوَشَّهَبًا» و التقدير ملئت السماء من الحرس و الشهب و هو جمع شهاب و هو نور يمتد من السماء كالنار «وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ» أى لاستراق السمع أى كان يتهاى لنا فيما قبل القعود فى مواضع الاستماع فنسمع منها صوت الملائكة و كلامهم «فَمَنْ يَسْمَعِ» منا «الآن» ذلك «يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصِيدًا» يرمى به و يرصد له و شهابا مفعول به و رصدا صفتة قال معمر قلت للزهري أ كان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت أ فرأيت قوله «أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا» الآية قال غلظ و شدد أمرها حين بعث النبى ص قال البلخى إن الشهب كانت لا محاله فيما مضى من الزمان غير أنه لم يكن يمنع بها الجن عن صعود السماء فلما بعث النبى ص منع بها الجن من الصعود «وَأَنَا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ» أى بحدوث الرجم بالشهب و حراسه السماء جوزوا هجوم انقطاع التكليف أو تغيير الأمر بتصديق نبى من الأنبياء و ذلك قوله «أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا» أى صلاحا و قيل معناه إن هذا المنع لا يدرى العذاب سينزل بأهل الأرض أم لنبى يبعث و يهدى إلى الرشد فإن مثل هذا لا يكون إلا لأحد هذين الأمرين و سمي العذاب شرا لأنه مضره و سمي بعثه الرسول رشدا لأنه منفعه.

اشاره

وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا (١١) وَ أَنَا ظَنَّنَا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْمَارِضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا- يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا (١٣) وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)

وَ أَن لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صِيغَاءً (١٧) وَ أَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)

القراءه

قرأ أهل العراق غير أبي عمرو يسلكه بالياء و الباقون بالنون و قرأ ابن عامر بروايه هشام لبدا بضم اللام و الباقون بكسرها و قرأ أبو جعفر و عاصم و حمزه «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا» و الباقون قال و فى الشواذ قراءه الأعمش و يحيى بن وثاب لو استقاموا بضم الواو و قراءه الحسن و الجحدري لبدا بالتشديد و فى روايه أخرى عن الجحدري لبدا بضميتين.

الحجه

من قرأ «يَسْلُكْهُ» بالياء فلتقدم ذكر الغيبه فى قوله «وَ مَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ» و من قرأ بالنون فهو مثل قوله وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ بعد قوله سبحانه الَّذِي أَسْرَى و من قرأ قال إنما ادعوا فلتقدم ذكر الغيبه أيضا فى قوله «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» و من قرأ «قُلْ» فلأن بعده قُلْ إِنِّي لَا- أُمْلِكُ* قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ و من قرأ لبدا فإن اللبد الكثير من قوله مَالًا لِيَدًّا و كأنه قيل له لبد لركوب بعضه على بعض و لصوق بعضه ببعض لكثرتة و اللبد جمع لبده و هى الجماعه و قد يقال ذلك للجراد الكثير قال بعض الهذليين:

صابوا بسته أبيات و واحده حتى كان عليهم جابيا لبدا

قال الجبائى هو الجراد لأنه يجبى كل شىء بأكله و قال الزجاج اللبده و اللبده بمعنى

و من قرأ لبدا بالتشديد فإنه وصف على فعل كالجبا و الزمل و يجوز أن يكون جمع لأبد فيكون مثل راع و ركع و اللبد من الأوصاف التي جاءت على فعل كناقه سرح و رجل طلق و من قرأ لو استقاموا فإنه على التشبيه بواو الجماعه نحو قوله اشترؤا الضَّالَّه* كما شبهت تلك بهذه فقيل اشترؤا الضلاله و قد مضى هذا فى سورة البقره.

اللغه

الصالح عامل الصلاح الذى يصلح به حاله فى دينه و أما المصلح فهو فاعل الصلاح الذى يقوم به أمر من الأمور و لهذا يوصف سبحانه بأنه مصلح و لا يوصف بأنه صالح و الطرائق جمع طريقه و هى الجبهه المستمره مرتبه بعد مرتبه و القدد القطع جمع قده و هى المستمره بالقد فى جهه واحده و الرهق لحاق السرف فى الأمر و هو الظلم و القاسط الجائر و المقسط العادل و نظيره الترب الفقير و المترب الغنى و أصله التراب فالأول ذهب ماله حتى لصق بالتراب و الآخر كثر ماله حتى صار بعدد التراب و كذلك القاسط هو العادل عن الحق و المقسط العادل إلى الحق قال:

قوم هم قتلوا ابن هند عنوه عمرا و هم قسطوا على النعمان

و قال آخر:

قسطنا على الأملاك فى عهد تبع و من قبل ما أردى النفوس عقابها

و التحرى تعمد إصابه الحق و أصله طلب الشىء و القصد له قال امرؤ القيس:

ديمه هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى و تدر

و ماء غدق كثير و غدق المكان يغدق غدقا كثر فيه الماء و الندى و هو غدق عن الزجاج و قال أميه بن أبى الصلت:

مزاجها سلسيل ماؤها غدق عذب المذاقه لا ملح و لا كدر

ص: ١٣٥

و الصعد الغليظ الصعب المتصعب فى العظم و منه التنفس الصعداء و الصعود العقبة الكؤود الشاقه.

المعنى

ثم قال سبحانه فى تمام الحكايه عن الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن «وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ» وهم الذين عملوا الصالحات المخلصون «وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ» أى دون الصالحين فى الرتبة عن ابن عباس و قتاده و مجاهد «كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا» أى فرقا شتى على مذاهب مختلفه و أهواء متفرقه من مسلم و كافر و صالح و دون الصالح عن ابن عباس و مجاهد و قيل قددا ألوانا شتى مختلفين عن سعيد بن جبير و الحسن و قيل فرقا متباينه كل فرقه تباين صاحبتهما كما يبين المقدود بعضه من بعض قال السدى الجن أمثالكم فيهم قدرية و مرجئه و رافضه و شيعه «وَأَنَا ظَنْنَا» أى علمنا و تيقنا «أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ» أى لن نفوته إذا أراد بنا أمرا «وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا» أى أنه يدركنا حيث كنا «وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ» اعترفوا بأنهم لما سمعوا القرآن الذى فيه الهدى صدقوا به ثم قالوا «فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ» أى يصدق بتوحيد ربه و عرفه على صفاته «فَلَا يَخَافُ» تقديره فإنه لا يخاف «بِخُسَا» أى نقصانا فيما يستحقه من الثواب «وَلَا رَهَقًا» أى لحاق ظلم و غشيان مكروه و كأنه قال لا يخاف نقصا قليلا و لا كثيرا و ذلك أن أجره و ثوابه موفر على أتم ما يمكن فيه و قيل معناه فلا يخاف نقصا من حسناته و لا زياده فى سيئاته عن ابن عباس و الحسن و قتاده و ابن زيد قالوا لأن البخس النقصان و الرهق العدوان و هذه حكاية عن قوه إيمان الجن و صحه إسلامهم ثم قالوا «وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ» الذين استسلموا لما أمرهم الله سبحانه به و انقادوا لذلك «وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ» أى الجائرون عن طريق الحق «فَمَنْ أَسْلَمَ» لما أمره الله به «فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا» أى توجهوا الرشده و التمسوا الثواب و الهدى و تعمدوا إصابه الحق و ليسوا كالمشركين الذين ألفوا ما يدعوهم إليه الهوى و زاغوا عن طريق الهدى «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ» العادلون عن طريق الحق و الدين «فَكَانُوا» فى علم الله و حكمه «لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» يلقون فيها فتحرقهم كما تحرق النار الحطب أو يكون معناه فسيكونون لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد النار بالحطب «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» هذا ابتداء حكم من الله سبحانه أى لو استقام الإنس و الجن على طريقه الإيمان عن ابن عباس و السدى و قيل أرادته مشركى مكه أى لو آمنوا و استقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيرا من السماء و ذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين عن مقاتل و قيل لو آمنوا و استقاموا لوسعنا عليهم فى الدنيا و ضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير كله و الرزق يكون فى المطر و هذا كقوله «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ» إلى قوله «لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» و قوله «لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم

بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» و قيل معناه لو استقاموا على طريقه الكفر فكانوا كفارا كلهم لأعطيناهم مالا كثيرا و لو سعننا عليهم تغليظا للمحنه فى التكليف و لذلك قال «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» أى لنختبرهم بذلك عن الفراء و هو قول الربيع و الكلبي و الثمالى و أبى مسلم و ابن مجلز و دليله فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم الآيه و قيل لنفتنهم معناه لنعاملهم معاملة المختبر فى شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم إليه و فى ذلك المحنه الشديده و هى الفتنة و المثوبه على قدر المشقه فى الصبر عما تدعو إليه الشهوات و روى عن عمر بن الخطاب أنه قال فى هذه الآيه أينما كان الماء كان المال و أينما كان المال كانت الفتنة و قيل معناه لتختبرهم كيف يكون شكرهم للنعم عن سعيد بن المسيب و قتاده و مقاتل و الحسن و الأولى أن تكون الاستقامه على الطريقه محموله على الاستقامه فى الدين و الإيمان لأنها لا تطلق إلا على ذلك و لأنها فى موضع التلطف و الاستدعاء إلى الإيمان و الحث على الطاعه و

فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) عن أبى بصير قال قلت لأبى جعفر (عليه السلام) قول الله «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا»* قال هو و الله ما أنتم عليه و لو استقاموا على الطريقه لأسقيناهم ماء غدقا

و

عن بريد العجلي عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الأئمه

ثم قال سبحانه على وجه التهديد و الوعيد «وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ» أى و من يعدل عن الفكر فيما يؤديه إلى معرفه الله و توحيدہ و الإخلاص فى عبادته و قيل عن شكر الله و طاعته «يَسْئَلُكَ عَذَابًا صَعَدًا» أى يدخله عذابا شاقا شديدا متصعدا فى العظم و إنما قال يسلكه لأنه تقدم ذكر الطريقه و قيل معناه عذابا ذا صعده أى ذا مشقه «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» تقديره و لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا سوى الله عن الخليل و المعنى لا تذكروا مع الله فى المواضع التى بنيت للعباده و الصلاه أحدا على وجه الإشراك فى عبادته كما تفعل النصارى فى بيعهم و المشركون فى الكعبه قال الحسن من السنه عند دخول المساجد أن يقال لا إله إلا الله لا أدعو مع الله أحدا و قيل المساجد مواضع السجود من الإنسان و هى الجبهه و الكفان و أصابع الرجلين و عينا الركبتين و هى لله تعالى إذ خلقها و أنعم بها فلا ينبغى أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى عن سعيد بن جبیر و الزجاج و الفراء و

روى أن المعتصم سأل أبا جعفر محمد بن على بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قوله تعالى «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» فقال هى الأعضاء السبعه التى يسجد عليها

و قيل إن المراد بالمساجد البقاع كلها و ذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي ص مسجدا عن الحسن و قال سعيد بن جبیر قالت الجن للنبي ص كيف لنا أن نأتى المسجد و نشهد معك الصلاه و نحن ناءون عنك فنزلت الآيه و روى عن الحسن أيضا أن المساجد الصلوات و هى لله و المراد أخلصوا لله العباده

و أقروا له بالتوحيد و لا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» يريد به محمدا ص «يَدْعُوهُ» بقول لا إله إلا الله و يدعو إليه و يقرأ القرآن «كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا» أى كاد الجن يركب بعضهم بعضا يزدحمون عليه حرصا منهم على استماع القرآن عن ابن عباس و الضحاك و قيل هو من قول الجن لأصحابهم حين رجعوا إليهم و المراد أن أصحاب النبي ص يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يود كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبد بعضهم على بعض عن سعيد بن جبير و قيل هو من جملة ما أوحى الله إلى النبي ص بما كان من حرص الجن على استماع القرآن و قيل معناه أنه لما دعا قريشا إلى التوحيد كادوا يتراكبون عليه بالزحمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوه و أبى الله إلا أن ينصره و يظهره على ما ناواه عن قتاده و الحسن و على هذا فيكون ابتداء كلام «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا» و ذلك أنهم قالوا للنبي ص إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع مثله فارجع عنه فأجابهم بهذا عن مقاتل و أمره سبحانه بأن يجيبهم بهذا فقال «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي» و هذا يعضد قول الحسن و قتاده لأنه كالذم لهم على ذلك.

اشاره

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥)

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)

القراءه

قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء و الباقون «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء و المعنيان متقاربان.

اللغه

الملتحد الملتجأ بالميل إلى جهه و الرصد جمع راصد و هو الحافظ.

الإعراب

بلاغا منصوب لأنه بدل من ملتحد أى لن أجد ملجأ إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلنى به فهو ملجأى و رسالاته منصوبه بالعطف على محذوف و التقدير إلا بلاغا من الله و آياته و رسالاته قوله «مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا» جملة من مبتدأ و خبر هى تعليق و ناصرا نصب على التمييز و كذلك قوله «عَدَدًا» و قوله «أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ» الاستفهام مع ما فى حيزه تعليق «إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ» يجوز أن يكون من مبتدأ و قوله «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ» خبره و يجوز أن يكون استثناء منقطعا و عددا انتصابه على ضربين (أحدهما) على معنى و أحصى كل شىء فى حال العدد فلم يخف عليه سقوط ورقه و لاجبه و لا رطب و لا يابس (و الآخر) أن يكون فى موضع المصدر لأن معناه و عد كل شىء عددا عن الزجاج.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد للمكلفين «إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا» أى لا أقدر على دفع الضرر عنكم و لا إيصال الخير إليكم و إنما القادر على ذلك هو الله تعالى و لكنى رسول ليس على إلا البلاغ و الدعاء إلى الدين و الهدايه إلى الرشاد و هذا اعتراف بالعبودية و إضافه الحول و القوه إليه تعالى ثم قال «قُلْ» لهم يا محمد «إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ» أى لا يمنعنى أحد مما قدره الله على «وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ» أى من دون الله «مُلْتَحَدًا» أى ملتجأ إليه أطلب به السلامه «إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ» أى تبليغا من الله آياته «وَرِسَالَاتِهِ» فإنه ملجأى و منجأى و ملتحدى و لى فيه الأمان و النجاه عن الحسن و الجبائى و قيل معناه لا أملك لكم ضرا و لا رشدا فما على إلا البلاغ عن الله فكأنه قال لا أملك شيئا سوى تبليغ و حى الله بتوفيقه و عونته عن قتاده و قيل أن قوله «إِلَّا بَلَاغًا» يحتمل معنيين (أحدهما) إلا- ما بلغنى من الله أى لا يجيرنى شىء إلا ما أتانى من الله فلا فرق بين أن يقول

بلغنى كتابه و أن يقول أتانى كتابه (و الثانى) إلا تبليغ ما أنزل إلى فأما القبول و الإيمان فليس إلى و إنما ذلك إليكم عن أبى مسلم و قيل أنه عطف رسالاته على البلاغ فوجب أن يكون غيره فالأولى أن يكون أراد بالبلاغ ما بلغه من توحيد الله و عدله و ما يجوز عليه و ما لا يجوز و أراد بالرساله ما أرسل لأجله من بيان الشرائع و لما بين سبحانه أنه لا

ص: ١٣٩

ملجأ من عذابه إلا طاعته عقبه بوعيد من قارف معصيته فقال «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» أى خالف أمره فى التوحيد و ارتكب الكفر و المعاصى «فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» جزاء على ذلك «حَتَّى إِذَا رَأَوْا» فى الآخرة «مَا يُوعَدُونَ» به من العقاب فى الدنيا و قيل هو عذاب الاستئصال «فَسَيَعْلَمُونَ» عند ذلك «مَنْ أضعفُ ناصراً و أقلُّ عدداً» المشركون أم المؤمنون و قيل أجد الله أم الذى عبده المشركون و إنما قال «مَنْ أضعفُ ناصراً» و لا ناصر لهم فى الآخرة لأنه جاء على جواب من توهم أنه إن كانت الآخرة فناصرهم أقوى و عددهم أكثر و فى هذا دلالة على أن المراد بقوله «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الكفار و كانوا يفتخرون على النبى ص بكثره جموعهم و يصفونه بقله العدد فبين سبحانه أن الأمر سينعكس عليهم «قُلْ» يا محمد «إِنْ أَدْرَى» أى لست أعلم «أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ» به من العذاب «أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمِيداً» أى مهله و غايه ينتهى إليها قال عطاء أراد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده «عَالِمُ الْغَيْبِ» أى هو عالم الغيب يعلم متى تكون القيامة «فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحِيداً» أى لا يطلع على الغيب أحدا من عباده ثم استثنى فقال «إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» يعنى الرسل فإنه يستدل على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آيه معجزه لهم و معناه أن من ارتضاه و اختاره للنبوه و الرساله فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحه و هو قوله «فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصِداً» و الرصد الطريق أى يجعل له إلى علم ما كان قبله من الأنبياء و السلف و علم ما يكون بعده طريقاً و قيل معناه أنه يحفظ الذى يطلع عليه الرسول فيجعل من بين يديه و من خلفه رسداً من الملائكه يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنه و قيل رسداً من بين يدي الرسول و من خلفه و هم الحفظه من الملائكه يحرسونه عن شر الأعداء و كيدهم فلا يصل إليه شرهم و قيل المراد به جبرائيل (عليه السلام) أى يجعل من بين يديه و من خلفه رسداً كالحجاب تعظيماً لما يتحملة من الرساله كما جرت عادة الملوك بأن يضموا إلى الرسول جماعه من خواصهم تشريفا له و هذا

كما روى أن سورة الأنعام نزلت و معها سبعون ألف ملك

«لِيَعْلَمَ» الرسول «أَنْ قَدْ أبلغُوا» يعنى الملائكه قال سعيد بن جبير ما نزل جبرائيل بشىء من الوحي إلا و معه أربعة من الملائكه حفظه فيعلم الرسول أنه قد أبلغ الرساله على الوجه الذى قد أمر به و قيل ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات الله عن مجاهد و قيل ليعلم محمد ص أن الرسل قبله قد أبلغ جميعهم «رسالات ربهم» كما أبلغ هو إذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله عن قتاده و قيل ليعلم الله أن قد أبلغوا عن الزجاج و قيل معناه ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالماً و يعلمه واقعا كما كان يعلم أنه سيقع و قيل أراد

ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله «لِيُعَلِّمَ» إبلاغهم توسعا عن الجبائي وهذا كما يقول الإنسان ما علم الله ذلك منى أى ما كان ذلك أصلا لأنه لو كان لعلم الله ذلك فوضع العلم موضع الكون «وَ أَحَاطَ بِمَا لَمَدَيْهِمْ» أى أحاط الله علما بما لدى الأنبياء و الخلائق و هم لا يحيطون إلا بما يطلعهم الله عليه مما هو عند الله «وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» أى أحصى ما خلق و عرف عدد ما خلق لم يفته علم شىء حتى مثاقيل الذر و الخردل عن ابن عباس و قيل معناه عد جميع المعلومات المعدومه و الموجوده عدا فعلم صغيرها و كبيرها و قليلها و كثيرها و ما يكون و ما لا يكون و ما كان و ما لم يكن و لو كان كيف كان و قيل معناه لا شىء يعلمه عالم أو يذكره ذاكر إلا- و هو تعالى عالم به و محص إياه عن الجبائي قال الإحصاء فعل و ليس هو بمنزله العلم فلا يجوز أن يقال أحصى ما لا- يتناهى كما يجوز أن يقال علم ما لا يتناهى فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات و إن حمل على العد تناول الموجودات.

ص: ١٤١

(٧٣) سورة المزمل مكيه و آياتها عشرون (٢٠)

اشاره

[توضيح]

و هي مدنيه و قيل بعضها مكى و بعضها مدنى.

عدد آياتها

ثمانى عشره آيه المدنى الأخير و تسع عشره بصرى عشرون فى الباقيين.

اختلافها

ثلاث آيات «المزمل» كوفى شامى و المدنى الأول «شيباً» غير المدنى الأخير «إِلَيْكُمْ رَسُولًا» مكى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر فى الدنيا و الآخرة

منصور بن حازم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و من قرأ سورة المزمل فى العشاء الآخرة أو فى آخر الليل كان له الليل و النهار شاهدين مع السوره و أحياه الله حياه طيبه و أماته ميتة طيبه.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الجن بذكر الرسل افتتح هذه السوره بذكر نبينا ص خاتم الرسل فقال:

ص: ١٤٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)

إِنَّا سَيَّلْنَاهُ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)

وَ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو و ابن عمرو و طاء بكسر الواو و المد و الباقون «وَطْئًا» بفتح الواو و سكون الطاء مقصورا و قرأ أهل الكوفة غير حفص و ابن عمرو و يعقوب رب المشرق بالجر و الباقون بالرفع و فى الشواذ قراءة عكرمه المزمل و المدثر خفيفه الزاى و الدال مشدده الميم و الثاء و قراءة أبى السماك قم الليل بضم الميم.

الحجج

من قرأ أشد و طاء فمعناه مواطاه أى موافقه و ملاءمه و منه لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ أَى لِيُوَافِقُوا و المعنى أن صلاه ناشئه الليل و عمل ناشئه الليل يواطئ السمع القلب فيها أكثر مما يواطئ فى ساعات النهار و لأن البال أفرغ لانقطاع كثير مما يشغل بالنهار و من قال «وَطْئًا» فالمعنى أنه أشق على الإنسان من القيام بالنهار لأن الليل للذعه و السكون و

جاء فى الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر

«وَ أَقْوَمُ قِيلًا» أى أشد استقامه و صوابا لفراغ البال و انقطاع ما يشغله قال:

له و لها وقع بكل قراره و وقع بمستن الفضاء قويم

أى مستقيم.

و الناشئه ما يحدث و ينشأ من ساعات الليل و الرفع فى «رَبُّ الْمَشْرِقِ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنه لما قال «وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ» قطعه من الأول فقال هو «رَبُّ الْمَشْرِقِ» فيكون خبر مبتدأ محذوف (و الآخر) أن يكون مبتدأ و خبره الجملة التى هى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و من جر فعلى إتباعه قوله «اسْمَ رَبِّكَ» و أما قوله المزمل بتخفيف الزاى فعلى حذف المفعول به يا أيها المزمل نفسه و المدثر نفسه و حذف المفعول كثير قال الحطيئة:

منعمه تصون إلیک منها کصونک من رداء شرعی

ص: ۱۴۳

أى تصون حديثا و تخزنه كقول الشنفرى:

كان لها فى الأرض نسيا نقصه على أمها و إن تكلمك تبت

و من قرأ قم الليل و ضم فيمكن أن يكون ضمه للاتباع.

اللغة

المزمل المتزمل فى ثيابه أدغم التاء فى الزاى لأن الزاى قريبه المخرج من التاء و هى أندى فى المسموع من التاء و كل شىء لفف فقد زمل قال امرؤ القيس:

كان ثيرا فى عرابين وبله كبير أناس فى بجاد مزمل

و النصف أحد قسمى الشىء المساوى للآخر فى المقدار كما أن الثلث جزء من ثلاثه و الربع جزء من أربعة و هذه من صفات الأجسام فإذا رفعت التأليفات عنها بقيت أجزاء لا توصف بأن لها نصفاً أو ثلثاً أو ربعاً و العرض لا يوصف بالنصف و الجزء. و القديم لا يوصف أيضاً بذلك لأن هذه عبارات عن مؤلفات على وجوه فإن قيل فإذا يجب أن لا يكون وصف القديم تعالى بأنه واحد مدحا فالجواب أن معنى قولنا أنه واحد اختصاصه بصفات لا يستحقها غيره و هى كونه قادرا عالما لذاته قديما و نحو ذلك و إذا قيل أنه لا- يتجزأ فليس بمدح إلا أن يقال أنه حى لا يتجزأ بخلاف غيره من الأحياء و الترتيل ترتيب الحروف على حقها فى تلاوتها تثبت فيها و الحدر هو الإسراع فيها و كلاهما حسن إلا أن الترتيل هنا هو المرغب فيه و الإلقاء مثل التلقية تقول ألفت على فلان مسأله و الأقوم الأخلص استقامه و السبح التقلب و منه السابح فى الماء لتقلبه فيه و قرأ يحيى بن يعمر و الضحاك سبخا طويلا بالخاء و معناه التوسعه يقال سبخت القطن إذا وسعته للندف و منه

قول النبى ص لعائشه و قد سمعها تدعو على سارق لا تسبخى عنه بدعائك عليه

أى لا تخفنى و يقال لقطع القطن إذا ندف سبائح قال الأخطل يصف القناص و الكلاب:

فأرسلوهن يذرين التراب كما يذرى سبائح قطن ندف أوتار

و قال ثعلب السبح التردد و الاضطراب و السبخ السكون و منه

قول النبي ص الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء

أى أسكنوها و التبتل الانقطاع إلى الله عز و جل و إخلاص العبادة له قال امرؤ القيس:

تضىء الظلام بالعشى كأنها مناره ممسى راهب متبتل

و أصله من تبتت الشئء قطعتة و صدقه بته بتله أى بائنه مقطوعه من صاحبها لا سبيل له عليها و منه التبتل ع لانقطاعها إلى عبادة الله عز و جل.

الإعراب

الليل نصب على الظرف إلا قليلا نصب على الاستثناء تقديره إلا شيئا قليلا منه لا تقوم فيه ثم بين القدر فقال «نصْفَهُ» قال الزجاج أن نصفه بدل من الليل كما تقول ضربت زيدا رأسه فإنما ذكرت زيدا لتوكيد الكلام و هو أو كد من قولك ضربت رأس زيد فالمعنى قم نصف الليل إلا- قليلا- أو أنقص من النصف أو زد على النصف و أنقص منه قليلا- بمعنى إلا- قليلا- و لكنه ذكر مع الزيادة فالمعنى قم نصف الليل أو أنقص من نصف الليل أو زد على نصف الليل.

المعنى

«يا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ» معناه يا أيها المترمل بثيابه المتلفف بها عن قتاده و قيل يا أيها المترمل بعباءه النبوه أى المترمل لأثقالها عن عكرمه و قيل معناه يا أيها النائم و كان قد ترمل للنوم عن السدى و قيل كان يتزمل بالثياب فى أول ما جاء به جبرائيل خوفا حتى أنس به و إنما خوطب بهذا فى بدء الوحي و لم يكن قد بلغ شيئا ثم خوطب ص بعد ذلك بالنبي و الرسول «قُم اللَّيْلُ» للصلاه «إِلَّا قَلِيلًا» و المعنى بالليل صل إلا قليلا من الليل فإن القيام بالليل عباره عن الصلاه بالليل «نُصِيفَهُ» هو بدل من الليل فيكون بيانا للمستثنى منه أى قم نصف الليل و معناه صل من الليل النصف إلا- قليلا- و هو قوله «أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا» أى من النصف «أَوْ زِدْ عَلَيْهِ» أى على النصف و قال المفسرون أو أنقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد على النصف إلى الثلثين و قيل أن نصفه بدل من القليل فيكون بيانا للمستثنى و المعنى فيهما سواء و يؤيد هذا القول

ما روى عن الصادق (عليه السلام) قال القليل النصف أو أنقص من القليل قليلا أو زد على القليل قليلا

و

قيل معناه قم نصف الليل إلا قليلا من الليالى و هى لياالى العذر كالمريض و غلبه النوم و عله العين و نحوها أو أنقص من النصف قليلا أو زد عليه

ذكره الإمام على بن أبي الطالب (عليه السلام)

خير الله سبحانه نبيه ص في هذه الساعات القيام بالليل وجعله موكولا- إلى رأيه و كان النبي ص و طائفه من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير و شق ذلك عليهم فكان الرجل منهم لا يدرى كم صلى و كم بقى من الليل فكان يقوم الليل كله مخافه أن لا يحفظ القدر الواجب حتى خفف الله عنهم بآخر هذه السوره

و عن قتاده عن زراره بن أوفى عن سعيد بن هشام قال قلت لعائشه أنبئني عن قيام رسول الله ص فقال أ لست تقرأ «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السوره فقام نبي الله و أصحابه حولا و أمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السوره التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد أن كان فريضة

و قيل كان بين أول السوره و آخرها الذى نزل فيه التخفيف عشر سنين عن سعيد بن جبير و قيل كان هذا بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن كيسان و مقاتل و قيل لما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان فكان بين أولها و آخرها سنه عن ابن عباس و قيل أن الآيه الأخيره نسخت الأولى عن الحسن و عكرمه و ليس في ظاهر الآيات ما يقتضى النسخ فالأولى أن يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنه مؤكدا مرغبا فيه و ليس بفرض «و رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيْلًا» أى بينه بيانا و اقرأه على هيتك ثلاث آيات و أربعا و خمسا عن ابن عباس قال الزجاج و البيان لا يتم بأن تعجل في القرآن إنما يتم بأن تبين جميع الحروف و توفى حقها من الإشباع قال أبو حمزه قلت لابن عباس إنى رجل فى قراءتى و فى كلامى عجله فقال ابن عباس لأن أقرأ البقره أرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله و قيل معناه ترسل فيه ترسلا عن مجاهد و قيل معناه تثبت فيه تثبتا عن قتاده و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى معناه أنه قال بينه بيانا و لا تهذه هذ الشعر و لا تنثره نثر الرمل و لكن أفرع به القلوب القاسيه و لا يكونن هم أحدكم آخر السوره

و

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا مررت بآيه فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة و إذا مررت بآيه فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار

و قيل الترتيل هو أن تقرأ على نظمه و تواليه و لا تغير لفظا و لا تقدم مؤخرا و هو مأخوذ من ترتل الأسنان إذا استوت و حسن انتظامها و ثغر رتل إذا كانت أسنانه مستويه لا تفاوت فيها و قيل رتل معناه ضعف و الرتل اللين عن قطرب قال و المراد بهذا تحزين القرآن أى اقرأه بصوت حزين و يعضده

ما رواه أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى هذا قال هو أن تتمكث فيه و تحسن به صوتك

و

روى عن أم سلمه أنها قالت كان رسول الله ص يقطع قراءته آيه آيه

و

عن أنس قال كان يمد صوته مدا

و

عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ص يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك

ص: ١٤٦

«إِنَّا سَيُنْقِىَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» أى سنوحى عليك قولاً يثقل عليك و على أمتك أما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة و ما يلحقه من الأذى فيه و ما يلزمه من قيام الليل و مجاهدته النفس و ترك الراحة و الدعه و أما ثقله على أمته فلما فيه من الأمر و النهى و الحدود و هذا معنى قول قتاده و مقاتل و الحسن قال ابن زيد هو و الله ثقل مبارك و كما ثقل فى الدنيا ثقل فى الموازين يوم القيامة و قيل ثقيلاً لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق و نفس مؤيده بالتوحيد و قيل ثقيلاً ليس بالسفساف الخفيف لأنه كلام ربنا جلت عظمتة عن الفراء و قيل معناه قولاً عظيم الشأن كما يقال هذا كلام رصين و هذا الكلام له وزن إذا كان واقعا موقعه و قيل معناه قولاً ثقيلاً نزوله فإنه ص كان يتغير حاله عند نزوله و يعرق و إذا كان راكبا يبرك راحلته و لا يستطيع المشى و

سأل الحرث بن هشام رسول الله ص فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال ص أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس و هو أشد على فيفصم عنى و قد وعيت ما قال و أحيانا يتمثل الملك رجلاً فأعى ما يقول

قالت عائشه أنه كان ليوحى إلى رسول الله ص و هو على راحلته فيضرب بجرانها قالت و لقد رأيتة ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و إن جبينه ليرفض عرقاً

و قيل ثقيلاً- على الكفار لما فيه من الكشف عن جهلهم و ضلالهم و سفه أحلامهم و قبح أفعالهم «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ» معناه إن ساعات الليل لأنها تنشأ ساعه بعد ساعه و تقديره أن ساعات الليل الناشئه و قال ابن عباس هو الليل كله لأنه ينشأ بعد النهار و قال مجاهد هى ساعات التهجد من الليل و قيل هى بالحشيه قيام الليل عن عبد الله بن مسعود و سعيد بن جبير و قيل هى القيام بعد النوم عن عائشه و قيل هى ما كان بعد العشاء الآخره عن الحسن و قتاده و المروى

عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهما قالوا هى القيام فى آخر الليل إلى صلاه الليل

«هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا» أى أكثر ثقلاً و أبلغ مشقه لأن الليل وقت الراحة و العمل يشق فيه و من قال وطاء فالمعنى أشد مواطاه للسمع و البصر يتوافق فيها قلب المصلى و لسانه و سمعه على التفهم و التفكير إذ القلب غير مشغول بشىء من أمور الدنيا «وَ أَقْوَمُ قِيلاً» أى أصوب للقراءه و أثبت للقول لفرغ البال و انقطاع ما يشغل القلب عن أنس و مجاهد و ابن زيد و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) هو قيام الرجل عن فراشه لا يريد به إلا الله تعالى

«إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» معناه أن لك يا محمد فى النهار منصرفاً و منقلبا إلى ما تقضى فيه حوائجك عن قتاده و المراد أن مذاهبك فى النهار و مشاغلك كثيره فإنك تحتاج فيه إلى تبليغ الرسالة و دعوه الخلق و تعليم الفرائض و السنن و إصلاح المعيشه لنفسك و عيالک و فى الليل يفرغ القلب

للتذكر و القراءه فاجعل ناشئه الليل لعبادتك لتأخذ بحظك من خير الدنيا و الآخره و فى هذا دلالة على أنه لا عذر لأحد فى ترك صلاه الليل لأجل التعليم و التعلم لأن النبي ص كان يحتاج إلى التعليم أكثر مما يحتاج الواحد منا إليه ثم لم يرض سبحانه أن يترك حظه من قيام الليل «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ» يعنى أسماء الله تعالى التى تعبد بالدعاء بها و قيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى ابتداء صلاتك توصلك بركه قراءتها إلى ربك و تقطعك من كل ما سواه و قيل و اقصد بعملك وجه ربك «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» أى أخلص له إخلاصا عن ابن عباس و غيره يعنى فى الدعاء و العباده و قيل انقطع إليه انقطاعا عن عطاء و هو الأصل و قيل توكل عليه توكلنا عن شقيق و قيل تفرغ لعبادته عن ابن زيد و قد جاء فى الحديث النهى عن التبتل و المراد به الانقطاع عن الناس و الجماعات و كان يجب أن يقول تبتلا لأن المراد بتلك الله من المخلوقين و اصطفاك لنفسه تبتلا فتبتل أنت أيضا إليه و قيل إنما قال تبتيلا ليطابق أواخر آيات السوره و

روى محمد بن مسلم و زراره و حمران عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن التبتل هنا رفع اليدين فى الصلاه

و

فى روايه أبى بصير قال هو رفع يدك إلى الله و تضرعك إليه

«رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ» أى رب العالم بما فيه لأنه بين المشرق و المغرب و قيل رب مشرق الشمس و مغربها و المراد أول النهار و آخره فأضاف النصف الأول من النهار إلى المشرق و النصف الآخر منه إلى المغرب و قيل مالك المشرق و المغرب أى المتصرف فيما بينهما و المدبر لما بينهما «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا أحد تحق له العباده سواه «فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» أى حفيظا للقيام بأمرك و قيل معناه فاتخذه كافيا لما وعدك به و اعتمد عليه و فوض أمرك إليه تجده خير حفيظ و كاف «وَ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» لك يعنى الكفار من التكذيب و الأذى و النسبه إلى السحر و الكهانه «وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» و الهجر الجميل إظهار الموجهه عليهم من غير ترك الدعاء إلى الحق على وجه المناصحه قال الزجاج هذا يدل على أنه نزل قبل الأمر بالقتال و قيل بل هو أمر بالتلطف فى استدعائهم فيجب مع القتال و لا نسخ و فى هذا دلالة على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين و المعاشره بأحسن الأخلاق و استعمال الرفق ليكونوا أقرب إلى الإجابة.

ص: ١٤٨

اشاره

ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَمَدِينًا أُنْكَالًا - وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعِيدَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥)

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

اللغه

يذر و يدع بمعنى يترك و لا يقال وذر و لا ودع و استغنى بترك عن ذلك لأن الابتداء بالواو عندهم مكروه و لذلك أبدلوا منها الهمزة فى أقتت و التاء فى تخمه و تراث و النعمة بفتح النون لين اللمس و ضدها الخشونه و النعمة الثروه و المنه أيضا و النعمة بضم النون المسره يقال نعم و نعمه عين و نعمى عين و الأنكال القيود واحدها نكل و الغصه تردد اللقمه فى الحلق و لا يسيغها آكلها يقال غص بريقه يغص غصصا و فى قلبه غصه من كذا و هى كاللدغه التى لا يسوغ معها الطعام و الشراب قال عدى بن زيد:

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

و الكتيب الرمل المجتمع الكثير و هلت الرمل أهيله هिला فهو مهيل إذا حرك أسفله فسال أعلاه و

منه الحديث كيلوا و لا تهيلوا و كل ثقيل وبيلا

و منه كالأ- مستوبل أى مستوخم لا- يستمرأ لثقله و منه الويل و الوابل و هو المطر العظيم القطر و منه الوبال و هو ما يغلظ على النفس و الويليل أيضا الغليظ من العصى قال طرفه:

فمرت كهاه ذات خيف جلاله عقيله شيخ كالويليل يلندد

ثم قال سبحانه مهديدا للكفار «وَذَرْنِي» يا محمد «وَالْمُكَذِّبِينَ» الذين يكذبونك فيما تدعوهم إليه من التوحيد وإخلاص العبادة وفي البعث والجزاء وهذا كما يقول القائل دعني وإياه إذا أراد أن يهدده وهو نصب على أنه مفعول معه «أُولَى النَّعْمَةِ» يعنى المتنعمين ذوى الثروه فى الدنيا أى كل جزاءهم إلى ولا تشغل قلبك بمجازاتهم «وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا» وهذا أيضا وعيد لهم ولم يكن إلا يسيرا حتى كانت وقعه بدر والمعنى وأخروهم فى المده قليلا قال مقاتل نزلت فى المطعمين ببدر وهم عشره ذكرناهم فى الأنفال وقيل نزلت فى صنديد قريش والمستهزئين «إِنَّ لَعَدَيْنَا أَنْكَالًا» أى عندنا قيودا فى الآخرة عظاما لا تفكك أبدا عن مجاهد وقتاده وقيل أغلالا- «وَجَحِيمًا» وهو اسم من أسماء جهنم وقيل يعنى و نارا عظيمة ولا يسمى القليل به «وَوَطْعَامًا ذَا غُصَّةٍ» أى ذا شوكة يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعاما يأخذ بالحلقوم لخشونته و شدة تكرهه وقيل يعنى الزقوم والضريع و

روى عن حمران بن أعين عن عبد الله بن عمر أن النبى ص سمع قارئاً يقرأ هذه فصعق

«وَعَذَابًا أَلِيمًا» أى عقابا موجعا مؤلما ثم بين سبحانه متى يكون ذلك فقال «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» أى تتحرك باضطراب شديد «وَالْجِبَالُ» أى و ترجف الجبال معها أيضا و تضطرب بمن عليها «وَوَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا» أى رملا سائلا متناثرا عن ابن عباس و قيل المهيل الذى إذا وطأته القدم زل من تحتها و إذا أخذت أسفله انهار أعلاه عن الضحاك والمعنى أن الجبال تنقلع من أصولها فتصير بعد صلابتها كالرمل السائل ثم أكد سبحانه الحجة على أهل مكة فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا» يعنى محمدا ص «شَاهِدًا عَلَيْكُمْ» أى يشهد عليكم فى الآخرة بما يكون منكم لا فى الدنيا «كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ» بمصر «رَسُولًا» يعنى موسى ابن عمران «فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ» و لم يقبل منه ما دعاه إليه «فَأَخَذْنَاهُ» بالعذاب «أَخْذًا وَبِيلًا» أى شديدا ثقيلًا مع كثره جنوده و سعه ملكه يعنى الغرق حذرهم سبحانه أن ينالهم مثل ما نال فرعون و قومه «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ» و لم تؤمنوا برسولكم «يَوْمًا» أى عقاب يوم «يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» و هو جمع أشيب و هذا وصف لذلك اليوم و شدته كما يقال هذا أمر يشيب منه الوليد و تشيب منه النواصي إذا كان عظيما شديدا و المعنى بأى شىء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم إن كفرتم و كيف تدفعون عنكم ذلك قال النابغه:

أى دفعتنا ثم زاد سبحانه فى وصف شده ذلك اليوم فقال «السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ» الهاء تعود إلى اليوم و هذا كما يقال فلان بالكوفه أى هو فيها و المعنى أن السماء تنفطر و تشق فى ذلك اليوم من هولته و قيل سبب ذلك اليوم و هولته و شدته و قيل بأمر الله و قدرته و لم يقل منفطره لأن لفظه السماء مذكر فيجوز أن يذكر و يؤنث و من ذكر أراد السقف و قيل معناه ذات انفطار كما يقال امرأه مطفل أى ذات أطفال و مرضع ذات رضاع فيكون على طريق النسبه «كَانَ وَعَيْدُهُ مَفْعُولًا» أى كائنا لا خلف فيه و لا تبديل «إِنَّ هَذِهِ» الصفه التى ذكرناها و بينها «تَذَكْرَةٌ» أى عظه لمن أنصف من نفسه و التذكره الموعظه التى يذكر بها ما يعمل عليه «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» أى فمن شاء من المكلفين اتخذ إلى ثواب ربه سبيلا لأنه قادر على الطاعه التى لو فعلها وصل إلى الثواب و قد رغبه الله تعالى فيه و دعاه إلى فعل ما يوصله إليه و بعث رسولا يدعوه إليه فمن لم يصل إليه فبسوء اختياره انصرف عنه.

إشارة

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفه نصفه و ثلثه بالنصب و الباقون بالجر.

الحج

قال أبو علي من نصب حملة على أدنى و أدنى في موضع نصب قال أبو عبيده أدنى أقرب فكأنه قال إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و تقوم نصفه و ثلثه و من جر فإنه يحمله على الجار قال أبو الحسن و ليس المعنى عليه فيما بلغنا لأن المعنى يكون على أدنى من نصفه و أدنى من ثلثه قال و كان الذي افترض الثلث و أكثر من الثلث قال فأما الذين قرءوا بالجر فعلى أن يكون المعنى أنكم إن لم تؤدوا ما فرض الله عليكم فقوموا أدنى من ثلثي الليل و من نصفه و من ثلثه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ» أى أقرب و أقل «مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» أى أقل من نصفه و ثلثه و الهاء تعود إلى الليل أى نصف الليل و ثلث الليل و المعنى أنك تقوم فى بعض الليالى قريبا من الثلثين و فى بعضها قريبا من نصف الليل و قريبا من ثلثه و قيل إن الهاء تعود إلى الثلثين أى و أقرب من نصف الثلثين و من ثلث الثلثين و إذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه و ثلثه «وَ» تقوم «طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ» على الإيمان و روى الحاكم أبو القاسم إبراهيم الحسكاني بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فى قوله «وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ» قال على و أبو ذر «وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» أى يقدر أوقاتها لتعلموا فيها على ما يأمركم به و قيل معناه لا يفوته علم ما تفعلون عن عطاء و المراد أنه يعلم مقادير الليل و النهار فيعلم القدر الذى تقومونه من الليل «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ» قال مقاتل كان الرجل يصلى الليل كله مخافه أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال سبحانه «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ» أى لن تطيقوا معرفه ذلك و قال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فقال سبحانه إنكم لا تطيقون إحصاءه على الحقيقة و قيل معناه لن تطيقوا المداومه على قيام الليل و يقع منكم التقصير فيه «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» بأن جعله تطوعا و لم يجعله فرضا عن الجبائى و قيل معناه فلم يلزمكم إثمًا كما لا يلزم التائب أى رفع التبعه فيه كرفع التبعه عن التائب و قيل فتاب عليكم أى فحفف عليكم «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» الآن يعنى فى صلاه الليل عن أكثر المفسرين و أجمعوا أيضا على أن المراد بالقيام المتقدم فى قوله قَمِ اللَّيْلَ هو القيام إلى الصلاه إلا أبا مسلم فإنه قال أراد القيام لقراءه القرآن لا غير و قيل

معناه فصلوا ما تيسر من الصلاة و عبر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمنه و من قال إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الأ-كثرين دون الوجوب لأنه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ و قال بعضهم هو محمول على الوجوب لأن القارئ يقف على إعجاز القرآن و ما فيه من دلائل التوحيد و إرسال الرسل و لا يلزم حفظ القرآن لأنه من القرب المستحب المرغب فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الأمر من القراءة فقال سعيد بن جبير خمسون آية و قال ابن عباس مائة آية و عن الحسن قال من قرأ مائة آية في ليله لم يحاجه القرآن و قال كعب من قرأ مائة آية في ليله كتب من القانتين و قال السدي مائتا آية و قال جويبر ثلث القرآن لأن الله يسره على عباده و الظاهر أن معنى ما تيسر مقدار ما أردتم و أحببتم «عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِيٌّ» و ذلك يقتضى التخفيف عنكم «وَ آخِرُونَ» أى و منكم قوم آخرون «يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» أى يسافرون للتجاره و طلب الأرباح عن ابن عباس «وَ آخِرُونَ» أى و منكم قوم آخرون «يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فكل ذلك يقتضى التخفيف عنكم «فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ» و

روى عن الرضا (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليه السلام) قال ما تيسر منه لكم فيه خشوع القلب و صفاء السر

«وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» بحدودها التى أوجبها الله عليكم «وَ آتُوا الزَّكَاةَ» المفروضه «وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» أى و أنفقوا فى سبيل الله و الجهات التى أمركم الله و ندبكم إلى النفقه فيها و قد مر معنى القرض فيما تقدم «وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ» أى طاعه «تَجِدُوهُ» أى تجدوا ثوابه «عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ» لكم من الشح و التقصير «وَ أَعْظَمَ أَجْرًا» أى أفضل ثوابا و هو هنا يسمى فصلا عند البصريين و عمادا عند الكوفيين و يجوز أن يكون صفة للهاء فى تجدوه «وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» أى اطلبوا مغفرته «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ستار لذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم قال عبد الله ابن مسعود أيما رجل جلب شيئا إلى مدينه من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزله الشهداء ثم قرأ «وَ آخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ» الآية و قال ابن عمر ما خلق الله موته أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن أموت بين شقى رحل أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله و قيل إن هذه الآية مدينه و يدل عليها أن الصلاة و الزكاه لم توجبا بمكه و قيل أوجبتا بمكه و الآية مكيه.

(٧٤) سورة المدثر مكيه و آياتها ست و خمسون (٥٦)

اشاره

عدد آياتها

خمسون و ست آيات عراقى و البزى و المدنى الأول و خمس شامى و المدنى الأخير و المكى غير البزى.

اختلافها

«يَتَسَاءَلُونَ» غير المدنى الأخير «عَنِ الْمُجْرِمِينَ» غير الشامى و المكى إلا البزى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ المدثر أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ص و كذب به بمكه
محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ فى الفريضة سورة المدثر كان حقا على الله أن يجعله مع محمد ص فى
درجته و لا يدركه فى حياه الدنيا شقاء أبدا.

تفسيرها

لما أمر سبحانه نبيه ص فى آخر المزمّل بالصلاه و غيرها أمره فى مفتح هذه السوره بالإنذار فكأنه أمره أن يبدأ بنفسه ثم بالناس
فقال:

ص: ١٥٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمُنْ تَسْتَكْبِرُ (٦) وَارْبُوكَ فَأَصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكِ يَوْمِئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩)

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ يَسِيرٌ (١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر و حفص و يعقوب و سهل و الرجز بالضم و الباقون بكسر الراء و قرأ الحسن تستكثر بالجزم و قرأ الأعمش تستكثر بالنصب و القراءة بالرفع.

الحجة

«الرُّجْزُ» بالضم قراءة الحسن و هو اسم صنم فيما زعموا و قال قتاده هما صنمان إساف و نائله و من كسر فهو العذاب و المعنى ذات العذاب فاهجر لأن عبادتها تؤدي إلى العذاب و يجوز أن يكون الرجز و الرجز لغتين كالذكر و الذكر و قال ابن جنى الجزم فى تستكثر يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون بدلا من تمنن فكأنه قال لا تستكثر فإن قيل فعبره البدل أن يصلح إقامه الثانى مقام الأول و أنت لو قلت لا تستكثر لا يدل لك النهى على المن للاستكثر و إنما المعنى لا تمنن من مستكثر قيل قد يكون البدل على حذف الأول و قد يكون على نيه ثباته و ذلك كقولك زيد مررت به أبى محمد فتبدل أبى محمد من الهاء و لو قلت زيد مررت مررت بأبى محمد كان قبيحا فقله «وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْبِرُ» من هذا القبيل و أنكر أبو حاتم الجزم على البدل (و الآخر) أن يكون أراد تستكثر فأسكن الراء لثقل الضمه مع كثره الحركات كما حكى أبو زيد من قولهم بلى وَرُسُلُنَا يَأْسِكُنَ اللَّامِ و أما تستكثر بالنصب فبأن مضمرة و ذلك أن يكون بدلا من قوله «وَلَا تَمُنُّنَّ» فى المعنى أ لا ترى أن معناه لا يكن منك من فاستكثر فكأنه قال لا يكن منك من أن تستكثر فتضمير أن لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلا عن المن فى المعنى الذى دل عليه الفعل و مما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله:

فقالوا ما تشاء فقلت ألهو إلى الأصباح آثر ذى أثير

أراد فقلت للهو فوضع ألهو موضع اللهو.

اللغة

المدثر المتفعل من الدثار إلا أن الثاء أدغمت فى الدال و هو المتغطى بالثياب عند النوم و التكبير وصف الأكبر على اعتقاد معناه

كتكبير المكبر فى الصلاه بقوله الله أكبر و التكبير نقيض التصغير و الكبير الشأن هو المختص باتساع للمقدور و المعلوم و الطهاره النظافه بانتفاء النجاسه لأن النظافه قد تكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسه و قد تكون بانتفاء النجاسه فالطهاره فى الآيه هو القسم الأخير و المن ذكر النعمه بما يكدرها و يقطع حق الشكر بها يقال من بعبائه يمن منا إذا فعل ذلك فأما المن على الأسير فهو إطلاقه بقطع أسباب

ص: ١٥٥

الاعتقال عنه و الاستكثار طلب الكثرة و هو هنا طلب ذكر الاستكثار للعطيه و الناقور فاعول من النقر كهاضوم من الهضم و حاطوم من الحطم و هو الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت به و اليسير و القليل الكلفه و منه اليسار و هو كثره المال لقله الكلفه به فى الإنفاق و منه تيسير الأمور لسهولته.

الإعراب

«وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ» تقديره قم فكبر ربك و كذلك ما بعده و فائده تقديم المفعول عنها التخصيص لأنك إذا قلت و كبر ربك لم يدل ذلك على أنه لا يجوز تكبير غير الرب إذا قلت ربك فكبر دل على أنه لا يجوز تكبير غيره و تستكثر فى موضع نصب على الحال فذلك مبتدأ و يوم عسير خبره و يومئذ يجوز أن يكون رفعا و يجوز أن يكون نصبا فإذا كان رفعا فإنما يبنى على الفتح لإضافته إلى إذ لأن إذ غير متمكنه و إذا كان نصبا فعلى الظرف و تقديره فذلك يوم عسير فى يوم ينفخ فى الصور قاله الزجاج و قال أبو على فى بعض كتبه لا يجوز أن ينتصب يومئذ بقوله «عَسِيرٌ» لأن الصفه لا تعمل فيما قبل الموصوف و إنما انتصب يومئذ على أنه صله قوله «فَذَلِكْ» لأن ذلك كناية عن المصدر فكأنه قال فذلك النقر يومئذ و على هذا فيكون التقدير فذلك النقر فى ذلك الوقت نقر يوم عسير و قوله «عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِ يَسِيرٍ» على يتعلق بعسير و لا يتعلق بيسير لأن ما يعمل فيه المضاف إليه لا يتقدم على المضاف على أنهم قالوا إن غيرا فى حكم حرف النفى فيجوز أن يعمل ما بعده فيما قبله نحو أن تقول أنت زيدا غير ضارب و لا يجوز أن تقول أنت زيدا مثل ضارب فتعمل ضاربا فى زيد و إنما أجازوا أنت زيدا غير ضارب حملا على أنت زيدا لا ضارب.

المعنى

خاطب سبحانه نبيه ص فقال «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» أى المتدثر بثيابه قال الأوزاعى سمعت يحيى بن أبى كثير يقول سألت أبا سلمه أى القرآن أنزل من قبل قال «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» فقلت أو اقرأ باسم ربك فقال سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل قال «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» فقلت أو اقرأ

فقال جابر أحدثكم ما حدثنا رسول الله ص قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الواد فنوديت فنظرت أمامى و خلفى و عن يمينى و شمالى فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسى فإذا هو على العرش فى الهواء يعنى جبرائيل فقلت دثرونى دثرونى فصبوا على ماء فأنزل الله عز و جل «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»

و

فى روايه فحييت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلى فقلت زملونى فنزل «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»

«قُمْ فَأَنْذِرْ» أى ليس بك ما تخافه من الشيطان إنما أنت نبي فأنذر الناس و ادعهم إلى التوحيد و فى هذا ما فيه لأن الله تعالى لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيره و الآيات البينه الداله على أن ما يوحى إليه

إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شىء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل معناه يا أيها الطالب صرف الأذى بالدثار اطلبه بالإنذار وخوف قومك بالنار وإن لم يؤمنوا وقيل إنه كان قد تدثر بشمله صغيره لينام فقال يا أيها النائم قم من نومك فأندرك قومك وقيل إن المراد به الجسد في الأمر والقيام بما أرسل به وترك الهوينا فيه فكأنه قيل له لا تنم عما أمرتك به وهذا كما تقول العرب فلان لا ينام في أمره إذا وصف بالجلد والانكماش وصدق العزيمه و كأنهم يخطرون النوم على ذى الحاجه حتى يبلغ حاجته و بذلك نطقت أشعارهم كما قيل:

ألا أيها الناهى فزاره بعد ما أجدت لأمر إنما أنت حالم

أرى كل ذى وتر يقوم بوتره و يمنع عنه النوم إذ أنت نائم

و يقال لمن أدرك ثاره هذا هو الثأر المنيم و قال الشاعر يصف من أورد إبلا له:

أوردها سعد و سعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

والاشتغال مثل التدثر «وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ» أى عظمه و نزاهه عما لا يليق به وقيل كبره فى الصلاة فقل الله أكبر «وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ» أى و تيابك الملبوسه فطهرها من النجاسه للصلاه و قيل معناه و نفسك فطهر من الذنوب و الثياب عباره عن النفس عن قتاده و مجاهد و على هذا فيكون التقدير و ذا تيابك فطهر فحذف المضاف و مما يؤيد هذا القول قول عنترة:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

و قيل معناه طهر تيابك من لبسها على معصيه أو غدره كما قال سلامه بن غيلان الثقفى أنشده ابن عباس:

و إنى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست و لا من غدره أتقنع

قال الزجاج معناه و يقال للغادر دنس الثياب و فى معناه قول من قال و عملك فأصلح.

قال السدى يقال للرجل إذا كان صالحا أنه لظاهر الثياب و إذا كان فاجرا إنه لخبث الثياب و

قيل معناه و ثيابك فقصر عن طاووس و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال الزجاج لأن تقصير الثوب أبعده من النجاسه فإنه إذا انجر على الأرض لم يؤمن أن يصيبه ما ينجسه و قيل معناه و ثيابك فاغسلها عن النجاسه بالماء لأن المشركين كانوا لا يتطهرون عن ابن زيد و ابن سيرين و قيل لا يكن ثيابك من حرام عن ابن عباس و قيل معناه و أزواجك فطهرهن عن الكفر و المعاصى حتى يصرن مؤمنات صالحات و العرب تكنى بالثياب عن النساء عن أبي مسلم و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام) غسل الثياب يذهب الهم و الحزن و هو طهور الصلاه و تشمير الثياب طهور لها و قد قال الله سبحانه «وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» أى فشم

«وَ الرَّجْزَ فَاهْجُرْ» أى اهجر الأصنام و الأوثان عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الزهرى و قيل معناه اجتنب المعاصى عن الحسن قال الكسائى الرجز بالكسر العذاب و بالضم الصنم و قال المعنى أهجر ما يؤدى إلى العذاب و لم يفرق غيره بينهما و قيل معناه جانب الفعل القبيح و الخلق الذميم عن الجبائى و قيل معناه أخرج حب الدنيا من قلبك لأنه رأس كل خطيئه «وَ لَا تَمُنُّنْ تَشْتَكِرُّ» أى لا تعط عطيه لتعطى أكثر منها و هذا للنبي ص خاصة أدبه الله سبحانه بأكرم الآداب و أشرفها عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و النخعى و الضحاك و قيل معناه و لا تمنن حسناتك على الله تعالى مستكثرا لها فينقصك ذلك عند الله عن الحسن و ربيع بن أنس و قيل معناه لا- تمنن ما أعطاك الله من النبوه و القرآن مستكثرا به الأجر من الناس عن ابن زيد و قيل هو نهى عن الربا المحرم أى لا- تعط شيئا طالبا أن تعطى أكثر مما أعطيت عن أبي مسلم و قيل لا تضعف فى عملك مستكثرا لطاعاتك عن مجاهد و قيل و لا تمنن بعطائك على الناس مستكثرا ما أعطيته فإن متاع الدنيا قليل و لأن المن يكدر الصنيعه و قيل معناه إذا أعطيت عطيه فأعطها لربك و اصبر حتى يكون هو الذى يثيبك عليها عن زيد بن أسلم و قيل معناه لا تمنن بإبلاغ الرساله على أمتك عن الجبائى «وَ لِرَبِّكَ» أى لوجه ربك «فَاصْبِرْ» على أذى المشركين عن مجاهد و قيل فاصبر على ما أمرك الله به من أداء الرساله و تعظيم الشريعه و على ما ينالك من التكذيب و الأذى لتتال الفوز و الذخر و قيل فاصبر عن المعاصى و على الطاعات و المصائب و قيل فاصبر لله على ما حملت من الأمور الشاقه فى محاربه العرب و العجم عن ابن زيد «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ» معناه إذا نفخ فى الصور و هى كهيته البوق عن مجاهد و قيل إن ذلك فى النفخه الأولى و هو أول الشده الهائله العامه و قيل إنه النفخه الثانيه و عندها يحيى الله الخلق و تقوم القيامه و هى صيحه الساعه عن الجبائى «فَمَذَلِكُ يَوْمَئِذٍ» قد مر معناه فى الأعراف «يَوْمَ عَسِيرٍ» أى شديد «عَلَى الْكَافِرِينَ» نعم الله الجاحدين لآياته «غَيْرِ يَسِيرٍ»

غير هين ولا سهل و هو بمعنى قوله «عَسِيرٌ» إلا- أنه أعاده بلفظ آخر للتأكيد كما تقول إني واد لفلان غير مبغض و قيل معناه عسير فى نفسه و غير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبه.

[سوره المدثر (٧٤): الآيات ١١ الى ٣١]

اشاره

ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٢) وَ بَيْنَ شُهُوداً (١٣) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)

كَلا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأَرْهُقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (١٨) فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)

ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَ لَا تَذَرُ (٢٨) لَوْ أَحَهِ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)

وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَ لَا- يَزُتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١)

التمهيد و التوطئه و التذليل و التسهيل نظائر و العنيد الذاهب عن الشىء على طريق العداوه له يقال عند العرق يعند عنودا فهو عاند إذا نفر و المعانده منافره المضاده و كذلك العناد و بعير عنود أى نافر قال الشاعر:

إذا نزلت فاجعلونى وسطا إنى كبير لا أطيق العندا

و الإرهاق الإعجاز بالعنف و الصعود العقبه التى يصعب صعودها و هى الكؤود و عبس يعبس عبوسا إذا قبض وجهه و العبوس و التكليح و التقطيب نظائر و ضدها الطلاقه و البشاشه و البسور بدو التكره فى الوجه و أصله من بسر بالأمر إذا عجل به و منه البسر لتعجيل حاله قبل الإرتاب قال توبه:

و قد رابنى منها صدود رأيتة و إعراضها عن حاجتى و بسورها

و الإصلاء إلزام موضع النار يقال أصليته فاصطلى و سقر اسم من أسماء جهنم لم يصرف للتأنيث و التعريف و أصله من سقرته الشمس سقرا إذا ألت دماغه و الإبقاء ترك شىء مما أخذ و التلويح تغيير اللون إلى الاحمرار و لوحته الشمس تلويحا فهى لوحه على المبالغه و البشر جمع بشره و هى ظاهر الجلد و منه سمي الإنسان بشرا لأنه ظاهر الجلد بتعريه من الوبر و الريش و الصوف الذى يكون فى غيره من الحيوان.

الإعراب

وحيدا منصوب على الحال و هو على وجهين أحدهما أن يكون من صفة الله أى ذرنى و من خلقتة وحدى و الآخر أن يكون من صفة المخلوق.

النزول

نزلت الآيات فى الوليد بن المغيرة المخزومى و ذلك أن قريشا اجتمعت فى دار الندوه فقال لهم الوليد إنكم ذوو أحساب و ذوو أحلام و إن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا أمركم على شىء واحد ما تقولون فى هذا الرجل قالوا نقول إنه شاعر فعبس عندها و قال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نقول إنه كاهن قال إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول إنه لمجنون فقال إذا تأتونه فلا تجدونه مجنونا قالوا نقول إنه ساحر قال و ما الساحر فقالوا بشر يحبون بين المتباغضين

و يبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لا يلقى أحد منهم النبي ص إلا قال يا ساحر يا ساحر و اشتد عليه ذلك فأنزل الله تعالى أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ إِلَى قَوْلِهِ «إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» عن مجاهد و يروى أن النبي ص لما أنزل عليه حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ قام إلى المسجد و الوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ص لاستماعه لقراءته أعاد قراءه الآيه فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال و الله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن و إن له لحلاوه و إن عليه لطلاوه و إن أعلاه لمثر و إن أسفله لمغدق و إنه ليعلو و ما يعلى ثم انصرف إلى منزله فقال قريش صبا و الله و الوليد و الله لتصبان قريش كلهم و كان يقال للوليد ريحانه قريش فقال لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جانب الوليد حزينا فقال لى ما أراك حزينا يا ابن أخى قال هذه قريش يعيونك على كبر سنك و يزعمون أنك زينت كلام محمد فقام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال أ تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخفق قط فقالوا اللهم لا قال أ تزعمون أنه كاهن فهل رأيتم عليه شيئا من ذلك قالوا اللهم لا قال أ تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه أنه بنطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال أ تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا و كان يسمى الصادق الأمين قبل النبوه من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم نظر و عبس فقال ما هو إلا ساحر ما رأيتموه يفرق بين الرجل و أهله و ولده و مواليه فهو ساحر و ما يقوله سحر يؤثر.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص على وجه التهديد للكافر الذى وصفه «ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً» أى دعنى و إياه فإنى كاف له فى عقابه كما يقول القائل دعنى و إياه و معناه دعنى و من خلقته متوحدا بخلقه لا شريك لى فى خلقه و إن حملته على صفه المخلوق فمعناه دعنى و من خلقته فى بطن أمه واحد لا مال له و لا ولد يعنى الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خل بينى و بينه فأنا أفرد بهلكته و قال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد فى قومه و

روى العياشى بإسناده عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى عبد الله و أبى جعفر ع أن الوحيد ولد الزنا

قال زراره ذكر لأبى جعفر ع عن أحد بنى هشام أنه قال فى خطبته أنا ابن الوحيد فقال و يله لو علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له و ما هو من لا يعرف له أب

ثم ذكر سبحانه رزقه المال و الولد فقال «وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا» ما بين مكة إلى

الطائف من الإبل المؤبله و الخيل المسومه و النعم المرحله و المستغلات التي لا تنقطع غلتها و الجوارى و العبيد و العين الكثيره عن عطاء عن ابن عباس و قيل الممدود الكثير الذى لا تنقطع غلته عنه سنه حتى يدرك غله سنه أخرى فهو ممدود على الأيام و كان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره فى شتاء و لا صيف و عشره بنين و مائه ألف دينار عن مجاهد و قيل سته آلاف دينار عن قتاده و قيل أربعه آلاف دينار عن سفيان «وَبَيْنَ شُهُودًا» حضورا معه بمكه لا يغيون عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجاره قال سعيد بن جبير كانوا ثلاثه عشر و قال مقاتل كانوا سبعة الوليد و خالد و عماره و هشام و العاص و قيس و عبد شمس أسلم منهم ثلاثه خالد و هشام و عماره قالوا فما زال الوليد بعد هذه الآيه فى نقصان من ماله و ولده حتى هلك «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا» أى بسطت له فى العيش بسطا حتى صار مكفى المئونه من كل وجه حتى صارت أحواله متناسبه عن الحسن و غيره و قيل سهلت له و قيل سهلت له التصرف فى الأمور تسهيلا «ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ» أى لم يشكرنى على هذه النعم بل كفر نعمائى و هو مع ذلك يطمع أن أزيد فى إنعامه ثم قال على وجه الردع و الزجر «كَلَّا» أى لا يكون كما ظن و لا أزيده مع كفره و قيل كلا معناه انزجر و ارتدع فليس الأمر على ما تتوهم ثم بين سبحانه كفره فقال «إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا» أى إنما لم نفعل به ذلك لأنه كان بحججنا و أدلتنا معاندا ينكرها مع معرفته بها و قيل عنيدا جحودا عن ابن عباس و قتاده «سَأُرْهِقُهُ صُهُودًا» أى سأكلفه مشقه من العذاب لا راحه فيه و

قيل صعود جبل فى جهنم من نار يؤخذ بارتقائه فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت و كذلك رجله فى خبر مرفوع

و قيل هو جبل من صخره ملساء فى النار يكلف أن يصعدها حتى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها ثم يكلف أيضا أن يصعدها فذلك دأبه أبدا يجذب من أمامه بسلاسل الحديد و يضرب من خلفه بمقاطع الحديد فيصعدنا فى أربعين سنه عن الكلبي «إِنَّهُ فَكَّرَ» و دبر ما ذا يقول فى القرآن «وَقَدَّرَ» القول فى نفسه و إنما فكر ليحتال به للباطل لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحا و قدر فقال إن قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى به و إن قلنا كاهن لم يصدقونا لأن كلامه لا يشبه كلام الكهان فنقول ساحر يؤثر ما أتى به عن غيره من السحره «فَقُتِلَ» أى لعن و عذب و قيل لعن بما يجرى مجرى القتل و قيل استحق العذاب عن الجبائى «كَيْفَ قَدَّرَ» قال صاحب النظم معناه لعن على أى حال قدر ما قدر من الكلام كما يقال فى الكلام لأضربنه كيف صنع أى على أى حال كان منه «ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» هذا تكرير للتأكيد و قيل معناه كيف

قدر فى آياتنا ما قدر مع وضوح الحجه ثم لعن و عوقب بعقاب آخر كيف قدر فى إبطال الحق تقدير آخر و قيل معناه عوقب فى الآخره مره بعد مره «ثُمَّ نَظَرَ» فى طلب ما يدفع به القرآن و يرده «ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ» أى كلس و كره و وجهه و نظر بكراهه شديد كالمتهم المتفكر فى الشىء «ثُمَّ أَدْبَرَ» عن الإيمان «وَاسْتَكْبَرَ» أى تكبر حين دعا إليه «فَقَالَ إِنَّ هَذَا» أى ما هذا القرآن «إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى» أى يروى عن السحره و قيل هو من الإيثار أى سحر تؤثره النفوس و تختاره لحلاوته فيها «إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» أى ما هذا إلا كلام الإنس و ليس من عند الله و لو كان القرآن سحرا أو من كلام البشر كما قاله الملعون لأمكن السحره أن يأتوا بمثله و لقدر هو و غيره مع فصاحتهم على الإتيان بسوره مثله ثم قال سبحانه مهديا له «سَأُضِلُّهُ سَبِيلَ قَوْمٍ» أى سأدخله جهنم و ألزمه إياها و قيل سقر دركه من دركات جهنم و قيل باب من أبوابها «وَمَا أَدْرَاكَ» أيها السامع «مَا سَقَرْتُ» فى شدتها و هولها و ضيقها ثم وصف بعض صفاتها فقال «لَا تُبْقَى وَ لَا تَذَرُ» أى لا تبقى لهم لحما إلا أكلته و لا تذرهم إذا أعيدوا خلقا جديدا عن مجاهد و قيل لا تبقى شيئا إلا أحرقتة و لا تذر أى لا تبقى عليهم بل يبلغ مجهودهم فى أنواع العذاب عن الجبائى «لَوْ أَحَدهُ لِلْبَشَرِ» أى مغيره للجلود و قيل لافحه للجلود حتى تدعها أشد سوادا من الليل «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» من الملائكه هم خزنتها مالك و معه ثمانيه عشر أعينهم كالبرق الخاطف و أنيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيره سنه تسع كف أحدهم مثل ربيعه و مضر نزعت منهم الرحمه يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم و قيل معناه على سقر تسعه عشر ملكا و هم خزان سقر و للنار و دركاتنا الآخر خزان آخرون و قيل إنما خصوا بهذا العدد ليوافق المخبر الخبر لما جاء به الأنبياء قبله و ما كان من الكتب المتقدمه و يكون فى ذلك مصلحه للمكلفين و قال بعضهم فى تخصيص هذا العدد أن تسعه عشر يجمع أكثر القليل من العدد و أقل الكثير منه لأن العدد آحاد و عشرات و مئات و ألوف فأقل العشرات عشره و أكثر الآحاد تسعه قالوا و لما نزلت هذه الآيه قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أ تسمعون ابن أبى كبشه يخبركم أن خزنه النار تسعه عشر و أنتم الدهم الشجعان أ فيعجز كل عشره منكم أن يبطشوا برجل من خزنه جهنم فقال أبو الأسد الجمحى أنا أكفيكم سبعة عشر عشره على ظهري و سبعة على بطنى فاكفونى أنتم اثنين فنزل «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» الآيه عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و معناه و ما جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها إلا ملائكه جعلنا شهوتهم فى تعذيب أهل

النار و لم نجعلهم من بنى آدم كما تعهدون أنتم فتطيقونهم «و ما جعلنا عدتهم إلا فتنه للذين كفروا» أى لم نجعلهم على هذا العدد إلا- محنه و تشديدا فى التكليف للذين كفروا نعم الله و جحدوا وحدانيته حتى يتفكروا فيعلموا أن الله سبحانه حكيم لا يفعل إلا- ما هو حكمه و يعلموا أنه قادر على أن يزيد فى قواهم ما يقدرون به على تعذيب الخلائق و لو راجع الكفار عقولهم لعلموا أن من سلط ملكا واحدا على كافه بنى آدم لقبض أرواحهم فلا- يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار و جعلهم فيها بتسعه عشر من الملائكه «لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» من اليهود و النصارى أنه حق و إن محمدا ص صادق من حيث أخبر بما هو فى كتبهم من غير قراءه لها و لا- تعلم منهم «و يَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا» أى يقينا بهذا العدد و بصحه نبوه محمد ص إذا أخبرهم أهل الكتاب أنه مثل ما فى كتابهم «و لا يَزْتَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ» أى و لثلا يشك هؤلاء فى عدد الخزنه و المعنى و ليستيقن من لم يؤمن بمحمد ص و من آمن به صحه نبوته إذا تدبروا و تفكروا «و لَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَاْفِرُونَ ما ذا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» اللام هنا لام العاقبه أى عاقبه أمر هؤلاء أن يقولوا هذا يعنى المنافقين و الكافرين و قيل معناه و لأن يقولوا ما ذا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الوصف و العدد و يتدبروه فيؤدى بهم التدبير فى ذلك إلى الإيمان «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» أى مثل ما جعلنا خزنه أصحاب النار ملائكه ذوى عدد محنه و اختبارا تكلف الخلق ليظهر الضلال و الهدى و أضافهما إلى نفسه لأن سبب ذلك التكليف و هو من جهته و قيل يضل عن طريق الجنه و الثواب من يشاء و يهدى من يشاء إليه «و ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» أى ما يعلم جنود ربك من كثرتها أحد إلا هو و لم يجعل خزنه النار تسعه عشر لقله جنوده و لكن الحكمه اقتضت ذلك و قيل هذا جواب أبى جهل حين قال ما لمحمد أعوان إلا تسعه عشر عن مقاتل و قيل معناه و ما يعلم عده الملائكه الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلا الله عن عطاء و المعنى أن التسعه عشر هم خزنه النار و لهم من الأعوان و الجنود ما لا- يعلمه إلا- الله ثم رجع إلى ذكر سقر فقال «و ما هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ» أى تذكره و موعظه للعالم ليتذكروا فيتجنبوا ما يستوجبون به ذلك و قيل معناه و ما هذه النار فى الدنيا إلا تذكره للبشر من نار الآخره حتى يتفكروا فيها فيحذروا نار الآخره و قيل ما هذه السوره إلا تذكره للناس و قيل و ما هذه الملائكه التسعه عشر إلا عبره للخلق يستدلون بذلك على كمال قدره الله تعالى و يترجون عن المعاصى.

إشاره

كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبْرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦)
لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)
مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَشْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيُّوتِ الدِّينِ (٤٦)
حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَزَرَّتْ مِنْ قَسْوَرِهِ (٥١)
بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرُهُ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرُهُ (٥٥) وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ (٥٦)

القراءه

قرأ نافع و حمزه و يعقوب و خلف «إذ» بغير ألف «أدبر» بالألف و الباقون إذا بالألف دبر بغير الألف وقرأ أهل المدينة و ابن عامر مستنفره بفتح الفاء و الباقون بكسر الفاء و في الشواذ قراءه بعضهم يرويه عن ابن كثير أنها لحد الكبر بلا همزه و قراءه سعيد بن جبير صحفا منشره بسكون الحاء و النون.

الحجه

أبو على قال يونس دبر انقضى و أدبر تولى قال قتاده الليل إذ أدبر إذا ولى و يقال دبر و أدبر و قال و التخفيف في «لإحدى الكبر» أن يجعل فيها الهمزه بين بين نحو سيم فأما حذف الهمزه فليس بقياس و وجه ذلك أن الهمزه حذفت حذفاً كما حذفت في قوله:

و يلمها فى هواء الجو طالبها و لا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

و قد جاء ذلك فى مواضع من الشعر قال أبو الأسود لزياد:

يا با المغيره رب أمر معضل فرجته بالنكر منى و الدهاء

و قال آخر:

إن لم أقاتل فالبسونى برقعا و فتحات فى اليدىن أربعا

و أنشد أحمد بن يحيى:

إن كان حزن لك با فقيمه باعك عبدا بأخس قيمه

و قال الفرزدق:

و عليك إثم عطيه بن الخطفى و إثم التى زجرتك إن لم تجهد

قال و الكسر فى «مُسْتَنْفِرَةٌ» أولى لقوله «فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» فهذا يدل على أنها هى استنفرت و يقال نفر و استنفر مثل سخر و استسخر و عجب و استعجب و من قال مستنفره فكان القسوره استنفرتها و الرامى قال أبو عبيده مستنفره مذعوره و أنشد الزجاج:

أمسك حمارك إنه مستنفر فى إثر أحمره عمدن لغرب

و رويت بالكسر أيضا قال ابن سلام سألت أبا سوار العرنى و كان أعرابيا فصيحاً قارئاً للقرآن فقلت «كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ» ما ذا قال حمر مستنفره طردها قسوره قلت إنما هو فرت من قسوره فقال أ فرت قلت نعم فقال «مُسْتَنْفِرَةٌ» قال ابن جنى أما سكون الحاء من صحف فلغه تميميه و أما منشره بسكون النون فإن العرف فى الاستعمال نشرت الثوب و غيره و أنشر الله الموتى فنشروا هم قال و قد جاء عنهم أيضا نشر الله الميت قال المتنبى:

ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور

و لم نعلمهم قالوا أنشرت الثوب و نحوه إلا أنه يجوز أن يشبه بشىء و كما جاز أن يشبه

الميت بالشىء المطوى حتى قال المتنبي منشور فكذلك يجوز أن يشبه المطوى بالميت فيقال صحف منشره أى كأنها بطيها ميتة فلما نشرت قيل منشره.

اللغة

اليقين العلم الذى يوجد برد الثقة به فى الصدر و يقال وجد فلان برد اليقين و ثلج اليقين فى صدره و لذلك لا يوصف سبحانه بأنه متيقن و القسوره الأسد و قيل هم الرماه من قسره يقسره قسرا إذا قهره و أصل الفرار الانكشاف عن الشىء و منه يقال فر الفرس يفر فرا إذا كشف عن سنه و الصحف جمع الصحف و هى الورقه التى من شأنها أن تقلب من جهه إلى جهه لما فيها من الكتابه و منه المصحف و جمعه مصاحف.

الإعراب

«نَذِيرًا لِلْبَشَرِ» اختلف فى وجه انتصابه ف قيل نصب على الحال و هو اسم فاعل بمعنى منذر و ذو الحال الضمير فى إحدى الكبر العائد إلى الهاء فى أنها و هى كناية عن النار فالمعنى أنها لكبيره فى حال الإنذار و أنا ذكره لأن معناه معنى العذاب و يجوز أن يكون التذكير على قولهم امرأه طالق أى ذات طلاق و كذلك نذير بمعنى ذات إنذار و قيل هو حال يتعلق بأول السوره فكأنه قال يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأندر و قيل إن النذير هنا بمعنى الإنذار و تقديره إنذارا للبشر فيكون نصبا على المصدر لأنه لما قال «إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ» دل على أنه أنذرهم بها إنذارا و قوله «مُعْرِضِينَ» منصوب على الحال مما فى اللام من قوله «فَمَا لَهُمْ» من معنى الفعل و التقدير أى شىء ثبت لهم معرضين عن التذكرة و «كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ» جملة فى موضع الحال من معرضين و هى حال من حال أو حال بعد حال أى مشابهيهم حمرا.

المعنى

ثم أقسم سبحانه على عظيم ما ذكره من الوعيد فقال «كَلَّا» أى حقا و قيل معناه ليس الأمر على ما يتوهمونه من أنهم يمكنهم دفع خزنه النار و غلبتهم «وَ الْقَمَرِ» أقسم بالظهر لما فيه من الآيات العجيبه فى طلوعه و غروبه و مسيره و زيادته و نقصانه «وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ» و أقسم بالليل إذا ولى و ذهب عن قتاده و قيل أدبر إذا جاء بعد غيره و أدبر إذا ولى مدبرا فعلى هذا يكون المعنى فى إذ أدبر إذا جاء الليل فى أثر النهار و فى إذ أدبر إذا ولى الليل فجاء الصبح عقيبه و على القول الأول فهما لغتان معناه ولى و انقضى «وَ الصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ» أى إذا أضاء و أنار عن قتاده و هم قسم آخر و قيل معناه إذا كشف الظلام و أضاء الأشخاص و قال قوم التقدير فى هذه الأقسام و رب هذه الأشياء لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى «إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ» هذا جواب القسم يعنى أن سقر التى هى النار لإحدى العظام و الكبر جمع الكبرى و هى العظمى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل معناه أن آيات القرآن لإحدى الكبر فى الوعيد «نَذِيرًا لِلْبَشَرِ» أى منذرا و مخوفا معلما مواضع المخافه

و النذير الحكيم بالتحذير عما ينبغي أن يحذر منه فكل نبي نذير لأنه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه و اختلف فيه فقيل إنه من صفه النار عن الحسن و قيل من صفه النبي ص فكأنه قال قم نذيرا عن ابن زيد و قيل من صفه الله تعالى عن ابن رزين و على هذا يكون حالا من فعل القسم المحذوف «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ» أى يتقدم فى طاعه الله أو يتأخر عنها بالمعصيه عن قتاده و المشيئه هى الإراده فيكون المعنى أن هذا الإنذار متوجه إلى من يمكنه أن يتقى عذاب النار بأن يتجنب المعاصى و يفعل الطاعات فيقدر على التقدم و التأخر فى أمره بخلاف قول أهل الجبر القائلين ما لا يطاق و قيل إنه سبحانه عبر عن الإيمان و الطاعه بالتقدم لأن صاحبه متقدم فى العقول و الدرجات و عن الكفر و المعصيه بالتأخير لأنه متأخر فى العقول و الدرجات و

روى محمد بن الفضيل عن أبى الفضل عن أبى الحسن (عليه السلام) أنه قال كل من تقدم إلى ولايتنا تأخر عن سقر و كل من تأخر عن ولايتنا تقدم إلى سقر

«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» أى مرهونه بعملها محبوسه به مطالبه بما كسبته من طاعه أو من معصيه فالرهن أخذ الشىء بأمر على أن لا يرد إلا بالخروج منه قال زهير:

و فارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

فكذلك هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لا فكاك له و الكسب هو كل ما يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر و يدخل فيه الفعل و أن لا يفعل ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال «إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ» و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم و قيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال قتاده غلق الناس كلهم إلا- أصحاب اليمين و هم الذين لا- ذنب لهم فهم ميامين على أنفسهم و قيل هم المؤمنون المستحقون للثواب عن الحسن و قيل هم الملائكه عن ابن عباس و

قال الباقر (عليه السلام) نحن و شيعتنا أصحاب اليمين

«فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ» أى يسأل بعضهم بعضا و قيل يساءلون «عَنِ الْمُجْرِمِينَ» أى عن حالهم و عن ذنوبهم التى استحقوا بها النار «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» هذا سؤال توبيخ أى تطلع أهل الجنة على أهل النار فيقولون لهم ما أوقعكم فى النار «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ» أى كنا لا نصلى الصلاه المكتوبه على ما قررها الشرع و فى هذا دلالة على أن الإخلال بالجواب يستحق به الذم و العقاب لأنهم علقوا استحقاقهم العقاب بالإخلال فى الصلاه و فيه دلالة أيضا على أن الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعيه لأنه حكاية عن الكفار بدلاله قوله «وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ» و قوله «وَلَمْ نَكُ

نُطِعُ الْمَسْكِينِ» معناه لم نك نخرج الزكوات التي كانت واجبه علينا و الكفارات التي وجب دفعها إلى المساكين و هم الفقراء «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ» أى كلما غوى غاوا بالدخول فى الباطل غوينا معه عن قتاده و المعنى كنا نلوث أنفسنا بالمرور فى الباطل كتلوث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم فى القول كانوا خائضين معهم «وَكُنَّا نُكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ» مع ذلك أى نجحد يوم الجزاء و هو يوم القيامة و الجزاء هو الإيصال إلى كل من له شىء أم عليه شىء ما يستحقه فى يوم الدين هو يوم أخذ المستحق بالعدل «حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ» أى أتانا الموت على هذه الحالة و قيل حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بأن عايناه «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» أى شفاعه الملائكه و النبيين كما نفعت الموحدين عن ابن عباس فى روايه عطاء و قال الحسن لم تنفعهم شفاعه ملك و لا شهيد و لا مؤمن و يعضد هذا الإجماع على أن عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعه و قد صحت الروايه عن عبد الله بن مسعود قال يشفع نبيكم ص رابع أربعه جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ص لا يشفع أحد أكثر مما يشفع فيه نبيكم ص ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء و يبقى قوم فى جهنم فيقال لهم «ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» إلى قوله «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» قال ابن مسعود فهؤلاء الذين يبقون فى جهنم و

عن الحسن عن رسول الله ص قال يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة أى رب عبدك فلان سقانى شربه من ماء فى الدنيا فشفعنى فيه فيقول اذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسس فى النار حتى يخرج منه

و

قال ص إن من أمتى من سيدخل الله الجنة بشفاعته أكثر من مضر

«فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ» أى أى شىء لهم و لم أعرضوا و تولوا عن القرآن فلم يؤمنوا به و التذكرة التذكير بمواعظ القرآن و المعنى لا شىء لهم فى الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن و نفروا عنه «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ» أى كأنهم حمر وحشيه نافره «فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرِهِ» يعنى الأسد عن عطاء و الكلبي قال ابن عباس الحمر الوحشيه إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعوا النبى ص يقرأ القرآن هربوا منه و قيل القسوره الرماه و رجال القنص عن ابن عباس بخلاف و الضحاك و مقاتل و مجاهد و قال سعيد بن جبير هم القناص «يَلُ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صِيْحْفًا مُنَشَّرَةً» أى كتباً من السماء تنزل إليهم بأسمائهم أن آمنوا بمحمد ص عن الحسن و قتاده و ابن زيد و قيل معناه أنهم يريدون صحفا من الله تعالى بالبراءه من العقوبه و إسباغ النعمه حتى يؤمنوا و إلا قاموا على كفرهم و قيل يريد كل واحد منهم أن يكون رسولا يوحى إليه متبوعا و أنف من

ص: ١٦٩

أن يكون تابعا وقيل هو تفسيرها ما ذكره الله تعالى في قوله **وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ** فقال سبحانه **«كَلَّا»** أى حقا ليس الأمر على ما قالوا ولا يكون كذلك **«بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ»** بجحدهم صحتها ولو خافوا عذاب الآخرة لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالات والمعجزات **«كَلَّا»** أى حقا **«إِنَّهُ تَذَكُّرٌ»** أى إن القرآن تذكير وموعظه **«فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ»** أى اتعظ به لأنه قادر عليه **«وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»** هذه المشيئة غير الأولى إذ لو كانت واحده لتناقض فالأولى مشيئة اختيار والثانية مشيئة إكراه وإجبار والمعنى أن هؤلاء الكفار لا يذكرون إلا أن يجبرهم الله تعالى على ذلك وقيل معناه إلا أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه و وعد الثواب على فعله و أوعد بالعقاب إن لم تفعله فكانت مشيئته سابقه أى لا تشاءون إلا والله قد شاء ذلك **«هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ»** أى هو أهل أن يتقى محارمه و أهل أن يغفر الذنوب عن قتاده و

روى مرفوعا عن أنس قال إن رسول الله ص تلا هذه الآية فقال قال الله سبحانه أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إليه فمن اتقى أن يجعل معى إليها فأنا أهل أن أغفر له

وقيل معناه و هو أهل أن يتقى عقابه و أهل أن يعمل له بما يؤدي إلى مغفرته.

(٧٥) سورة القيامة مكيه و آياتها أربعون (٤٠)

أشاره

[توضيح]

أربعون آيه كوفى و تسع و ثلاثون فى الباين.

اختلافها

آيه «لِتَعْجَلْ بِهِ» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص و من قرأ سورة القيامة شهدت أنا و جبريل له يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة و جاء و وجهه مسفر على و جوه الخلائق يوم القيامة

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من أدمن قراءة لا أقسم و كان يعمل بها بعثها الله يوم القيامة معه فى قبره فى أحسن صورته تبشر و تضحك فى وجهه حتى يجوز الصراط و الميزان.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة المدثر بذكر القيامة و أن الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السوره بذكر القيامة و ذكر أهوالها فقال:

ص: ١٧١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)
يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْزُ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤)
وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)

القراءة

قرأ القواس لأقسام و الباقون «لَا أُقْسِمُ» و لم يختلفوا في الثاني أنه «وَلَا أُقْسِمُ» وقرأ أهل المدينة برق البصر بفتح الراء و الباقون «بَرِقَ» بالكسر و في الشواذ قراءه ابن عباس و عكرمه و أيوب السخيتاني و الحسن المفر بفتح الميم و كسر الفاء و قراءه الزهري المفر بكسر الميم و فتح الفاء.

الحجج

قال أبو علي من قرأ «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» كانت لا- على قوله صله كالتى فى قوله لَيْلًا يَلْمُ أَهْلَ الْكِتَابِ فَإِنْ قُلْتَ لَا- و ما و الحروف التى هن زوائد إنما تكون بين كلامين كقوله مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ و فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ و فِيمَا نَقَضَتْ هِمَّ* و لا تكاد تزداد أولاً فقد قالوا إن مجارى القرآن مجارى الكلام الواحد و السوره الواحده قال و الذى يدل على ذلك أنه قد يذكر الشىء فى سوره و يجىء جوابه فى سوره أخرى كقوله يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ جاء جوابه فى سوره أخرى ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ فلا- فصل على هذا بين قوله لَيْلًا يَلْمُ و بين قوله «لَا أُقْسِمُ» فأما من قرأ لأقسام فإن اللام تجوز أن تكون اللام التى تصحبها إحدى النونين فى أكثر الأمر و قد حكى ذلك سيويه و أجازه و كما لم يلحق النون مع الفعل الآتى فى لأقسام كذلك لم يلحق اللام مع النون فى نحو قول الشاعر:

و قتل مره أثارن فإنه فرع و إن أخاكم لم يثار

يريد لأثارن فحذف اللام و يجوز أن يكون اللام لحقت فعل الحال و إذا كان المثال للحال لم يتبعها النون لأن هذه النون التى تلحق الفعل فى أكثر الأمر إنما هى للفصل بين فعل الحال و الفعل الآتى و قد يمكن أن يكون لا ردا لكلام و زعموا أن الحسن قرأ «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ» و قال أقسم بالأولى و لم يقسم بالثانية و حكى نحو ذلك عن ابن أبى إسحاق أيضا و ذكر أبو علي فى غير كتاب الحجج أن اللام زياده لأن القسم لا يدخل

على القسم و قال ابن جنى ينبغي أن تكون هذه اللام لام الابتداء أى لأننا أقسم بيوم القيامة و حذف المبتدأ للعلم به و قال أبو الحسن برق البصر أكثر فى كلام العرب و المفتوحه لغه قال الزجاج من قرأ «بَرْقًا» فمعناه فزع و تحير و من قرأ برق فهو من بريق العينين و قال أبو عبيده برق البصر إذا شق و أنشد:

لما أتانى ابن صبيح راغبا أعطيته عيساء منها فبرق

و المفرد الفرار و المفرد بكسر الفاء الموضع الذى يفر إليه و المفرد بكسر الميم و فتح الفاء الإنسان الجيد الفرار و قال امرؤ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

. الإعراب

«بلى قَادِرِينَ» نصب على الحال و التقدير بلى بجمعها قادرين فالعامل فى الحال محذوف لدلاله ما تقدم عليه كما فى قوله فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ فُصُولًا أَوْ مَفْعُولٌ يُرِيدُ محذوف تقديره بل يريد الإنسان الحياه ليفجر و يسأل جمله فى موضع الحال و «لا وَزَرَ» خبره محذوف و تقديره لا وزر فى الوجود و قوله «بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» قيل فى تفسيره أقوال (أحدها) أن المعنى بل الإنسان على نفسه عين بصيره (و الثانى) حجه بصيره أى بينه (و الثالث) أن الهاء للمبالغه كما يقال رجل علامه و نسابه و قال على بن عيسى تقديره بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيره أى جوارحه شاهده عليه يوم القيامة فانت بصيره لأنه حمل الإنسان على النفس و جواب لو محذوف تقديره و لو ألقى معاذيره و لم ينفعه ذلك و يجوز أن يكون جوابه فيما سبق.

المعنى

«لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» قيل إن لا صله و معناه أقسم بيوم القيامة عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قيل إن لا رد على الذين أنكروا البعث و النشور من المشركين فكأنه قال لا- كما تظنون ثم ابتداء القسم فقال أقسم بيوم القيامة أنكم مبعوثون ليكون فرقا بين اليمين التى تكون جحدا و بين اليمين المستأنفه و قيل معناه لا أقسم بيوم القيامة لظهورها بالدلائل العقلية و السمعية و قيل معناه لا أقسم بيوم القيامة فإنكم لا تقرون بها «وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ

ص: ١٧٣

اللَّوَامَهُ» فَإِنَّكُمْ لَا تَقْرُونَ بِأَنَّ النَّفْسَ تَلُومُ صَاحِبَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَكِنْ اسْتَخْبِرْكُمْ فَأَخْبِرُونِي هَلْ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ أَجْمَعَ الْعِظَامَ الْمَتَفَرِّقَةَ وَ هَذَا الْوَجْهَانِ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ لَا- أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ أَقْسَمُ بِالْأُولَى وَ لَمْ يَقْسَمْ بِالثَّانِي عَنِ الْحَسَنِ قَالَ عَلَى بْنِ عَيْسَى وَ هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ يَخْرُجُ عَنِ تَشَاكُلِ الْكَلَامِ وَ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ قَسْمَيْنِ وَ هُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ وَ جَوَابُ الْقَسْمِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ مَا الْأَمْرُ عَلَى مَا تَتَوَهَّمُونَ وَ إِنَّكُمْ تَبْعَثُونَ أَوْ لَتَبْعَثَنَّ وَ مِنْ قَرَأَ لِأَقْسَمَ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهَا جَوَابَ الْقَسْمِ وَ حَذَفَ النَّونَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْحَالِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا مَا قِيلَ فِيهِ وَ النَّفْسُ اللَّوَامَةُ الْكَثِيرَةُ اللَّوْمِ وَ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ بَرَةٍ وَ لَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَ هِيَ تَلُومُ نَفْسَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَتْ عَمِلَتْ خَيْرًا قَالَتْ هَلَا أَزِدُّدُتْ وَ إِنْ كَانَتْ عَمِلَتْ سُوءًا قَالَتْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ وَ قَالَ مُجَاهِدٌ تَلُومٌ عَلَى مَا مَضَى تَقُولُ لَمْ فَعَلْتُ وَ لَمْ لَمْ أَفْعَلْ وَ قِيلَ النَّفْسُ اللَّوَامَةُ الْكَاْفِرَةُ الْفَاجِرَةُ عَنِ قَتَادَةَ وَ مُجَاهِدًا وَ مَعْنَاهُ ذَاتُ اللَّوْمِ الْكَثِيرِ لَمَّا سَلَفَ مِنْهَا وَ قِيلَ هِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ تَلُومُ نَفْسَهَا فِي الدُّنْيَا وَ تَحَاسِبُهَا فَتَقُولُ مَاذَا فَعَلْتُ وَ لَمْ قَصْرَتْ فَتَكُونُ مَفْكَرَةً فِي الْعَوَاقِبِ أَبَدًا وَ الْفَاجِرُ لَا- يَفْكَرُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَ لَا- يَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَنِ الْحَسَنِ «أَيُّ حَسْبِ الْإِنْسَانِ» صُورَتُهُ صُورَةُ الْإِسْتِفْهَامِ وَ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ عَلَى مَنْكَرِ الْبَعْثِ وَ مَعْنَاهُ أَيُّ حَسْبِ الْكَاْفِرِ بِالْبَعْثِ وَ النُّشُورِ يَعْنِي جِنْسَ الْكَاْفِرِ «أَلَّنَّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ» أَيُّ أَنَّهُ لَنْ نَعِيدَهُ إِلَى مَا كَانَ أَوْ لَا خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ أَنْ صَارَ رِفَاتًا فَكُنِي عَنِ الْبَعْثِ بِجَمْعِ الْعِظَامِ ثُمَّ قَالَ سَبْحَانَهُ «بَلَى» نَجْمَعُهَا «قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ» عَلَى مَا كَانَتْ وَ إِنْ قَلَّتْ عِظَامُهَا وَ صَغُرَتْ فَنَزَدَهَا كَمَا كَانَتْ وَ تَوَلَّفَ بَيْنَهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ الْبَنَانُ وَ مِنْ قَدَرِ عَلَى جَمْعِ صِغَارِ الْعِظَامِ فَهُوَ عَلَى جَمْعِ كِبَارِهَا أَقْدَرُ عَنِ الزُّجَاجِ وَ الْجَبَائِي وَ أَبِي مُسْلِمٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ نَقْدَرُ عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَنَانَهُ كَالْخَلْفِ وَ الْحَاْفِرِ فَيَتَنَاوَلُ الْمَأْكُولَ بَفِيهِ وَ لَكِنَّا مَنَّا عَلَيْهِ بِالْأَنَامِلِ لِيَكْمَلَ بِهَا الْمَنْفَعَةُ وَ يَتَهَيَّأُ لَهُ الْقَبْضُ وَ الْبَسْطُ وَ الْإِرْتِفَاقُ بِالْأَعْمَالِ اللَّطِيفَةِ كَالْكِتَابَةِ وَ غَيْرِهَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةَ «بَلَى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ» أَيُّ يَرِيدُ الْكَاْفِرُ «لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْضِي قَدَمًا فِي مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى رَاكِبًا رَأْسَهُ لَا يَنْزِعُ عَنْهَا وَ لَا يَتُوبُ عَنِ مُجَاهِدٍ وَ الْحَسَنِ وَ عِكْرَمَةَ وَ السَّدِيِّ أَيُّ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ مَقْدُورَاتِ رَبِّهِ فَلِذَلِكَ لَا يَقْرَبُ الْبَعْثَ وَ يَنْكُرُ النُّشُورَ وَ قِيلَ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ أَيُّ لِيَفْكَرَ بِمَا قَدَامَهُ مِنَ الْبَعْثِ وَ يَكْذِبُ بِهِ فَالْفُجُورُ وَ هُوَ التَّكْذِيبُ وَ عَنِ الزُّجَاجِ قَالَ وَ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُ يَسُوفُ التُّوبَةَ وَ يَقْدَمُ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةَ وَ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ يَرِيدُ أَنْ يَفْجُرَ مَا أَمْتَدَّ عَمْرَهُ وَ لَيْسَ فِي نِيَّتِهِ أَنْ يَرْجِعَ عَنِ ذَنْبِ يَرْتَكِبُهُ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَقُولُ أَعْمَلْتُ ثُمَّ أَتُوبُ عَنِ عَطِيَّةٍ وَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتَعَجَّلُ الْمَعْصِيَةَ ثُمَّ يَسُوفُ التُّوبَةَ يَقُولُ غَدًا وَ بَعْدَ غَدٍ «يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ» مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي يَفْجُرُ أَمَامَهُ يَسْأَلُ مَتَى تَكُونُ الْقِيَامَةُ فَإِنَّ مَعْنَى أَيَّانَ مَتَى إِلَّا أَنَّ السُّؤَالَ بِمَتَى أَكْثَرَ مِنَ السُّؤَالِ بِأَيَّانَ

فلذلك حسن أن يفسر بها و إنما يسأل عن ذلك تكديبا و اشتغالا بالدنيا من غير تفكر في العاقبه فإذا خوف بالقيامه قال متى يكون ذلك ثم قال سبحانه «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصِيرُ» أى شخص البصر عند معانيه ملك الموت فلا يطرف من شده الفزع و قيل إذا فزع و تحير لما يرى من أهوال القيامه و أحوالها مما كان يكذب به فى الدنيا و هذا كقوله لا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ عن قتاده و أبى مسلم «وَ خَسِيفَ الْقَمَرِ» أى ذهب نوره و ضوءه «وَ جَمِيعَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ» جمع بينهما فى ذهاب ضوءهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتى يراها كل أحد بغير نور و ضياء عن مجاهد و هو اختيار الفراء و الزجاج و الجمع على ثلاثه أقسام جمع فى المكان و جمع فى الزمان و جمع الأَعْرَاضِ فى المحل فأما جمع الشئيين فى حكم أو صفه فمجاز لأن حقيقه الجمع جعل أحد الشئيين مع الآخر و قيل جمع بينهما فى طلوعهما من المغرب كالبعيرين القرينين عن ابن مسعود «يَقُولُ الْإِنْسَانُ» المكذب بالقيامه «يَوْمَئِذٍ أَيَّنَ الْمَفْرُ» أى أين الفرار و يجوز أن يكون معناه أين موضع الفرار عن الفراء و قال الزجاج المفر بالفتح الفرار و المفر بالكسر مكان الفرار قال الله سبحانه «كَلَّا لَا وَزَرَ» أى لا مهرب و لا ملجأ لهم يلجئون إليه و الوزر ما يتحصن به من جبل أو غيره و منه الوزير الذى يلجأ إليه فى الأمور و قيل معناه لا حصن عن الضحاك «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» أى المنتهى عن قتاده أى ينتهى الخلق يومئذ إلى حكمه و أمره فلا حكم و لا أمر لأحد غيره و قيل المستقر المكان الذى يستقر فيه المؤمن و الكافر و ذلك إلى الله لا إلى العباد و قيل المستقر المصير و المرجع عن ابن مسعود و المستقر على وجهين مستقر إلى أمد و مستقر إلى الأبد «يُتَبَوُّوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ» أى يخبر الإنسان يوم القيامه بأول عمله و آخره فيجازى به عن مجاهد و قيل معناه بما قدم من العمل فى حياته و ما سنه فعمل به بعد موته من خير أو شر و قيل بما قدم من المعاصى و آخر من الطاعات عن ابن عباس و قيل بما أخذ و ترك عن ابن زيد و قيل بما قدم من طاعه الله و آخر من حق الله فضيعه عن قتاده و قيل بما قدم من ماله لنفسه و ما خلقه لورثته بعده عن زيد بن أسلم و حقيقه النبا الخير بما يعظم شأنه و إنما حسن فى هذا الموضع لأن ما جرى مجرى المباح لا يعتد به فى هذا الباب و إنما هو ما يستحق عليه الجزاء فأما ما وجوده كعدمه فلا اعتبار به «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» أى إن جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهاده جوارحه عليه عن ابن عباس و عكرمه و مقاتل و قال القتيبي أقام جوارحه مقام نفسه و لذلك أنث لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح و قال الأخفش هى كقولك فلان حجه و عبره و دليله قوله تعالى كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا و قيل معناه أن الإنسان بصير بنفسه و عمله و

روى العياشى بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ما يصنع

أحدكم أن يظهر حسنا و يسر سيئا أ ليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنه ليس كذلك و الله سبحانه يقول «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
بَصِيرَةٌ» إن السريره إذا صلحت قويت العلانيه

عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه تلا هذه الآية ثم قال ما يصنع الإنسان أن يتعذر إلى الناس خلاف ما يعلم الله
منه أن رسول الله ص كان يقول من أسر سريره رداه الله رداءها إن خيرا فخير و إن شرا فشر

و

عن زراره قال سألت أبا عبد الله ما حد المرض الذى يفطر صاحبه قال «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» هو أعلم بما يطيق و فى
روايه أخرى هو أعلم بنفسه ذاك إليه

«وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ» أى و لو اعتذر و جادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذره و معاذر و معاذير و هى ذكر موانع تقطع عن
الفعل المطلوب و قيل معناه و لو أرخى الستور و أغلق الأبواب عن الضحاك و السدى قال الزجاج معناه و لو أدلى بكل حجه
عنده و جاء فى التفسير المعاذير الستور واحدها معذار و قال المبرد هى لغه طائيه و المعنى على هذا القول و إن أسبل الستور
ليخفى ما يعمل فإن نفسه شاهده عليه.

[سوره القيامه (٧٥): الآيات ١٦ الى ٢٥]

اشاره

لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (١٧) فَاِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ
تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)

وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ (٢٤) تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)

القراءه

قرأ أهل المدينة و الكوفه تحبون و تذرُونَ بالتاء و الباؤون بالياء.

الحجه

من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم بل تحبون و تذرُونَ و من قرأ بالياء فعلى معنى هم يحبون و يذرُونَ قال أبو على الياء على ما
تقدم من ذكر الإنسان فإن المراد به الكثيره و العموم كقوله إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ثم قال إِلَّا الْمُصَلِّينَ.

اللغه

التحريك تصيير الشىء من مكان إلى مكان أو من جهه إلى جهه بفعل الحركه

فيه و الحركة ما به يتحرك المتحرك و المتحرك هو المنتقل من جهة إلى غيرها و اللسان آله الكلام و العجله طلب عمل الشىء قبل وقته الذى ينبغى أن يعمل فيه و نقيضه الإبطاء و السرعه عمل الشىء فى أول الوقت الذى هو له و ضده الأناه و القرآن أصله الضم و الجمع و هو مصدر كالرجحان و النقصان و البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره و نقيض البيان الإخفاء و الإغماض و النصره مثل البهجه و الطلاقه و ضده العبوس و البسور نصر وجهه ينصر نضاره و نصره فهو ناضر و النظر تقليب الحدقه الصحيحه نحو المرئى طلبا لرؤيته و يكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عز شأنه وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرُهُ أَي منتظره و قال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن تنتظر الفلاحا

ثم يستعمل فى الفكر فيقال نظرت فى هذه المسأله أى تفكرت و منه المناظره و تكون من المقابله يقال دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل و الفاقره الكاسره لفقار الظهر شده و قيل الفاقره الدايمه و الآبده.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» قال ابن عباس كان النبى ص إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه إياه و حرصه على أخذه و ضبطه مخافه أن ينساه فنهاه الله عن ذلك و فى روايه سعيد بن جبير عنه أنه ص كان يعاجل من التنزيل شده و كان يشتد عليه حفظه فكان يحرك لسانه و شفثيه قبل فراغ جبريل من قراءه الوحي فقال سبحانه «لا تُحَرِّكْ بِهِ» أى بالوحي أو بالقرآن لسانك يعنى بالقراءه لتعجل به أى لتأخذه كما قال و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ» فى صدرك حتى تحفظه «وَقُرْآنَهُ» أى و تأليفه على ما نزل عليك عن قتاده و قيل معناه إن علينا جمعه و قرآنه عليك حتى تحفظه و يمكنك تلاوته فلا تخف فوت شىء منه عن ابن عباس و الضحاك «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ» أى قرأه جبريل عليك بأمرنا «فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» أى قراءته عن ابن عباس و المعنى اقرأه إذا فرغ جبريل عن قراءته قال فكان النبى ص بعد هذا إذا نزل عليه جبريل (عليه السلام) أطرق فإذا ذهب قرأ و قيل «فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» أى فاعمل بما فيه من الأحكام و الحلال و الحرام عن قتاده و الضحاك و قال البلخى الذى اختاره أنه لم يرد القرآن و إنما أراد قراءه العباد لكتبهم يوم القيامة يدل على ذلك ما قبله و ما بعده و ليس فيه شىء يدل على أنه القرآن و لا شىء من أحكام الدنيا و فى ذلك تقرير للعبد و توبيخ له حين لا تنفعه العجله يقول لا تحرك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التى فيها أعمالك يعنى اقرأ كتابك و لا تعجل فإن هذا الذى هو على نفسه

بصيره إذا رأى سيئاته ضجر و استعجل فيقال له توييخا لا تعجل و تثبت لتعلم الحجه عليك فإننا نجمعها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه و الاستسلام للتبعه فيه فإنه لا يمكنك إنكاره «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» لو أنكرت و قال الحسن معناه ثم إن علينا بيان ما أنبأناك أنا فاعلون في الآخره و تحقيقه و قيل يريد أنا نبين لك معناه إذا حفظته عن قتاده و قيل معناه ثم إن علينا أن نحفظه عليك حتى تبين للناس بتلاوتك إياه عليهم و قيل معناه علينا أن ننزله قرآنا عربيا فيه بيان للناس عن الزجاج و في هذا دلالة على أنه لا تعميمه في القرآن و لا الغاز و لا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة و إنما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب «كَلَّا» أى لا تتدبرون القرآن و ما فيه من البيان «بَلْ تُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» أى تختارون الدنيا على العقبى فيعلمون للدنيا لا- للآخره جهلا منهم و سوء اختيار ثم بين سبحانه حال الناس فى الآخره فقال «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «ناضِرَةٌ» أى ناعمه بهجه حسنه عن ابن عباس و الحسن و قيل مسروره عن مجاهد و قيل مضيئه بيض يعلوها النور عن السدى و مقاتل جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفه علامه للخلق و الملائكه على أنهم الفائزون «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» اختلف فيه على وجهين (أحدهما) أن معناه نظر العين (و الثانى) أنه الانتظار و اختلف من حمله على نظر العين على قولين (أحدهما) أن المراد إلى ثواب ربها ناظره أى هى ناظره إلى نعيم الجنة حالا- بعد حال فيزداد بذلك سرورها و ذكر الوجوه و المراد أصحاب الوجوه روى ذلك عن جماعه من علماء المفسرين من الصحابه و التابعين لهم و غيرهم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه كما فى قوله تعالى وَ جَاءَ رَبُّكَ أى أمر ربك و قوله وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ أى إلى طاعه العزيز الغفار و توحيد و قوله إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ أى أولياء الله (و الآ-خر) أن النظر بمعنى الرؤيه و المعنى تنظر إلى الله معانيه روى ذلك عن الكلبي و مقاتل و عطاء و غيرهم و هذا لا يجوز لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدقه و اللحاظ و الله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجلس سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع و أيضا فإن الرؤيه بالحاسه لا تتم إلا بالمقابله و التوجه و الله يتعالى عن ذلك بالاتفاق و أيضا فإن رؤيه الحاسه لا تتم إلا باتصال الشعاع بالمرئى و الله منزه عن اتصال الشعاع به على أن النظر لا- يفيد الرؤيه فى اللغه فإنه إذا علق بالعين أفاد طلب الرؤيه كما أنه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفه بدلاله قولهم نظرت إلى الهلال فلم أراه فلو أفاد النظر الرؤيه لكان هذا القول ساقطا متناقضا و قولهم ما زلت أنظر إليه حتى رأيت و الشىء لا يجعل غايه لنفسه فلا يقال ما زلت أراه حتى رأيت و لأننا نعلم الناظر ناظرا بالضروره و لا نعلمه رائيا بالضروره بدلاله أنا نسأله

هل رأيت أم لا و أما من حمل النظر فى الآيه على الانتظار فإنهم اختلفوا فى معناه على أقوال (أحدها)

أن المعنى منتظره لثواب ربها و روى ذلك عن مجاهد و الحسن و سعيد بن جبیر و الضحاك و هو المروى عن على (عليه السلام)

و من اعترض على هذا بأن قال إن النظر بمعنى الانتظار لا- يتعدى بإلى فلا يقال انتظرت إليه و إنما يقال انتظرته فالجواب عنه على و جوه منها أنه قد جاء فى الشعر بمعنى الانتظار معدى بإلى كما فى البيت الذى سبق ذكره:

ناظرات إلى الرحمن

و كقول جميل بن معمر:

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك جدتنى نعماً

و قول الآخر:

إنى إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر

و نظائره كثيره و منها أن تحمل إلى فى قوله «إلى ربها ناظرة» على أنها اسم فهو واحد الآلاء التى هى النعم فإن فى واحدها أربع لغات إلى و ألى مثل معا و قفا و إلى و إلى مثل جدى و حسى و سقط التنوين بالإضافه و قال أعشى وائل:

أبيض لا يهرب الهزال و لا يقطع رحماً و لا يخون إلى

أى لا يخون نعمه من أنعم عليه و ليس لأحد أن يقول إن هذا من أقوال المتأخرين و قد سبقهم الإجماع فإننا لا نسلم ذلك لما ذكرناه من

أن علياً (عليه السلام) و مجاهداً و الحسن و غيرهم قالوا المراد بذلك تنتظر الثواب و منها أن لفظ النظر

يجوز أن يعدى بإلى فى الانتظار على المعنى كما أن الرؤيه عدت بإلى فى قوله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ فَأَجْرَى الكلام على المعنى و لا يقال رأيت إلى فلان و من إجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق:

و لقد عجبت إلى هوازن أصبحت منى تلوذ ببطن أم جرير

فعدى عجبت بإلى لأن المعنى نظرت (و ثانيها) أن معناه مؤمله لتجديد الكرامه كما يقال عيني ممدوده إلى الله تعالى و إلى فلان و أنا شاخص الطرف إلى فلان و لما كانت العيون بعض أعضاء الوجوه أضيف الفعل الذى يقع بالعين إليها عن أبى مسلم (و ثالثها) أن المعنى

أنهم قطعوا آمالهم و أطماعهم عن كل شىء سوى الله تعالى و وجوده دون غيره فكنى سبحانه عن الطمع بالنظر ألا ترى أن الرعيه تتوقع نظر السلطان و تطمع فى إفضاله عليها و إسعافه فى حوائجها فنظر الناس مختلف فناظر إلى سلطان و ناظر إلى تجاره و ناظر إلى زراعته و ناظر إلى ربه يؤمله و هذه الأقوال متقاربه فى المعنى و على هذا فإن هذا الانتظار متى يكون فقيل إنه بعد الاستقرار فى الجنه و قيل إنه قبل استقرار الخلق فى الجنه و النار فكل فريق ينتظر ما هو له أهل و هذا اختيار القاضى عبد الجبار و ذكر جمهور أهل العدل أن النظر يجوز أن يحمل على المعنيين جميعا و لا مانع لنا من حمله على الوجهين فكأنه سبحانه أراد أنهم ينظرون إلى الثواب المعد لهم فى الحال من أنواع النعيم و ينتظرون أمثالها حالا بعد حال ليتم لهم ما يستحقونه من الإجلال و يسأل على هذا فيقال إذا كان بمعنى النظر بالعين حقيقه و بمعنى الانتظار مجازا فكيف يحمل عليهما و الجواب أن عند أكثر المتكلمين فى أصول الفقه يجوز أن يراد بلفظه واحده إذ لا تنافى بينهما و هو اختيار المرتضى قدس الله روحه و لم يجوز ذلك أبو هاشم إلا إذا تكلم به مرتين مره يريد النظر و مره يريد الانتظار و أما قولهم المنتظر لا يكون نعيمه خالصا فكيف يوصف أهل الجنه بالانتظار فالجواب عنه أن من ينتظر شيئا لا يحتاج إليه فى الحال و هو واثق بوصوله إليه عند حاجته فإنه لا يهتم بذلك و لا يتنصص سروره به بل ذلك زائد فى نعيمه و إنما يلحق الهم المنتظر إذا كان يحتاج إلى ما ينتظره فى الحال و يلحقه بفوته مضره و هو غير واثق بالوصول إليه و قد قيل فى إضافه النظر إلى الوجوه إن الغم و السرور إنما يظاهران فى الوجوه فبين الله سبحانه أن المؤمن إذا ورد يوم القيامة تهلل وجهه و أن الكافر العاصى يخاف مغبه أفعاله القبيحه فيكلح وجهه و هو قوله «وَأُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسْتِرَةٍ» أى كالحه عابسه متغيره «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» أى تعلم و تستيقن أنه يعمل بها داهيه تفقر ظهورهم أى تكسرها و قيل إنه على حقيقه الظن أى يظنون حصولها جملة و لا يعلمون تفصيلها و هذا أولى من الأول لأنه لو كان بمعنى العلم لكان أن بعده مخففه من أن الثقيله على ما ذكر فى غير موضع و ذكر سبحانه هذه الوجوه الظانه فى مقابله الوجوه الناظره فهؤلاء يرجون تجديد الكرامه و هؤلاء يظنون حلول الفاقره فيكون حال الوجوه الراجيه للأحوال الساره على الضد من حال الوجوه الظانه للفاقره.

النظم

وجه اتصال قوله «لَا تَحْرُكُ بِهِ لِسَانَكَ» بما قبله أنه لما تقدم ذكر القيامه و الوعيد خاطب سبحانه نبيه ص فقال لا تحرك به لسانك لتعجل قراءته بل كررها عليهم ليتقرر فى قلوبهم فإنهم غافلون عن الأدله ألهاهم حب العاجله فاحتاجوا إلى زياده تنبيه و تقرير.

اشاره

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (۲۶) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (۲۷) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (۲۸) وَالتَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ (۲۹) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (۳۰)
فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (۳۱) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى (۳۲) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (۳۳) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (۳۴) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (۳۵)

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (۳۶) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (۳۷) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (۳۹) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْبِيَ الْمَوْتَى (۴۰)

القراءه

قرأ حفص و رويس يمني بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

قال أبو علي من قرأ بالتاء حملة على النطفه أى لم يك نطفه تمنى من منى و من قرأ بالياء حملة على المنى أى من منى يمنى يقدر خلق الإنسان و غيره منها قال:

منت لك أن تلقى ابن هند منيه و فارس مياس إذا ما تلبيا

و قال آخر:

لعمر أبى عمرو لقد ساقه المنى إلى جدث يؤزى له بالأهاضب

أى ساقه القدر.

اللغه

التراقى جمع الترقوه و هو مقدم الحلق من أعلى الصدر تترقى إليه النفس عند

الموت وإليه يتراعى البخار من الجوف وهناك تقع الحشرجه قال ذو الرمه:

و رب عظيمه دافعت عنها و قد بلغت نفوسهم التراقي

و الراقى طالب الشفاء رقاہ يرقيه رقيه إذا طلب له شفاء بأسماء الله الشريفة و آيات كتابه العظيمه و أما العوذہ فهى دفع البليه بكلمات الله تعالى و تقول العرب قامت الحرب على ساق يعنون شدة الأمر قال:

فإذ شممت لك عن ساقها فويها ربيع و لا تسأم

و المطى تمدد البدن من الكسل و أصله أن يلوى مطاه أى ظهره و قيل أصله يتمطط فجعل إحدى الطائين ياء و هو من المط بمعنى المد كقولهم تظنيت و أمليت و نحو ذلك و نهى عن مشيه المطيطاء و ذلك أن يلقي الرجل يديه مع التكفى فى مشيته. أولى لك كلمه وعيد و تهديد قالت الخنساء:

هممت بنفسى كل الهموم فأولى بنفسى أولى لها

و السدى المهمل و العلقه القطعه من الدم المنعقد.

الإعراب

فى إعراب أولى وجوه (أحدها) أن يكون مبتدأ و خبره لك (و الآخر) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره الشر أولى لك فعلى هذا يكون اللام فى لك للاختصاص كأنه قال الشر أولى لك من الخير و يجوز أن يكون بمعنى من تقديره الشر أقرب منك و سدى منصوب على الحال من قوله «يُتْرَكُ».

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم عند النزع فقال «كَلَّا» أى ليس يؤمن الكافر بهذا و قيل معناه حقا «إِذَا بَلَغَتِ» النفس أو الروح و لم يذكره لدلاله الكلام عليه كما قال ما ترك على ظهرها من دابه يعنى على ظهر الأرض «التَّرَاقِي» أى العظام المكتنفة بالحلق و كنى بذلك عن الإشفاء على الموت «وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ» أى و قال من حضره من أهله هل من راق أى طبيب شاف يرقيه و يداويه فلا يجدونه عن أبى قلابه و الضحاك و قتاده و ابن زيد قال قتاده التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئا و قيل إن معناه قالت الملائكة من يرقى بروحه أم ملائكة الرحمه أم ملائكة العذاب عن ابن عباس و مقاتل قال أبو العالیه تختصم فيه ملائكة الرحمه و ملائكة العذاب أيهم يرقى روحه و قال الضحاك أهل الدنيا يجهزون البدن

و أهل الآخرة يجهزون الروح «وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» أى و علم عند ذلك هذا الذى بلغت روحها تراقبها أنه الفراق من الدنيا و الأهل و المال و الولد و الفراق ضد الوصال و هو بعاد الألاف و

جاء فى الحديث أن العبد ليعالج كرب الموت و سكراته و مفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقنى و أفارقك إلى يوم القيامة

«وَ التَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ» قيل فيه وجوه (أحدها) التفت شدة أمر الآخرة بأمر الدنيا عن ابن عباس و مجاهد (و الثانى) التفت حال الموت بحال الحياه عن الحسن (و الثالث) التفت ساقاه عند الموت عن الشعبي و أبى مالك لأنه يذهب القوه فيصير كجلد يلتف بعضه ببعض و قيل هو أن يضطرب فلا يزال يمد إحدى رجليه و يرسل الأخرى و يلف إحداهما بالأخرى عن قتاده و قيل هو التناصف الساقين فى الكفن (و الرابع) التفت ساق الدنيا بساق الآخرة و هو شدة كرب الموت بشده هول المطلع و المعنى فى الجميع أنه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلا جاءه أشد منها «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» أى مساق الخلائق إلى المحشر الذى لا يملك فيه الأمر و النهى غير الله تعالى و قيل يسوق الملك بروحه إلى حيث أمر الله تعالى به إن كان من أهل الجنة فألى عليين و إن كان من أهل النار فألى سجين و المساق موضع السوق «فَلَا صَدَقَ وَ لَا صَلَّى» أى لم يتصدق بشىء و لم يصل لله «وَ لَكِنْ كَذَّبَ» بالله «وَ تَوَلَّى» عن طاعته عن الحسن و قيل معناه لم يصدق بكتاب الله و لا صلى الله و لكن كذب بالكتاب و الرسول و أعرض عن الإيمان عن قتاده «ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى» أى يرجع إليهم يتبختر و يختال فى مشيته و قيل إن المراد بذلك أبو جهل بن هشام «أُولَى لَكَ فَأُولَى» و هذا تهديد من الله له و المعنى وليك المكروه يا أبا جهل و قرب منك و

جاءت الروايه أن رسول الله أخذ بيد أبى جهل ثم قال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأى شىء تهددنى لا تستطيع أنت و لا ربك أن تفعلوا بى شيئا و إنى لأعز أهل هذا الوادى فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله ص

و قيل معناه الذم أولى لك من تركه إلا أنه حذف و كثر فى الكلام حتى صار بمنزله الويل لك و صار من المحذوف الذى لا يجوز إظهاره و قيل هو وعيد على وعيد عن قتاده و معناه وليك الشر فى الدنيا وليك ثم وليك الشر فى الآخرة وليك و التكرار للتأكيد و قيل بعدا لك من خيرات الدنيا و بعدا لك من خيرات الآخرة عن الجبائى و قيل أولى لك ما تشاهده يا أبا جهل يوم بدر فأولى لك فى القبر ثم أولى لك يوم القيامة فلذلك أدخل ثم فأولى لك فى النار «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ» يعنى أبا جهل «أَنْ يُتْرَكَ سُدىً» مهملا لا يؤمر و لا ينهى عن ابن عباس و مجاهد و الألف للاستفهام و المراد الإنكار أى لا ينبغى أن يظن ذلك و قيل أنه عام أى أ يظن الإنسان الكافر بالبعث الجاحد لنعم الله أن يترك مهملا من غير أمر يؤخذ به فيكون فيه

تقويم له و إصلاح لما هو أعود عليه فى عاقبه أمره و أجمل به فى دنياه و آخرته «أَلَمْ يَكْ نُطْفَهَ مِنْ مَنِيَّ يُمْنِي» أى كيف يظن أن يهمل و هو يرى فى نفسه و من تنقل الأحوال ما يمكنه أن يستدل به على أن له صانعا حكيما أكمل عقله و أقدره و خلق فيه الشهوه فيعلم أنه لا يجوز أن يخليه من التكليف و معنى قوله «يُمْنِي» أى يقدر و قيل معناه يصب فى الرحم «ثُمَّ كَانَ عَلَقَهَ فَخَلَقَ» منها خلقا فى الرحم «فَسَوَّى» خلقه و صورته و أعضاءه الباطنه و الظاهره فى بطن أمه و قيل فسواه إنسانا بعد الولاده و أكمل قوته و قيل معناه فخلق الأجسام فسواها للأفعال و جعل لكل جارحه عملا يختص بها «فَجَعَلَ مِنْهُ» أى من الإنسان «الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى» و قيل من المنى و هذا إخبار من الله سبحانه أنه لم يخلق الإنسان من المنى و لم ينقله من حال إلى حال ليتركه مهملا فإنه لا بد من غرض فى ذلك و هو التعريض للشواب بالتكليف «أَلَيْسَ ذَلِكَ» الذى فعل هذا «بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» هذا تقرير لهم على أن من قدر على الابتداء قدر على البعث و الإحياء فإن من قدر على جعل النطفه علقه و العلقه مضغه إلى أن يجعلها حيا سليما مركبا فيه الحواس الخمس و الأعضاء الشريفه التى يصلح كل منها لما لا يصلح له الآخر و خلق الزوجين الذكر و الأنثى الذين يصح بهما التناسل فإنه يقدر على إعادته بعد الموت إلى ما كان عليه من كونه حيا و

جاء فى الحديث عن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآيه «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» قال رسول الله ص سبحانك اللهم و بلى و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع

و فى الآيه دلالة على صحه القياس العقلى فإنه سبحانه اعتبر النشأه الثانيه بالنشأه الأولى.

(٧٦) سورة الإنسان مدنيه و آياتها إحدى و ثلاثون (٣١)

إشاره

[توضیح]

و تسمى سورة الدهر و تسمى سورة الأبرار و منهم من يسميها بفاتحتها و اختلفوا فيها ف قيل مكيه كلها و قيل مدنيه كلها عن مجاهد و قتاده و قيل إنها مدنيه إلا قوله «وَلَا تُطْعَمُنَّهُمْ إِلَّا قَوْلًا» فإنه مكي عن الحسن و عكرمه و الكلبي و قيل إن قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» إلى آخر السوره مكي و الباقي مدني.

عدد آيها

إحدى و ثلاثون آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة (هل أتى) كان جزاؤه على الله جنه و حريرا

و

قال أبو جعفر (عليه السلام) من قرأ سورة هل أتى في كل غداه خميس زوجة الله من الحور العين مائه عذراء و أربعة آلاف ثيب و كان مع محمد ص.

تفسيرها

ختم الله سبحانه يوم القيامة بأن دل على صحه البعث بخلق الإنسان من نطفه و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ١٨٥

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَدِيدُ غَضَبِهِ مَسْطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشِيكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
شُكْرًا (٩)

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)

القراءة

قرأ أهل المدينة و أبو بكر عن عاصم و الكسائي سلاسلًا بالتونين و كذلك قواريرا قواريرا و يقفون بالألف على الجميع و قرأ ابن كثير و خلف سلاسل بغير تنوين و قواريرا قوارير الأول بالتونين و الثانى بغير تنوين و يقفان على سلاسل و قوارير الثانى بغير الألف و قرأ حمزه و يعقوب بغير تنوين فى الجميع و يقفان بغير ألف عليها و قرأ أبو عمرو و ابن عامر و حفص بغير تنوين فيها أيضا إلا أنهم يقفون على سلاسل و قواريرا الأولى بالألف و على قوارير الثانى بغير ألف غير أن شجاعا يقف على سلاسل أيضا بغير ألف.

الحجج

قال أبو على حججه من صرف سلاسلًا و قواريرا فى الوصل و الوقف أمران (أحدهما) أن أبا الحسن قال سمعنا من العرب من يصرف هذا و يصرف جميع ما لا ينصرف قال و هذه لغة أهل الشعر لأنهم اضطروا إليه فى الشعر فصرفوه فجرت ألسنتهم على ذلك و احتملوا ذلك فى الشعر لأنه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا زياده التنوين و الأمر الآخر أن هذه الجموع أشبهت الأحاد لأنهم قالوا صواحبات يوسف فلما جمعت جمع الأحاد المنصرفه جعلوه فى حكمها فصرفوها قال أبو الحسن و كثير من العرب يقول مواليات يريد الموالى و أنشد للفرزدق:

فإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكسى الأبصار

فهذا كأنه جمع نواكس و من قرأ بغير تنوين و لا- ألف فإنه جعله كقوله «لَهَيْدُمْتُ صَوَامِعَ وَ بَيْعَ وَ صِلَوَاتٍ وَ مَسَاجِدُ» و إلحاق الألف فى سلاسل و قوارير كالحاقه فى قوله «الظُّنُونَا» و «السَّيْلَمَا» و «الرَّسُولَا» يشبه ذلك بالإطلاق فى القوافى من حيث كانت مثلها فى أنها كلام تام.

اللغة

الدهر مرور الليل و النهار و جمعه أدهر و دهور و أصل النطفه الماء القليل و قد تقع على الكثير

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفه

يريد النهروان و الجمع نطاف و نطف قال الشاعر:

و ما النفس إلا نطفه بقراره إذا لم تكدر كان صفوا غدورها

و واحد الأمشاج مشيج و مشجت هذا بهذا أى خلطته و هو ممشوج و مشيج و واحد الأبرار بار نحو ناصر و أنصار و بر أيضا و الكأس الإناء إذا كان فيه شراب قال عمرو بن كلثوم:

صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا

و أوفى بالعقد و وفى به فأوفى لغه أهل الحجاز و وفى لغه تميم و أهل نجد و النذر عقد عملى فعل بر يوجه الإنسان على نفسه نذر ينذر قال عنتره:

الشاتمى عرضى و لم أشتمهما و الناذرين إذا لم ألقهما دمي

أى يقولان إن لقينا عنتره لنقتلنه و المستطير المنتشر قال الأعشى:

فبانة و قد أسارت فى الفؤاد صدعا على نأيتها مستطيرا

و القمطير الشديد فى الشر و قد اقمطر اليوم اقمطارا و يوم قمطير و قماطر كأنه قد التف شره بعضه على بعض قال الشاعر:

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قيل إن هل هنا بمعنى قد قال الشاعر:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأعبه يوم البين مشكوم

. الإعراب

«لَمْ يَكُنْ شَيْئاً» جملة فى محل الرفع لأنها صفة حين و التقدير لم يكن فيه شيئاً مذكورا و أمشاج يجوز أن يكون صفة لنطفه و يجوز أن يكون بدلا و الوصف بالجمع مثل قولهم برمه أعشار و ثوب أسمال و نبتليه فى موضع نصب على الحال. «إِذَا شَاكِرًا وَ إِذَا كَفُورًا» حالان من الهاء فى هديناه أى هديناه شاكرا أو كفورا و قوله «عَيْنًا» فى انتصابه وجوه (أحدها) أن يكون بدلا من كافورا إذا جعلت الكافور اسم عين فىكون بدل الكل من الكل (و الثانى) أن يكون بدلا من قوله «مِنْ كَأْسٍ» أى يسقون من عين ثم حذف الجار فوصل الفعل إليه فنصبه (و الثالث) أن يكون منصوبا على المدح و التقدير أعنى عينا يشرب بها الباء مزیده أى يشربها و المعنى يشرب ماؤها لأن العين لا تشرب و إنما يشرب ماؤها.

النزول

قد روى الخاص و العام أن الآيات من هذه السورة و هى قوله «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ» إلى قوله «وَ كَانَ سَيِّئِكُمْ مَشْكُورًا» نزلت فى على و فاطمه و الحسن و الحسين ع و جاريه لهم تسمى فضه و هو المروى عن ابن عباس و مجاهد و أبى صالح.

[و القصة طويله]

جملتها أنهم قالوا مرض الحسن و الحسين (عليه السلام) فعادهما جد هما ص و وجوه العرب و قالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا فنذر صوم ثلاثه أيام إن شفاهما الله سبحانه و نذرت فاطمه (عليه السلام) كذلك و كذلك فضه فبرءا و ليس عندهم شىء فاستقرض على (عليه السلام) ثلاثه أصوع من شعير من يهودى و روى أنه أخذها ليغزل له صوفا و جاء به إلى فاطمه (عليه السلام) فطحت صاعا منها فاخترته و صلى على المغرب و قربته إليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم و سألهم فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثانى أخذت صاعا فطحتته و خبزته و قدمته إلى على (عليه السلام) فإذا يتيم فى الباب يستطعم فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحتته و اخترته و قدمته إلى على (عليه السلام) فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه

ص: ١٨٨

و لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الرابع و قد قضاوا نذورهم أتى على (عليه السلام) و معه الحسن و الحسين (عليه السلام) إلى النبي ص و بهما ضعف فبكى رسول الله ص و نزل جبرائيل (عليه السلام) بسوره هل أتى و

في روايه عطاء عن ابن عباس أن على ابن أبي طالب (عليه السلام) آجر نفسه ليستقى نخلا بشىء من شعير ليله حتى أصبح فلما أصبح و قبض الشعير طحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً لياًكلوه يقال له الحريره فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الثالث فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه و طووا يومهم ذلك ذكره الواحدى فى تفسيره

و

ذكر على بن إبراهيم أن أباه حدثه عن عبد الله بن ميمون عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال كان عند فاطمه شعير فجعلوه عصيده فلما أنضجوها و وضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم الله فقام على فأعطاه ثلثها فلم يلبث أن جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله فقام على (عليه السلام) فأعطاه الثلث ثم جاء أسير فقال الأسير رحمكم الله فأعطاه على (عليه السلام) الثلث الباقي و ما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم

و هى جاريه فى كل مؤمن فعل ذلك لله عز و جل و فى هذا دلالة على أن السوره مدنيه و قال أبو حمزه الثمالى فى تفسيره حدثنى الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن أنها مدنيه نزلت فى على و فاطمه السوره كلها

[النزول]

حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسينى القائنى قال أخبرنا الحاكم أبو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا أبو نصر المفسر قال حدثنى عمى أبو حامد إملاء قال حدثنى الفزارى أبو يوسف يعقوب بن محمد المقرئ قال حدثنا محمد بن يزيد السلمى قال حدثنا زيد بن موسى قال حدثنا عمرو بن هارون عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال أول ما أنزل بمكه (اقرأ باسم ربك) ثم (ن و القلم) ثم (المزمل) ثم (المدثر) ثم (تبت) ثم (إذا الشمس كورت) ثم (سبح اسم ربك الأعلى) ثم (و الليل إذا يغشى) ثم (و الفجر) ثم (و الضحى) ثم (ألم نشرح) ثم (و العصر) ثم (و العاديات) ثم (إنا أعطيناك الكوثر) ثم (ألهيكم التكاثر) ثم (أ رأيت) ثم (الكافرون) ثم (ألم تر كيف) ثم (قل أعوذ برب الفلق) ثم (قل أعوذ برب الناس) ثم (قل هو الله أحد) ثم (و النجم) ثم (عبس) ثم (إنا أنزلناه) ثم (و الشمس) ثم (البروج) ثم (و التين) ثم (الإيلاف) ثم (القارعه) ثم (القيامة) ثم (الهمزه) ثم (و المرسلات) ثم (ق).

ص: ١٨٩

ثم (لا- أقسم بهذا البلد) ثم (الطارق) ثم (اقتربت الساعة) ثم (صلى الله عليه و آله) ثم (الأعراف) ثم (قل أوحى) ثم (يس) ثم (الفرقان) ثم (الملائكة) ثم (كهيعص) ثم (طه) ثم (الواقعه) ثم (الشعراء) ثم (النمل) ثم (القصص) ثم (بنى إسرائيل) ثم (يونس) ثم (هود) ثم (يوسف) ثم (الحجر) ثم (الأنعام) ثم (الصافات) ثم (لقمان) ثم (القمر) ثم (سبأ) ثم (الزمر) ثم (حم المؤمن) ثم (حم السجده) ثم (حمعسق) ثم (الزخرف) ثم (الدخان) ثم (الجاثية) ثم (الأحقاف) ثم (الذاريات) ثم (الغاشية) ثم (الكهف) ثم (النحل) ثم (نوح) ثم (إبراهيم) ثم (الأنبياء) ثم (المؤمنون) ثم (الم تنزيل) ثم (الطور) ثم (الملك) ثم (الحاقة) ثم (ذو المعارج) ثم (عم يتساءلون) ثم (النازعات) ثم (انفطرت) ثم (انشقت) ثم (الروم) ثم (العنكبوت) ثم (المطففين) فهذه أنزلت بمكة و هى خمس و ثمانون سوره ثم أنزلت بالمدينه (البقره) ثم (الأنفال) ثم (آل عمران) ثم (الأحزاب) ثم (المتحنه) ثم (النساء) ثم (إذا زلزلت) ثم (الحديد) ثم سوره (محمد) ثم (الرعد) ثم سوره (الرحمن) ثم (هل أتى) ثم (الطلاق) ثم (لم يكن) ثم (الحشر) ثم (إذا جاء نصر الله) ثم (النور) ثم (الحج) ثم (المنافقون) ثم (المجادله) ثم (الحجرات) ثم (التحریم) ثم (الجمعه) ثم (التغابن) ثم سوره (الصف) ثم سوره (الفتح) ثم سوره (المائده) ثم سوره (التوبه) فهذه ثمان و عشرون سوره و قد رواه الأستاذ أحمد الزاهد بإسناده عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فى كتاب الإيضاح و زاد فيه و كانت إذا نزلت فاتحه سوره بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينه و بإسناده عن عكرمه و الحسن بن أبى الحسن البصرى إن أول ما أنزل الله من القرآن بمكة على الترتيب (اقرأ باسم ربك و ن و المزمّل) إلى قوله و ما نزل بالمدينه (ويل للمطففين) (و البقره و الأنفال و آل عمران و الأحزاب و المائده و الممتحنه و النساء و إذا زلزلت و الحديد و سوره محمد) ص (و الرعد و الرحمن و هل أتى على الإنسان) إلى آخره و

بإسناده عن سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب (عليه السلام) أنه قال سألت النبى عن ثواب القرآن فأخبرنى بثواب سوره سوره على نحو ما نزلت من السماء فأول ما نزل عليه بمكة (فاتحه الكتاب) ثم (اقرأ باسم ربك) ثم (ن) إلى أن قال و أول ما نزل بالمدينه سوره (البقره) ثم (الأنفال) ثم (آل عمران) ثم (الأحزاب) ثم (المتحنه) ثم (النساء) ثم (إذا زلزلت) ثم (الحديد) ثم (سوره محمد) ثم

(الرعد) ثم (سوره الرحمن) ثم (هل أتى) إلى قوله فهذا ما أنزل بالمدينه ثم قال النبي ص جميع سور القرآن مائه و أربع عشره سوره و جميع آيات القرآن سته آلاف آيه و مائتا آيه و ست و ثلاثون آيه و جميع حروف القرآن ثلاثمائه ألف حرف واحد و عشرون ألف حرف و مائتان و خمسون حرفا لا يرغب فى تعلم القرآن إلا السعداء و لا يتعهد قراءته إلا أولياء الرحمن

(أقول) قد اتسع نطاق الكلام فى هذا الباب حتى كاد يخرج عن أسلوب الكتاب و ربما نسبنا به إلى الإطناب و لكن الغرض فيه أن بعض أهل العصبية قد طعن فى هذه القصة بأن قال هذه السوره مكيه فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينه و استدل بذلك على أنها مخترعه جراه على الله سبحانه و عداوه لأهل بيت رسوله فأحبت إيضاح الحق فى ذلك و إيراد البرهان فى معناه و كشف القناع عن عناد هذا المعاند فى دعواه على أنه كما ترى يحتوى على السر المخزون و الدر المكنون من هذا العلم الذى يستضاء بنوره و يتلأل بزهوره و هو معرفه ترتيب السور فى التنزيل و حصر عددها على الجملة و التفصيل اللهم أمددنا بتأييدك و أيدنا بتوفيقك فانت الرجاء و الأمل و على فضلك المعول و المتكل.

المعنى

«هَلْ أَتَى» معناه قد أتى «عَلَى الْإِنْسَانِ» أى ألم يأت على الإنسان «حِينَ مِنَ الدَّهْرِ» و قد كان شيئا إلا أنه «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» لأنه كان ترابا و طينا إلى أن نفخ فيه الروح عن الزجاج و على هذا فهل هنا استفهام يراد به التقرير قال الجبائى و هو تقرير على اللطف الوجوه و تقديره أيها المنكر للصانع و قدرته أليس قد أتى عليك دهور لم تكن شيئا مذكورا ثم ذكرت و كل أحد يعلم من نفسه أنه لم يكن موجودا ثم وجد فإذا تفكر فى ذلك علم أن له صانعا صنعه و محدثا أحدثه و المراد بالإنسان هنا آدم (عليه السلام) و هو أول من سمى به عن الحسن و قتاده و سفيان و الجبائى و قيل إن المراد به كل إنسان و الألف و اللام للجنس عن أبى مسلم و قيل أنه أتى على آدم (عليه السلام) أربعون سنه لم يكن شيئا مذكورا لا فى السماء و لا فى الأرض بل كان جسدا ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح و روى عطاء عن ابن عباس أنه تم خلقه بعد عشرين و مائه سنه و

روى العياشى بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زواره قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» قال كان شيئا و لم يكن مذكورا

و

إسناده عن سعيد الحداد عن أبى جعفر (عليه السلام) قال كان مذكورا فى العلم و لم يكن مذكورا فى الخلق و عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبى عبد الله (عليه السلام) مثله

و

عن حمران بن أعين قال سألت عنه فقال كان شيئا مقدورا و لم يكن مكونا

و فى هذا دلالة على أن المعدوم معلوم و إن لم يكن مذكورا و إن المعدوم يسمى شيئا فإذا حملت الإنسان على الجنس فالمراد أنه

قبل الولاده لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من هو و ما يراد به بل يكون معدوما ثم يوجد فى صلب أبيه ثم فى رحم أمه إلى وقت الولاده و قيل المراد به العلماء لأنهم كانوا لا يذكرون فصيرهم الله سبحانه بالعلم مذكورين بين الخاص و العام فى حياتهم و بعد مماتهم و سمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ هذه الآيه فقال ليت ذلك ثم يعنى ليت آدم بقى على ما كان فكان لا يلد و لا يبتلى أولاده ثم قال سبحانه «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» يعنى ولد آدم (عليه السلام) «مِنْ نُطْفَةٍ» و هى ماء الرجل و المرأه الذى يخلق منه الولد «أَمْشَاجٍ» أى أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأه فى الرحم فأيهما علا ماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس و الحسن و عكرمه و مجاهد و قيل أمشاج أطوار طوراً نطفه و طوراً علقه و طوراً مضغه و طوراً عظاما إلى أن صار إنسانا عن قتاده و قيل أراد اختلاف ألوان النطفه فنطفه الرجل بيضاء و حمراء و نطفه المرأه خضراء و صفراء فهى مختلفه الألوان عن مجاهد و الضحاك و الكلبي و روى أيضا عن ابن عباس و قيل نطفه مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض عن الحسن و قيل هى العروق التى تكون فى النطفه عن ابن مسعود و قيل أمشاج أخلاط من الطبائع التى تكون فى الإنسان من الحرارة و البروده و اليوسه و الرطوبه جعلها الله فى النطفه ثم بناه الله البنيه الحيوانيه المعدله الأخلاط ثم جعل فيه الحياه ثم شق له السمع و البصر فتبارك الله رب العالمين و ذلك قوله «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» و قوله «نَبْتَلِيهِ» أى نختبره بما نكلفه من الأفعال الشاقه ليظهر إما طاعته و إما عصيانه فنجازيه بحسب ذلك قال الفراء معناه «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» لنتبليه أى لنتعبده و نأمره و ننهيه و المراد فأعطيناه آله السمع و البصر ليتمكن من السمع و البصر و معرفه ما كلف «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» أى بينا له الطريق و نصبنا له الأدله و أزرنا له العله حتى يتمكن من معرفه الحق و الباطل و قيل هو طريق الخير و الشر عن قتاده و قيل السبيل هو طريق معرفه الدين الذى به يتوصل إلى ثواب الأبد و يلزم كل مكلف سلوكه و هو أدله العقل و الشرع التى يعم جميع المكلفين «إِمَّا شَاكِرًا وَّ إِمَّا كَفُورًا» قال الفراء معناه أن شكر و أن كفر على الجزاء و قال الزجاج معناه ليختار إما السعاده و إما الشقاوه و المراد إما أن يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى و الاعتراف بنعمه فيصيب الحظ و إما أن يكفر نعم الله و يجحد إحسانه فيكون ضالا عن الصواب فأيهما اختار جوزى عليه بحسبه و هذا كقوله «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» و فى هذه الآيه دلالة على أن الله قد هدى جميع خلقه لأن اللفظ عام ثم بين سبحانه ما أعدده للكافرين فقال «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ» أى هيأنا و ادخرنا لهم جزاء على كفرانهم و عصيانهم «سَلَاسِلَ» يعنى فى جهنم كما قال فى سلسله ذرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا «وَأَغْلَالًا وَّ سَعِيرًا» نار موقده نعدبهم بها و نعاقبهم فيها ثم ذكر ما أعدده

للساكرين المطيعين فقال «إِنَّ الْأَبْرَارَ» و هو جمع البر المطيع لله المحسن فى أفعاله و قال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر و لا يرضون الشر و قيل هم الذين يقضون الحقوق اللانزمه و النافله و قد أجمع أهل البيت (عليه السلام) و موافقوهم و كثير من مخالفهم إن المراد بذلك على و فاطمه و الحسن و الحسين ع و الآيه مع ما بعدها متعينه فيهم و أيضا فقد انعقد الإجماع على أنهم كانوا أبرارا و فى غيرهم خلاف «يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ» إناء فيه شراب «كَانَ مِزَاجُهَا» أى ما يمازجها «كافورا» و هو اسم عين ماء فى الجنة عن عطاء و الكلبى و اختاره الفراء قال و يدل عليه قوله «عَيْنًا» و هى كالمفسره للكافور و قيل يعنى الكافور الذى له رائحه طيبه و المعنى يمازجه ريح الكافور و ليس ككافور الدنيا عن مجاهد و مقاتل قال قتاده يمزج بالكافور و يختم بالمسك و قيل معناه طيب بالكافور و المسك و الزنجبيل عن ابن كيسان «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ» أى أولياؤه عن ابن عباس أى هذا الشراب من عين يشرب بها أولياء الله و خصهم بأنهم عباد الله تشريفا و تبجيلا قال الفراء شربها و شرب بها سواء فى المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن و كلاما حسنا قال عنتره:

شربت بماء الدحرضين فأصبحت عسرا على طلابها ابنه مخرم

و أنشد الفراء:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نثيج

أى صوت.

«يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» أى يقودون تلك العين حيث شاءوا من منازلهم و قصورهم عن مجاهد و التفجير تشقيق الأرض بجرى الماء قال و أنهار الجنة تجرى بغير أخطود فإذا أراد المؤمن أن يجرى نهرا خطا فينبع الماء من ذلك الموضع و يجرى بغير تعب ثم وصف سبحانه هؤلاء الأبرار فقال «يُوقُونَ بِالنَّذْرِ» أى كانوا فى الدنيا بهذه الصفه و الإيفاء بالندى هو أن يفعل ما نذر عليه فإذا نذر طاعه تممها و وفى بها عن مجاهد و عكرمه و قيل يتمون ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتاده «وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا»

ص: ١٩٣

أى فاشيا منتشرًا ذاهبا فى الجهات بلغ أقصى المبالغ وسمى العذاب شرا لأنه لا خير فيه للمعاقبين و إن كان فى نفسه حسنا لكونه مستحقا و قيل المراد بالشر هنا أهوال يوم القيامة و شدائده «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ» أى على حب الطعام و المعنى يطعمون الطعام أشد ما تكون حاجتهم إليه و صفهم الله سبحانه بالأثره على أنفسهم و

فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ص قال ما من مسلم أطعم مسلما على جوع إلا أطعمه الله من ثمار الجنة و ما من مسلم كسا أخاه على عرى إلا كساه الله من خضر الجنة و من سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق

قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهوتهم له و محبتهم إياه و قيل الهاء كناية عن الله تعالى أى يطعمون الطعام على حب الله «مِسْكِينًا» و هو الفقير الذى لا شىء له «وَيَتِيمًا» و هو الذى لا والد له من الأطفال «وَأَسِيرًا» و هو المأخوذ من أهل دار الحرب عن قتاده و قيل هو المحبوس من أهل القبله عن مجاهد و سعيد بن جبیر و قيل الأسير المرأه «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» أى لطلب رضا الله خالصا من الرياء و طلب الجزاء و هو قوله «لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا سُكُورًا» و هو مصدر مثل القعود و الجلوس و قيل إنهم لم يتكلموا بذلك و لكن علم الله سبحانه ما فى قلوبهم فأثنى به عليهم ليرغب فى ذلك الراغب عن سعيد بن جبیر و مجاهد و المراد لا نطلب بهذا الطعام مكافاه عاجله و لا نريد أن تشكرونا عليه عند الخلق بل فعلناه لله «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا» أى عذاب يوم «عَبُوسًا» أى مكفهرًا تعبس فيه الوجوه و وصف اليوم بالعبوس توسعا لما فيه من الشده و هذا كما يقال يوم صائم و ليل قائم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران «قَمْطَرِيرًا» أى صعبا شديدا عن أبى عبيده و المبرد و قال الحسن سبحانه الله ما أشد اسمه و هو من اسمه أشد و قيل القمطير الذى يقلص الوجوه و يقبض الجباه و ما بين الأعين من شدته عن قتاده.

إشارة

فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ تَحْتِهَا لَئِيْلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥)

قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا (٢٠)

عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)

القراءة

قرأ الشعبي و عبيد بن عمير قدروها بضم القاف و القراء المشهوره «قَدَّرُوهَا» بفتح القاف و قرأ أهل المدينة و حمزه عاليهم ساكنه الياء و الباقون «عَالِيَهُمْ» بفتح الياء و قرأ أهل البصره و أبو جعفر و ابن عامر خضر بالرفع و إستبرق بالجر و قرأ ابن كثير و أبو بكر خضر بالجر و إستبرق بالرفع و قرأ نافع و حسن بالرفع فيهما و قرأ حمزه و الكسائي و خلف بالجر فيهما.

الحجّه

من قرأ «قَدَّرُوهَا» بالفتح فالمعنى قدروها فى أنفسهم فجاءت كما قدروها و من قرأ بالضم أراد أن ذلك قدر لهم أى قدره الله لهم كذلك قال أبو على الضمير فى «قَدَّرُوهَا» للخزان أو الملائكة أى قدروها على ربهم لا ينقص من ذلك و لا يزيد عليه و من قرأ قدروها فهو على هذا المعنى يريد كان اللفظ قدروا عليها فحذف الجار كما حذف من قوله:

كأنه واضح الأقراب فى لقح أسمى بهن و عزته الأناصيل

فلما حذف الحرف وصل الفعل فكذلك قوله قدروها إلا أن المعنى قدرت عليهم أى على ربهم فقلب كما قال:

لا تحسبن دراهما سرقتها تمحو مخازيك التى بعمان

و على هذا يتأول قوله «ما إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبِ بِهِ» و مثل هذا ما حكاه أبو زيد إذا طلعت الجوزاء أوفى السود فى الجرباء قال و من نصب «عَالِيَهُمْ» فإن النصب يحتمل أمرين

(أحدهما) أن يكون حالاً- (و الآخر) أن يكون ظرفاً فأما الحال فيحتمل أن يكون العامل فيها أحد شيئين (أحدهما) لقاها (و الآخر) جزاهم و مثله في كونه حالاً- «مُنَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» فإن قلت لم لا يكون متكئين صفة جنه و فيها ذكر لها قيل لا يجوز ذلك ألا ترى أنه لو كان كذلك للزمك أن تبرز الضمير الذى فى اسم الفاعل من حيث كان صفة للجنه و ليس الفعل لها فإذا لم يجز ذلك كان حالاً- و كذلك قوله «وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» إلا- أنه يجوز فى قوله «وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» أمران (أحدهما) الحال (و الآخر) أن ينتصب على أنه مفعول به و يكون المعنى و جزاهم جنه و حريرا أى لبس حرير و دخول جنه و دانيه عليهم ظلالها فيكون على هذا التقدير كقوله وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَإِنْ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى هَذَا وَ قُلْتَ إِنَّهُ يَعْزُضُ فِيهِ إِقَامَهُ الصِّفَةِ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ وَ إِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِالْمَطْرُوحِ فِي كَلَامِهِمْ وَ إِذَا حَمَلْتَهُ عَلَى الْحَالِ يَكُونُ مِثْلَ مَا عَطَفْتَهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ «مُنَكِّينَ» «وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ» وَ كَذَلِكَ يَكُونُ «عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ» معطوفاً على ما انتصب على الحال فى السوره فيكون ثياب سندس مرتفعه باسم الفاعل و الضمير عائد إلى ذى الحال من قوله «عَالِيَهُمْ» و فى الشواذ عاليتهم قراءه الأعمش و يكون بمنزله قوله خاشعاً أبصارهم و خاشعه أبصارهم و من جعله ظرفاً فإنه لما كان على معنى فوق أجرى مجراه فى هذا و من قرأ عليهم بسكون الياء جعله مبتدأ و ثياب سندس خبره و يكون عليهم المبتدأ فى موضع الجماعه كما أن الخبر جماعه و قد جاء اسم الفاعل فى موضع جماعه قال:

ألا إن جيرانى العشيهِ رائح دعتهم دواعٍ من هوى و منادح

و فى التنزيل مُشْتَكِبِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ فَقَطِّعْ دَائِرَةَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَكَأَنَّهُ أَفْرَدَ مِنْ حَيْثُ جَعَلَ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ

" و لا خارجاً من فى زور كلام "

و قد قالوا الجامل و الباقر يراد بهما الكثيره و أخذ عليه البصير النحوى الملقب بجامع العلوم هذا الكلام و نسبه فيه إلى سوء التأمل و قال عاليهم بسكون الياء صفة الولدان أى يطوف عليهم ولدان عاليهم ثياب سندس فيرتفع ثياب سندس باسم الفاعل الجارى صفة على الموصوف و أقول و بالله التوفيق إنى لأرى أن نظر هذا الفاضل قد اختل كما أن بصره قد اعتل فرمى أبا على بدائه و أنسل أ لم ينظر فى خاتمه هذه الآيه إلى قوله سبحانه «وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُورًا» ثم قوله عقيب ذلك «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً» فيعرف أن الضمير فى عاليهم هو بعينه فى و سقاهم و هو ضمير المخاطبين فى لكم و هذا الضمير لا- يمكن أن يعود إلا إلى الأبرار

المشايين المجازين دون الولدان المخلدن الذين هم من جملة ثوابهم و جزائهم اللهم لك الحمد على تأييدك و تسديدك رجعنا إلى كلام أبي على قال و يجوز على قياس قول أبي الحسن فى قائم أخواك و إعمال اسم الفاعل عمل الفعل و إن لم يعتمد على شىء أن يكون ثياب سندس مرتفعه بعاليهم و أفردت عاليا لأنه فعل متقدم قال أبو على و الأوجه قراءه من قال خضر بالرفع و إستبرق بالجر لأن خضرا صفه مجموعه لموصوف مجموع و هو ثياب و أما إستبرق فجر من حيث كان جنسا أضيفت إليه الثياب كما أضيفت إلى سندس كما يقال ثياب خز و كتان و يدل على ذلك قوله «و يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ» و إستبرق و من قرأ «خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ» فإنه أجرى الخضر و هو جمع على السندس لما كان المعنى أن الثياب من هذا الجنس و أجاز أبو الحسن وصف هذه الأجناس بالجمع فقال تقول أهلك الناس الدينار الصفر و الدرهم البيض على استقباح له و من رفع إستبرق فإنما أراد عطف الاستبراق على الثياب كأنه ثياب سندس و ثياب إستبرق فحذف المضاف الذى هو ثياب و أقام إستبرق مقامه كما إنك إذا قلت عليه خز بمعنى عليه ثوب خز و ليس المعنى أن عليه الدابه التى هى الخز و على هذا قوله:

كان خزا تحته و قزا و فرشا محشوه اوزا.

اللغة

الوقايه الحفظ و المنع من الأذى وقاه يقيه وقايه و وقاه توقيه قال رؤبه

" أن الموقى مثل ما وقيت "

و منه اتقاه و توقاه و أصل الشر الظهور فهو ظهور الضرر و منه شررت الثوب إذا ظهرته للشمس أو الريح قال

" و حتى أشرت بالأكف المصاحف "

أى أظهرت و منه شرر النار لظهوره بتطايره و النضره حسن الألوان و نبت ناضر و نضير و نضر و السرور اعتقاد وصول المنافع إليه فى المستقبل و قال قوم هو لذه فى القلب فحسب متعلقه بما فيه النفع و كل سرور فلا بد له من متعلق كالسرور بالمال و الولد و السرور بالإكرام و الإجلال و السرور بالحمد و الشكر و السرور بالثواب و الأرائك الحجال فيها الأسره واحدها أريكه قال الزجاج الأريكه كل ما يتكأ عليه من مسوره أو غيرها و الزمهير أشد ما يكون من البرد و الزنجيل ضرب من القرفه طيب الطعم يحذو اللسان و يربى بالعسل و يستدفع به المضار و إذا مزج به الشراب فاق فى الإلذاذ و العرب تستطيب الزنجيل جدا قال الشاعر:

ص: ١٩٧

و السلسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل و سلسال و سلسبيل و الولدان الغلمان جمع وليد و السندس الديق الرقيق الفاخر الحسن و الإستبرق الديق الغليظ الذي له بريق.

الإعراب

«وَ إِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ» قال الزجاج العامل فى ثم معنى رأيت و المعنى و إذا رأيت ببصرك ثم قال الفراء المعنى و إذا رأيت ما ثم و غلظه الزجاج فى ذلك و قال إن ما تكون موصوله بقوله ثم على هذا التفسير و لا يجوز إسقاط الموصول و ترك الصلة و لكن رأيت يتعدى فى المعنى إلى ثم و أقول يجوز أن يكون مفعول رأيت محذوفا و يكون ثم ظرفا و التقدير و إذا رأيت ما ذكرناه ثم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه بما أعد للأبرار الموصوفين فى الآيات الأولى من الجزاء فقال «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ» أى كفاهم الله و منع منهم أهوال يوم القيامة و شدائده «وَ لَقَّاهُمْ نَصْرَهُ وَ سُورًا» أى استقبلهم بذلك «وَ جَزَاهُمْ» أى و كافأهم «بِمَا صَبَرُوا» أى بصبرهم على طاعته و اجتناب معاصيه و تحمل محن الدنيا و شدائدها «جَنَّةً» يسكنونها «وَ حَرِيرًا» من لباس الجنة يلبسونه و يفرشونه «مُتَّكِنِينَ» أى جالسين جلوس الملوك «فيها» أى فى الجنة «عَلَى الْأَرَائِكِ» أى الأسره فى الحجال عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل كلما يتكأ عليه فهو أريكه عن الزجاج و قيل الأرائك الفرش فوق الأسره عن أبى مسلم «لَا يَرَوْنَ فِيهَا» أى فى تلك الجنة «شَمْسًا» يتأذون بحرما «وَ لَا زَمْهَرِيرًا» يتأذون بيرده «وَ دَائِبَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» يعنى أن أفياء أشجار تلك الجنة قريبه منهم و قيل إن ظلال الجنة لا تنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا «وَ ذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا» أى و سخرت و سهل أخذ ثمارها تسخيرا إن قام ارتفعت بقدره و إن قعد نزلت عليه حتى ينالها و إن اضطجع تدلت حتى تنالها يده عن مجاهد و قيل معناه لا يرد أيديهم عنها بعد و لا- شوك «وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ» أى على هؤلاء الأبرار الموصوفين قبل «بِأَيِّهِ مِنْ فَضِّهِ وَ أَكْوَابٍ» جمع كوب و هو إناء للشرب من غير عروه و قيل الأكواب الأقداح عن مجاهد «كَانَتْ» تلك الأكواب «قَوَارِيرًا» أى زجاجات «مِنْ فَضِّهِ»

قال الصادق (عليه السلام) ينفذ البصر فى فضه الجنة كما ينفذ فى الزجاج

و المعنى أن أصلها من فضه فاجتمع لها بياض الفضه و صفاء

القوارير فيرى من خارجها ما فى داخلها قال أبو على إن سئل فقيل كيف تكون القوارير من فضه و إنما القوارير من الرمل دونها فالقول فى ذلك أن الشىء إذا قاربه شىء و اشتدت ملابسته له قيل أنه من كذا و إن لم يكن منه فى الحقيقه كقول البعيث:

ألا أصبحت خنساء خارمه الوصل و ضنت علينا و الضنين من البخل

و صدت فأعدانا بهجر صدودها و هن من الأخلاف قبلك و المطل

و قال:

ألا فى سبيل الله تغيير لمتى و وجهك مما فى القوارير أصفر

فعلى هذا يجوز قوارير من فضه أى فى صفاء الفضه و نقائها و يجوز تقدير حذف المضاف أى من صفاء الفضه و قوارير الثانيه بدل من الأولى و ليست بتكرار و قيل أن قوارير كل أرض من تربتها و أرض الجنه فضه فلذلك كانت قواريرها مثل الفضه عن ابن عباس «قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا» أى قدروا الكأس على قدر ربهم لا يزيد و لا ينقص من الرى و الضمير فى قدروها للسقاه و الخدم الذين يسقون فإنهم يقدرونها ثم يسقون و قيل قدروها على قدر ملء الكف أى كانت الأكواب على قدر ما اشتها لم تعظم و لم يتقل الكف عن حملها عن الربيع و القرظى و قيل قدروها فى أنفسهم قبل مجيئها على صفه فجاءت على ما قدروا و الضمير فى قدروا للشاربين «وَيْسِقُونَ فِيهَا» أى فى الجنه «كَأْسًا كَانَ مِرَاجُهَا زَنْجَبِيلًا» قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا و قال ابن عباس كل ما ذكره الله فى القرآن مما فى الجنه و سماه ليس له مثل فى الدنيا و لكن سماه الله بالاسم الذى يعرف و الزنجبيل مما كانت العرب تستطيه فلذلك ذكره فى القرآن و وعدهم أنهم يسقون فى الجنه الكأس الممزوجه بزنجبيل الجنه «عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا» أى تمزج الخمر بالزنجبيل و الزنجبيل من عين تسمى تلك العين سلسيلا قال ابن الأعرابى لم أسمع السلسيل إلا فى القرآن و قال الزجاج هو صفه لما كان فى غايه السلاسه يعنى أنها سلسله تتسلسل فى الحلق و قيل سسمى سلسيلا لأنها تسيل عليهم فى الطرق و فى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنه عدن إلى أهل الجنان عن أبى العالیه و مقاتل و قيل سميت بذلك لأنها ينقاد ماؤها لهم يصرفونها حيث شاءوا عن قتاده «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» مر تفسيره «إِذَا رَأَيْتَهُمْ» يعنى إذا رأيت أولئك الولدان «حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا» من الصفاء و حسن المنظر و الكثره فذكر لونها و كثرتهم و قيل إنما

شبههم بالمنتور لانتثارهم فى الخدمه فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم «وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ» أى إذا رميت ببصرك ثم يعنى الجنه و

قيل أن تقديره و إذا رأيت الأشياء ثم «رَأَيْتَ نَعِيمًا» خطيرا «وَ مُلْكًا كَبِيرًا» لا يزول و لا يفنى عن الصادق (عليه السلام)

و قيل كبيرا أى واسعا يعنى أن نعيم الجنه لا يوصف كثره و إنما يوصف بعضها و قيل الملك الكبير استئذان الملائكه عليهم و تحيتهم بالسلام و قيل هو أنهم لا يريدون شيئا إلا قدروا عليه و قيل هو أن أدناهم منزله ينظر فى ملكه من مسيره ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه و قيل هو الملك الدائم الأبدى فى نفاذ الأمر و حصول الأمانى «عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سَيْدُسٌ» من جعله ظرفا فهو بمنزله قولك فوقهم ثياب سندس و من جعله حالا فهو بمنزله قولك يعلوهم ثياب سندس و هو ما رق من الثياب فيلبسونها و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال فى معناه تلوهم الثياب فيلبسونها

«حُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ» و هو ما غلظ منها و لا يراد به الغلظ فى السلك إنما يراد به الثخانه فى النسج قال ابن عباس أ ما رأيت الرجل عليه ثياب و الذى يعلوها أفضلها «وَ حُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ» الفضة الشفافه و هى التى يرى ما وراءها كما يرى من البلوره و هو أفضل من الدر و الياقوت و هما أفضل من الذهب و الفضة فتلك الفضة أفضل من الذهب و الفضة فى الدنيا و هما أثمان الأشياء و قيل أنهم يحلون بالذهب تاره و بالفضه أخرى ليجمعوا محاسن الحليه كما قال الله تعالى يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ* و الفضة و إن كانت دنيه الثمن فى الدنيا فهى فى غايه الحسن خاصه إذا كانت بالصفه التى ذكرناها و الغرض فى الآخره ما يكثر الاستلذاذ و السرور به لا- ما يكثر ثمنه لأنه ليست هناك أثمان «وَ سَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا» أى طاهرا من الأقدار و الأقداء لم تدنسها الأيدى و لم تدهسها الأرجل كخمر الدنيا و قيل طهورا لا يصير بولا نجسا و لكن يصير رشحا فى أبدانهم كريح المسك و إن الرجل من أهل الجنه يقسم له شهوه مائه رجل من أهل الدنيا و أكلهم و نهمتهم فإذا أكل ما شاء سقى شرابا طهورا فيطهر بطنه و يصير ما أكل رشحا يخرج من جلده أطيب ريحا من المسك الأذفر و يضم بطنه و تعود شهوته عن إبراهيم التيمي و أبى قلابه و

قيل يطهرهم عن كل شىء سوى الله إذ لا طاهر من تدنس بشىء من الأكوان إلا الله رووه عن جعفر بن محمد (عليه السلام)

«إِنَّ هَذَا» يعنى ما وصف من النعيم و أنواع الملاذ «كَانَ لَكُمْ جَزَاءً» أى مكافاه على أعمالكم الحسنه و طاعتكم المبروره «وَ كَانَ سَعْيِكُمْ» فى مرضاه الله و قيامكم بما أمركم الله به «مَشْكُورًا» أى مقبولا مرضيا جوزيتم عليه فكأنه شكر لكم فعلكم.

إشارة

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧)

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و ما يشاءون بالياء و البااقون بالتاء و فى الشواذ قراه عبد الله بن الزبير و أبان بن عثمان و الظالمون بالواو.

الحجج

وجه الياء قوله تعالى «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ» و وجه التاء أنه خطاب للكافه أى و ما تشاءون الطاعة و الاستقامه إلا أن يشاء الله أو يكون محمولاً على الخطاب و أما قوله و الظالمون فإنه على ارتجال جمله مستأنفه قال ابن جنى كأنه قال الظالمون أعد لهم عذاباً أليماً ثم أنه عطف الجملة على ما قبلها و قد سبق الرفع إلى مبتدئها غير أن قراه الجماعة أسبق و هو النصب لأن معناه و يعذب الظالمين فلما أضمر هذا الفعل فسره بقوله «أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» و هذا أكثر من أن يؤتى له بشاهد قال الزجاج يقول النحويون أعطيت زيدا و عمرا أعددت له برا فيختارون النصب على معنى و بررت عمرا أعددت له برا و أنشد غيره:

أصبحت لا أحمل السلاح و لا أملك رأس البعير إن نفرا

و الذئب أخشاه إن مررت به وحدى و أخشى الرياح و المطرا.

اللغة

الأسر أصله الشد و منه قتب مأسور أى مشدود و منه الأسير لأنهم كانوا يشدونهم بالقدر قولهم خذ بأسره أى بشده قبل أن يحل ثم كثر حتى صار بمعنى خذ جميعه قال الأخطل:

الإعراب

قال الزجاج في قوله «وَلَا تُطْعِمُنَّهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» أو هنا أو كد من الواو لأنك إذا قلت لا تطع زيدا و عمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص لأنك أمرته أن لا- يطع الاثنين و إذا قلت لا تطع منهم آثما أو كفورا فأو قد دلت على أن كل واحد منهما أهل أن يعصى و أنهما أهل أن يعصيا كما أنك إذا قلت جالس الحسن أو ابن سيرين فقد قلت كل واحد منهما أهل أن يجالس قال البصير النحوى أو هذه التى للتخيير إذا قلت اضرب زيدا أو عمرا فمعناه اضرب أحدهما فإذا قلت لا تضرب زيدا أو عمرا فمعناه لا تضرب أحدهما فيحرم عليه ضربهما لأن أحدهما فى النفى يعمم و ابن كيسان يحمل النهى على الأمر فيقول إذا قال لا تضرب أحدهما لم يحرم عليه ضربهما و إنما حرم فى الآيه طاعتهما لأن أحدهما بمنزله الآخر فى امتناع الطاعة له أ لا ترى أن الآثم مثل الكفور فى هذا المعنى قال سيويوه و لو قال لا- تطع آثما و لا تطع كفورا لانقلب المعنى إذ ذاك لأنه حينئذ لا تحرم طاعتهما كليهما.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» فيه شرف و تعظيم لك و قيل معناه فصلناه فى الإنزال آيه بعد آيه و لم ننزله جملة واحده عن ابن عباس «فأصبر» يا محمد على ما أمرتك به من تحمل أعباء الرسالة «لِحُكْمِ رَبِّكَ» أن تبلغ الكتاب و تعمل به و قيل أنه أمر لنبينا ص بالصبر و إن كذب فيما أتى به و وعيد لمن كذبه «وَلَا تُطْعِمُنَّهُمْ» أى من مشركى مكة «آثِمًا» يعنى عتبه بن ربيعه «أَوْ كَفُورًا» يعنى الوليد بن المغيرة فإنهما قالوا له ارجع عن هذا الأمر و نحن نرضيك بالمال و التزويج عن مقاتل و قيل الكفور أبو جهل نهى النبى ص عن الصلاة و قال لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه فنزلت الآيه عن قتاده و قيل إن ذلك عام فى كل عاص فاسق و كافر منهم أى من الناس أى لا تطع من يدعوك إلى إثم أو كفر و هذا أولى لزياده الفائدة و عدم التكرير «وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» أى أقبل على شأنك من ذكر الله و الدعاء إليه و تبليغ الرسالة صباحا و مساء أى دائما فإن الله ناصرك و مؤيدك و معينك و البكره أول النهار و الأصيل العشى و هو أصل الليل «وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ» دخلت من للتبعيض و المعنى فاسجد له فى بعض الليل لأنه لم يأمره بقيام الليل كله و قيل فاسجد له يعنى صلاه المغرب و العشاء «وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» أى

روى عن الرضا (عليه السلام) أنه سأله أحمد بن محمد عن هذه الآيه و قال ما ذلك التسبيح قال صلاه الليل

«إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ» أى يؤثرون اللذات و المنافع العاجله فى دار الدنيا «وَيَذَرُونَ وِرَاءَهُمْ» أى و يتركون أمامهم «يَوْمًا ثَقِيلًا» أى عسيرا شديدا و المعنى أنهم لا يؤمنون به و لا يعملون له و قيل معنى ورائهم خلف ظهورهم و كلاهما محتمل ثم قال سبحانه «نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ» أى قوبنا و أحكمنا خلقهم عن قتاده و مجاهد و قيل أسرهم أى مفاصلهم عن الربيع و قيل أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق و العصب عن الحسن و لولا- إحكاهم إياها على هذا الترتيب لما أمكن العمل بها و الانتفاع منها و قيل شددنا أسرهم جعلناهم أقوياء عن الجبائى و قيل معناه كلفناهم و شددناهم بالأمر و النهى كيلا يجاوزوا حدود الله كما يشد الأسير بالقد لثلا يهرب «وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا» أى أهلكناهم و أتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم و لكن نبقهم إتماما للحجه «إِنَّ هَذِهِ» السوره «تَذَكْرَةٌ» أى تذكير و عظه يتذكر بها أمر الآخره عن قتاده و قيل أن هذه الرساله التى تبلغها «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» أى فمن أراد اتخذ إلى رضا ربه طريقا بأن يعمل بطاعته و ينتهى عن معصيته و فى هذا دلاله على أن الاستطاعه قبل الفعل «وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» أى و ما تشاءون اتخاذا الطريق إلى مرضاه الله اختيارا إلا أن يشاء الله إجباركم عليه و إلقاءكم إليه فحينئذ تشاءون و لا ينفعكم ذلك و التكليف زائل و لم يشأ الله هذه المشيئه بل شاء أن تختاروا الإيمان لتستحقوا الثواب عن أبى مسلم و قيل معناه و ما تشاءون شيئا من العمل بطاعته إلا و الله يشاؤه و يريده و ليس المراد بالآيه أنه سبحانه يشاء كل ما يشاء العبد من المعاصى و المباحات و غيرها لأن الدلائل الواضحه قد دلت على أنه سبحانه لا يجوز أن يريد القبائح و يتعالى عن ذلك و قد قال سبحانه «وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» مر معناه «يُيَدِّخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» أى جنته يعنى المؤمنين «وَ الظَّالِمِينَ» يعنى و يجزى الكافرين و المشركين «أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

(٧٧) سورة المرسلات مكيه و آياتها خمسون (٥٠)

اشاره

[توضيح]

و هي خمسون آيه بلا خلاف.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة و المرسلات كتب أنه ليس من المشركين
و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأها عرف الله بينه و بين محمد ص.

تفسيرها

لما ختم سبحانه سورة هل أتى بذكر القيامة و ما أعد فيها للظالمين افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤)

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعَ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩)

وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ (١٤)

وَ يُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

القراءه

قرأ أهل الحجاز و الشام و أبو بكر و يعقوب و سهل «عُذْرًا» ساكنه الذال أو نذرا

بضمها و روى محمد بن الحبيب عن الأعشى و البرجمى عن أبى بكر بضم الذال فيهما و محمد بن خالد عن الأعشى عذرا بسكون الذال أو نذرا بضمها مثل روايه حماد و يحيى عن أبى بكر و قرأ الباقون بسكون الذال فيهما و قرأ أبو جعفر وقتت بالواو و التخفيف و قرأ أهل البصره غير رويس بالواو و التشديد و قرأ الباقون «أُقْتُتْ» بالألف و تشديد القاف.

الحجه

قال أبو على النذر بالثقل و النذير مثل النكر و النكير و هما جميعا مصدران و يجوز فى النذير ضربان (أحدهما) أن يكون مصدرا كالنكير و عذير الحى (و الآخر) أن يكون فعلا يراد به المنذر كما أن الأليم بمعنى المؤلم و يجوز تخفيف النذر على حد التخفيف فى العنق و العنق و الأذن و الأذن قال أبو الحسن «عُدْرًا أَوْ نُذْرًا» أى إعدارا أو إنذارا و قد خففتا جميعا و هما لغتان فأما انتصاب عذرا فعلى ثلاثه أضرب (أحدها) أن يكون بدلا من الذكر فى قوله «فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا» (و الآخر) أن يكون مفعول ذكرا أى فالملقيات أن يذكر عذرا أو نذرا (و الثالث) أن يكون منصوبا على أنه مفعول له و يجوز فى قول من ضم عذرا أو نذرا (و الثالث) أن يكون منصوبا على أنه مفعول له و يجوز فى قول من ضم عذرا أو نذرا أن يكون عذرا جمع عاذر أو عذور و النذر جمع نذير قال حاتم:

أ ماوى قد طال التجنب و الهجر و قد عذرتنى فى طلابكم العذر

فيكون عذرا أو نذرا على هذا حالا من الإلقاء كأنهم يلقون الذكر فى حال العذر و الإنذار و من قرأ وقتت بالواو فلان الكلمه أصلها من الوقت و من أبدل منها الهمزه فلانضمام الواو و الواو إذا انضمت أولا فى نحو وجوه و وعود و ثالثه فى نحو أدور فإنها تبدل على الاطراد همزه لكرهتهم الضمه على الواو.

المعنى

«وَالْمُرْسِيَاتِ عُرْفًا» يعنى الرياح أرسلت متتابعه كعرف الفرس عن ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد و قتاده و أبى صالح فعلى هذا يكون عرفا نصبا على الحال من قولهم جاءوا إليه عرفا واحدا أى متتابعين و قيل إنها الملائكه أرسلت بالمعروف من أمر الله و نهييه و

فى روايه أخرى عن ابن مسعود و عن أبى حمزه الثمالى عن أصحاب على عنه (عليه السلام)

و على هذا يكون مفعولا- له و قيل المراد بها الأنبياء جاءت بالمعروف و الإرسال نقيض الإمساك «فَالْعَاصِيَاتِ كَيْفًا» يعنى الرياح الشديديات الهبوب و العصفوف مرور الريح بشده

«وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا» و هي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشرا للغيث كما تلحقه للمطر و قيل أنها الملائكة تنشر الكتب عن الله تعالى عن أبي حمزة الثمالي و أبي صالح و قيل أنها الأمطار تنشر النبات عن أبي صالح في روايه أخرى و قيل الرياح ينشرها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته عن الحسن و قيل الرياح تنشر السحاب في الهواء عن الجبائي «فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا» يعنى الملائكة تأتي بما يفرق به بين الحق و الباطل و الحلال و الحرام عن ابن عباس و أبي صالح و قيل هي آيات القرآن تفرق بين الحق و الباطل و الهدى و الضلال عن الحسن و أبي حمزة و قتاده و قيل أنها الرياح التي تفرق بين السحاب فتبدده عن مجاهد «فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا» يعنى الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء و تلقيه الأنبياء إلى الأمم عن ابن عباس و قتاده كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به و الإلقاء طرح الشئ على غيره «عُذْرًا أَوْ نَذْرًا» أى للإعذار و الإنذار و معناه إعذارا من الله و إنذارا إلى خلقه و قيل عذرا يعتذر الله به إلى عباده فى العقاب أنه لم يكن إلا على وجه الحكمة و نذرا أى إعلاما بموضوع المخافه عن الحسن و هذه أقسام ذكرها الله تعالى و قيل أقسم الله سبحانه برب هذه الأشياء عن الجبائي قال لا يجوز القسم إلا بالله سبحانه و قال غيره بل أقسم بهذه الأشياء تنبيها على عظم موقعها «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ» هذا جواب القسم و المعنى أن الذى وعدكم الله به من البعث و النشور و الثواب و العقاب لكائن لا محاله و قيل إن الفرق بين الواقع و الكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثا تشبيها بالحائظ الواقع لأنه من أبين الأشياء فى الحدوث و الكائن أعم منه لأنه بمنزله الموجود الثابت يكون حادثا و غير حادث ثم بين سبحانه وقت وقوعه فقال «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» أى محيت آثارها و أذهب نورها و أزيل ضوءها «وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ» أى شقت و صدعت فصار فيها فروج «وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ» أى قلعت من مكانها كقوله سبحانه يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا و قيل نسفت أذهبت بسرعه حتى لا يبقى لها أثر فى الأرض «وَ إِذَا الرُّسُلُ أَقْتُتْ» أى جمعت لوقتها و هو يوم القيامة لتشهد على الأمم و هو قوله «لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ» أى أخرت و ضرب لهم الأجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم عن إبراهيم و مجاهد و ابن زيد و قيل أقتت معناه عرفت وقت الحساب و الجزاء لأنهم فى الدنيا لا يعرفون متى تكون الساعه و قيل عرفت ثوابها فى ذلك اليوم و

قال الصادق ع أقتت أى بعثت فى أوقات مختلفه

ثم بين سبحانه ذلك اليوم فقال «لِيَوْمِ الْفُضْلِ» أى يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم عظم ذلك اليوم فقال «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفُضْلِ» ثم أخبر سبحانه حال من كذب به فقال «وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» هذا تهديد و وعيد إنما خص الوعيد بمن جحدوا يوم القيامة و كذب به لأن التكذيب بذلك يتبعه خصال المعاصي كلها و إن لم يذكر معه و العامل

فى الظرف محذوف يدل عليه قوله «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ» و التقدير فإذا طمست النجوم و فرجت السماء و نسفت الجبال و أقتت الرسل وقعت القيامة.

[سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٢٨]

إشاره

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠)

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)

أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا (٢٦) وَ جَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

القراءه

قرأ أهل المدينه و الكسائى فقدرنا بالتشديد و الباقون «فَقَدَرْنَا» بالتخفيف و فى الشواذ قراءه الأعرج نتبعهم بالجزم.

الحججه

قد تقدم أن قدر و قدر بمعنى و التخفيف أليق بقوله «فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ» و من شد أراد أن يجىء باللغتين كما يقال جاد مجد و كقوله سبحانه فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَهَّلَهُمْ و من جزم نتبعهم فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أنه أسكن العين استثقالاً لتوالى الحركات (و الثانى) أن يكون عطفًا على نهلك كما تقول ألم أزرک ثم أحسن إليك فيكون معنى هذه القراءه أنه يريد قوما أهلکهم الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف أوقات المرسلين إليهم نيبا بعد نبى و أما الرفع على القراءه المشهوره فلاستئناف الكلام أو على أن يجعل خبر مبتدأ محذوف.

اللغه

القرار المكان الذى يمكن طول المكث فيه و القدر المقدر المعلوم الذى لا زياده فيه و لا نقصان و القدر المصدر من قولهم قدر يقدر قدرا و قدرا أى قدر فمن شدد جمع بين اللغتين كما قال الأعشى:

و أنكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

و كفت الشىء يكفته كفتا و كفاتا إذا ضمه و

منه الحديث اختلفوا صبيانكم

أى ضمواهم إلى أنفسكم و مثله

ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء

و يقال للوعاء كفت و كفيت و قال أبو عبيده كفاتا أى أوعيه و الرواسى الثوابت و الشامخات العاليات و منه شمخ بأنفه إذا رفعه
كبرا و ماء فرات و زلال و عذب و نمير كله من العذوبه و الطيب و منه سمى النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر:

إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا و إن شهد أجدى نيله و فواضله

قال ابن عباس أصول الأنهار العذبه أربعة جيحان و منه دجله و سيحان نهر بلخ و فرات الكوفه و نيل مصر.

الإعراب

أحياء منصوب بأنه مفعول قوله «كفاتاً» معناه أن يكفت أحياء و أمواتا فعلى هذا يكون كفاتا مصدرا و إن جعلته جمع كفت
فيكون العامل فى أحياء معناه و التقدير و اعيه أحياء أو تعى أحياء.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعله بالمكذبين الأولين فقال «أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُولِينَ» يعنى بالعذاب فى الدنيا يريد قوم نوح و عاد و ثمود حين
كذبوا رسالهم «ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ» قوم لوط و إبراهيم لم يعطف نتبعهم على نهلك فيجزم بل استأنف و قال المبرد تقديره ثم
نحن نتبعهم لا- يجوز غيره لأن قوله «أَلَمْ نُهْلِكِ» ماض و قوله «ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ» مستقبل و يؤيده قول الحسن أن الآخريين هم الذين
تقوم عليهم القيامة «كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» أى كما فعلنا بمن تقدم نفعل بالمكذبين من أهل مكه و قد فعل بهم ذلك فقتلوا
يوم بدر و قد يكون الإهلاك بتصيير الشىء إلى حيث لا يدرى أين هو إما بإعدامه أو بإخفاء مكانه و قد يكون بالأمانه و قد
يكون بالنقل إلى حال الجماديه «وَيَلُؤْؤُا يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم الجزاء «لِلْمُكذِّبِينَ» فإنهم يجازون باليم العقاب «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ
مَّهِينٍ» أى حقير قليل الغناء و فى خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحيحه و العقل الشريف و التمييز و النطق من ماء
ضعيف أعظم الاعتبار و أبين الحججه على أن له صانعا مدبرا حكيما و الجاحد لذلك كالمكابر لبدايه العقول «فَجَعَلْنَاهُ» أى فجعلنا
ذلك الماء المهين «فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» يعنى الرحم

«إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ» أى إلى مقدار من الوقت معلوم يعنى مده الحمل «فَقَدَرْنَا» أى قدرنا خلقه كيف يكون قصيرا أو طويلا ذكرا أم أنثى «فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ» أى فنعمة المقدرون نحن و يجوز أن يكون المعنى إذا خفف من قدره أى قدرنا على جميع ذلك فنعمة القادرون على تدبير ذلك و على ما لا يقدر عليه أحد إلا نحن فحذف المخصوص بالمدح «وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بأنا قد خلقنا الخلق و أنا نعيدهم «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا» للعباد تكفتهم «أَحْيَاءَ» على ظهرها فى دورهم و منازلهم «وَ» تكفتهم «أَمْواتًا» فى بطنها أى تحوزهم و تضمهم عن قتاده و مجاهد و الشعبى

قال بنان خرجنا فى جنازه مع الشعبى فنظر إلى الجنازه فقال هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء و روى ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

و قيل كفاتا أى وعاء و هذا كفته أى وعاءه و قوله «أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا» أى منه ما ينبت و منه ما لا ينبت فعلى هذا يكون أحياء و أمواتا نصبا على الحال و على القول الأول على المفعول به «وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَواسِيَ شَامِخَاتٍ» أى جبالا ثابتة عاليه «وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا» أى و جعلنا لكم سقيا من الماء العذب عن ابن عباس «وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذه النعم و أنها من جهه الله و قيل بالأنبياء و القرآن و إنما كرر لأنه عدد النعم فذكره عند كل نعمه فلا يعد ذلك تكرارا و قد تقدم الوجه فى التكرار فى سورة الرحمن.

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٢٩ الى ٤٠]

إشارة

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأُولِينَ (٣٨)

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (٣٩) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب انطلقوا الثانية بفتح اللام و الباقون من القراء على كسر اللام فيهما و قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر جِمَالَتٌ بغير ألف و يعقوب «جمالات صفر» بالألف و ضم الجيم و روى ذلك عن ابن عباس و سعيد بن جبير و غيرهما و قرأ الباقون جمالات بالألف

و كسر الجيم و فى الشواذ قراءه ابن عباس و سعيد بن جبير بخلاف كالقصر بفتح القاف و الصاد.

الحجه

من قرأ انطلقوا الثانيه بالفتح فإنه حمل الأول على الأمر و الثانى على الخبر و جمالات جمع جمال و جمع بالألف و التاء على تصحيح البناء كما جمع على تكسيره فى قولهم جمائل قال ذو الرمه:

و قربن بالزرق الجمائل بعد ما تقوب عن غربان أوراكها الخطر

و أما جماله فإن التاء لحقت جمالا- لتأنيث الجمع كما لحقت فى فحل و فحاله و ذكر و ذكاره و من قرأ جمالات بالضم فهى جمع جماله و هو القلس من قلوس سفن البحر و يقال من قلوس الجسر قال الزجاج و يجوز أن يكون جمع جمل جمال و جمالات كما قيل رخال جمع رخل و من قرأ كالقصر بفتح الصاد فهو جمع قصره أى كأنها أعناق الإبل و قيل القصر أصول الشجر واحدها قصره و كذا قرأها مجاهد قال و هى خرم الشجر قال الحسن قصره و قصر مثل جمره و جمر و هى أصول الشجر قال و العامه يجعلونها على القصور قال ابن جنى و حدثنا أبو على أن القصر هنا بمعنى القصور و قال هى بيوت من آدم كان يضربون بها إذا نزلوا على الماء.

المعنى

ثم بين سبحانه ما يقال لهم جزاء على تكذيبهم فقال «أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» أى تقول لهم الخزنه اذهبوا و سيروا إلى النار التى كنتم تجحدونها و تكذبون بها و لا تعترفون بصحتها فى الدنيا و الانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث ثم ذكر الموضوع الذى أمرهم بالانطلاق إليه فقال «أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ» أى نار لها ثلاث شعب سماها ظلا لسواد نار جهنم و قيل هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر شعبه تكون فوقه و شعبه عن يمينه و شعبه عن شماله و سمي الدخان ظلا- كما قال أحاط بهم سرادقها أى من الدخان الآخر بالأنفاث عن مجاهد و قتاده و قيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب ثم وصف سبحانه ذلك الظل فقال «الْأَشْجَلِ» أى غير مانع من الأذى بستره عنه و مثله الكنين فالظليل من

الظله و هي الستره و الكنين من الكن فضل هذا الدخان لا يغنى الكفار شيئا من حر النار و هو قوله «وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ» و اللهب ما يعلو على النار إذا اضطرت من أحمر و أصفر و أخضر يعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب ثم وصف سبحانه النار فقال «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ» و هو ما يتطاير من النار فى الجهات «كَالْقَصِيرِ» أى مثله فى عظمه و تخوفه تتطاير على الكافرين من كل جهه نعوذ بالله منه و هو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس و مجاهد و العرب تشبه الإبل بالقصور قال الأخطل:

كأنه برج رومى يشيده لزبجص و آجر و أحجار

قال عنتره:

فوقفت فيها ناقتى و كأنها فدن لأقضى حاجه المتلوم

و الفدن القصر و قيل كالقصر أى كأصول الشجر العظام عن قتاده و الضحاك و سعيد بن جبیر ثم شبهه فى لونه بالجمالات الصفر فقال «كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ» أى كأنها أيتق سود لما يعترى سوادها من الصفرة عن الحسن و قتاده قال الفراء لا ترى أسود من الإبل إلا و هو مشرب صفره و لذلك سمت العرب سود الإبل صفراء و قيل هو من الصفرة لأن النار تكون صفراء عن الجبائى «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بنار هذه صفتها «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنهم لا ينطقون بنطق ينتفعون به فكأنهم لم ينطقوا (و الثانى) أن فى القيامة مواقف ففى بعضها يختصمون و يتكلمون و فى بعضها يختم على أفواههم و لا يتكلمون و عن قتاده قال جاء رجل إلى عكرمه قال أ رأيت قول الله تعالى «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» و قوله ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا و اختصموا ثم ختم على أفواههم و تكلمت أيديهم و أرجلهم فحيث لا- ينطقون و أجاز النحويون «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» بالنصب على أنه يشير إلى الجزء و لا يشير إلى اليوم و قوله «فَيَعْتَذِرُونَ» رفع عطف على قوله «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ» تقديره فلا يعتذرون و لو قيل فلا يعتذروا فنصب لكان المعنى أن الإذن سبب لعذرهم و لكن المعنى لا يؤذن لهم فى الاعتذار فهم لا يعتذرون «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذا الخبر «هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ» بين أهل الجنة و النار و قيل هذا يوم الحكم و القضاء بين الخلق

ص: ٢١١

و الانتصاف للمظلوم من الظالم و فصل القضاء يكون فى الآخره على ظاهر الأمر و باطنه بخلاف الدنيا لأن القاضى يحكم على ظاهر الأمر فى الدنيا و لا يعرف البواطن «جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ» يعنى مكذبى هذه الأمه مع مكذبى الأمم قبلها يجمع الله سبحانه الخلائق فى يوم واحد و فى صعيد واحد «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا» أى إن كانت لكم حيله فاحتالوا لأنفسكم و قيل إن هذا توبيخ من الله تعالى للكفار و تقريع لهم و إظهار لعجزهم عن الدفع عن أنفسكم فضلا عن أن يكيدوا غيرهم و إنما هو على أنكم كنتم تعملون فى دار الدنيا ما يغضبنى فالآن عجزتم عن ذلك و حصلتم على وبال ما عملتم «وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ» بهذا.

[سوره المرسلات (٧٧): الآيات ٤١ الى ٥٠]

اشاره

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ (٤١) وَ فَوَاحِشَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُّوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَ يَلُوكُ اللَّيْلِ لِلْمُكْذِبِينَ (٤٥)

كُلُّوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَ يَلُوكُ اللَّيْلِ لِلْمُكْذِبِينَ (٤٧) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَ يَلُوكُ اللَّيْلِ لِلْمُكْذِبِينَ (٤٩) فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

المعنى

ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين اتقوا الشرك و الفواحش «فِي ظِلَالٍ» من أشجار الجنه «وَ عُيُونٍ» جاريه بين أيديهم فى غير أهدود لأن ذلك أمتع لهم بما يرونه من حسن مياهاها و صفائها و قيل عيون أى يتابع بما يجرى خلال الأشجار «وَ فَوَاحِشَ» جمع فاكهه و هى ثمار الأشجار «مِمَّا يَشْتَهُونَ» أى من جنس ما يشتهونه و الشهوه معنى فى القلب إذا صادف المشتهى كان لذه و ضدها النفار ثم يقال لهم «كُلُّوا وَ اشْرَبُوا» صورته صورته الأمر و المراد الإباحه و قيل إنه أمر على الحقيقه و هو سبحانه يريد منهم الأكل و الشرب فى الجنه فإنهم إذا أعلموا ذلك ازداد سرورهم فلا يكون إرادته لذلك عبثا «هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا أى خالصا من التكدير و الهنىء النفع الخالص من شائب الأذى و قيل هو الأذى الذى لا أذى يتبعه «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» هذا ابتداء الإخبار من الله تعالى و يقال لهم ذلك أيضا «وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ» بهذا

الوعد، ثم عاد الكلام إلى ذكر المكذبين فقال سبحانه «كُلُوا» أى يقال لهم كلوا «وَتَمَتَّعُوا» فى الدنيا «قَلِيلًا» أى تمتعا قليلا أو زمانا قليلا فإن الموت كائن لا محاله «إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ» أى مشركون مستحقون للعقاب «وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذا الوعيد «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا» أى صلوا «لَا يَرْكَعُونَ» أى لا يصلون

قال مقاتل نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاه فقالوا لا ننحنى و الروايه لا ننحنى فإن ذلك سبه علينا فقال ص لا خير فى دين ليس فيه ركوع و سجود

و قيل إن المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون عن ابن عباس «وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بوجوب الصلاه و العبادات «فَبِأَيِّ حَيْدِثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» أى فبأى كتاب بعد القرآن يصدقون و لم يصدقوا به مع إعجازه و حسن نظمه فإن من لم يؤمن به مع ما فيه من الحجج الظاهره و الآيه الباهره لا يؤمن بغيره.

(٧٨) سورة النبأ مكيه و آياتها أربعون (٤٠)

إشارة

[توضيح]

و تسمى سورة النبأ و سورة المعصرات و منهم من يقول سورة التساؤل و هى مكيه.

عدد آياتها

إحدى و أربعون آيه مكي و بصرى و أربعون فى الباقيين.

اختلافها

آيه واحده «عَذَاباً قَرِيباً» مكي بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة (عم يتساءلون) سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال من قرأ عم يتساءلون لم يخرج سنته إذا كان يدمنها فى كل يوم حتى يزور البيت الحرام.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر القيامة و وعيد المكذبين بها افتتح هذه السوره بذكرها و ذكر دلائل قدره على البعث و الإعادة فقال:

ص: ٢١٤

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤)

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نُومَكُمْ سُبَاتًا (٩)

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤)

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)

القراءة

فى الشواذ قراءة عكرمه و عيسى بن عمر عما يتساءلون و قرأ ابن الزبير و ابن عباس و قتاده و أنزلنا بالمعصرات.

الحج

قال ابن جنى إثبات الألف فى ما الاستفهاميه إذا دخل عليها حرف جر أضعف اللغتين و رويانا عن قطرب لحسان:

على ما قام يشتمنى لثيم كخزير تمرغ فى رماد

و قال فى قوله بالمعصرات إذا أنزل منها فقد أنزل بها كقولهم أعطيته من يدي شيئاً و بيدي شيئاً و المعنى واحد و معنى من هنا ابتداء الغايه أى كان مبتدأ العطييه من يده.

اللغة

النبأ الخبر العظيم الشأن و منه النبى ء على مذهب من يهزم و المهاد الوطاء و مهد الشىء ء تمهيدا أى وطأه توطيه و الودد المسمار إلا- أنه أغلظ منه و السبات قطع العمل للراحه و منه سبت أنفه إذا قطعه و منه يوم السبت أى يوم قطع العمل على ما جرت به العاده فى شرع موسى (عليه السلام) و الوهاج الوقاد و هو المشتغل بالنور العظيم و المعصرات السحاب تعصر بالمطر كان السحاب يحمل الماء ثم تعصره الرياح و ترسله كإرسال الماء بعصر الثور و عصر القوم مطروا و الثجاج الدفاع فى انصبابه كشح دماء البدن يقال ثججت دمه أثجه ثجا و قد شج الدم يشج ثجوجا و

فى الحديث أفضل الحج العج فالشح

فالعج رفع الصوت بالتلبيه و الشج إساله دم الهدى و الألفاف الأخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها لف و لفيف و

قيل شجره لفاء و أشجار لف بضم اللام و جنات ألفاف.

الإعراب

عم أصله عن ما جعل النون ميما و أدغم فى الميم و حذفت الألف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجاء منه و ليحصل الفرق بين الاستفهام و الخبر و هذه الحروف التى تسقط معها هذه الألف ثمانية عن تقول عم و من تقول مم و الباء نحو بم و اللام نحو لم

ص: ٢١٥

و فى نحو فيم و إلى نحو إلى م و على نحو على م و حتى نحو حتى م قال البصير جامع العلوم النحوى «عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» لا يكون بدلا من عم لأنه لو كان بدلا لوجب تكرار ما لأن الجار المتصل بحرف الاستفهام إذا أعيد أعيد مع الحرف المستفهم بها كقولك بكم ثوبك أبعشرين أم بثلاثين و لا يجوز بعشرين من غير همزه فإذا كان كذلك كان قوله «عَنِ النَّبِيِّ» متعلقا بفعل آخر دون هذا الظاهر.

المعنى

«عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» قالوا لما بعث رسول الله ص و أخبرهم بتوحيد الله تعالى و بالبعث بعد الموت و تلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم أى يسأل بعضهم بعضا على طريق الإنكار و التعجب فيقولون ما ذا جاء به محمد و ما الذى أتى به فأنزل الله تعالى «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» أى عن أى شىء يتساءلون قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام و المراد تفخيم القصة كما تقول أى شىء زيد إذا عظمت شأنه ثم ذكر أن تساءلهم عن ما ذا فقال «عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» و هو القرآن و معناه الخبر العظيم الشأن لأنه ينبئ عن التوحيد و تصديق الرسول و الخبر عما يجوز و عما لا يجوز و عن البعث و النشور و قيل يعنى نبأ يوم القيامة عن الضحاك و قتاده و يؤيده قوله «إِنَّ يَوْمَ الْفُضَيْلِ كَانَ مِيقَاتًا» و قيل النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من إثبات الصانع و صفاته و الملائكة و الرسل و البعث و الجنة و النار و الرساله و الخلافه فإن النبأ معروف يتناول الكل «الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» فمصدق به و مكذب «كَلَّا» أى ليس الأمر كما قالوا «سَيَعْلَمُونَ» عاقبه تكذيبهم حين تنكشف الأمور «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» هذا وعيد على إثر وعيد و قيل كلا- أى حقا سيعلمون أى سيعلم الكفار عاقبه تكذيبهم و سيعلم المؤمنون عاقبه تصديقهم عن الضحاك و قيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ما ينالهم فى جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحه ذلك فقال «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» أى وطاء و قرارا مهينا للتصرف فيه من غير أذيه و قيل مهادا أى بساطا عن قتاده «وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» للأرض لثلاثا تميد بأهلها «وَوَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا» أى أشكالا كل واحد شكل للآخر و قيل معناه ذكرانا و إناثا حتى يصح منكم التناسل و يتمتع بعضكم ببعض و قيل أصنافا أسود و أبيض و صغيرا و كبيرا إلى غير ذلك «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه و جعلنا نومكم راحه و دعه لأجسادكم (و ثانيها) أن المعنى جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم و تصرفكم عن ابن الأنبارى (و ثالثها) جعلنا نومكم سباتا ليس بموت على الحقيقه و لا مخرجا عن الحياه و الإدراك «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا» أى غطاء و ستره يستر كل شىء بظلمته و سواده «وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا» المعاش العيش أى جعلناه مطلب معاش أى مبتغى معاش و قيل معناه و جعلنا

النهار وقت معاشكم لتصرفوا في معاشكم أو موضع معاشكم تبتغون فيه من فضل ربكم «وَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا» أى سبع سماوات «شِدَادًا» محكمه أحكمنا صنعها و أوثقنا بناءها «وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا» يعنى الشمس جعلها سبحانه سراجا للعالم وقادا متلأثنا بالنور يستضيئون به فالنعمه عامه به لجميع الخلق قال مقاتل جعل فيه نورا و حرا و الوهج يجمع النور و الحر «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ» أى الرياح ذوات الأعاصير عن مجاهد و قتاده و الكلبى و قال الأزهرى و من معناه الباء فكأنه قال بالمعصرات أو ذلك أن الريح تستدر المطر و قيل المعصرات السحاب تتحلب بالمطر عن الربيع و أبى العالیه و هو رواه الوالى عن ابن عباس «مَاءٌ ثَجَّاجًا» أى صبابا دفاعا فى انصبابه و قيل مدرارا عن مجاهد و قيل متتابعا يتلو بعضه بعضا عن قتاده «لِنُخْرِجَ بِهِ» أى بالماء حَبًّا وَ نَبَاتًا» فالحب كل ما تضمنه كمام الزرع الذى يحصد و النبات الكلاً من الحشيش و الزرع و نحوهما فجمع سبحانه بين جميع ما يخرج من الأرض و قيل حبا يأكل الناس و نباتا تنبته الأرض مما يأكله الأنعام «وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا» أى بساتين ملتفه بالشجر و التقدير و نخرج به شجر جنات ألفافا فحذف لدلاله الكلام عليه و إنما سمى جنه لأن الشجر تجننها أى تسترها.

[سوره النبأ (٧٨): الآيات ١٧ الى ٣٠]

إشارة

إِنَّ يَوْمَ الْفُضَيْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١)

لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَا بَيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَ عَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦)

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير الأعشى و البرجمى «وَفُتِحَتِ» بالتخفيف و الباقون بالتشديد

و قرأ حمزه لبثين بغير الألف و الباقون «لابثين» بالألف و الخلاف في غساق مذكور في ص و

رووا عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و كذبوا بآياتنا كذابا خفيفه

و القراءه المشهوره «و كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا» بالثقل و حكى أبو حاتم في الشواذ عن عبد الله بن عمر كذابا بضم الكاف و تشديد الذال.

الحجه

قال أبو علي فتحت بالتشديد أوفق لقوله تعالى «مُفْتَحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ» و من حجه التخفيف قوله فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ و حجه من قرأ «لابثين» بالألف مجىء المصدر على اللبث فهو من باب شرب يشرب و لقم يلقم و ليس من باب فرق يفرق إذ لو كان منه لكان المصدر مفتوح العين فلما أسكن و جب أن يكون اسم الفاعل على فاعل كشارب و لاقم كما كان اللبث كاللقم و من قرأ لبثين جعل اسم الفاعل فعلا و قد جاء غير حرف من هذا النحو على فاعل و فعل و الكذاب مصدر كذب كما أن الكلام مصدر كلم و كذا القياس فيما زاد على الثلاثة أن تأتي بلفظ الفعل و تزيد في آخره الألف كقوله أكرمه إكراما و أما التكذيب فزعم سيبويه أن التاء عوض من التضعيف و الياء التي قبل الآخر كالألف فأما الكذاب فمصدر كذب قال الأعشى:

فصدقته و كذبتة و المرء ينفعه كذابه

فهو مثل كتاب في مصدر كتب و أما الكذاب بضم الكاف فقد قال أبو حاتم لا وجه له إلا أن يكون كذاب جمع كاذب فينصبه على الحال أى و كذبوا بآياتنا في حال كذبهم قال طرفه:

إذا جاء ما لا بد منه فمرحبا به حين يأتى لا كذاب و لا علل.

اللغه

الميقات منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور و هو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد و المقدار من القدر و المرصاد هو المعد لأمر على ارتقاب الوقوع فيه قال الأزهري المرصاد المكان الذى يرصد فيه العدو و الأحقاب جمع واحدها حقب من قوله «أَوْ أَمْضَى حُقْبًا» أى دهرا طويلا و قيل واحده حقب بفتح القاف و واحد الحقب حقبه قال:

و كنا كندمانى جذيمه حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

. الإعراب

«يَوْمٌ يُنْفَخُ» منصوب لأنه بدل من «يَوْمَ الْفُضْلِ» و أفواجا نصب على الحال «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا» جملة يجوز أن يكون حالا من لابثين و التقدير يلبثون غير ذائقين و يجوز أن

يكون صفه لقوله «أَحْقَابًا» و التقدير أحقابا غير مذوق فيها و جزاء مصدر وضع موضع الحال و كل شىء منصوب بفعل مضمّر يفسره قوله «أَحْصَيْنَاهُ» و كتابا منصوب على المصدر لأن كتب فى معنى أحصى و يجوز أن يكون فى موضع الحال أى نكتبه و التقدير أحصيناه كاتبين.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الإعادة و البعث تنبيها على أنه دل بذكر الآيات فيما تقدم على صحه البعث فقال «إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ» أى يوم القضاء الذى يفصل الله فيه الحكم بين الخلائق «كَانَ مِيقَاتًا» لما وعد الله من الجزاء و الحساب و الثواب و العقاب «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» قد مر معناه «فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» أى جماعه جماعه إلى أن تتكاملوا فى القيامة و قيل زمرا زمرا من كل مكان للحساب و كل فريق يأتى مع شكله و قيل إن كل أمه تأتى مع نبيها فلذلك جاءوا أفواجا أفواجا «وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ» أى شقت لنزول الملائكة «فَكَانَتْ أَبْوَابًا» أى ذات أبواب و قيل صار فيها طرق و لم تكن كذلك من قبل «وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ» أى أزيلت عن أماكنها و ذهب بها «فَكَانَتْ سَرَابًا» أى كالسراب يظن أنها جبال و ليست إياها و

فى الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله ص فى منزل أبى أيوب الأنصارى فقال معاذ يا رسول الله أ رأيت قول الله تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَأْتُونَ أَفْوَاجًا» الآيات فقال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ثم أرسل عينيه ثم قال يحشر عشره أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله من المسلمين و بدل صورهم بعضهم على صور القردة و بعضهم على صور الخنازير و بعضهم منكسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثم يسحبون عليها و بعضهم عمى يترددون و بعضهم صم بكم لا يعقلون و بعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذروهم أهل الجمع و بعضهم مقطعه أيديهم و أرجلهم و بعضهم مصلبون على جذوع من نار و بعضهم أشد تننا من الجيف و بعضهم يلبسون جبابا سابغه من قطران لازقه بجلودهم فأما الذين على صور القردة فالقتات من الناس و أما الذين على صور الخنازير فأهل السحت و أما المنكسون على رءوسهم فأكله الربا و العمى الجائرون فى الحكم و الصم و البكم المعجبون بأعمالهم و الذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء و القضاء الذين خالف أعمالهم أقوالهم و المقطعه أيديهم و أرجلهم الذين يؤذون الجيران و المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان و الذين هم أشد تننا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات و اللذات و يمنعون حق الله فى أموالهم و الذين يلبسون الجباب فأهل الفخر و الخيلاء

«إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا» يرصدون به أى هى معده

لهم يرصد بها خزنتها الكفار عن المبرد وقيل مرصدا محبسا يحبس فيه الناس عن مقاتل وقيل طريقا منصوبا على العاصين فهو مورد هم ومنه لهم وهذا إشاره إلى أن جهنم للعصاة على الرصد لا يفوتونها «لِلطَّاعِينَ مَأْبًا» أى للذين جاوزوا حدود الله و طغوا فى معصية الله مرجعا يرجعون إليه و مصيرا فكان المجرم قد كان بإجرامه فيها ثم رجع إليها «لَا يَثِينُ فِيهَا أَحْقَابًا» أى ما كثر فيها أزمانا كثيره و ذكر فيها أقوال (أحدها) أن المعنى أحقابا لا انقطاع لها كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر و الحقب ثمانون سنه من سنى الآخرة عن قتاده و الربيع (و ثانيها) أن الأحقاب ثلاثه و أربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائنه سنه كل سنه ثلاثمائنه و ستون يوما و كل يوم ألف سنه عن مجاهد (و ثالثها) أن الله تعالى لم يذكر شيئا إلا و جعل له مده ينقطع إليها و لم يجعل لأهل النار مده بل قال «لَا يَثِينُ فِيهَا أَحْقَابًا» فو الله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الأبدين فليس للأحقاب عده إلا الخلود فى النار و لكن قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنه كل يوم من تلك السنين ألف سنه مما نعه عن الحسن (و رابعها) أن مجاز الآيه لاثين فيها أحقابا لا يذوقون فى تلك الأحقاب بردا و لا شرابا إلا حميما و غساقا ثم يلبثون فيها لا يذوقون غير الحميم و الغساق من أنواع العذاب فهذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم فى النار و هذا أحسن الأقوال (و خامسها) أنه يعنى به أهل التوحيد عن خالد بن معدان و

روى نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ص لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا و الحقب بضع و ستون سنه و السنه ثلاثمائنه و ستون يوما كل يوم كألف سنه مما تعدون فلا يتكلن أحد أن يخرج من النار

و

روى العياشى بإسناده عن حمران قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآيه فقال هذه فى الذين يخرجون من النار و روى عن الأحوال مثله

و قوله «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا» يريد النوم و الماء عن ابن عباس قال أبو عبيده البرد النوم هنا و أنشد

"فصدنى عنها و عن قبلاتها البرد"

أى النوم و قيل لا يذوقون فى جهنم بردا ينفعهم من حرها و لا شرابا ينفعهم من عطشها عن مقاتل «إِلَّا حَمِيمًا» و هو الماء الحار الشديد الحر «وَ غَسَّاقًا» و هو صديد أهل النار «جَزَاءً وَفَاقًا» أى وافق عذاب النار الشرك لأنهما عظيمان فلا ذنب أعظم من الشرك و لا عذاب أعظم من النار عن مقاتل وقيل جوزوا جزاء وفق أعمالهم عن الزجاج و هو المروى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الوفاق الجارى على المقدار فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الأعمال فى الاستحقاق «إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا» أى فعلنا ذلك بهؤلاء

الكفار لأنهم كانوا لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون عن الحسن و قتاده و قيل لا يرجون المجازاة على الأعمال و لا يظنون أن لهم حسابا عن أبي مسلم و قال الهذلي في الرجاء بمعنى الخوف:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها في بيت نوب عواسل

«وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى بما جاءت به الأنبياء و قيل بالقرآن و قيل بحجج الله و لم يصدقوا بها «كَذَّبًا» أى تكذيباً «وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا» أى و كل شىء من الأعمال بيناه فى اللوح المحفوظ و مثله وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ و قيل معناه و كل شىء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به ثم بين أن ذلك الإحصاء و الحفظ وقع بالكتابة لأن الكتابه أبلغ فى حفظ الشىء من الإحصاء و يجوز أن يكون كتابا حالا- مؤكده أى أحصيناه فى حال كونه مكتوبا عليهم و الكتاب بمعنى المكتوب «فَذُوقُوا» لهؤلاء الكفار ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب «فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» لأن كل عذاب يأتى بعد الوقت الأول فهو زائد عليه.

[سوره النبيا (٧٨): الآيات ٣١ الى ٤٠]

إشارة

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَ كَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا كِذَابًا (٣٥)
جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)

قرأ الكسائي ولا كذابا بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب السماوات بالرفع والباقون بالجر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل الرحمن بالجر والباقون بالرفع.

الحجه

ولا كذابا يجوز أن يكون مصدر كذب فيكون معناه ولا كذبا ويجوز أن يكون مصدر كاذبه مكاذبه وكذابا وبالتشديد قد يكون مصدر كذب قال الفراء قال أعرابي في طريق مكة يا با زكريا القصار أحب إليك أم الحلق يريد أقصر شعري أم أحلق و من قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن قطع الاسم الأول من الجر الذي قبله في قوله «جِزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ» فابتدأه وجعل الرحمن خبره ثم استأنف «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ» و من قرأ «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ» أتبع الاسمين الجر الذي قبلهما في قوله «مِنْ رَبِّكَ» و من قرأ «رَبِّ السَّمَاوَاتِ» الرحمن أتبع رب السماوات الجر الذي في قوله «مِنْ رَبِّكَ» و استأنف بقوله الرحمن وجعل قوله «لَا يَمْلِكُونَ» خبر قوله «الرَّحْمَنِ».

اللغه

الحديقه الجنه المحوطه و الجمع حدائق و منه أحدق القوم بفلان إذا طافوا به و منه الحدقه لأنه يحيط بها جفنها والأعنان جمع عنب و هو ثمر الكرم قبل أن يجف فإذا جف فهو الزبيب و الكواعب جمع الكعاب و هى الجاربه التى نهى ثدياها و الأتراب جمع التراب و هى اللده التى تنشأ مع لدتها على سن الصبى الذى يلعب بالتراب و الدهاق الكأس الممتلئه التى لا مزيد فيها و أصل الدهق شدة الضغط أدهقت الكأس ملأتها قال

" يلذه بكأسه الدهاق "

و «عَطَاءٌ حِسَابًا» أى كثيرا كافيا يقال أحسبت فلانا أى أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي قال:

و نقفى وليد الحى إن كان جائعا و نحسبه إن كان ليس بجائع

قال الأصمعى يقال حسبت الرجل بالتشديد أى أكرمته و أنشد:

إذا أتاه ضيفه يحسبه من حاقن أو من صريح يحلبه

. الإعراب

حدائق بدل من قوله «مَفَازًا» بدل البعض من الكل و كذلك ما بعده و أترابا صفة لكواعب. جزاء منصوب بمعنى أن للمتقين مفازا أى جازاهم بذلك جزاء و أعطاهم عطاء فإن معنى جازاهم و أعطاهم واحد يوم يقوم الروح ظرف لقوله «لَا يَمْلِكُونَ» و قوله «صَفًّا»

منصوب على الحال و «يَوْمَ يَنْظُرُ» ظرف لقوله «عَذَابًا» لأنه بمعنى التعذيب.

المعنى

ثم عقب سبحانه وعيد الكفار بالوعد للمتقين الأبرار فقال «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ» الذين يتقون الله باجتناب الشرك و المعاصي «مَفَازًا» أى فوزا و نجاه إلى حال السلامه و السرور و قيل المفاز موضع الفوز و قالوا للمهلكه مفازه على طريق التفاؤل كأنهم قالوا و قيل مفازا منجى إلى منتزه و هو النجاه من النار إلى الجنة ثم بين ذلك الفوز فقال «حَدَائِقَ وَ أَعْنَابًا» يعنى أشجار الجنة و ثمارها «وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا» أى جوارى تكعب ثديهن مستويات فى السن عن قتاده و معناه استواء الخلقه و القامه و الصوره و السن حتى يكن متشاكلات و قيل أترابا على مقدار أزواجهن فى الحسن و الصوره و السن عن أبى على الجبائى «وَ كَأَسَا دِهَاقًا» أى مترعه مملوءه عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل متابعه على شاربها أخذ من متابعه الشد فى الدهق عن مجاهد و سعيد بن جبير و قيل دمام عن أبى هريره و قيل على قدر ربههم عن مقاتل «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا» أى فى الجنة «لَعْوًا» أى كلاما لغوا لا فائده فيه «وَ لَا كَذِبًا» و لا تكذيب بعضهم لبعض و من قرأ بالتخفيف يريد و لا مكاذبه عن أبى عبيده و قيل كذبا عن أبى على الفارسى «جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ» أى فعل بالمتقين ما فعل بهم جزاء من ربك على تصديقهم بالله و نبيه ص «عَطَاءً» أى أعطاهم الله عطاء «حِسَابًا» أى كافيا عن أبى عبيده و الجبائى و قيل حسابا أى كثيرا و قيل حسابا على قدر الاستحقاق و بحسب العمل قال الزجاج معناه ما يكفيهم أى إن فيه ما يشتهون «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ» مر ذكره و المعنى أن الذى يفعل بالمؤمنين ما تقدم ذكره هو رب السماوات و الأرض و مدبرهما و مدبر ما بينهما و المتصرف فيهما على ما يشاء الرحمن المنعم على خلقه مؤمنهم و كافرهم «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا» أى لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه كقوله «لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» و قوله لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ و الخطاب توجيه الكلام إلى مدرك له بصيغه منبئه عن المراد على طريقه أنت و ربك قال مقاتل لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا» أى فى ذلك اليوم اختلف فى معنى الروح هنا على أقوال (أحدها) أن الروح خلق من خلق الله تعالى على صوره بنى آدم و ليسوا بناس و ليسوا بملائكة يقومون صفا و الملائكة صفا هؤلاء جند و هؤلاء جند عن مجاهد و قتاده و أبى صالح قال الشعبى هما سماطا رب العالمين يوم القيامة سماط من الروح و سماط من الملائكة (و ثانيها) أن الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام و هو وحده

صفا و قامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثل صفهم عن ابن مسعود و عن عطاء عن ابن عباس (و ثالثها) أن أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد عن عطيه عن ابن عباس (و رابعها) أنه جبريل (عليه السلام) عن الضحاک و قال وهب إن جبرائيل (عليه السلام) واقف بين يدي الله عز و جل و ترعد فرائصه يخلق الله عز و جل من كل رعه مائه ألف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رءوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إله إلا أنت و قال صوابا أي لا إله إلا الله

و روى على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق (عليه السلام) قال هو ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل

(و خامسها) أن الروح بنو آدم عن الحسن و قوله «صَيْفًا» معناه مصطفين «لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ» و هم المؤمنون و الملائكة «وَقَالَ» في الدنيا «صَوَابًا» أي شهد بالتوحيد و قال لا إله إلا الله و قيل إن الكلام هاهنا الشفاعة أي لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن أن يشفع عن الحسن و الكلبي و

روى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سئل عن هذه الآية فقال نحن و الله المأذون لهم يوم القيامة و القائلون قال جعلت فداك ما تقولون قال نمجد ربنا و نصلى على نبينا ص و نشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا رواه العياشي مرفوعا

«ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ» الذى لا شك فى كونه و حصوله يعنى القيامة «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا» أي مرجعا للطاعة و المعنى فمن شاء عمل عملا صالحا يؤوب إلى ربه فقد أزيحت العلل و أوضحت السبل و بلغت الرسل و المآب مفعل من الأوب و هو الرجوع قال عبيد

و كل ذى غيبه يؤوب و غائب الموت لا يؤوب

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» يعنى العذاب فى الآخرة فإن كل ما هو آت قريب «يَوْمَ يُنظَرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» أي ينتظر جزاء ما قدمه فإن قدم الطاعة تنتظر الثواب و إن قدم المعصية تنتظر العقاب و قيل معناه أن كل أحد ينتظر إلى عمله فى ذلك اليوم من خير و شر مثبتا عليه فى صحيفته فيرجو ثواب الله على صالح عمله و يخاف العقاب على سوء عمله «وَيَقُولُ الْكَافِرُ» فى ذلك اليوم «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا» أي ليتنى أن لو كان ترابا لا يعاد و لا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم قال الزجاج إن معنى «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا» يا ليتنى لم أبعث قال عبد الله بن عمر إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم و حشر الدواب و البهائم و الوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاه الجماء من الشاه القرناء التى نطحتها و قال مجاهد يقاد يوم القيامة للمنطوحه من الناطحه

وقال المقاتلان إن الله يجمع الوحوش و الهوام و الطير و كل شىء غير الثقلين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب بعد ما يقضى بينهم حتى يقتص للجماة من القرناء إنا خلقناكم و سخرناكم لبنى آدم و كنتم مطيعين أيام حياتكم فارجعوا إلى الذى كنتم كونوا ترابا فتكون ترابا فإذا التفت الكافر إلى شىء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتنى كنت فى الدنيا على صورته خنزير رزقى كرزقه و كنت اليوم أى فى الآخرة ترابا و قيل إن المراد بالكافر هنا إبليس عاب آدم بأن خلق من تراب و افتخر بالنار فيوم القيامة إذا رأى كرامه آدم و ولده المؤمنين قال يا ليتنى كنت ترابا.

ص: ٢٢٥

(٧٩) سورة النازعات مكيه و آياتها ست و أربعون (٤٦)

أشاره

عدد آياتها

ست و أربعون آيه كوفى و خمس فى الباين.

اختلافها

آيتان «وَلِأَنْعَامِكُمْ» حجازى كوفى «طغى» عراقى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة و النازعات لم يكن حسبه و حسابه يوم القيامة إلا- كقدر صلاه مكتوبه حتى يدخل الجنة

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأها لم يمت إلا ريان و لم يبعثه الله إلا ريان و لم يدخله الجنة إلا ريان.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر أحوال القيامة و أهوالها افتتح هذه السوره بمثله فقال:

ص: ٢٢٦

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّازِعَاتِ غَرَقًا (١) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةَ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)

يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣)
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص و قتيبة و نصير و رويس عن يعقوب ناخره بالألف و الباقون «نَخِرَةً» بغير ألف و روى أبو عمرو الدوري و حمدون عن الكسائي ناخره و «نَخِرَةً» لا يبالى كيف قرأ و فى الشواذ قراءة أبي حياه الحفريه بغير ألف و قرأ نافع غير قالون و يعقوب إنا لمردودون بهمزه واحده غير ممدوده إذا كنا بغير استفهام و قرأ ابن عامر و الكسائي «أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ» بهمزتين إذا كنا كما تقدم و قرأ ابن كثير إنا إذا كنا بالاستفهام فيهما بهمزه واحده غير ممدوده و قرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزه ممدوده و قرأ عاصم و حمزه و خلف فيهما بهمزتين مميزتين و قد تقدم ذكر هذا مشروحا فى مواضع.

الحجج

نخره و ناخره لغتان و قال الفراء النخره الباليه و الناخره المجوفه قال الزجاج ناخره أكثر و أجود لشبهه أواخر الآى بعضها ببعض نحو الخاسره و الحافره و أما الوجه فى الحفريه فهو أن يكون أراد الحافره كقراءه الجماعه فحذف الألف تخفيفا كما فى قوله:

أصبح قلبى صردا لا يشتهى أن يردا

إلا عرادا عردا

أى عاردا.

اللغه

الغرق اسم أقيم مقام المصدر و هو الإغراق يقال أغرق فى النزع إذا استوفى فى مد القوس و بالغ فيه و النشاط النزع أيضا و منه حديث أم سلمه فجاء عمار و كان أخاها من الرضاعه و نشط زينب من حجرها أى نزعها و نشط الوحش من بلد إلى بلد إذا خرج بنشاط و الهموم تنشط بصاحبها أى تخرج به من حال إلى حال قال هميان بن قحافه:

أمست همومى تنشط المناشطا الشام بى طورا و طورا واسطا

و أنشطت العقده حللتها و نشطتها عقدتها قالوا كأنما أنشط من عقال و الأنشطة العقده تنحل إذا مد طرفاها يقال ما عقاله
بأنشوطه و الرجف حركه الشىء من تحت غيره بترديد و اضطراب و الرجفه الزلزله العظيمة و أرجفوا أى أزعجوا الناس
باضطراب الأمور و كل شىء

ص: ٢٢٧

تبع شيئاً فقد ردفه و أرداف النجوم تواليها يتبع بعضها بعضاً و أرداف الملوكة فى الجاهليه الذين يخلفون الملوكة و الردفان الليل و النهار و الوجيف شده الاضطراب و قلب واجف مضطرب و الوجيف سرعه السير و أوجف فى السير أسرع و أزعج الركاب فيه و الحافره بمعنى المحفوره مثل ماء دافق أى مدفوق و قيل الحافره الأرض المحفوره و رجع الشيخ فى حافره أى رجع من حيث جاء و ذلك كرجوع القهقرى قال:

أ حافره على صلح و شيب معاذ الله من سفه و عار

أى أرجوعاً إلى حال الشباب و أوله و يقال النقد عند الحافر أى لا يزول حافر الفرس حتى ينقد الثمن لأنه لكرامته لا يباع نسيئه ثم كثر حتى قيل فى غير الحافره. و الساهره وجه الأرض و العرب تسمى وجه الأرض من الفلاه ساهره أى ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفاً منها قال أميه بن أبى الصلت:

و فيها لحم ساهره و بحر و ما فاهوا به لهم مقيم

أى و فيها صيد البر و البحر و قال آخر:

فإنما قصرك ترب الساهره ثم تعود بعدها فى الحافره

. الإعراب

جواب القسم محذوف على تقدير ليعثن و قبل الجواب فى إن فى ذلِكَ لَعِبْرَةٌ «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» نصب باذكر و إن شئت كان نصبا بمدلول قوله «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ» على تقدير يوم ترجف الراجفه رجفت قلوبهم و يكون يومئذ بدلا من «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ».

المعنى

«و النَّازِعَاتِ غَرْقًا» اختلف فى معناها على وجوه (أحدها)

أنه يعنى الملائكه الذين ينزعون أرواح الكفار عن أبدانهم بالشده كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غايه المدى و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و مقاتل و سعيد بن جبير و قال مسروق هى الملائكه تنزع نفوس بنى آدم و

قيل هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

(و ثانيها) أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق أى تطلع و تغيب عن الحسن و قتاده و أبى عبيده و الأخفش و الجبائى قال أبو عبيده تنزع من مطالعها و تغرق فى مغاربها

(و ثالثها) النازعات القسى تنزع بالسهم و الناشطات الأزهاق عن عطاء و عكرمه و على هذا فالقسم بفاعلهما و هم الغزاه المجاهدون فى سبيل الله «وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا» فى معناها أقوال (أحدها) ما ذكرناه (و ثانيها)

أنها الملائكة تنشط أرواح الكفار بين الجلد و الأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب و الغم عن على (عليه السلام)

و النشاط الجذب يقال نشطت الدلو نشاطا نزعته (و ثالثها) أنها الملائكة تنشط أنفس المؤمنين فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير إذا حل عنها عن ابن عباس و حكى الفراء هذا القول ثم قال و الذى سمعت من العرب أن يقولوا كأنما أنشط من عقال و نشطت الحبل ربطته و أنشطته حللته (و رابعها) أنها أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج و ذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا- عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فىرى موضعه فيها و أزواجه من الحور العين فنفسه تنشط أن تخرج عن ابن عباس أيضا (و خامسها) أنها النجوم تنشط من أفق إلى أفق أى تذهب يقال حمار ناشط عن قتاده و الأخفش و الجبائى «وَ السَّابِحَاتِ سَبِيحًا» فيها أقوال (أحدها)

أنها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسباح بالشىء فى الماء يرمى به عن على (عليه السلام)

و الكلبى (و ثانيها) أنها الملائكة ينزلون من السماء مسرعين و هذا كما يقال للفارس الجواد سباح إذا أسرع فى جريه عن مجاهد و أبى صالح (و ثالثها) أنها النجوم تسبح فى فلکها عن قتاده و الجبائى و قيل هى خيل الغزاه تسبح فى عدوها كقوله و العاديات ضَبْحًا عن أبى مسلم و قيل هى السفن تسبح فى الماء عن عطاء «فَالسَّابِحَاتِ سَبِيحًا» فيها أقوال أيضا (أحدها) أنها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير و الإيمان و العمل الصالح عن مجاهد و قيل إنها تسبق الشياطين بالوحى إلى الأنبياء و

قيل إنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن على (عليه السلام)

و مقاتل (و ثانيها) أنها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها و قد عاينت السرور شوقا إلى رحمه الله و لقاء ثوابه و كرامته عن ابن مسعود (و ثالثها) أنها النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير عن قتاده و الجبائى (و رابعها) أنها الخيل يسبق بعضها بعضا فى الحرب عن عطاء و أبى مسلم «فَالْمُدَبَّرَاتِ أَمْرًا» فيها أقوال أيضا (أحدها)

أنها الملائكة تدبر أمر العباد من السنه إلى السنه عن على (عليه السلام)

(و ثانيها) أن المراد بذلك جيرائيل و ميكائيل و ملك الموت و إسرافيل ع يدبرون أمور الدنيا فأما جيريل فموكل بالرياح و الجنود و أما ميكائيل فموكل بالقطر و النبات و أما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس و أما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم عن عبد الرحمن بن سابط (و ثالثها) أنها الأفلاك يقع فيها أمر الله تعالى فىجرى بها القضاء فى الدنيا رواه على بن إبراهيم أقسم الله تعالى بهذه الأشياء التى عددها و قيل تقديره و رب النازعات و ما ذكر بعدها و هذا ترك للظاهر

و قد قال الباقر و الصادق (عليه السلام) إن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به

و الوجه فى ذلك أنه سبحانه يقسم بخلقه للتنبية على موضع العبره فيه لأن القسم يدل على عظم شأن المقسم به و جواب القسم محذوف فكأنه سبحانه أقسم فقال و هذه الأشياء لتبعثن و لتحاسبن «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» يعنى النفخه الأولى التى يموت فيها جميع الخلائق و الراجفه صيحه عظيمه فيها تردد و اضطراب كالرعد إذا تمخض «تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ» يعنى النفخه الثانيه تعقب النفخه الأولى و هى التى يبعث معها الخلق و هو كقوله «وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَاحَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» و يوم منصوب على معنى «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ» يوم ترجف الراجفه و معنى الواجهه الشديده الاضطراب أيضا و هذا معنى قول الحسن و قتاده و غيرهما و قيل معناه يوم تضطرب الأرض اضطرابا شديدا و تحرك تحركا عظيما يعنى يوم القيامه تتبعها الرادفه أى اضطرابه أخرى كائنه بعد الأولى فى موضع الردف من الراكب فلا تزال تضطرب حتى تفنى كلها و قال ابن عباس معنى الواجهه خائفه و المراد بذلك أصحاب القلوب يعنى أنها قلقة غير هادئه و لا ساكنه لما عاينت من أهوال يوم القيامه «أَبْصَارُهَا خَائِفَةٌ» أى ذليله من هول ذلك اليوم قال عطاء يريد أبصار من مات على غير الإسلام «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ» أى يقول هؤلاء المنكرون للبعث من مشركى قريش و غيرهم فى الدنيا إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت أ نرد إلى أول حالنا و ابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا و الحافره عند العرب اسم لأول الشىء و ابتداء الأمر قال ابن عباس و السدى الحافره الحياه الثانيه و قيل الحافره الأرض المحفوره و المعنى أ نرد من عبورنا بعد موتنا أحياء «أ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً» أى باليه مفتته و المعنى أنهم أنكروا البعث فقالوا أ نرد أحياء إذا متنا و تفتت عظامنا يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر و نخر «قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ» أى قال الكفار تلك الكره الكائنه بعد الموت كره خسران و معناه أن أهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار و الخاسر الذاهب رأس ماله و إنما قالوا كره خاسره على معنى أنه لا يجىء منها شىء كالخسيران الذى لا يجىء منه فائده فكأنهم قالوا هى كالخسيران بذهاب رأس المال لا تجىء به تجاره فكذلك لا تجىء بتلك الكره حياه و قيل معناه إن كان الأمر على ما يقوله محمد من أنا نبعث و نعاقب فتلك كره ذات خسران علينا ثم أعلم سبحانه سهوله البعث عليه فقال «فَإِنَّمَا هِيَ» يعنى النفخه الأخيره «زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ» أى صيحه واحده من إسرافيل يسمعونها و هم أموات فى بطون الأرض فيحيون و هو قوله «فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» و هى وجه الأرض و ظهرها عن الحسن و قتاده و مجاهد و غيرهم و قيل إنما سميت الأرض ساهره لأن عملها فى

النبت في الليل و النهار دائب و لذلك قيل خير المال عين خراجه في أرض خواره تسهر إذا نمت و تشهد إذا غبت ثم صارت اسما لكل أرض و قيل المراد بذلك عرصه القيامة لأنها أول مواقف الجزاء و هم في سهر لا نوم فيه.

[سوره النازعات (٧٩): الآيات ١٥ الى ٢٦]

إشارة

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَتَقَلُّ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَّكَّى (١٨) وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩)

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَ عَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و البصره طوى بغير تنوين و الباقون بالتنوين و قرأ أهل الحجاز و عباس و يعقوب تزكى بتشديد الزاء و الباقون بتخفيفها.

الحججه

قال أبو على قال أبو عبيده طوى مضمومه الأول و مكسورته فمن لم ينون جعله اسما مؤنثا و من نون جعله مثل ثنى على معنى المقدس مره بعد مره و روى عن الحسن أنه قرأ طوى بكسر الطاء و قال و طوى بالبركه و التقديس مرتين كما قال طرفه:

أ عاذل إن اللوم في غير كنهه على طوى من غييك المتردد

أى أن لومك مكرر على قال أبو على من لم يصرف طوى احتمال قوله أمرين (أحدهما) أنه جعله اسم بلده أو بقعه أو يكون معدولا كزفر و ممر و من صرف احتمال أيضا أمرين (أحدهما) أن يكون جعله اسم موضع أو بلد أو مكان (و الآخر) أن يكون مثل زحل

ص: ٢٣١

و حطم و لكع و قوله «تَزَكَّى» معناه تطهر من الكفر و المبتدأ محذوف من اللفظ مراد فى المعنى و التقدير هل لك إلى ذلك حاجه أو إربه قال الشاعر:

فهل لكم فيها إلى فإننى طيب بما أعيبى النطاسى حديما

و من قال تزكى أراد تتركى فأدغم تاء التفعّل فى الزاء لتقاربهما و من خفف حذف التاء التى أثبتها من أدغم و تخفيفها بالحذف أشبه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه موسى (عليه السلام) فقال «هَلْ أَتَاكَ» يا محمد «حَدِيثُ مُوسَى» استفهام يراد به التقرير «إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ» أى حين ناداه الله و دعاه فالنداء الدعاء بطريقه يا فلان فالمعنى قال له يا موسى «بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» أى المطهر «طُوى» اسم واد عن مجاهد و قتاده و قيل طوى بالتقديس مرتين و هو الموضع الذى كلم الله فيه موسى «أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى» أى علا و تكبر و كفر بالله و تجاوز الحد فى الاستعلاء و التمرد و الفساد «فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى» أى تتطهر من الشرك و تشهد أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و هذا تلى فى الاستدعاء و معناه هل لك رغبة إلى أن تسلم و تصلح و تطهر «وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ» أى و أدلك إلى معرفه ربك و أنه خلقك و رباك و قيل و أهديك أى أرشدك إلى طريق الحق الذى إذا سلكته وصلت إلى رضا الله و ثوابه «فَتَخْشَى» أى فتخافه فتفارق ما نهاك عنه و فى الكلام حذف تقديره فأتاه و دعاه «فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى» يعنى العصا و قال الحسن هى اليد البيضاء «فَكَذَّبَ» بأنها من الله «وَ عَصَى» نبي الله و جحد نبوته «ثُمَّ أَدْبَرَ» فرعون أى ولى الدبر ليطلب ما يكسر به حجه موسى فى المعجزه العظيمه فما ازداد إلا غوايه «يَسْعَى» أى يعمل بالفساد فى الأرض و قيل إنه لما رأى الحيه فى عظمها خاف منها فأدبر و سعى هربا عن الجبائى «فَحَشَرَ» أى فجمع قومه و جنوده «فَنَادَى» فيهم «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى» أى لا رب فوقى و قيل معناه أنا الذى أنال بالضرر من شئت و لا ينالنى غيرى و كذب اللعين إنما هذه صفه الله الذى خلقه و خلق جميع الخلائق و قيل إنه جعل الأصنام أربابا فقال أنا ربها و ربكم «فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَةِ وَ الْأُولَى» نكال مصدر مؤكد لأن معنى أخذه الله نكل به نكال

الآخرة والأولى بأن أغرقه في الدنيا و يعذبه في الآخرة و قيل معناه فعاقبه الله بكلمته الآخرة و كلمته الأولى فالآخرة قوله «أنا رَبُّكُمْ الأَعْلَى» و الأولى قوله ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فنكل به نكال هاتين الكلمتين و

جاء فى التفسير عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه كان بين الكلمتين أربعون سنة

و قيل إنه إنما ناداهم «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى» فامنعونى من هذا الثعبان و لم يعلم الجهال أن من يخاف ضرر حيه و يستعين بأمثاله لا يكون إلها و

عن وهب عن ابن عباس قال قال موسى (عليه السلام) يا رب إنك أمهلت فرعون أربعمائى سنة و هو يقول أنا ربكم الأعلى و يجحد رسلك و يكذب بآياتك فأوحى الله تعالى إليه أنه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافيه

و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص قال جبرئيل (عليه السلام) قلت يا رب تدع فرعون و قد قال أنا ربكم الأعلى فقال إنما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت

«إِنَّ فِي ذَلِكْ» الذى فعل بفرعون حين كذب و عصى «لَعِبْرَةً» أى لعظه «لِمَنْ يَخْشَى» الله تعالى و يخاف عقابه و نعمته و دلاله يمكن أن يعتبر بها العاقل و يميز بين الحق و الباطل.

النظم

وجه اتصال قصه موسى (عليه السلام) بما قبلها أنه لما تقدم ذكر المكذبين للأنبياء المنكرين للبعث عقبه بحديث موسى و تكذيب قومه إياه و ما قاساه من الشدائد تسليه لنبينا ص و عده له بالنصر و حثا إياه على الصبر اقتداء بموسى و تحذيرا لقومه أن ينزل بهم ما نزل بأولئك و عظه بهم و تأكيدا للحججه عليهم.

ص: ٢٣٣

إشارة

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَ أَغَطَّسَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا (٣١)

وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَيَعَى (٣٥) وَ بُرِّرَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦)

فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَ آتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)

يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرْوَنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)

القراءة

قرأ أبو جعفر و العباس عن العياشى عن أبي عمرو و إنما أنت منذر بالتنوين و الباقون بغير تنوين و فى الشواذ قراءة الحسن و عمرو بن عبيد و الجبال أرساها بالرفع و قراءة مجاهد و الأرض مع ذلك دحاها و قراءة عكرمه و برزت الجحيم لمن ترى بالتاء.

الحجج

قال أبو على حججه التنوين فى قوله إنما أنت منذر أن اسم الفاعل هنا للحال و يدل عليه قوله «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» فليس المراد أنذر فيما استقبل و إنما يقول أنذر فى الحال و اسم الفاعل على قياس الفعل و من أضاف استخف فحذف التنوين كما حذف من قوله فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ و نحو ذلك مما جاء على لفظ الإضافة و المراد به الانفصال و يجوز أن يكون منذر من على نحو هذا ضارب زيدا أمس لأنه قد فعل الإنذار و من قرأ و الجبال أرساها بالرفع فإنه مثل قراءة من قرأ و الظالمون أعد لهم و قد تقدم بيانه و من قرأ و الأرض مع ذلك فلعله قال ذلك تفسيراً للقراءة المشهورة لأنه ليس الغرض فيه ترتيب الزمان و إنما الغرض اجتماعهما أعنى السماوات و الأرض فى الخلق لا فى أن زمان الفعلين واحد و هذا كقولك فلان كريم فيقول السامع و هو مع ذلك شجاع أى قد اجتمع له الوصفان و أما قوله لمن ترى بالتاء المفتوحة فيمكن أن يكون خطاباً للنبي ص و المراد لمن ترى يا محمد من الناس فأشار إلى البعض و غرضه الجنس و الجميع كقول لبيد:

و لقد سئمت من الحياه و طولها و سؤال هذا الناس كيف لبيد

فأشار إلى جنس الناس و نحن نعلم أنه ليس جميعهم شاهداً حاضراً له و يمكن أن يكون التاء فى ترى للجحيم أى لمن تراه النار.

السمك الارتفاع و هو مقابل العمق لأنه ذهاب الجسم بالتأليف إلى جهة العلو و بالعكس صفة العمق و المسموكات السماوات لارتفاعها و منه

قول أمير المؤمنين (عليه السلام) يا داعم المسموكات

قال الفرزدق:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

و التسويه جعل أحد الشيتين على مقدار الآخر فى نفسه أو فى حكمه و الغطش الظلمه و أغطشه الله أظلمه و الأغطش الذى فى عينيه شبه العمش و فلامه غطشاء لا يهتدى فيها و الدحو البسط دحوت أدحو دحوا و دحيت أدحى دحيا لغتان قال أميه بن أبى الصلت:

دار دحها ثم أعمر بابها و أقام بالأخرى التى هى أمجد

و قال أوس:

ينفى الحصى عن جديد الأرض مبترك كأنه فاحص أو لاعب داح

و الطامه العالیه الغالبه يقال هذا أطم من هذا أى أعلى منه و طم الطائر الشجره علاها و تسمى الداهيه التى لا يستطيع دفعها طامه.

الإعراب

و الأرض منصوب بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره و كذا قوله «و الْجِبَالُ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ» مفعول له لأن المعنى لإمتاعكم و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا» أمتع بذلك و قوله «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» و تقديره هى المأوى له قال الزجاج و قال قوم الألف و اللام بدل من الضمير العائد أى هى مأواه و المراد أن المعنى يؤول إلى التى هى مأواه لأن الألف و اللام بدل من الهاء و هذا كما يقول الإنسان غض الطرف يا هذا فليس الألف و اللام بدلا من الكاف و إن كان المعنى غض طرفك لأن المخاطب يعرف أنك لا تأمره بغض طرف غيره قال:

فغض الطرف إنك من نمير فلا سعدا بلغت و لا كلابا

و كذلك المعنى فى الآيه و جواب إذا فى قوله «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِمَةُ الْكُبْرَى» فى قوله «فَأَمَّا

مَنْ طَغَى» و ما بعده فإن المعنى إذا جاءت الطامه الكبرى فإن الأمر كذلك و قوله «أَوْ ضُحَاهَا» أضاف الضحى إلى العشيهِ و الغداه و العشى و الضحوه و الضحى لليوم الذى يكون فيه فإذا قلت أتيتك صباحا و مساء و مساءه و صباحه فالمعنى أتيتك صباحا و مساء يلى الصباح و أتيتك مساء و صباحا يلى المساء و تقول أتيتك العشيهِ و غداتها.

المعنى

لما قدم سبحانه ما أتى به موسى و ما قابله به فرعون و ما عوقب به فى الدارين عظه لمن كان على عهد رسول الله ص و تحذيرا لهم من المثلات خاطب عقيب ذلك منكرى البعث فقال «أَأَنْتُمْ» أيها المشركون المنكرون للبعث «أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ» يعنى أ خلقكم بعد الموت أشد عندكم و فى تقديركم أم السماء و هما فى قدره الله تعالى واحد و هذا كقوله لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ثم ابتداءً فبين سبحانه كيف خلق السماء فقال «بَنَاهَا» الله تعالى الذى لا يكبر عليه خلق شىء «رَفَعَ سَمَكَهَا» سقفها و ما ارتفع منها «فَسَوَّاهَا» بلا شقوق و لا فطور و لا تفاوت و قيل سواها أحكمها و جعلها متصرفا للملائكة «وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا» أى أظلم ليلها عن ابن عباس و مجاهد و قتاده «وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا» أى أبرز نهارها و إنما أضاف الليل و الضحى إلى السماء لأن منها منشأ الظلام و الضياء بغروب الشمس و طلوعها على ما دبرها الله عز و جل «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» أى بعد خلق السماء بسطها من الدحو و هو البسط قال ابن عباس إن الله تعالى دحا الأرض بعد السماء و إن كانت الأرض خلقت قبل السماء و كانت ربوه مجتمعته تحت الكعبه فبسطها و قال مجاهد و السدى معناه و الأرض مع ذلك دحاها كما قال عُمَلُّ بَعِيدٌ ذَلِكَ زَيْنِمُ أى مع ذلك «أَخْرَجَ مِنْهَا» أى من الأرض «مَاءَهَا» و المعنى فجر الأنهار و البحار و العيون عن ابن عباس «وَ مَرَعَاهَا» مما يأكل الناس و الأنعام بين سبحانه بذلك جميع المنافع المتعلقة بالأرض من المياه التى بها حياه كل شىء من الحيوانات و الأشجار و الثمار و الحبوب و العيون عن ابن عباس و بها يحصل جميع الأرزاق و النبات التى تصلح للمواشى فهى ترعاه بأن تأكله فى موضعه «وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا» أى أثبتها فى أوساط الأرض «مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» أى خلق سبحانه الأرض و أخرج منها المياه و المراعى و أثبت الجبال بما فيها من أنواع المعادن لمنفعتكم و منفعه أنعامكم تنتفعون بها و لما دل سبحانه بهذه الأشياء على صحه البعث وصف يوم البعث فقال «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى» و هى القيامة لأنها تظم على كل داهيه هائله أى تعلقو و تغلب و من ذلك يقال ما من طامه إلا و فوقها طامه و القيامة فوق كل طامه فهى الداهيه العظمى قال الحسن هى النفخه الثانيه و قيل هى الغاشيه الغليظه المجلله التى تدقق

الشيء بالغلظ وقيل إن ذلك حين يساق أهل الجنة إلى الجنة و أهل النار إلى النار «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى» أى تجىء الطامه فى يوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شر «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ» أى أظهرت النار «لِمَنْ يَرَى» فيراها الخلق مكشوفاً عنها الغطاء و يبصرونها مشاهدته «فَأَمَّا مَنْ طَغَى» أى تجاوز الحد الذى حده الله و ارتكب المعاصى «وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» على الآخره «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» له و الإيثار إرادته الشىء على طريقه التفضيل له على غيره «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أى خاف مقام مسأله ربه عما يجب عليه فعله أو تركه «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى» أى عن المحارم التى تشتتها و تهواها و قيل إن الرجل يهيم بالمعصيه فيذكر مقامه للحساب فيتركها عن مقاتل «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» له أى هى مقره و مأواه ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا» أى متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفتها «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا» أى لست فى شىء من علمها و ذكراها و المعنى لا تعلمها قال الحسن أى ليس عندك علم بوقتها و إنما تعلم أنها تكون لا محاله و قيل معناه ليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فإنما بعثت داعياً و قيل إنها من حكاية قولهم و المعنى أنك قد أكثرت من ذكراها فمتى يكون «إِلَى رَبِّكَ مُتَّهَاهَا» أى قل لهم إلى الله إجراؤها و المنتهى موضع بلوغ الشىء فكأنه قيل إلى أمر ربك منتهى أمرها بإقامتها لأن منتهى أمرها بذكرها و وصفها و الإقرار بها إلى الرسول و منتهى أمرها بإقامتها إلى الله لا يقدر عليها إلا هو سبحانه و قيل معناه إلى ربك منتهى علمها أى لا يعلم وقتها إلا هو عن الحسن «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا» أى إنما أنت مخوف من يخاف قيامها أى إنما ينفع إنذارك من يخافها فأما من لا يخشاها فكأنك لم تنذره «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا» أى يعاينون القيامة «لَمْ يَلْبُثُوا» فى الدنيا «إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» أى إلا قدر آخر نهار و أوله و مثله كأنهم يرون ما يؤعدون لم يلبثوا إلا ساعه من نهار و قد مر بيانه و قيل إن معناه أنهم إذا رأوا الآخره صغرت الدنيا فى أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها إلا مقدار عشيء أو مقدار ضحى تلك العشيء عن قتاده.

(٨٠) سورة عبس مكيه و آياتها ثنتان و أربعون (٤٢)

اشاره

[توضیح]

و تسمى سورة السفره مكيه.

عدد آياتها

اثنتان و أربعون آيه حجازى كوفى و إحدى و أربعون بصرى و أربعون شامى و المدنى الأول.

اختلافها

ثلاث آيات «وَلِنُعَامِكُمْ» حجازى كوفى «إِلَى طَعَامِهِ» غير يزيد «الصَّاحَّةُ» غير الشامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة و وجهه ضاحك مستبشر

و

روى معاويه بن وهب عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و من قرأ سورة عبس و تولى و إذا الشمس كورت كان تحت الله من الجنان و فى ظل الله و كرامته فى جنانه و لا يعظم ذلك على ربه عز و جل.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر إنذاره من يخشى القيامة افتتح هذه السوره بذكر إنذاره قوما يرجو إسلامهم و إعراضه
عمن يخشى فقال:

ص: ٢٣٨

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَ تَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)
 أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَ مَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَّكَّى (٧) وَ أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَ هُوَ يَخْشَى (٩)
 فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤)
 بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قَبِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩)
 ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)

القراءة

قرأ عاصم غير الأعشى و البرجمي فتنفعه بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ أهل الحجاز تصدى بالتشديد و الباقون «تصدى» بتخفيف
 الصاد و في الشواذ قراءة الحسن أن جاءه و

قراءة أبي جعفر الباقر (عليه السلام) تصدى بضم التاء و فتح الصاد

و تلهى بضم التاء أيضا و قراءة أبي حيوة و شعيب بن أبي حمزة نشره بغير ألف.

الحجج

قال أبو علي من قرأ فتنفعه بالرفع عطفه على ما تقدم من المرفوع و من قرأ بالنصب فعلى أنه جواب بالفاء لأن المتقدم غير
 موجب فكان قوله تعالى «يَذَّكَّرُ» المعطوف على «يَزَّكَّى» في معنى لعله يكون منه تذكير فانتفاع و كذا قوله لَعَلُّهُ أَبْلَغُ الْأَسْبَابِ
 أَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ و قوله «تَصَدَّى» أي تعرض فمن قرأ بتشديد الصاد أدغم التاء في الصاد و من قرأ بالتخفيف أراد تصدى
 فحذف التاء و لم يدغمها و قرأ ابن فليح و البرزى عن ابن كثير تلهى بتشديد التاء على أنه شبه المنفصل بالمتصل و جاز وقوع
 الساكن بعد اللين كما جاز تمود الثوب في المتصل و حكى سيبويه فلا تناجوا و من قرأ أن جاءه بلفظ الاستفهام فتقديره الآن
 جاءه الأعمى و كان ذلك منه فعلق أن يفعل بمحذوف دل عليه «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» و أما على القراءة المشهورة فإن جاءه في موضع
 نصب بتولى لأنه الفعل الأقرب منه فكأنه قال تولى لمجىء الأعمى و هو مفعول به و من قرأ تصدى فالمعنى يدعوك داع من
 زينه الدنيا و بشارتها إلى

التصدى له و الإقبال عليه و على ذلك قوله تلهى أيضا أى تصرف عنه و من قرأ نشره فعلى أنه لغه فى أنشره.

اللغة

التصدى التعرض للشىء كعرض الصديان للماء و الصحف جمع صحيفه و العرب تسمى كل مكتوب فيه صحيفه كما تسميه كتابا رقا كان أو غيره و السفره الكتب لأسفار الحكمه واحدهم سافر و واحد الأسفار سفر و أصله الكشف من قولهم سفرت المرأه إذا كشفت عن وجهها و سفرت القوم إذا أصلحت بينهم قال:

و ما أدع السفاره بين قومي و ما أمشى بغش إن مشيت

و البرره جمع بار و هو فاعل البر و البر فعل النفع اجتلابا للموده و أصله اتساع النفع و منه البر سمي به تفاؤلا باتساع النفع به و أقبره جعل له قبرا فالإقبار جعل القبر لدفن الميت فيه و يقال أقبرنى فلانا أى اجعلنى أقبره و القابر الدافن للميت بيده قال الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها عاش و لم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجا للميت الناشر

و الإنشار الإحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطى.

الإعراب

«ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ» انتصب السبيل بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره ثم يسر السبيل يسره له أى للإنسان ثم حذف الجار و المجرور و قوله «كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ» أى ما أمره به فحذف الباء فصار التقدير ما أمره فحذف الهاء الأولى فصار ما أمره فالهاء الباقية لما الموصولة و الهاء المحذوفه للإنسان.

النزول

قيل نزلت الآيات فى عبد الله بن أم مكتوم و هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعه الفهري من بنى عامر بن لؤى و ذلك أنه أتى رسول الله ص و هو يناجى عتبه بن ربيعه و أبا جهل بن هشام و العباس بن عبد المطلب و أبيا و أميه ابنى خلف يدعوهم إلى الله و يرجو إسلامهم فقال يا رسول الله أقرئنى و علمنى مما علمك الله فجعل يناديه و يكرر النداء و لا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهه فى وجه رسول الله ص لقطعه

كلامه و قال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان و العبيد فأعرض عنه و أقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات و كان رسول الله بعد ذلك يكرمه و إذا رآه قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي و يقول له هل لك من حاجة و استخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين

و قال أنس بن مالك فرأيت يوم القادسيه و عليه درع و معه رايه سوداء قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ليس فى ظاهر الآيه دلالة على توجهها إلى النبي ص بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه و فيها ما يدل على أن المعنى بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي ص مع الأعداء المباينين فضلا عن المؤمنين و المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء و يتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمه و يؤيد هذا القول قوله سبحانه فى وصفه ص وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ و قوله وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فالظاهر أن قوله «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» المراد به غيره و

قد روى عن الصادق (عليه السلام) أنها نزلت فى رجل من بنى أميه كان عند النبي ص فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقدر منه و جمع نفسه و عبس و أعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك و أنكره عليه

فإن قيل فلو صح الخبر الأول هل يكون العبوس ذنبا أم لا فالجواب أن العبوس و الانبساط مع الأعمى سواء إذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنبا فيجوز أن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه ص ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق و ينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد و يعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم على إيمانه أولى من تأليف المشرك طمعا فى إيمانه و قال الجبائى فى هذا دلالة على أن الفعل يكون معصيه فيما بعد لمكان النهى فأما فى الماضى فلا يدل على أنه كان معصيه قبل أن ينهى عنه و الله سبحانه لم ينهه إلا فى هذا الوقت و قيل أن ما فعله الأعمى نوعا من سوء الأدب فحسن تأديبه بالإعراض عنه إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه أعرض عنه لفقره و أقبل عليهم لرياستهم تعظيما لهم فعاتبه الله سبحانه على ذلك و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال كان رسول الله ص إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال مرحبا مرحبا لا و الله لا يعاتبني الله فيك أبدا و كان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي ص مما يفعل به.

المعنى

«عَبَسَ» أى بسر و قبض و وجهه «وَ تَوَلَّى» أى أعرض بوجهه «أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» أى لأن جاءه الأعمى «وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ» أى لعل هذا الأعمى «يَزَكِّي» يتطهر بالعمل الصالح و ما يتعلمه منك «أَوْ يَذَكَّرُ» أى يتذكر فيتعظ بما يعلمه من مواضع القرآن «فَتَنْفَعَهُ الذُّكْرَى» فى دينه قالوا و فى هذا لطف من الله عظيم لنبيه ص إذ لم يخاطبه فى باب العبوس فلم يقل عبست فلما جاوز العبوس عاد إلى الخطاب فقال و ما يدريك.

ثم قال «أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى» أى من كان عظيما فى قومه و استغنى بالمال «فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» أى

تعرض له و تقبل عليه بوجهك «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكِّيَ» أى شىء يلزمك إن لم يسلم و لم يتطهر من الكفر فإنه ليس عليك إلا- البلاغ «وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسِيحًا» أى يعمل فى الخير يعنى ابن أم مكتوم «وَهُوَ يَخْشَى» الله عز و جل «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى» أى تتغافل و تشتغل عنه بغيره «كَلَّا» أى لا تعد لذلك و انزجر عنه «إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ» أى إن آيات القرآن تذكير و موعظه للخلق «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ» أى ذكر التنزيل أو القرآن أو الوعظ و المعنى فمن شاء أن يذكره ذكره و فى هذا دلالة على أن العبد قادر على الفعل مخير فيه و قوله «كَلَّا» فيه دلالة على أنه ليس له أن يفعل ذلك فى المستقبل و أما الماضى فلم يتقدم النهى عن ذلك فيه فلا يكون معصيه ثم أخبر سبحانه بجلاله قدر القرآن عنده فقال «فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ» أى هذا القرآن أو هذه التذكرة فى كتب معظمه عند الله و هى اللوح المحفوظ عن ابن عباس و قيل يعنى كتب الأنبياء المنزل عليهم كقوله «إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى «مَرْفُوعَةٍ» فى السماء السابعة و قيل مرفوعه قد رفعها الله عن دنس الأنجاس «مُطَهَّرَةٍ» لا يمسها إلا المطهرون و قيل مصونه عن أن تنالها أيدي الكفرة لأنها فى أيدي الملائكة فى أعز مكان عن الجبائى و قيل مطهره من كل دنس عن الحسن و قيل مطهره من الشك و الشبهه و التناقض «بِأَيْدِي سَافِرَةٍ» يعنى الكتبه من الملائكة عن ابن عباس و مجاهد و قيل يعنى السفراء بالوحي بين الله تعالى و بين رسله من السفاره و قال قتاده هم القراء يكتبونها و يقرءونها و

روى فضيل بن يسار عن الصادق قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البرره

ثم أثنى عليهم فقال «كِرَامٍ» على ربهم «بَرَّزِهِ» مطيعين و قيل كرام عن المعاصى يرفعون أنفسهم عنها برره أى صالحين متقين و قال مقاتل كان القرآن ينزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليله القدر إلى الكتبه من الملائكة ثم ينزل به جبريل (عليه السلام) إلى النبي ص ثم ذكر سبحانه المكذبين بالقرآن فقال «فُتِلَ الْإِنْسَانُ» أى عذب و لعن الإنسان و هو إشاره إلى كل كافر عن مجاهد و قيل هو أميه بن خلف عن الضحاك و قيل هو عتبه بن أبى لهب إذ قال كفرت برب النجم إذا هوى «مَا أَكْفَرَهُ» أى ما أشد كفره و ما أبين ضلاله و هذا تعجب منه كأنه قد قال تعجبوا منه و من كفره مع كثره الشواهد على التوحيد و الإيمان و قيل أن ما للاستفهام أى شىء أكفره و أوجب كفره عن مقاتل و الكلبي فكأنه قال ليس هاهنا شىء يوجب الكفر و يدعو إليه فما الذى دعاه إليه مع كثره نعم الله عليه، ثم بين سبحانه من أمره ما كان ينبغى معه أن يعلم أن الله خالقه فقال «مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ» لفظه استفهام و معناه التقرير و قيل معناه لم لا ينظر إلى أصل خلقته من أى شىء خلقه الله ليدله على وحدانيه الله تعالى ثم فسر فقال «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ» أطوارا نطفه ثم علقه إلى آخر خلقه و على حد معلوم من طوله و قصره

و سمعه و بصره و حواسه و أعضائه و مده عمره و رزقه و جميع أحواله «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ» أى ثم يسر سبيل الخروج من بطن أمه حتى خرج منه عن ابن عباس و قتاده و ذلك أن رأسه كان إلى رأس أمه و كذلك رجلاه كانتا إلى رجليها فقلبه الله عند الولاده ليسهل خروجه منها و قيل ثم السبيل أى سبيل الدين يسره و طريق الخير و الشر بين له و خيره و مكنه من فعل الخير و اجتناب الشر و نظيره وَ هَيَّدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ عن مجاهد و الحسن و ابن زيد «ثُمَّ أَمَاتَهُ» أى خلق الموت فيه و قيل أزال عنه حياته «فَأَقْبَرَهُ» أى صيره بحيث يقبر و جعله ذا قبر عن أبى مسلم و قيل جعله مقبوراً و لم يجعله ممن يلقى إلى السباع و الطير عن الفراء و قيل أمر بأن يقبر عن أبى عبيده «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» أى أحياه من قبره و بعثه إذا شاء تعالى أن يحييه للجزاء و الحساب و الثواب و العقاب عن الحسن «كَلَّا» أى حقاً «لَمَّا يَفْقُضْ» أى لم يقض «ما أَمَرَهُ» الله به من إخلاص عبادته و لم يؤد حق الله تعالى عليه مع كثره نعمه قال مجاهد هو على العموم فى الكافر و المسلم لم يعبد أحد حق عبادته.

[سوره عبس (٨٠): الآيات ٢٤ الى ٤٢]

إشاره

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَ عَنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا (٢٩) وَ حَدَائِقَ عُلبًا (٣٠) وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ (٣٥) وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨)

ضاحكهُ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْنَا غَبْرَةٌ (٤٠) تَرَهَقَهَا قَتْرَةٌ (٤١) أَوْلَيْكَ هُمْ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ (٤٢)

القراءه

قرأ أهل الكوفه أنا صببنا بالفتح و الباقون بالكسر و فى الشواذ قراءه ابن محيصن يعنيه بالعين و فتح الياء.

الحجّه

قال أبو علي من كسر كان ذلك تفسيراً للنظر إلى طعامه كما أن قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» تفسير للوعد و من فتح فقال أنا فالمعنى على البدل بدل الاشتمال لأن هذه الأشياء مشتملة على كون الطعام و حدوده فهو من نحو «يَسْتَمْلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» و «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ» و قوله «وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» لأن الذكر كالمشتمل على المذكور و معنى «إِلَى طَعَامِهِ» إلى كون طعامه و حدوده و هو موضع الاعتبار قال ابن جنى قوله يعنيه بالعين قراءه حسنه إلا أن قراءه الجماعة أقوى معنى فإن الإنسان قد يعنيه الشىء و لا يعنيه عن غيره ألا ترى أن من كان له ألف درهم فيؤخذ منها مائه درهم يعنيه أمرها و لا يعنيه عن بقيه ماله أن يهتم به و يراعيه فأما إذا أغناه الأمر عن غيره فإن ذلك أقوى فأعرفه.

اللغه

الحديقه البستان المحوط و جمعه حدائق و منه قولهم أحدق به القوم إذا أحاطوا به و الغلب الغلاظ شجره غلباء غليظه قال الفرزدق:

عوى فأنار أغلب ضيغماً فويل ابن المراغه ما استثارا

و الأب المرعى من الحشيش و سائر النبات الذى ترعاه الأنعام و الدواب و يقال أب إلى سيفه فاستله أى بدر إليه و هب إليه فيكون كبدور المرعى بالخروج قال الأعشى:

صرمت و لم أصرمكم و كصارم أخ قد طوى كشحا و أب ليذهبا

و قال فى الأب:

جذمنا قيس و نجد دارنا و لنا الأب بها و المكرع

و الصاخه الصاكه لشده صوتها الآذان فتصمها و القتره ظلمه الدخان و منه القطار ريح الشواء لأنها كالدخان.

الإعراب

«فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ» العامل فى الظرف فى قوله «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» أى ثبت لكل امرئ منهم ذلك فى وقت مجىء الصاخه.

المعنى

لما ذكر سبحانه خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»

الذى يأكله و يتقوته من الأطحمه الشهيه اللذيذه كيف خلقها سبحانه و هيأها لرزق عباده ليفكر كيف مكنه من الانتفاع بذلك ثم بين فقال «أَنَا صَيَّبْنَا الْمَاءَ صَيَّبًا» أى نزلنا الغيث إنزالاً «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا» بالنبات «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا» أى فى الأرض «حَبًّا» أى جنس الحبوب التى يتغذى بها و تدخر «وَعِنْبًا» خص العنب لكثرة منافعه «وَقَضْبًا» و هو ألقت الرطب يقضب مره بعد أخرى يكون علفا للدواب عن ابن عباس و الحسن «وَزَيْتُونًا» و هو ما يعصر عنه الزيت «وَنَخْلًا» جمع نخله «وَوَيْدَائِقَ غُلْبًا» أى و بساتين محوطه تشتمل على أشجار عظام غلاظ مختلفه و قيل غلبا ملتفه الشجر عن مجاهد «وَوَاكِهَةً» يعنى سائر ألوان الفواكه «وَأَبًّا» و هو المرعى و الكلاء الذى لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام و قيل أن الأب للأنعام كالفاكهه للناس «مَتَاعًا» أى منفعه «لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» مر معناه ثم ذكر يوم القيامة فقال «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ» يعنى صيحه القيامه عن ابن عباس سميت بذلك لأنها تصخ الآذان أى تبالغ فى إسماعها حتى تكاد تصمها و قيل لأنها يصخ لها الخلق أى يستمع و قد قلب حرف التضعيف ياء لكراهيه التضعيف فقالوا صاخ كما قالوا تظنيت فى تظنت و تقضى البازى فى تقضض ثم ذكر سبحانه فى أى وقت تجىء الصاخه فقال «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ» أى و زوجته «وَ بَنِيهِ» أى أولاده الذكور أى لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لعظم ما هو فيه و شغله بنفسه و إن كان فى الدنيا يعنى بشأنهم و قيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم إياه بما بينه و بينهم من التبعات و المظالم و قيل لعلمه بأنهم لا ينفعونهم و لا يغنون عنه شيئا و يجوز أن يكون مؤمنا و أقرباؤه من أهل النار فيعاديهم و لا يلتفت إليهم أو يفر منهم لثلا- يرى ما نزل بهم من الهوان «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» أى لكل إنسان منهم أمر عظيم يشغله عن الأقرباء و يصرفه عنهم و معنى يغنيه يكفيه من زياده عليه أى ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الأمر الذى قد اكتنفه و ملأ صدره فصار كالغنى عن الشىء فى أمر نفسه لا ينازع إليه و

روى عن عطاء بن يسار عن سوده زوجة النبي ص قالت قال رسول الله ص يبعث الناس عراه حفاه غرلا يلجمهم العرق و يبلغ شحمه الآذان قالت قلت يا رسول الله و سواتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال شغل الناس عن ذلك و تلا رسول الله «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»

ثم قسم سبحانه أحوال الناس فى ذلك اليوم فقال «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ» أى مشرقه مضيئه «ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» من سرورها و فرحها بما أعد لها من الثواب و أراد بالوجوه أصحاب الوجوه «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ» أى سواد و كآبه اللهم

«تَرَهَّقُهَا» أى تعلوها و تغشاها «قَتْرَةٌ» أى سواد أو كسوف عند معاينه النار و قيل أن الغيره ما انحطت من السماء إلى الأرض و القتره ما ارتفعت من الأرض إلى السماء عن زيد بن أسلم «أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ» فى أديانهم «الْفَجْرَةُ» فى أفعالهم و استدلت الخوارج بذلك على أن من ليس بمؤمن لا بد أن يكون كافرا فإن الله سبحانه قسم الوجوه هذين القسمين و لا تعلق لهم به لأنه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين وجوه المؤمنين و وجوه الكفار و لم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاة فيجوز أن يكون لها صفه أخرى بأن يكون عليها غيره لا تغشاها قتره أو يكون عليها صفه أو لون آخر.

(٨١) سورة التكوير مكيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)

اشاره

[توضيح]

و منهم من يقول سورة التكوير مكيه.

عدد آياتها

تسع و عشرون آيه.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة إذا الشمس كورت أعاده الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته.

ابن عمر قال قال رسول الله ص من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت

و

روى أبو بكر قال قلت لرسول الله ص يا رسول الله أسرع إليك الشيب قال شيبتنى هود و الواقعه و المرسلات و عم يتساءلون و إذا الشمس كورت

فأما ما

روى عن أنس أنه سئل هل اختضب رسول الله ص فقال ما شأنه الشيب فقل أ و شين هو يا أبا حمزه فقال كلكم يكرهه

فالوجه فيه أنه يجوز أن يكون المراد بقوله شيبتنى أنه لو كان أمر يشيب منه إنسان لثبت من قراءه هذه السطور و

قد روى أن عليا (عليه السلام) لما غسل رسول الله ص وجد فى لحيته شعرات بيضا

و ما لا يظهر إلا بعد التفطيش لا يكون شيئا.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة عبس بذكر يوم القيامة و أهوالها افتتح هذه السوره أيضا بذكر علاماتها و أحوالها فقال:

ص: ٢٤٧

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (۱) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (۲) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (۳) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (۴)

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (۶) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (۷) وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (۸) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (۹)

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (۱۰) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (۱۱) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (۱۲) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (۱۳) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ (۱۴)

القراءه

قرأ ابن كثير و أهل البصره سجرت بالتخفيف و الباقون بالتشديد وقرأ أهل المدینه و ابن عامر و عاصم و يعقوب و سهل «نُشِرَتْ» بالتخفيف و الباقون بالتشديد وقرأ أهل المدینه و ابن عامر و رويس و عاصم غير يحيى و حماد «سُجِّرَتْ» بالتشديد و الباقون بالتخفيف وقرأ أبو جعفر قتلت بالتشديد و الباقون بالتخفيف و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) و إذا الموده سئلت بفتح الميم و الواو

و روى ذلك عن ابن عباس أيضا و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) و إذا الموءوده سئلت بأى ذنب قتلت

و هو قراءه ابن عباس و يحيى بن يعمر و مجاهد و أبى الضحى و جابر بن زيد.

الحجه

قال أبو على حجه سجرت قوله وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ و قيل فى البحر المسجور أنه الفارغ و المتلئى و منه الممتلئى قول الشاعر فى صفه وعل:

إذا شاء طالع مسجوره ترى حولها النبع و الساسما

و حجه تشديد نشرت قوله صِيْحْفًا مُنْشَرَّةً و حجه سعرت بالتخفيف قوله «وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا» فسعير فعيل بمعنى مفعول و هذا إنما يجىء من فعل و حجه من قال «سُجِّرَتْ» أن الفعل مسند إلى ضمير كثره من باب غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ و حجه «نُشِرَتْ» خفيفه قوله فى رَقٍّ مُنْشُورٍ و حجه «سُجِّرَتْ» مشدده كَلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا فهذا يدل على كثره و شىء بعد شىء فحقه التشديد و من قرأ و إذا الموءوده سألت بفتح السين جعل الموءوده موصوفه بالسؤال و بالقول «بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» و يمكن أن يكون الله

سبحانه أكملها في تلك الحال و أقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول و يعضده

ما روى عن النبي ص أنه قال يجي ء المقتول ظلما يوم القيامة و أوداجه تشخب دما اللون لون الدم و الريح ريح المسك متعلقا
بقاتله يقول يا رب سل هذا

ص: ٢٤٨

فيم قتلنى

و من قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل لأن المراد بالموءوده هنا الجنس فأرادته التكرار جائزه و أما من قرأ الموده بفتح الميم و الواو فالمراد بذلك الرحم و القرابه و أنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها و روى عن ابن عباس أنه قال هو من قتل فى مودتنا أهل البيت (عليه السلام) و

عن أبى جعفر (عليه السلام) قال يعنى قرابه رسول الله ص و من قتل فى جهاد

و

فى روايه أخرى قال هو من قتل فى مودتنا و ولايتنا.

اللغه

التكوير التليف على جهه الاستداره و منه كور العمامه كرت العمامه على رأسى أكورها كورا و كورتها تكويرا و طعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعا و نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة و الانكدار انقلاب الشىء حتى يصير أعلاه أسفله بما لو كان ماء لتكدر و أصله الانصباب قال العجاج

" أبصر خربان فضاء فانكدر "

و العشار جمع عشاء و هى الناقه التى قد أتى عليها عشره أشهر من حملها و الناقه إذا وضعت لتمام ففى سنه و أصل السجر الملاء قال لييد:

فتوسطا عرض السرى فصدعا مسجوره متجاورا قلامها

أى مملوءه و تنور مسجور مملوء بالنار و الموءوده من وأد يئد وأدا و كانت العرب تئد البنات خوف الإملاق قال

قتاده جاء قيس بن عاصم التميمى إلى النبى ص فقال إنى وأدت ثمانى بنات فى الجاهليه فقال فأعتق عن كل واحده رقبه قال إنى صاحب إبل قال فاهد إلى من شئت عن كل واحده بدنه

قال الجبائى إنما سميت موءوده لأنها ثقلت فى التراب الذى طرح عليها حتى ماتت و هذا خطأ لأن الموءوده من وأد يئد معتل الفاء و من الثقل آده يؤده أثقله و هو معتل العين و لو كانت مأخوذه منه لقليل موءوده على وزن موءوده و

روى عن النبى ص أنه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفى

قال الفرزدق:

و منا الذى منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم تواد

وقال:

ص: ٢٤٩

و منا الذى أحيا الوئيد و غالب و عمرو و منا حاجب و الأقارع

و الكشط القلع عن شدة التزاق و الكشط و القشط واحد و فى حرف عبد الله و إذا السماء قشطت و التسعير تهيج النار حتى تتأجج و منه السعر لأنه حال هيج الثمن بالارتفاع و الانحطاط.

الإعراب

ارتفعت الشمس بفعل مضمّر تقديره إذا كورت الشمس كورت و لا يجوز إظهاره لأن ما بعده يفسره و إنما احتيج إلى إضمار فعل لأن فى إذا معنى الشرط و الشرط يقتضى الفعل و جواب إذا قوله «عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ» فإذا فى موضع النصب لأنه ظرف لعلمت و على هذا يجرى أمثاله و الجملة التى هى الفعل المحذوف مع فاعله بعد إذا فى موضع جر بإضافه إذا إليها و التقدير وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملته و تجزى به و على هذا فهنا اثنا عشر ظرفا كلها إضافة إلى الجمل من قوله «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» إلى قوله «وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ» و العامل فيها كلها قوله «عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ».

المعنى

أخبر الله سبحانه عن قيامه و شدائدها فقال «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» أى ذهب ضوءها و نورها فأظلمت و اضمحلت عن ابن عباس و أبى و مجاهد و قتاده و قيل ألقيت و رمى بها عن أبى صالح و الربيع بن خثيم و قيل جمع ضوءها و لفت كما تلف العمامه عن الزجاج و المعنى أن الشمس تكور بأن يجمع نورها حتى تصير كالكاره الملقاء و يذهب ضوءها و يحدث الله تعالى للعباد ضياء غيرها «وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ» أى تساقطت و تناثرت عن مجاهد و قتاده و الربيع بن خثيم يقال انكدر الطائر من الهواء إذا انقض و قيل تغيرت من الكدوره عن الجبائى و الأول أولى لقوله «وَ إِذَا الْكُوكَبُ انْتَثَرَتْ» إلا أن تقول يذهب ضوءها ثم تتناثر «وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا و سرايا «وَ إِذَا الْعِشَارُ» و هى النوق الحوامل أتت عليها عشره أشهر و بعد الوضع تسمى عشارا أيضا و هى أنفس مال عند العرب «عُطِّلَتْ» أى تركت هملا بلا راع و قيل العشار السحاب تعطل فلا تمطر عن الجبائى و حكى ذلك عن أبى عمرو قال الأزهرى لا أعرف هذا فى اللغة «وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ» أى جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء و يحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل إليها ما تستحقه من الأعواض على الآلام التى نالتها فى الدنيا و ينتصف لبعضها من بعض فإذا وصل إليها ما استحقته من الأعواض فمن قال أن

العوض دائم تبقى منعمة إلى الأبد و من قال تستحق العوض منقطعاً فقال بعضهم يديمه الله لها تفضلاً لثلاث يدخل على المعوض غم بانقطاعه و قال بعضهم إذا فعل الله بها ما استحقته من الأعواض جعلها تراباً «وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» أى أرسل عذبتها على مالحتها و مالحتها على عذبتها حتى امتلأت و قيل إن المعنى فجر بعضها فى بعض فصارت البحور كلها بحراً واحداً و يرتفع البرزخ عن مجاهد و مقاتل و الضحاك و قيل سجرت أى أوقدت فصارت ناراً تضطرم عن ابن عباس و قيل يبست و ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطره عن الحسن و قتاده و قيل ملئت من القيح و الصيد الذى يسيل من أبدان أهل النار فى النار و أراد بحار جهنم لأن بحور الدنيا قد فئت عن الجبائى «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» أى قرن كل واحد منها إلى شكله و ضم إليه و النفس يعبر بها عن الإنسان و قد يعبر بها عن الروح فالمعنى قرن كل إنسان بشكله من أهل النار و بشكله من أهل الجنة عن عمر بن الخطاب و ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و قيل معناه ردت الأرواح إلى الأجساد فتصير أحياء عن عكرمه و الشعبى و أبى مسلم و قيل يقرب الغاوى بمن أغواه من إنسان أو شيطان عن الجبائى و قيل زوجت أى قرنت نفوس الصالحين من المؤمنين بالبحور العين و قرنت نفوس الكافرين بالشياطين عن عطاء و مقاتل «وَ إِذَا المَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ» يعنى الجارية المدفونه حياً و كانت المرأه إذا حان وقت ولادتها حفرت حفره و قعدت على رأسها فإن ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة و إن ولدت غلاماً حبسته عن ابن عباس قال شاعرهم:

سميتها إذ ولدت تموت و القبر صهر ضامن زميت

و معنى قوله «سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» أن الموءودة تسأل فيقال لها بأى ذنب قتلت و معنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب و يجرى هذا مجرى قوله سبحانه لعيسى (عليه السلام) «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيِ الْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» على سبيل التوبيخ لقومه و إقامة الحجة عليهم عن الفراء و قيل إن معنى سئلت طوبى قاتلها بالحجة فى قتلها و سئلت عن سبب قتلها فكأنه قيل و الموءودة يسأل قاتلها بأى ذنب قتلت هذه و نظيره قوله «إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُلاً» أى مسئولاً عنه عن أبى مسلم و على هذا فيكون القتل هنا هم المسئولين على الحقيقة لا المقتوله و إنما المقتوله مسئول عنها «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» يعنى صحف الأعمال التى كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير و شر تنشر ليقراها أصحابها و لتظهر الأعمال فيجازوا بحسبها «وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ» أى أزيلت عن موضعها كالجلد يزال عن

الجزور ثم يطويها الله و قيل معناه قلعت كما يقلع السقف عن الزجاج و قيل كشفت عمن فيها و معنى الكشط رفعك شيئاً عن شىء قد غطاه كما يكشف الجلد عن السنّام «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» أوقدت و أضرمت حتى ازدادت شدة على شدة و قيل سعرها غضب الله و خطايا بني آدم عن قتاده «وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ» أى قربت من أهلها للدخول و قيل قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سرورا و يزداد أهل النار حسرة «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ» أى إذا كانت هذه الأشياء التى تكون فى القيامة علمت فى ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضرا من عملها كما قالوا أحمدته وجدته محمودا و قيل علمت ما أحضرته من خير و شر و إحضار الأعمال مجاز لأنها لا تبقى و المعنى أنه لا يشذ عنها شىء فكان كلها حاضره و قيل أن المراد صحائف الأعمال.

[سوره التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ٢٩]

إشارة

فَلَا أُفْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُقُوفِ الْمُنِينِ (٢٣) وَ مَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)

وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا- ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَ مَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

القراءة

قرأ أهل البصرة غير سهل و ابن كثير و الكسائى بظنين بالطاء و الباقون «بِضْنِينٍ» بالضاد.

الحجّه

الظنين المتهم من قولهم ظننت أى اتهمت لا من ظننت المتعدى إلى

مفعولين إذ لو كانت منه لكان لا- بد من ذكر المفعول الثاني و في أنه لم يذكر المفعول الآخر دلالة على أنه من ظننت بمعنى اتهمت و كان النبي ص يعرف بالأمين و بذلك وصفه أبو طالب في قوله:

إن ابن آمنه الأمين محمدا عندي بمثل منازل الأولاد

و من قرأ «بَصْنِينٍ» فهو من البخل و المعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه و لا يكتمه كما يمتنع الكاهن من إعلام ذلك حتى يأخذ عليه حلوانا.

اللغة

الخنس جمع خانس و الكنس جمع كانس و أصلهما الستر و الشيطان خناس لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى أى يذهب و يستتر و كناس الطير و الوحش بيت يتخذه و يختفى فيه و الكواكب تكنس فى بروجها كالظباء تدخل فى كناسها و عسعس الليل إذا أقبل من أوله و أظلم و عسعس إذا أدبر و هو من الأضداد قال علقمه بن قرط:

حتى إذا الصبح لها تنفسا و إنجاب عنها ليلها و عسعسا

و العس طلب الشئ بالليل و منه أخذ العسس و يقال عسعس الليل و سعسع.

الإعراب

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» جواب القسم ثم وصف الرسول بأوصاف إلى قوله «أَمِينٍ» ثم قال «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» و هو معطوف على جواب القسم و كذلك ما بعده و قوله «فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ» اعتراض قال الفراء تقول العرب إلى أين تذهب و أين تذهب و تقولون ذهبت الشام و خرجت الشام و انطلقت السوق سمعناه فى هذه الأحرف الثلاثة و أنشد الفراء:

تصيح بنا حنيفه إذ رأتنا و أى الأرض تذهب للصياح

يريد إلى أى الأرض و لم يحك سيبويه من هذا إلا ذهبت الشام و على هذا جاء «فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ» و المعنى فإلى أين تذهبون و قوله «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» جواب القسم أيضا و قوله «وَمَا تَشَاؤُنَ» داخل فى جواب القسم أيضا و قوله «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ» بدل من قوله «لِلْعَالَمِينَ» بدل البعض من الكل فإذا السوره كلها مركبه من فعل و فاعل و من قسم و أجوبه.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بالقسم فقال «فَلَا أُقْسِمُ» أى فأقسم و لا زائده

و قد ذكرنا اختلاف العلماء فيه عند قوله «لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» «بِالْخُنُسِ» و هى النجوم تخنس بالنهار و تبدو بالليل و «الْجَوَارِ» صفة لها لأنها تجرى فى أفلاكها «الْكُنُسِ» من صفتها أيضا لأنها تكنس أى تتوارى فى بروجها كما تتوارى الظباء فى كناسها و

هى خمسة أنجم زحل و المشترى و المريخ و الزهره و عطارد عن على (عليه السلام)

و قيل معناه أنها تخنس بالنهار فتختفى و لا ترى و تكنس فى وقت غروبها فهذا خنوسها و كنوسها و قيل هى بقر الوحش عن ابن مسعود و قيل هى الظباء عن ابن جبير

«وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ» أى إذا أدبر بظلامه عن على (عليه السلام)

و ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل أقبل بظلامه عن الحسن و قيل أظلم عن الجبائى «وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» أى إذا أسفر و أضاء و المعنى امتد ضوءه حتى يصير نهارا «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» هذا جواب القسم أى أن القرآن قول رسول كريم على ربه و هو جبرائيل و هو كلام الله تعالى أنزله على لسانه أى سمعه محمد من جبرائيل و لم يقله من قبل نفسه عن الحسن و قتاده و قيل إنما أضافه إلى جبرائيل لأن الله تعالى قال لجبرائيل ائت محمدا ص و قل له كذا ثم وصف جبرائيل (عليه السلام) فقال «ذِي قُوَّةٍ» أى فيما كلف و أمر به من العلم و العمل و تبليغ الرساله و قيل ذى قدره فى نفسه و من قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها «عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» معناه متمكن عند الله صاحب العرش و خالقه رفيع المنزله عظيم القدر عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان و المكانه القرب «مُطَاعٍ ثَمَّ» أى فى السماء تطيعه ملائكه السماء قالوا و من طاعه الملائكه لجبرائيل أنه أمر خازن الجنة ليله المعراج حتى فتح لمحمد ص أبوابها فدخلها و رأى ما فيها و أمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها «أَمِينٍ» أى على و حى الله و رسالاته إلى أنبيائه و فى

الحديث أن رسول الله ص قال لجبرائيل (عليه السلام) ما أحسن ما أثنى عليك ربك «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» فما كانت قوتك و ما كانت أمانتك فقال أما قوتى فإنى بعثت إلى مداين لوط و هى أربع مداين فى كل مدينه أربعمائيه ألف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج و نباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن و أما أمانتى فإنى لم أؤمر بشىء فعدوته إلى غيره

ثم خاطب سبحانه جماعه الكفار فقال «وَ مَا صَاحِبُكُمْ» الذى يدعوكم إلى الله و إخلاص طاعته «بِمَجْنُونٍ» و المجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الأمور على ما هى عليه للآفه الغامره له و بغمور الآفه يتميز من النائم لأن النوم ليس بآفه و هذا أيضا من جواب القسم أقسم الله عز اسمه أن القرآن نزل به جبرائيل و أن محمدا ص ليس على ما يرميه به أهل مكه من الجنون «وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ» أى رأى محمدا ص جبرائيل (عليه السلام) على صورته التى خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس و هو

الأفق الأعلى من ناحيه المشرق عن قتاده و مجاهد و الحسن «و ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَعْنَيْنِ» أى ليس هو على وحى الله تعالى و ما يخبر به من الأخبار بمتهم فإن أحواله ناطقه بالصدق و الأمانه عن ابن عباس و سعيد بن جبير و إبراهيم و الضحاك و من قرأ بالضاد فالمعنى أنه ليس بيخيل فيما يؤدى عن الله أن يعلمه كما علمه الله «و ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» رجمه الله باللغنه عن الحسن و قيل رجم بالشهب طردا من السماء و المعنى و ليس القرآن بقول شيطان رجيم ألقاه إليه كما قال المشركون أن الشيطان يلقي إليه كما يلقي إلى الكهنة ثم بكتهم الله سبحانه فقال «فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ» أى فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقه التى قد بينت لكم عن الزجاج و قيل معناه فأين تعدلون عن هذا القرآن و هو الشفاء و الهدى «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» معناه ما القرآن إلا عظه و تذكره للخلق يمكنهم أن يتوصلوا به إلى الحق و الذكر هو ضد السهو و الذاكر لا يخلو من أن يكون عالما أو جاهلا أو مقلدا أو شاكا و لا يصح شىء من ذلك مع السهو الذى يصاد الذكر «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» على أمر الله و طاعته ذكر سبحانه أنه ذكر لجميع الخلق على العموم ثم خص المستقيم لأن المنفعه راجعه إليهم كما قال «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ «و ما تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» فيه أقوال (أحدها) أن معناه و ما تشاءون الاستقامه على الحق إلا- أن يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها و كلفكم بها فمشيئته بين يدي مشيئتكم عن الجبائى (و ثانيها) أنه خطاب للكفار و المراد لا- تشاءون الإسلام إلا- أن يشاء الله أن يجبركم عليه و يلجأكم إليه و لكنه لا- يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا اختيارا لتستحقوا الثواب و لا- يريد أن يحملكم عليه عن أبى مسلم (و ثالثها) إن المراد و ما تشاءون الإسلام إلا أن يشاء الله أن يلفظ لكم فى الاستقامه لما فى الكلام من معنى النعمه.

(٨٢) سورة انفطرت مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة الانفطار مكيه تسع عشره آيه.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبى ص و من قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنه و بعدد كل قطره مائه حسنه و أصلح الله شأنه يوم القيامه

و

روى الحسن بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ هاتين السورتين إذا السماء انفطرت و إذا السماء انشقت و جعلهما نصب عينه فى صلاه الفريضة و النافله لم يحجبه من الله حجاب و لم يحجزه من الله حاجز و لم يزل ينظر إلى الله و ينظر الله إليه حتى يفرغ من حساب الناس.

تفسيرها

لما كانت السوره المتقدمه فى ذكر أهوال يوم القيامه افتتح سبحانه هذه السوره بمثل ذلك ليتصل بها اتصال النظير بالنظير فقال:

ص: ٢٥٦

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ (٩)

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)

يَصِلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و أبو جعفر «فَعَدَلَكَ» خفيفه و الباقون بالتشديد و قرأ أبو جعفر بل يكذبون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ابن كثير و أهل البصره يوم لا تملك بالرفع و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراهه سعيد بن جبير ما أغرك بربك.

الحج

أما عدلك بالتشديد فمعناه عدل خلقك فأخرجك فى أحسن تقويم و أما «فَعَدَلَكَ» بالتخفيف فمعناه عدل بعضك ببعض فكنت معتدل الخلقه متناسبها فلا تفاوت فيها و قوله يكذبون بالياء يكون إخبارا عن الكفار و بالتاء على خطابهم و أما وجه الرفع فى قوله يوم لا تملك نفس أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو يوم لا تملك و المعنى يوم الدين يوم لا تملك نفس و أما النصب فإنه لما قال و ما أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ فجرى ذكر الدين و هو الجزاء قال «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ» يعنى الجزاء يوم لا تملك نفس فصار «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ» خبر الجزاء المضممر لأنه حدث و تكون أسماء الزمان أخبارا عن الحدث و يجوز النصب على وجه آخر و هو أن اليوم لما جرى فى أكثر الأمر ظرفا ترك على ما كان يكون عليه فى أكثر أمره و الدليل على ذلك ما اجتمع عليه القراء و العرب فى قوله تعالى «وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ» و مما يقوى النصب فى ذلك قوله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ» و قوله «يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» فالنصب فى «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ» مثل هذا و نحوه قال أبو الحسن و لو رفع ذلك كله كان جيدا إلا أنا نختار ما عليه الناس و أما من قرأ ما أغرك فيجوز أن يكون معناه ما الذى دعاك إلى الاغترار به و يجوز أن يكون تعجبا و قد قيل فى قوله «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» هذان الوجهان و أغرك يجوز أن يكون من الغر و الغرارة فيكون معناه ما أجهلك و ما أغفلك عما يراد بك و يجوز أن يكون من الغرور على غير القياس

كما قيل فى المثل أشغل من ذات النحيين.

اللغة

الانفطار و الانشقاق و الانصداع نظائر و الانتشار تساقط الشىء فى الجهات و التفجير خرق بعض مواضع الماء إلى بعض على التكثير و منه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب و منه الفجر لانفجاره بالضياء و بعثرت الحوض و بحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه و البعثره و البحثره إثارة الشىء بقلب باطنه إلى ظاهره و الغرور ظهور أمر يتوهم به جهلا الأمان من المحذور يقال غره غرورا و اغتره اغترارا قال الحرث بن حلز:

لم يغروكم غرورا و لكن رفع الآل جمعهم و الضحاء

. الإعراب

قوله «فى أَى صُورِهِ ما شاء» يجوز أن تكون ما مزيده مؤكده و المعنى فى أى صورته شاء ركبك إما طويلا و إما قصيرا و إما كذا و كذا يكون ركبك عطفًا على عدلك فحذف الواو و يجوز أن يكون ما فى معنى الشرط و الجزء فيكون المعنى فى أى صورته ما شاء أن يركبك فيها ركبك و لا يكون على هذا قوله «فى أَى صُورِهِ» من صله ركبك لأن سبويه قال إن تضرب زيدا أضرب عمرا و لا- يجوز تقديم عمرو على إن فوجب أن يكون قوله «فى أَى صُورِهِ» من صله مضمر و لا- يكون من صله عدلك لأنه استفهام فلا- يعمل فيه ما قبله. يصلونها فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون فى موضع رفع فيكون خبرا لأنه خبر بعد خبر و التقدير إن الفجار فى جحيم صالون.

المعنى

«إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» أى انشقت و تقطعت و مثله يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ الآيه «وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ» أى تساقطت و تهافتت قال ابن عباس سقطت سودا لا- ضوء لها «وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ» أى فتح بعضها فى بعض عذبها فى ملحها و ملحها فى عذبها فصارت بحرا واحدا عن قتاده و الجبائى و قيل معناه ذهب ماؤها عن الحسن «وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ» أى قلب ترابها و بعث الموتى الذين فيها و قيل معناه بحثت عن الموتى فاخرجوا منها

ص: ٢٥٨

يريد عند البعث عن ابن عباس و مقاتل «عَلِمْتُ نَفْسُ مَا قَدَّمْتُ وَ أَخَّرْتُ» و هذا كقوله سبحانه يُبَيِّنُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ و قد مر ذكره عن عبد الله بن مسعود قال ما قدمت من خير أو شر و ما أخرت من سنه حسنه استن بها بعده فله أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شىء أو سنه سيئه عمل بها بعده فعليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء و يؤيد هذا القول ما

جاء فى الحديث أن سائلا قام على عهد النبى ص فسأل فسكت القوم ثم أن رجلا أعطاه فأعطاه القوم فقال النبى ص من استن خيرا فاستن به فله أجره و مثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم و من استن شرا فاستن به فعليه وزره و مثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم قال فتلا حذيفه بن اليمان «عَلِمْتُ نَفْسُ مَا قَدَّمْتُ وَ أَخَّرْتُ»

«يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» أى شىء غرك بخالفك و خدعك و سول لك الباطل حتى عصيته و خالفته و

روى أن النبى ص لما تلا هذه الآية قال غره جهله

و اختلف فى معنى الكريم فقيل هو المنعم الذى كل أفعاله إحسان و إنعام لا يجربه نفعاً و لا يدفع به ضرراً و قيل هو الذى يعطى ما عليه و ما ليس عليه و لا يطلب ماله و قيل هو الذى يقبل اليسير و يعطى الكثير و قيل إن من كرمه سبحانه أنه لم يرض بالعفو عن السيئات حتى بدلها بالحسنات و قيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال «ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» ما ذا كنت تقول له قال أقول غرنى ستورك المرخاه و قال يحيى بن معاذ لو أقامنى الله بين يديه فقال ما غرك بى قلت غرنى بك برك بى سالفاً و أنفاً و عن بعضهم قال غرنى حلمك و عن أبى بكر الوراق غرنى كرم الكريم و إنما قال سبحانه «الْكَرِيمِ» دون سائر أسمائه و صفاته لأنه كأنه لفته الإجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم و قال عبد الله بن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ما ذا عملت فيما عملت يا ابن آدم ما ذا أجت المرسلين و

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) كم مغرور بالستر عليه و مستدرج بالإحسان إليه

«الَّذِي خَلَقَكَ» من نطفه و لم تك شيئا «فَسَوَّاكَ» إنسانا تسمع و تبصر «فَعَدَّلَكَ» أى جعلك معتدلاً و قيل معناه عدل خلقك فى العينين و الأذنين و اليدين و الرجلين عن مقاتل و المعنى عدل بين ما خلق لك من الأعضاء التى فى الإنسان منها اثنان لا تفضل يد على يد و لا رجل على رجل «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» أى فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم عن مجاهد و

روى عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبى ص أنه قال لرجل ما ولد لك قال يا رسول الله و ما عسى أن يولد لى إما غلام و إما جارية قال فمن يشبهه قال يشبه أمه و أباه فقال ص لا تقل هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله كل نسب بينها و بين آدم أما قرأت هذه الآية «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» أى فيما بينك و بين آدم.

و قيل فى أى صورة ما

شاء من صور الخلق ركبك إن شاء فى صوره إنسان و إن شاء فى صوره حمار و إن شاء فى صوره قرد عن عكرمه و أبى صالح و

قال الصادق (عليه السلام) لو شاء ركبك على غير هذه الصورة

و المعنى أنه سبحانه يقدر على جعلك كيف شاء و لكنه خلقك فى أحسن تقويم حتى صرت على صورتك التى أنت عليها لا يشبهك شىء من الحيوان و قيل فى أى صورته شاء من ذكر أو أنثى أو جسيم أو نحيف حسن أو دميم طويل أو قصير «كلاً» أى ليس الأمر كما تزعمون أنه لا- بعث و لا- حساب و ليس هنا موضع الإنكار للبعث مع وضوح الأمر فيه و قيام الدلالة عليه «بَلْ تُكذِّبُونَ» معاشر الكفار «بِالدِّينِ» الذى هو الجزاء لإنكاركم للبعث و النشور عن مجاهد و قتاده و قيل تكذبون بالدين الذى جاء به محمد ص و هو الإسلام عن الجبائى «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ» من الملائكة يحفظون عليكم ما تعلمونه من الطاعات و المعاصى ثم وصف الحفظه فقال «كِرَامًا» على ربهم «كَاتِبِينَ» يكتبون أعمال بنى آدم «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» من خير و شر فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شىء و قيل إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار و إما باستدلال و قيل معناه يعلمون ما تفعلون من الله دون الباطن و فى هذا دلالة على أن أفعال العبد حادثه من جهتهم و أنهم المحدثون لها دونه تعالى و إلا فلا يصح قوله «تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» و هو الجنة و الأبرار أولياء الله المطيعون فى الدنيا «وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» و هو العظيم من النار و المراد بالفجار هنا الكفار المكذبون للنبي ص لقوله «يَصِيلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ» أى يلزمونها بكونهم فيها «وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ» أى لا يكونون غائبين عنها بل يكونون مؤبدين فيها و قد دل الدليل على أن أهل الكبيره من المسلمين لا يخلدون فى النار و لأنه سبحانه قد ذكر المكذبين بالدين فيما قبل هذه الآيه فالأولى أن تكون لفظه الفجار مخصوصه بهم و أيضا فإذا احتمل الكلام ذلك بطل تعلق أهل الوعيد بعموم اللفظ ثم عظم سبحانه يوم القيامة فقال «وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» تعظيما له لشدته و تنبيها على عظم حاله و كثره أهواله «ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» كرره تأكيدا لذلك و قيل أراد ما أدراك ما فى يوم الدين من النعيم لأهل الجنة و ما أدراك ما فى يوم الدين من العذاب لأهل النار عن الجبائى «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» أى لا يملك أحد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس فى دار الدنيا ذلك «وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» وحده أى الحكم له فى الجزاء و الثواب و العفو و الانتقام و

روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال إن الأمر يومئذ و اليوم كله لله يا جابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكام فلم يبق حاكم إلا الله

و قيل معناه يوم لا تملك نفس لنفس كافر شيئا من المنفعة عن مقاتل و المعنى الصحيح فى الآيه أن الله

سبحانه قد ملك في الدنيا كثيرا من الناس أمورا و أحكاما و في القيامة لا أمر لسواه و لا حكم و متى قيل فيجب أن لا يصح على هذا شفاعه النبي ص فالجواب أن ذلك لا يكون إلا بأمره تعالى و بإذنه و هو من تدابيره.

ص: ٢٤١

(٨٣) سورة المطففين مكيه و آياتها ست و ثلاثون (٣٦)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة التطفيف مكيه و قال المعدل مدنيه عن الحسن و الضحاک و عكرمه قال و قال ابن عباس و قتاده إلا ثمانى آيات منها و هى «إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا» إلى آخر السوره.

عدد آياتها

ست و ثلاثون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبى ص و من قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

و

روى صفوان الجمال عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كانت قراءته فى الفريضة ويل للمطففين أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار و لا تراه و لا يراها و لا يمر على جسر جهنم و لا يحاسب يوم القيامة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر القيامة و ما أعد فيها للأبرار و الفجار و بين فى هذه السوره أيضا ذكر أحوال الناس فى القيامة فقال:

ص: ٢٦٢

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)

القرءاء

قرأ أهل الكوفه غير عاصم إلا يحيى ران بكسر الراء و الباقون بفتحها.

اللغه

التطيف نقص المكيال و الميزان و الطفيف الشىء النزر القليل مأخوذ من طف الشىء و هو جانبه و

فى الحديث كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤوه فليس لأحد فضل إلا بالتقوى

و طف الصاع قريب من ملئه أى بعضكم قريب من بعض و إناء طفان إذا لم يكن ملآن و الاكتيال الأخذ بالكيل و نظيره الاتزان و هو الأخذ بالوزن و «إذا كألوهم أو وزنوهم» كان عيسى بن عمر يجعل "هم" فصلا فى موضع رفع أو تأكيدا للضمير فى كالوا أو وزنوا و الباقون يجعلونها ضمير المنصوب و هو الصحيح و أهل الحجاز يقولون وزنتك حقك و كلتك طعامك و عليه جاء التنزيل و غيرهم يقول وزنت لك و كلت لك و يقال أخسرت الميزان و خسرت أى نقصت فى الوزن و السجين فعيل من السجن قال ابن مقبل

" ضربا توأسى به الأبطال سجيناً "

أى شديدا و قيل السجين هو السجن على التخليد فيه لأن هذا الوزن للمبالغه قالوا شريب و سكير و شرير و الرقم طبع الخط بما فيه علامه الأمر يقال رقمت الثوب أرقمه رقما و الرين أصله الغلبه ران على قلبه أى غلب عليه و الخمر ترين على قلب السكران و الموت يرين على الميت فيذب به و فى حديث عمر بن الخطاب أنه قال فى أسيف جيهينه لما ركبه الدين أذان معرضا فأصبح قد

رين به أى أحاط الدين بماله حتى غلبه.

ص: ٢٦٣

«يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ» منصوب بقوله «مَبْعُوثُونَ» أى الأ- يظنون أنهم مبعوثون يوم القيامة و قيل فى أصل كلا قولان (أحدهما) أنها كلمه واحده من غير تركيب وضعت للردع و الزجر و جرت مجرى الأ-صوات نحو صه و مه و نحوهما (و الثانى) أن يكون الكاف للتشبيه دخلت على لا و شددت للمبالغه فى الزجر مع الإيدان بتركيب اللفظ.

النزول

قيل لما قدم رسول الله ص المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز و جل «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» فأحسنوا الكيل بعد ذلك عن عكرمه عن ابن عباس و قيل إنه ص قدم المدينة و بها رجل يقال له أبو جهينه و معه صاعان يكيل بأحدهما و يكتال بالآخر فنزلت الآيات عن السدى.

المعنى

«وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» و هم الذين ينقصون المكيال و الميزان و يبخسون الناس حقوقهم فى الكيل و الوزن قال الزجاج و إنما قيل له مطفف لأنه لا يكاد يسرق فى المكيال و الميزان إلا الشىء اليسير الطفيف ثم فسر المطففين فقال «الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ» أى إذا كالأوا ما على الناس ليأخذوه لأنفسهم «يَشِيتُوفُونَ» عليهم الكيل و لم يذكر اتزنوا لأن الكيل و الوزن بهما الشراء و البيع فأحدهما يدل على الآخر «وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ» أى كالأوا لهم أو وزنوا لهم «يُخْسِرُونَ» أى ينقصون و المعنى أنهم إذا كالأوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا تقول كلتك و كلت لك كما تقول نصحتك و نصحت لك و يروى عن ابن مسعود أنه قال الصلاه مكيال فمن وفى وفى الله له و من طفف قد سمعتم ما قال الله فى المطففين ثم عجب الله خلقه من غفله هؤلاء حيث فارقوا أمر الله و طريقه العدل فقال «أَلَا يَظُنُّ» أى أ لا يعلم «أَوْلَيْكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ» و هو يوم القيامة يريد أ لا يستيقن من فعل هذا أنه مبعوث محاسب عن ابن عباس ثم أخبر عن ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» و المعنى يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر رب العالمين و لجزائه أو حسابه و

جاء فى الحديث أنهم يقومون فى رشحهم إلى إنصاف آذانهم

و

فى حديث آخر يقومون حتى يبلغ الرشح إلى أطراف آذانهم

و يحتمل أن يكون المراد أيضا أ لا يحسب أولئك لأن من ظن الجزاء و البعث و قوى ذلك فى نفسه و إن لم يكن عالما به فإنه يجب عليه أن يتحرز خوفا من العقاب الذى يجوزه و يظنه كما أن من ظن العطب فى سلوكه طريق فواجب عليه أن يتجنب سلوكه و

فى الحديث عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ص يقول إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل أو ميلين قال سليم فلا أدرى أ مسافه الأرض أم الميل الذى تكحل به العين ثم قال صهرتهم

الشمس فيكونون في

ص: ٢٦٤

العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه إلى عقبه و منهم من يلجمه إلجاما قال فرأيت رسول الله ص يشير بيده إلى فيه قال يلجمه إلجاما أورده مسلم فى الصحيح

و روى أن ابن عمر قرأ «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ» حتى بلغ «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» فبكى حتى خر و امتنع من القراءة «كَلَّا» هو ردع و زجر أى ارتدعوا و انزجروا عن المعاصى فليس الأمر على ما أنتم عليه تم الكلام هاهنا و عند أبى حاتم و سهل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ» يعنى كتابهم الذى فيه ثبت أعمالهم من الفجور و المعاصى عن الحسن و قيل معناه أنه كتب فى كتابهم أنهم يكونون فى سجين و هى فى الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و

عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ص سجين أسفل سبع أرضين

و قال شمر بن عطيه جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال أخبرنى عن قول الله تعالى «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ» قال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين و هو موضع جند إبليس و المعنى فى الآية أن كتاب عملهم يوضع هناك و قيل

إن سجين جب فى جهنم مفتوح و الفلق جب فى جهنم مغطى رواه أبو هريره عن النبى ص

و قيل السجين اسم لكتابهم و هو ظاهر التلاوه أى ما كتبه الله على الكفار بمعنى أوجه عليهم من الجزاء فى هذا الكتاب المسمى سجيئا و يكون لفظه من السجن الذى هو الشده عن أبى مسلم و الذى يدل على أن العرب ما كانت تعرفه و هو قوله «وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينٌ» أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت و لا قومك عن الزجاج ثم قال مفسرا لذلك «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» أى كتاب معلوم كتب فيه ما يسوءهم و يسخن أعينهم و قيل مرقوم معناه رقم لهم بشر كأنه أعلم بعلامه يعرف بها الكافر و الوجه الصحيح أن قوله «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» ليس تفسيراً لسجين لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم فى شىء و إنما هو تفسير للكتاب المذكور فى قوله «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ» على تقدير و هو كتاب مرقوم أى مكتوب قد تبينت حروفه «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» و هذا تهديد لمن كذب بالجزاء و البعث و لم يصدق و ذكر صاحب النظم أن هذا منتظم بقوله «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ» و أن قوله «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ» و ما اتصل به اعتراض بينهما ثم فسر سبحانه المكذبين فقال «الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ» أى يوم الجزاء فإن من كذب بالباطل لا يتوجه إليه الوعيد بل هو ممدوح ثم قال «وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ» أى لا يكذب بيوم الجزاء «إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ» أى متجاوز للحق إلى الباطل «أَثِيمٌ» كثير الإثم مبالغ فى ارتكابه ثم وصف المعتدى الأثيم بقوله «إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا» و هى القرآن «قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أباطيل الأولين و التقدير قال هذا أساطير الأولين أى ما سطره الأولون و كتبه مما لا أصل له «كَلَّا» لا

يؤمنون وقيل ليس الأمر على ما قالوه ثم استأنف فقال «بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى غلب عليها «ما كانوا يَكْسِبُونَ» والمعنى غلب ذنوبهم على قلوبهم وقيل إن معنى الرين هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب عن الحسن و قتاده وقال الفراء كثرت المعاصى منهم و الذنوب و أحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها و عن عبد الله بن مسعود قال إن الرجل ليذنب الذنب فتنتك على قلبه نكته سوداء ثم يذنب الذنب فتنتك نكته أخرى حتى يصير قلبه على لون الشاه السوداء و

روى العياشى بإسناده عن زراره عن أبى جعفر (عليه السلام) قال ما من عبد مؤمن إلا و فى قلبه نكته بيضاء فإذا أذنب ذنبا خرج فى تلك النكته سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد و إن تمادى فى الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطى البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا و هو قول الله تعالى «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» الآية

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) يصدأ القلب فإذا ذكرته بآلاء الله انجلى عنه

و قال أبو مسلم أن اعتيادهم الكفر و ألفتهم له و غفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعقلون ما ينفعهم لأن ترك النظر فى العواقب و كثرة المعاصى و الانهماك فى الفسق يقوى الدواعى فى الإعراض عن التوبه و الإيلاع بالذنوب فصار ذلك كالعالم على القلوب الرائن عليها و قال أبو القاسم البلخى و فى الآية دلالة على صحه ما يقوله أهل العدل فى تفسير الطبع على القلوب و الختم عليها و الإضلال لأنه تعالى أخبر أن أعمالهم السيئه و ما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم «كَلَّا» يريد لا يصدقون عن ابن عباس ثم استأنف «إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» يعنى أن هؤلاء الذين وصفهم بالكفر و الفجور محجوبون يوم القيامة عن رحمه ربهم و إحسانه و كرامته عن الحسن و قتاده و قيل ممنوعون من رحمته مدفوعون عن ثوابه غير مقبولين و لا مرضيين عن أبى مسلم و قيل

محرومون عن ثوابه و كرامته عن على (عليه السلام)

«ثُمَّ إِنَّهُمْ» بعد أن منعوا من الثواب و الكرامه «لَصَالُوا الْجَحِيمِ» أى لآلزموا الجحيم بكونهم فيها لا- يغيبون عنها و قال أبو مسلم لصائرون صلاها أى وقودها «ثُمَّ يُقَالُ» لهم توبيخا و تبيكتا «هَذَا الَّذِي» فعل بكم من العذاب و العقاب «الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» فى دار التكليف و يسمى مثل هذا الخطاب تقريرا لأنه خبر بما يقرع بشده الغم على وجه الدم.

اشاره

كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيٍّ (۱۸) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ (۱۹) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (۲۰) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (۲۱) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (۲۲)

عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (۲۳) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (۲۴) يُسَبِّحُونَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ (۲۵) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (۲۶) وَ مِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (۲۷)

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (۲۸) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (۲۹) وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (۳۰) وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (۳۱) وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (۳۲)

وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (۳۳) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (۳۴) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (۳۵) هَلْ تُؤْتَبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (۳۶)

القراءة

قرأ أبو جعفر و يعقوب تعرف بضم التاء و فتح الراء نضره بالرفع و الباقون «تَعْرِفُ» بفتح التاء و كسر الراء «نَضْرَةَ» بالنصب و قرأ الكسائي وحده

خاتمه و هي قراءة علي (عليه السلام)

و علقمه و الباقون «خِتَامُهُ» و قرأ أبو جعفر و حفص «فَكِهِينَ» بغير ألف و الباقون فاكهين و قرأ حمزه و الكسائي هثوب الكفار بإدغام اللام في التاء و قد روى نحوه عن أبي عمرو و الباقون بالإظهار.

الحج

«تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ» على الخطاب و المعنى في القراءتين سواء و قال أبو عبيده ختامه أى عاقبته قال ابن مقبل:

مما يفتق في الحانوت باطنها بالفلفل الجون و الرمان مختوم

قال أبو علي «خِتَامُهُ مِسْكٌ» و المراد به لذاذه المقطع و ذكاء الرائحة و أرجها مع طيب

الطعم و هذا كقوله كَانَ مِزَاجُهَا كَأُفُورًا و كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجِيًّا أَي يَحْذَى اللِّسَانَ و أَمَا قَوْلُ الكَسَائِي خَاتِمَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ آخِرُهُ كَمَا كَانَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ مَعْنَاهُ آخِرُهُمْ فَالْخِتَامُ الْمَصْدَرُ و الْخَاتِمُ اسْمُ الْفَاعِلِ كَالطَّابِعِ و التَّابِلِ و الْعَرَبُ تَقُولُ خَاتِمَ بِالْفَتْحِ و خَاتِمَ و خِتَامَ و خِتَامُ قَالَ سِيبَوِيهِ أَدْغَمَ أَبُو عَمْرٍو هُتُوبَ الْكِفَارِ و إِدْغَامُهَا فِيهَا حَسَنٌ و إِنْ كَانَ دُونَ إِدْغَامِ اللَّامِ فِي الرَّاءِ فِي الْحَسَنِ لِتَقَارُبِهِمَا و جَازَ إِدْغَامُهَا فِيهَا لِأَنَّهُ قَدْ أَدْغَمَ فِي الشِّينِ فِيمَا قَدْ أَنْشَدَهُ مِنْ قَوْلِهِ

هشئ بكفيك لائق

يريد هل شئ ء.

اللغة

عليون علو على علو مضاعف و لهذا جمع بالواو و النون تفخيما لشأنه و تشبيها بما يعقل في عظم الشأن و هي مراتب عاليه محفوفه بالجلاله قال الشاعر:

فأصبحت المذاهب قد أذاعت به الأعصار بعد الوايلينا

يريد قطرا بعد قطر غير محدود العدد و كذلك تفخيم شأن العدد الذي ليس على الواحد نحو ثلاثون و أربعون إلى التسعين و جرت العشرون عليه و قال الزجاج عليون اسم لأعلى الأمكنة و إعرابه كأعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع كما تقول هذا قنسرون و رأيت قنسرين و الأرائك الأسره في الحجال و الرحيق الشراب الذي لا غش فيه قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم بردى تصفق بالرحيق السلسل

قال الخليل هي أفضل الخمر و أجودها و التنافس تمنى كل واحد من النفسين مثل الشئ ء النفس الذي للنفس الأخرى أن يكون له تنافسوا في الشئ ء تنافسا و نافسه فيه منافسه و نفس عليه بالشئ ء ينفس نفاسه إذا ضن به لجلاله قدره عنده و ذلك الشئ ء الذي ينفس به نفيس و المزج خلط مائع بمائع على خلاف صفته كمزج الشراب بالماء و التسنيم عين ماء يجري من علو إلى أسفل يتسنم عليهم من الغرف و اشتقاقه من السنام و سنمت العين تسنيمًا إذا أجريتها عليهم من فوقهم و التغامز إشاره بعضهم إلى بعض بالأعين استهزاء و طلبا للعب يقال غمز بجفنه إذا أشار و الفاكهون اللاهون و الفكهون المرحون الأشرون و الفكاهه المزاح و أصل الثواب من الرجوع كأنه يرجع على العامل بعمله و ثاب عليه عقله إذا رجع.

الإعراب

«عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» يجوز أن تكون منصوبه مفعوله لتسنيم أي مزاجه من ماء متسنم عينا كقوله تعالى «أَوْ إِطْعَامٌ يَتِيمًا» و يجوز أن تكون منصوبه على تقدير

و يسقون من عين و يجوز أن تكون منصوبه على الحال و يكون تسنيم معرفه و عينا نكره.

المعنى

لما تقدم ذكر حال الفجار عقبه سبحانه بذكر حال الأبرار فقال «كَلَّا» أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه فعلى هذا يتصل بما قبله و قيل معناه حقا و يتصل بما بعده «إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ» أى المطيعين لله «لَفِي عِلِّيِّينَ» أى مراتب عاليه محفوفه بالجلاله و قيل فى السماء السابعة و فيها أرواح المؤمنين عن قتاده و مجاهد و الضحاك و كعب و قيل فى صدره المنتهى و هى التى ينتهى إليها كل شىء من أمر الله تعالى عن الضحاك فى روايه أخرى و قيل العليون الجنه عن ابن عباس قال الفراء فى ارتفاع بعد ارتفاع لا غايه له و قيل هو لوح من زبرجده خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبه فيها عن ابن عباس فى روايه أخرى و

عن البراء بن عازب عن النبى ص قال فى عليين فى السماء السابعة تحت العرش

«وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ» و هذا تعظيم لشأن هذه المنزله و تفخيم لأمرها و تنبيه على أن تفصيل تفضيله لا- يمكن العلم به إلا بالمشاهده ثم قال «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» أى هو كتاب مكتوب فيه جميع طاعاتهم و ما تقر به أعينهم و يوجب سرورهم بصد الكتاب الذى للفجار لأن فيه ما يسوؤهم و ينوؤهم و يسخن عيونهم قال مقاتل مرقوم مكتوب لهم بالخيرات فى ساق العرش و يدل عليه قوله «يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» يعنى الملائكه الذين هم فى عليين يشهدون و يحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين و المقربون هم الذين قربوا إلى كرامه الله فى أجل المراتب و قال عبد الله بن عمر أن أهل عليين لينظرون إلى أهل الجنه من كذا فإذا أشرف رجل منهم أشرفت الجنه و قالوا قد اطلع علينا رجل من أهل عليين «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» أى يحصلون فى ملاذ و أنواع من النعمه فى الجنه «عَلَى الْأَرَائِكِ» قال الحسن ما كنا نعرف ما الأرائك حتى قدم إلينا رجل من أهل اليمن فزعم أن الأريكه عندهم الحجله إذا كان فيها سرير «يَنْظُرُونَ» إلى ما أعطوا من النعيم و الكرامه و قيل ينظرون إلى عدوهم حين يعذبون عن مقاتل «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ» أى إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمه بما ترى فى وجوههم من النور و الحسن و البياض و البهجه قال عطاء و ذلك أن الله تعالى قد زاد فى جمالهم و ألوانهم ما لا يصفه و اصف «يُسَيِّقُونَ مِنْ رَحِيقٍ» أى خمر صافيه خالصه من كل غش «مَخْتُومٌ» و هو الذى له ختام أى عاقبه و قيل مختوم فى الآنيه بالمسك و هو غير الخمر التى تجرى فى الأنهار و قيل مختوم أى ممنوع من أن تمسه يد حتى يفك ختمه للأبرار ثم فسر المختوم بقوله «خِتَامُهُ مِسْكٌ» أى آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك عن ابن عباس و الحسن و قتاده.

و قيل ختم

ص: ٢٦٩

إنَّاهُ بِالْمَسْكَ بَدَلًا مِنَ الطَّيْنِ الَّذِي يَخْتَمُّ بِهِ الشَّرَابُ فِي الدُّنْيَا عَنْ مَجَاهِدٍ وَابْنِ زَيْدٍ قَالَ مَجَاهِدٌ طِينُهُ مَسْكٌ وَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ هُوَ شَرَابٌ أبيضٌ مِثْلُ الفِضَّةِ يَخْتَمُونَ بِهِ شَرَابَهُمْ وَ لو أَنَّ رَجُلًا مِنَ أَهْلِ الدُّنْيَا أَدْخَلَ إِصْبَعَهُ فِيهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ لَمْ يَبْقَ ذُو رُوحٍ إِلَّا وَ نَالَ طَيْبَهَا ثُمَّ رَغِبَ فِيهَا فَقَالَ «وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ» أَي فليَرْغَبِ الرَّاعِبُونَ بِالمَبَادِرَةِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ وَ قِيلَ فَلْيَتَنَازَعِ الْمُتَنَازِعُونَ عَنْ مَقَاتِلٍ وَ قِيلَ لِيَتَشَاحِ الْمُتَشَاحُونَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ وَ

فِي الْحَدِيثِ مِنْ صَامَ لِلَّهِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ سَقَاهُ اللَّهُ عَلَى الظَّمِّ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُخْتَوِّمِ

وَ

فِي وَصِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مَنْ تَرَكَ الخَمْرَ لِلَّهِ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُخْتَوِّمِ

«وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَشْنِيمٍ» أَي وَ مِزَاجُ ذَلِكَ الشَّرَابِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ وَ هُوَ مَا يَمِزُجُ بِهِ مِنَ التَّسْنِيمِ وَ هُوَ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ وَ هُوَ أَشْرَفُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ قَالَ مَسْرُوقٌ يَشْرِبُهَا الْمُقْرَبُونَ صَرَفًا وَ يَمِزُجُ بِهَا كَأْسَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَيَطِيبُ وَ رَوَى مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَأَلَ عَنْ تَسْنِيمٍ فَقَالَ هَذَا مِمَّا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وَ نَحْوُ هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ خَفَايَا أَخْفَاهَا اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَ قِيلَ هُوَ شَرَابٌ يَنْصَبُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَلْوِ انْصِبَابًا عَنْ مَقَاتِلٍ وَ قِيلَ هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي فِي الْهَوَاءِ فَيَنْصَبُ فِي أَوَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ عَنْ قَتَادَةَ ثُمَّ فَسَّرَهُ سَبْحَانَهُ فَقَالَ «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ» أَي هِيَ خَالِصَةٌ لِلْمُقْرَبِينَ يَشْرَبُونَهَا صَرَفًا وَ يَمِزُجُ لِسَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» يَعْنِي كَفَّارَ قَرِيشٍ وَ مَتْرَفِيهِمْ كَأَبِي جَهْلٍ وَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَ أَصْحَابَهُمْ «كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ عِمَارٍ وَ خُبَابٍ وَ بِلَالٍ وَ غَيْرِهِمْ «يَضْحَكُونَ» عَلَى وَجْهِ السَّخْرِيَّةِ بِهِمْ وَ الِاسْتِهْزَاءِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ضَحْكُوا مِنْ جَدِّهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ وَ كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَ صِيَامِهِمْ لِانْكَارِهِمُ الْجَزَاءَ وَ الْبَعْثَ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَانُوا ضَحْكُهُمْ انْكَارًا وَ تَعْجَبًا مِنْ قَوْلِهِمْ بِالْإِعَادَةِ وَ إِحْيَاءِ الْعِظَامِ الرَّمِيمَةِ وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَغْلُوهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَ جَهْلِهِمْ وَ لِإِيْهَامِ الْعَوَامِ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ وَ إِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى بَاطِلٍ فَكَانُوا يَضْحَكُونَ «وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ» يَعْنِي وَ إِذَا مَرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ «يَتَغَامَرُونَ» بِأَنْ يَشِيرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالْأَعْيُنِ وَ الْحَوَاجِبِ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ أَي يَقُولُ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ وَ إِنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَلِهِ وَسَلَّمَ وَ أَنَّهُ رَسُولٌ وَ إِنَّا نَبِئُكَ وَ نَحْوُ ذَلِكَ وَ قِيلَ نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَخَّرَ مِنْهُمْ الْمُنَافِقِينَ وَ ضَحِكُوا وَ تَغَامَرُوا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ فَقَالُوا رَأَيْنَا الْيَوْمَ الْأَصْلَعَ فَضَحِكْنَا مِنْهُ فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ أَصْحَابِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ مَقَاتِلٍ وَ الْكَلْبِيِّ وَ ذَكَرَ الْحَاكِمُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَكَانِيُّ فِي كِتَابِ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ لِقَوَاعِدِ التَّفْضِيلِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ

عن ابن عباس قال «إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا» منافقوا قريش و «الَّذِينَ آمَنُوا» على بن أبي طالب (عليه السلام) و أصحابه «وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ» يعنى و إذا رجع هؤلاء الكفار إلى أهلهم رجعوا معجبين بما هم فيه يتفكحون بذكرهم «وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ» عن طريق الحق و الصواب تركوا التمتع رجاء ثواب لا حقيقه لهم خدعهم به محمد ص ثم قال سبحانه «وَ مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ» أى و لم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين ما هم عليه و ما كلفوا حفظ أعمالهم فكيف يطغون عليهم و لو اشتغلوا بما كلفوه كان ذلك أولى بهم و قيل معناه و ما أرسلوا عليهم شاهدين لأن شهادة الكفار لا تقبل على المؤمنين أى ليسوا شهداء عليهم بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيامة عن أبى مسلم «فَالْيَوْمَ» يعنى يوم القيامة الذى يجازى الله كل أحد على عمله «الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا و ذلك أنه يفتح للكفار باب إلى الجنة و يقال لهم أخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك منهم المؤمنون عن أبى صالح و قيل يضحكون من الكفار إذا رأوهم فى العذاب و أنفسهم فى النعيم و قيل أن الوجه فى ضحك أهل الجنة من أهل النار أنهم لما كانوا أعداء الله و أعداء لهم جعل الله سبحانه لهم سرورا فى تعذيبهم و لو كان العفو قد وقع عليهم لم يجز أن يجعل السرور فى ذلك لأنه مضمن بالعداوة و قد زالت بالعفو «عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ» يعنى المؤمنون ينظرون إلى عذاب أعدائهم الكفار على سرر فى الحجال ثم قال سبحانه «هَلْ تُؤْتَبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» أى هل جوزى الكفار إذا فعل بهم هذا الذى ذكره على ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين فى الدنيا و هو استفهام يراد به التقرير و ثوب بمعنى أتيب و قيل معناه يتصل بما قبله و يكون التقدير إن الذين آمنوا ينظرون هل جوزى الكفار بأعمالهم و يكون الجملة متعلقة بينظرون و على القول الأول يكون استئناف كلام لا- موضع له من الإعراب و إنما قال «هَلْ تُؤْتَبُ الْكُفَّارُ» فاستعمل لفظ الثواب فى العقوبة لأن الثواب فى أصل اللغة الجزاء الذى يرجع إلى العامل بعمله و إن كان فى العرف اختص الجزاء بالنعيم على الأعمال الصالحة فاستعمل هنا على أصله و قيل لأنه جاء فى مقابلة ما فعل بالمؤمنين أى هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون و هذا القول يكون من قبل الله تعالى أو تقوله الملائكة للمؤمنين تنبيها لهم على أن الكفار جوزوا على كفرهم و استهزائهم بالمؤمنين ما استحقوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سرورا إلى سرورهم و يحتمل أن يكون ذلك يقوله المؤمنون بعضهم لبعض سرورا بما ينزل بالكفار و كل هذه الوجوه إنما تتجه على القول الأول إذا كانت الجملة كلاما مستأنفا لا تعلق له بما قبله.

(٨٤) سورة انشقت مكيه و آياتها خمس و عشرون (٢٥)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة الانشقاق مكيه.

عدد آياتها

ثلاث و عشرون آيه بصرى شامى و خمس فى الباقين.

اختلافها

آيتان «كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ» «وَرَاءَ ظَهْرِهِ» كلاهما حجازى كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة انشقت أعاده الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر أحوال القيامة و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

ص: ٢٧٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَ أذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُحَّتْ (٢) وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ (٤)

وَ أذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُحَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَمَا مَأْمِنُ أُوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)

وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَ يَصِلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤)

بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلَا أُقْسِمُ بِالْشَّفَقِ (١٦) وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ (١٧) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقِ (١٩)

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمِعُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٢) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

القرءاءة

قرأ أبو جعفر و أهل العراق غير الكسائي «يَصِلَى» بالتخفيف بفتح الياء و الباقون يوصلون بضم الياء و التشديد و قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير عاصم لتركن بفتح الباء و الباقون بضم الباء.

الحجج

قال أبو علي حجه يوصل مشدده اللام ثُمَّ الْجَحِيمِ صِيْلُوهُ وَ حجه «يَصِلَى» وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا اضْلَوْهَا الْيَوْمَ وَ هذا كثير في التنزيل و حجه «لَتَرْكَبُنَّ» قول ابن عباس لتركن السماء حالا بعد حال مره كالمهل و مره كالدهان و ابن مسعود لتركن يا محمد طبقا عن طبق و مجاهد لتركن أمرا بعد أمر و الحسن أى حالا عن حال و منزلا عن منزل أبو عبيده لتركن سنه من كان قبلكم أبو علي من فتح الباء أراد النبي ص و من ضم الباء أراد النبي ص و غيره و الضم يأتي على معنى المفتوحه و فسروا طبقا عن طبق حالا بعد حال و مثل ما فسروا من أن معنى عن معنى بعد قول الأعشى:

ساد و ألفى رهطه ساده و كابرا سادوك عن كابر

المعنى كابرًا بعد كابر فعن متعلق بسادوك و لا يكون متعلقًا بكابر و قد بينوا ذلك في قول النابغي:

بقية قدر من قدور تورثت لآل الجلاح كابرًا بعد كابر

و قالوا عرق عن الحمى أى بعدها.

اللغة

الانشقاق افتراق امتداد عن الثام فكل انشقاق افتراق و ليس كل افتراق انشقاقًا و الأذن الاستماع تقول العرب أذن لك هذا الأمر أذنا بمعنى استمع لك قال عدى بن زيد:

في سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ماذى مشار

و قال أيضا:

أيها القلب تعلق بددن إن همى في سماع و أذن

و قال آخر

" و إن ذكرت بشر عندهم أذنوا "

و الكدح السعى الشديد في الأمر و الدأب في العمل و يقال كدح الإنسان في عمله يكدح و ثور فيه كدوح أى آثار من شدة السعى قال ابن مقبل:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

و الحور الرجوع حار يحور إذا رجع و كلمته فما حار جوابا أى ما رد جوابا و نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة و التمام و حوره إذا رده إلى البياض و المحور البكرة تدور حتى ترجع إلى مكانها و

الشفق هو الحمرة بين المغرب و العشاء الآخرة و هو قول مالك و الشافعى و الأوزاعى و أبى يوسف و محمد و هو قول الخليل و هو المروى عن أئمة الهدى (عليه السلام)

و قال ثعلب هو البياض و هو قول أبى حنيفة قال الفراء سمعت بعض العرب تقول الثوب أحمر كأنه الشفق و قال الشاعر

" أحمر اللون كمحمر الشفق "

و قال آخر:

قم يا غلام أعنى غير محتشم على الزمان بكأس حشوها شفق

و أصل الشفق الرقه و مثله التشفيق و هو الرقه على خلل فيه و أشفق على كذا إذا رق عليه و خاف هلاكه و ثوب شفق رقيق فالشفق هو الحمرة الرقيقه فى المغرب بعد مغيب الشمس و الوسق الجمع و سقته أسقه إذا جمعتة و طعام موسوق أى مجموع و الوسق الطعام المجتمع الكثير مما يكال أو يوزن و مقداره ستون صاعا و الاتساق الاجتماع على تمام افتعال من الوسق و أصل الطبق الحال و العرب تسمى الدواهى أم طبق و بنات طبق قال

" قد طرقت ببيكرها أم طبق "

و قال فى أن الطبق الحال:

الصبر أحمد و الدنيا مفعجه من ذا الذى لم يذق من عيشه رنقا

إذا صفا لك من مسرورها طبق أهدى لك الدهر من مكروها طبقا

و قال آخر:

إنى امرؤ قد حلبت الدهر أشطره و ساقنى طبق منه إلى طبق

فلست أصبو إلى خل يفارقنى و لا تقبض أحشائى من الفرق

. الإعراب

قال الزجاج جواب إذا يدل عليه قوله «فَمَلَأِيهِ» و المعنى إذا كان يوم القيامة لقى الإنسان عمله و الهاء فى قوله «فَمَلَأِيهِ» يجوز أن يكون تقديره فملاق ربك و يجوز أن يكون فملاق كدحك أى عملك و سعيك و قوله «كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا» قيل إن إلى هنا بمعنى اللام و الوجه الصحيح فيه أن يكون محمولا على المعنى لأن معناه ساع إلى ربك سعيًا على أنه يحتمل أن يكون إلى متعلقه بمحذوف و يكون التقدير إنك كادح لنفسك صائر إلى ربك كما أن قوله «و تَبَتَّلْ إِلَيْهِ» يكون على معنى تبتل من الخلق راجعا إلى الله تعالى أو راغبا إليه و قوله «يَدْعُوا ثُبُورًا» معناه أنه يقول يا ثوراه فكأنه يدعوه و يقول يا ثور تعال فهذا أوانك مثل ما قيل فى يا حسرتى فعلى هذا يكون ثبورا مفعولا به «أَنْ لَنْ يَحُورَ» تقديره أنه لن يحور فهى مخففه من الثقيله و لا يجوز أن تكون أن الناصبه للفعل لأنه لا يجوز أن يجتمع عاملان على كلمه واحده و قوله «فَمَا لَهُمْ» مبتدأ و خبر و «لَا يُؤْمِنُونَ» جملة منصوبه الموضع على الحال و التقدير أى شىء استقر لهم غير مؤمنين.

ص: ٢٧٥

«إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» أى تصدعت و انفرجت و انشققها من علامات القيامة و ذكر ذلك فى مواضع من القرآن «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا» أى سمعت و أطاعت فى الانشقاق عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قتاده و هذا توسع أى كأنها سمعت و انقادت لتدبير الله «وَ حُقَّتْ» أى و حق لها أن تأذن بالانقياد لأمر ربها الذى خلقها و تطيع له «وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ» أى بسطت باندكاك جبالها و آكامها حتى تصير كالصحيفه الملساء و قيل إنها تمد مد الأديم العكاظى و تزداد فى سعتها عن ابن عباس و قيل سويت فلا بناء و لا جبل إلا دخل فيها عن مقاتل «وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا» من الموتى و الكنوز مثل «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» عن قتاده و مجاهد «وَ تَخَلَّتْ» أى خلت فلم يبق فى بطنها شىء و قيل معناه ألقى ما فى بطنها من كنوزها و معادنها و تخلت مما على ظهرها من جبالها و بحارها «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ» ليس هذا بتكرار لأن الأول فى صفة السماء و الثانى فى صفة الأرض و هذا كله من أشرط الساعه و جلائل الأمور التى تكون فيها و التقدير إذا كانت هذه الأشياء التى ذكرناها و عددناها رأى الإنسان ما قدم من خير أو شر و يدل على هذا المحذوف قوله «يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا» أى ساع إليه فى عملك و قوله «يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ» خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم يقول الله لهم سبحانه و لكل واحد منهم يا أيها الإنسان إنك عامل عملا فى مشقه لتحمله إلى الله و توصله إليه «فَمُلَاقِيهِ» أى ملاق جزاءه جعل لقاء جزاء العمل لقاء له تفخيما لشأنه و قيل معناه ملاق ربك أى صائر إلى حكمه حيث لا حكم إلا حكمه و قال ابن الأنبارى و البلخى جواب إذا قوله «أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ» و الواو زائده كقوله «حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» و هذا ضعيف و الأول هو الوجه ثم قسم سبحانه أحوال لخلق يوم القيامة فقال «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» أى من أعطى كتابه الذى ثبت فيه أعماله من طاعه أو معصيه بيده اليمنى «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» يريد أنه لا يناقش فى الحساب و لا يواقف على ما عمل من الحسنات و ما له عليها من الثواب و ما حط عنه من الأوزار إما بالتوبه أو بالعمو و

قيل الحساب اليسير التجاوز عن السيئات و الإثابه على الحسنات و من نوقش الحساب عذب فى خبر مرفوع

و

فى روايه أخرى يعرف عمله ثم يتجاوز عنه

و

فى حديث آخر ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا و أدخله الجنة برحمته قالوا و ما هى يا رسول الله قال تعطى من حرمك و تصل من قطعك و تعفو عن ظلمك

«وَ يُنْقَلِبُ» بعد الفراغ من الحساب «إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا» بما أوتى من الخير و الكرامه و المراد بالأهل هنا ما أعد الله له من الحور العين و قيل أهله أزواجه و أولاده و عشائره و قد سبقوه إلى الجنة و السرور هو الاعتقاد و العلم بوصول نفع إليه أو دفع ضرر عنه فى المستقبل و قال قوم هو معنى فى القلب يلتذ

لأجله نبيل المشتهى يقال سر بكذا من مال أو ولد أو بلوغ أمل فهو مسرور «وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ» لأن يمينه مغلوله إلى عنقه و تكون يده اليسرى خلف ظهره عن الكلبى و قيل تخلع يده اليسرى خلف ظهره عن مقاتل و الوجه فى ذلك أن تكون إعطاء الكتاب باليمين أماره للملائكه و المؤمنين لكون صاحبه من أهل الجنة و لطفاً للخلق فى الأخباريه و كناية عن قبول أعماله و إعطاؤه على الوجه الآخر أماره لهم على أن صاحبه من أهل النار و علامه المناقشه فى الحساب و سوء المآب ثم حكى سبحانه ما يحل به فقال «فَسَوْفَ يَدْعُوا بُثُورًا» أى هلاكاً إذا قرأ كتابه و هو أن يقول وا ثوراه وا هلاكاه «وَيَضِلُّ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يدخل النار و يعذب بها عن الجبائى و قيل يصير صلاء النار المسعره و قيل يلزم النار معذبا على وجه التأييد «إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا» فى الدنيا ناعما لا يهमे أمر الآخرة و لا يتحمل مشقه العباده فأبدله الله بسروره غما باقيا لا ينقطع و كان المؤمن مهتما بأمر الآخرة فأبدله الله بهمه سرورا لا يزول و لا يبید و قيل كان مسرورا بمعاصى الله تعالى لا يندم عليها عن الجبائى و قيل إن من عصى و سر بمعصيه الله فقد ظن أنه لا يرجع إلى البعث و لو كان موقنا بالبعث و الجزاء لكان بعيدا عن السرور بالمعاصى «إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» أى ظن فى دار التكليف أنه لم يرجع إلى حال الحياه فى الآخرة للجزاء فارتكب المآثم و انتهك المحارم و قال مقاتل حسب أن لا يرجع إلى الله فقال سبحانه «بلى» ليحورن و ليعثن و ليس الأمر على ما ظنه «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» من يوم خلقه إلى أن يبعثه قال الزجاج كان به بصيرا قبل أن يخلقه عالما بأن مرجعه إليه ثم أقسم سبحانه فقال «فَلَا أُقْسِمُ» سبق بيانه فى سورة القيامة «بِالشَّفَقِ» أى بالحمرة التى تبقى عند المغرب فى الأفق و قيل البياض «وَاللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ» أى و ما جمع و ضم مما كان منتشرا بالنهار فى تصرفه و ذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شىء إلى مأواه عن عكرمه و غيره و قيل و ما ساق لأن ظلمه الليل تسوق كل شىء إلى مسكنه عن الضحاك و مقاتل و قيل «وَمَا وَسَقَ» أى طرد من الكواكب فإنها تظهر بالليل و تخفى بالنهار و أضاف ذلك إلى الليل لأن ظهورها فيه مطرد عن أبى مسلم «وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ» أى إذا استوى و اجتمع و تكامل و تم قال الفراء اتساقه امتلاءه و اجتماعه و استواؤه لثلاث عشره إلى ست عشره «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» هذا جواب القسم أى لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و الشعبي و الكلبى و يجوز أن يريد درجه بعد درجه و رتبه بعد رتبه فى المقربه من الله و رفعه المنزله عنده و روى مجاهد عن ابن عباس أنه كان يقرأ لتركبن بفتح الباء «طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال يعنى نبيكم حالا بعد حال رواه البخارى فى الصحيح و من قرأ بالضم فالخطاب للناس أى لتركبن حالا بعد حال و منزلا بعد منزل و أمرا بعد أمر يعنى فى الآخرة

و المراد أن الأحوال تتقلب بهم فيصرون على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا و عن بمعنى بعد كما قال سبحانه «عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِِحَّ نَادِمِينَ» أى بعد قليل.

و قال الشاعر:

قربا مربوط النعامه منى لقحت حرب وائل عن حيال

أى بعد حيال و

قيل معناه شده بعد شده حياه ثم موت ثم بعث ثم جزاء و روى ذلك مرفوعا

و قيل أمرا بعد أمر و رخاء بعد شده و شده بعد رخاء و فقرا بعد غنى و غنى بعد فقر و صحه بعد سقم و سقما بعد صحه عن عطا و قيل حالا بعد حال نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظما ثم خلقا آخر ثم جنينا ثم وليدا ثم رضيعا ثم فطيمما ثم يافعا ثم ناشئا ثم مترعرا ثم حزورا ثم مراهقا ثم محتلما ثم بالغا ثم أمرد ثم طارا ثم باقلا ثم مسيطرا ثم مطرخما ثم مختطا ثم صملا ثم ملتحميا ثم مستويا ثم مصعدا ثم مجتمعا و الشاب يجمع ذلك كله ثم ملهوزا ثم كهلا ثم أشمط ثم شيخا ثم أشيب ثم حوقلا ثم صفتانا ثم هما ثم هرما ثم ميتا فيشتمل الإنسان من كونه نطفه إلى أن يموت على سبعة و ثلاثين اسما و قيل معناه لتحدثن أمرا لم تكونوا عليه فى كل عشرين سنه عن مكحول و قيل معناه لتركبن منزله عن منزله و طبقه عن طبقه و ذلك أن من كان على صلاح دعاه ذلك إلى صلاح فوجه و من كان إلى فساد دعاه إلى فساد فوجه لأن كل شىء يجر إلى شكله و

قيل لتركبن سنن من كان قبلكم من الأولين و أحوالهم عن أبى عبيده و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و المعنى أنه يكون فيكم ما كان فيهم و يجرى عليكم ما جرى عليهم حذو القذه بالقذه ثم قال سبحانه على وجه التقرير لهم و التبكيت «فَمَا لَهُمْ» يعنى كفار قريش «لَا يُؤْمِنُونَ» بمحمد ص و القرآن و المعنى أى شىء لهم إذا لم يؤمنوا و هو استفهام إنكار أى لا شىء لهم من النعيم و الكرامه إذا لم يؤمنوا و قيل معناه فما وجه الارتباب الذى يصرفهم عن الإيمان و هو تعجب منهم فى تركهم الإيمان و المراد أى مانع لهم و أى عذر لهم فى ترك الإيمان مع وضوح الدلائل «وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ» عطف على قوله «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أى ما الذى يصرفهم عن الإيمان و عن

ص: ٢٧٨

السجود لله تعالى إذا تلى عليهم القرآن وقيل معنى لا يسجدون لا يصلون لله تعالى عن عطا والكلبي و

فى خبر مرفوع عن أبى هريره قال قرأ رسول الله ص إذا السماء انشقت فسجد

ثم قال سبحانه «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ» أى لم يتركوا الإيمان لقصور فى البيان أو لانقطاع من البرهان لكنهم قلدوا أسلافهم و رؤساءهم فى التكذيب بالرسول و القرآن «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ» أى يجمعون فى صدورهم و يضمرون فى قلوبهم من التكذيب و الشرك عن ابن عباس و قتاده و مقاتل و قيل بما يجمعون من الأعمال الصالحه و السيئه عن ابن زيد قال الفراء أصل الإيعاء جعل الشىء فى وعاء و القلوب أوعيه لما يحصل فيها من علم أو جهل و

فى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) إن هذه القلوب أوعيه فخيرها أوعاها

ثم قال «فَبَشِّرْهُمْ» يا محمد «بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى اجعل ذلك لهم بدل البشاره للمؤمنين بالرحمه ثم استثنى سبحانه المؤمنين من جمله المخاطبين فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير منقوص و لا مقطوع لأن نعيم الآخره غير منقطع عن ابن عباس و قيل غير منقص و لا مكدر بالمن عن الجبائى و روى ذلك عن الحسن و قيل له من و لا منه و إنما قيل له من و له منه لأنه يقطع عن شكر النعمه و أصل المن القطع يقال مننت الحبل إذا قطعتة قال لبيد:

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها

و قيل ليس لأحد عليها منه فيما يكسب و فى قوله سبحانه «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» و «لَا يَسْجُدُونَ» دلالة على أن الإيمان و السجود فعلهم لأن الحكيم لا يقول ما لك لا تؤمن و لا تسجد لمن يعلم أنه لا يقدر على الإيمان و السجود و لو وجد ذلك لم يكن من فعله و يدل قوله «لَا يَسْجُدُونَ» على أن الكفار مخاطبون بالعبادات.

النظم

وجه اتصال قوله «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» بما قبله أنه سبحانه لما أخبر عن ظن الكافر أن لن يحور عقبه بالإخبار بأنه يحور و القمع عليه و ذكر أنه بصير به و قيل أن تقديره بلى سيرجع إلى الآخره و ربه بصير بأحواله فسيجازيه بأعماله.

ص: ٢٧٩

(٨٥) سورة البروج مكيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢)

اشاره

[توضيح]

مكيه اثنتان و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل يوم جمعه و كل يوم عرفه يكون فى دار الدنيا عشر حسنات

يونس بن ظبيان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ و السماء ذات البروج فى فرائضه فإنها سورة النبىين كان محشره و موقفه مع النبىين و المرسلين

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر المؤمنىن و افتتح هذه السوره أيضا بذكر المؤمنىن من أصحاب الأحدود فقال:

ص: ٢٨٠

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (٣) قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (٤)

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَ هُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَ يُعِيدُ (١٣) وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنُ وَ ثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ (١٩)

وَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و قتيبه المجيد بالجر و الباقون بالرفع و قرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع و الباقون بالجر.

الحجه

قال أبو علي من رفع المجيد كان متبعا قوله «ذو العرش» و من جر فمن النحويين من جعله وصفا لقوله «ربك» في «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ» قال و لا أجعله وصفا للعرش و منهم من قال صفه للعرش قال أبو زيد يقال مجدت الإبل تمجد مجودا إذا رعت في أرض مكائه و شبعت و أمجدت الإبل إذا أشبعتها و قالوا في كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار أى صار ماجدا في إيرائه النار و قيل استمجد العفار إذا كثر ناره و صفت و حجه نافع في قراءته محفوظ أن القرآن وصف بالحفظ في قوله «وَ إِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ»* و معنى حفظ القرآن أنه يؤمن من تحريفه و تبديله و تغييره فلا يلحقه شىء من ذلك و حجه من جر محفوظا جعله وصفا للوح فإنهم يقولون اللوح المحفوظ.

اللغه

الأخدود الشق العظيم في الأرض و

منه ما روى في معجز النبي ص أنه دعا الشجره فجعلت تخد الأرض خدا حتى أتته

و منه الخد لمجاری الدموع و تخذد لحمه إذا صار

ص: ٢٨١

فيه طرائق كالشقوق و الوقود ما تشتعل به النار من الحطب و غيره بفتح الواو و الوقود بالضم الإيقاد يقال فتننت الشيء أحرقته و الفتين حجاره سود كأنها محرقة و أصل الفتنة الامتحان ثم يستعمل في العذاب.

الإعراب

قال الفراء «قَتَلَ أَصِيحَابُ الْأَخْدُودِ» جواب القسم كما كان جواب وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا و قيل إن جواب القسم محذوف و تقديره أن الأمر حق في الجزء على الأعمال و قيل جواب القسم قوله «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ» الآية و قيل جواب القسم قوله «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» النار بدل من الأخدود و هو بدل الاشتمال لأن الأخدود يشتمل على ما فيه من النار أى النار منه و «ذَاتِ الْوُقُودِ» صفه للنار و يسأل على هذا فيقال كيف خصت هذه النار بزدا و كل نار لها وقود و أجيب عنها بجوابين (أحدهما) أنه قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر و نار الكبد (و الآخر) إن الوقود معرف فصار مخصوصا كأنه وقود بعينه كما قال وقودها الناس و الحجارة فكان الوقود هنا أبدان الناس، إذ هم عليها قعود إذ مضاف إلى الجملة و هى ظرف لقوله «قَتَلَ أَصِيحَابُ الْأَخْدُودِ» إذا كان إخبارا لا- دعاء و «أَنْ يُؤْمِنُوا» فى موضع نصب بقوله «نَقَمُوا» و التقدير و ما نعموا إلا إيمانهم «فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ» فى موضع جر بدل من الجنود و يجوز أن يكونا فى موضع نصب بإضمار فعل كأنه قال أعنى فرعون و ثمود.

قصه أصحاب الأخدود

روى مسلم فى الصحيح عن هديه بن خالد عن حماد بن سلمه عن ثابت بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن رسول الله ص قال كان ملك فىمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال إنى قد حضر أجلى فادفع إلى غلاما أعلمه السحر فدفع إليه غلاما و كان يختلف إليه و بين الساحر و الملك راهب فمر الغلام بالراهب فأعجبه كلامه و أمره فكان يطيل عنده القعود فإذا أبطأ عن الساحر ضربه و إذا أبطأ عن أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال يا بنى إذا استبطأك الساحر فقل حبسنى أهلى و إذا استبطأك أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد حبستهم دابه عظيمه فظيعة فقال اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك فاقتل هذه الدابة فرمى فقتلها و مضى الناس فأخبر بذلك الراهب فقال أى بنى إنك ستبتلى و إذا ابتليت فلا تدل على قال و جعل يداوى الناس فيبرى الأكمه و الأبرص فبينما هو كذلك إذ عمى جليس للملك فأتاه و حمل إليه مالا كثيرا فقال اشفنى و لك ما هاهنا فقال إنى لا أشفى أحدا و لكن الله يشفى فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فأمن فدعا الله له فشفاه فذهب

ص: ٢٨٢

فجلس إلى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال أ و إن لك ربا غيري قال نعم ربي و ربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث إلى الغلام فقال لقد بلغ من أمرك أن تشفى الأكمه و الأبرص قال ما أشفى أحدا و لكن الله ربي يشفى قال أ و إن لك ربا غيري قال نعم ربي و ربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين و قال للغلام ارجع عن دينك فأبى فأرسل معه نفرا و قال اصعدوا به جبل كذا و كذا فإن رجع عن دينه و إلا فدهدوه منه قال فعلوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فرجف بهم الجبل فتدهدوهوا أجمعون و جاء إلى الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله فأرسل به مره أخرى قال انطلقوا به فليجوه في البحر فإن رجع و إلا فغرقوه فانطلقوا به في قرقور فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فانكفأت بهم السفينه و جاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله ثم قال إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به أجمع الناس ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فإنك ستقتلني قال فجمع الناس و صلبه ثم أخذ سهما من كنانته فوضعه على كبد القوس و قال باسم رب الغلام و رمى فوق السهم في صدغه و مات فقال الناس آمنة برب الغلام فقيل له أ رأيت ما كنت تخاف قد نزل و الله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخذدت على أفواه السكك ثم أضرمها نارا فقال من رجع عن دينه فدعوه و من أبى فأقحموه فيها فجعلوا يقتحمونها و جاءت امرأه بابت لها فقال لها يا أمه اصبري فإنك على الحق

و قال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب إذ ورد عليه أنهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام و هو واضع يده على صدغه فكلمنا مدت يده عادت إلى صدغه فكتب عمر واروه حيث وجدتموه و

روى سعيد بن جبير قال لما انهزم أهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود و لا نصارى و لا لهم كتاب و كانوا مجوسا فقال على بن أبي طالب (عليه السلام) بل قد كان لهم كتاب و لكنه رفع و ذلك أن ملكا لهم سكر فوقع على ابنته أو قال على أخته فلما أفاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قالت تجمع أهل مملكتك و تخبرهم أنك ترى نكاح البنات و تأمرهم أن يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخذ لهم أخدودا في الأرض و أوقد فيه النيران و عرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار و من أجاب خلى سبيله

و

قال الحسن كان النبي ص إذا ذكر أمامه أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء

و

روى العياشي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال أرسل على (عليه السلام) إلى أسقف

نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء فقال (عليه السلام) ليس كما ذكرت و لكن سأخبرك عنهم إن الله بعث رجلا حبشيا نبيا و هم حبشه فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه و أسروه و أسروا أصحابه ثم بنوا له حيرا ثم ملأوه نارا ثم جمعوا الناس فقالوا من كان على ديننا و أمرنا فليعتزل و من كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت امرأه معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت على النار هابت و رقت على ابنها فنادها الصبي لا تهابي و ارمى بي و بنفسك في النار فإن هذا و الله في الله قليل فرمت بنفسها في النار و صبيها و كان ممن تكلم في المهدي

و

ياسناده عن ميثم التمار قال سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) و ذكر أصحاب الأخدود فقال كانوا عشرة و على مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق

و قال مقاتل كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران و الآخر بالشام و الآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو أنطياخوس الرومي و أما الذي بفارس فهو بخت نصر و أما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذى نواس فأما من كان بفارس و الشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا و أنزل في الذي كان بنجران و ذلك أن رجلين مسلمين ممن يقرءون الإنجيل (أحدهما) بأرض تهامة (و الآخر) بنجران اليمن أجز أحدهما نفسه في عمل يعمله فجعل يقرأ الإنجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءه الإنجيل فذكرت لأبيها فرمق حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين و الإسلام فتابعه مع سبعة و ثمانين إنسانا من رجل و امرأه و هذا بعد ما رفع عيسى إلى السماء فسمع يوسف بن ذى نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فخذ لهم في الأرض و أوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى قذفه في النار و من رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها و إذا امرأه جاءت و معها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت فقال لها يا أماه إنى أرى أمامك نارا لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قذفها في النار فجعلها الله و ابنها في الجنة و قذف في النار سبعة و سبعون إنسانا قال ابن عباس من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط فأدخل الله أرواحهم في الجنة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار.

المعنى

إن الله سبحانه أقسم بالسماء فقال «و السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» فالبروج المنازل العالیه و المراد هنا منازل الشمس و القمر و الكواكب و هى اثنا عشر برجاً يسير القمر فى كل برج منها يومين و ثلاث و تسير الشمس فى كل برج شهراً «و الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ» يعنى

ص: ٢٨٤

يوم القيامة في قول جميع المفسرين و هو اليوم الذى يجازى فيه الخلائق و يفصل فيه القضاء «و شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ» فيه أقوال (أحدها)

إن الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفه عن ابن عباس و قتاده و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) و روى ذلك عن النبى ص

و سُمى يوم الجمعة شاهداً لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه و

فى الحديث ما طلعت الشمس على يوم و لا غربت على يوم أفضل منه و فيه ساعه لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير إلا استحباب له و لا استعاذ من شر إلا أعاده منه

و يوم عرفه مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج و تشهده الملائكة (و ثانيها) أن الشاهد يوم النحر و المشهود يوم عرفه عن إبراهيم (و ثالثها)

أن الشاهد محمد ص و المشهود يوم القيامة عن ابن عباس فى روايه أخرى و سعيد بن المسيب و هو المروى عن الحسن بن على

و

روى أن رجلاً دخل مسجد رسول الله ص فإذا رجل يحدث عن رسول الله ص قال فسألته عن الشاهد و مشهود فقال نعم الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفه فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ص فسألته عن ذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم النحر فجزتهما إلى غلام كان وجهه الدينار و هو يحدث عن رسول الله ص فقلت أخبرنى عن شاهد و مشهود فقال أما الشاهد فمحمد ص و أما المشهود فيوم القيامة أ ما سمعته سبحانه يقول «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا» و قال «ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ»

فسألت عن الأول فقالوا ابن عباس و سألت عن الثانى فقالوا ابن عمر و سألت عن الثالث فقالوا الحسن بن على (عليه السلام) (و رابعها) أن الشاهد يوم عرفه و المشهود يوم القيامة و

عن أبى الدرداء عن النبى ص قال أكثروا الصلاه على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة و إن أحدا لا يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال فقلت و بعد الموت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق

(و خامسها) إن الشاهد الملك يشهد على بنى آدم و المشهود يوم القيامة عن عكرمه و تلاهاتين الآيتين وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ و قد قيل فى ذلك أقوال آخر كقول الجبائى الشاهد الذين يشهدون على الناس و المشهود هم الذين يشهد عليهم و قول الحسين بن الفضل الشاهد هذه الأمه و المشهود سائر الأمم لقوله «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» و قيل الشاهد أعضاء بنى آدم و المشهود هم لقوله «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ» الآيه و قيل الشاهد الحجر الأسود و

المشهدود الحاج و قيل الشاهد الأيام و الليالى و المشهدود بنو آدم و ينشد للحسين بن على (عليه السلام):

مضى أمسك الماضى شهيدا معدلا و خلفت فى يوم عليك شهيد

فإن أنت بالأمس اقترفت إساءه فقيده يا حسان و أنت حميد

ص: ٢٨٥

و لا ترج فعل الخير يوما إلى غد لعل غدا يأتي و أنت فقيد.

و قيل الشاهد الأنبياء و المشهود محمد ص بيانه «وَ إِذِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ» إلى قوله «فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» و قيل الشاهد الله و المشهود لا إله إلا الله بيانه قوله «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآية و قيل الشاهد الخلق و المشهود الحق و إليه أشار الشاعر بقوله:

أيا عجا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

و لله في كل تحريكه و في كل تسكينه شاهد

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فهذه ثمانية أقوال آخر «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ» أى لعنوا بتحريقهم الناس فى الدنيا قبل الآخرة و المراد به الكافرون الذين حفروا الأخدود و عذبوا المؤمنين بالنار و يحتمل أن يكون إخبارا عن المسلمين الذين عذبوا بالنار فى الأخدود و المعنى أنهم قتلوا بالإحراق فى النار ذكرهم الله سبحانه و أثنى عليهم بحسن بصيرتهم و صبرهم على دينهم حتى أحرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الإيمان «النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ» أى أصحاب النار الذين أوقدوها بإحراق المؤمنين و قوله «ذَاتِ الْوُقُودِ» إشاره إلى كثره حطب هذه النار و تعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ» يعنى الكفار إذ هم على أطراف هذه النار جلوس يعذبون المؤمنون عن ابن عباس و قيل يعنى هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسى عند الأخدود و هو قوله «وَ هُمْ» يعنى الملك و أصحابه الذين خدوا الأخدود «عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ» من عرضهم على النار و إرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم «شُهُودٌ» أى حضور قال الزجاج أعلم الله قصه قوم بلغت بصيرتهم و حقيقه إيمانهم إلى أن صبروا على أن أحرقوا بالنار فى الله و قال الربيع بن أنس لما ألقوا فى النار نجى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن تمسهم النار و خرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم و قيل أنهم كانوا فرقتين فرقه تعذب المؤمنين و فرقه تشاهد الحال لم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل أولئك و كانت الفرقة القاعده مؤمنه لكنهم لم ينكروا على الكفار صنيعهم فلعنهم الله جميعا عن أبى مسلم و القعود جمع القاعد و كذلك الشهود جمع الشاهد و هم كل حاضر على ما شاهدوه إما بسمع أو بصر «وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أى ما كرهوا منهم إلا أنهم آمنوا عن ابن عباس و قيل ما أنكروا عليهم دينا و ما عابوا منهم شيئا إلا إيمانهم و هذا كقوله «هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ»

عن الزجاج و مقاتل و قال الجبائي ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلا بإيمانهم «العزير» القادر الذي لا يمتنع عليه شىء القاهر الذي لا يقهر «الحميد» المحمود فى جميع أفعاله «الذى له ملك السماوات و الأرض» أى له التصرف فى السماوات و الأرض لا اعتراض لأحد عليه «و الله على كل شىء شهيد» أى شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فإنه يجازيهم و ينتصف للمؤمنين منهم «إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات» أى الذين أحرقوهم و عذبوهم بالنار عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و مثله يوم هم على النار يفتنون «ثم لم يتوبوا» من فعلهم ذلك و من الشرك الذى كانوا عليه و إنما شرط عدم التوبه لأنهم لو تابوا لما توجه إليهم الوعيد «فلهم عذاب جهنم» بكفرهم «و لهم عذاب الحريق» بما أحرقوا المؤمنين يسأل فىقال كيف فصل بين عذاب جهنم و عذاب الحريق و هما واحد. أجب عن ذلك بأن المراد لهم أنواع العذاب فى جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم و الغسلين و المقامع و لهم مع ذلك الإحراق بالنار و قيل لهم عذاب جهنم فى الآخرة و لهم عذاب الحريق فى الدنيا و ذلك أن النار ارتفعت من الأخدود فأحرقتهم عن الربيع بن أنس و هو قول الكلبي و قال الفراء ارتفعت النار عليهم فأحرقتهم فوق الأخاديد و نجا المؤمنون ثم ذكر سبحانه ما أعد للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار فقال «إن الذين آمنوا» أى صدقوا بتوحيد الله «و عملوا الصالحات» لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير» النجاه العظيم و النفع الخالص و إنما وصفه بالكبير لأن نعيم العاملين كبير بالإضافة إلى نعيم من لا عمل له من داخل الجنة لما فى ذلك من الإجلال و الإكرام و التبجيل و الإعظام ثم قال سبحانه متوعدا للكفار و العصاة «إن بطش ربك» يا محمد «لشديد» يعنى أن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمه و الجابره أليم شديد و إذا وصف البطش و هو الأخذ عنفا بالشده فقد تضاعف مكروهه و تزايد إيلامه «إنه هو يبدئ الخلق يخلقهم أولا فى الدنيا «و يعيد» هم أحياء بعد الموت للحساب و الجزاء فليس إمهاله لمن يعصيه لإمهاله إياه و قيل أنه يبدئ بالعذاب فى الدنيا و يعيده فى الآخرة عن ابن عباس و ذلك لأن ما قبله يقتضيه «و هو الغفور» لذنوب المؤمنين من أهل طاعته و معناه كثير الغفران عادته مغفره الذنوب «الودود» يود أوليائه و يحبهم عن مجاهد قال الأزهرى فى تفسير أسماء الله يجوز أن يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب و حلوب و معناه أن عباده الصالحين يودونه و يحبونه لما عرفوا من فضله و كرمه و لما أسبغ من آلائه و نعمه قال و كلتا الصفتين مدح لأنه سبحانه أن أحب عباده المطيعين فهو فضل منه و أن أحبوه فلما عرفوه من فضله و إحسانه «ذو العرش المجيد» أكثر القراءه فى المجيد الرفع لأن الله سبحانه هو الموصوف بالمجد و لأن المجيد لم يسمع فى غير صفه الله

تعالى و إن سمع الماجد و من كسر المجيد جعله من صفه العرش و روى عن ابن عباس أنه قال يريد العرش و حسنه و يؤيده أن العرش وصف بالكرم فى قوله «رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» فجاز أيضا أن يوصف بالمجد لأن معناه الكمال و العلو و الرفعه و العرش أكمل كل شىء و أعلاه و أجمعه لصفات الحسن «فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ» لا يعجزه شىء طلبه و لا يمتنع منه شىء أرادته عن عطاء و قيل لما يريد من الإبداء و الإعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافره فقال «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ» الذين تجندوا على أنبياء الله أى هل بلغك أخبارهم و قيل أراد قد أتاك ثم بين سبحانه أصحاب الجنود فقال «فِرْعَوْنُ وَ ثَمُودَ» و المعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر كيف كذبوا أنبياء الله و كيف نزل بهم العذاب و كيف صبر الأنبياء و كيف نصرُوا فاصبر كما صبر أولئك ليأتيك النصر كما أتاهم و هذا من الإيجاز البديع و التلويح الفصيح الذى لا يقوم مقامه التصريح «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى مشركى قريش «فِي تَكْذِيبٍ» لك و القرآن قد عرضوا عما يوجب الاعتبار و أقبلوا على ما يوجب الكفر و الطغيان «وَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ» معناه أنهم فى قبضه الله و سلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات و الهرب و هذا من بلاغه القرآن «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ» أى كريم لأنه كلام الرب عن ابن عباس أى ليس هو كما يقولون من أنه شعر أو كهانه و سحر بل هو قرآن كريم عظيم الكرم فيما يعطى من الخير جليل الخطر و القدر و قيل هو قرآن كريم لما يعطى من المعانى الجليله و الدلائل النفيسه و لأن جميعه حكم و الحكم على ثلاثه أوجه لا- رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى أو يتقى و موعظه تلين القلب للعمل بالحق و حجه تؤدى إلى تميز الحق من الباطل فى علم دين أو دنيا و علم الدين أشرفهما و جميع ذلك موجود فى القرآن «فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ» من التغيير و التبديل و النقصان و الزيادة و هذا على قراءه من رفعه فجعله من صفه قرآن و من جره فجعله صفه للوح فالمعنى أنه محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكه و قيل محفوظ عند الله و هو أم الكتاب و منه نسخ القرآن و الكتب و هو الذى يعرف باللوحة المحفوظ و هو من دره بيضاء طوله ما بين السماء و الأرض و عرضه ما بين المشرق و المغرب عن ابن عباس و مجاهد و قيل إن اللوح المحفوظ الذى ذكره الله فى جبهه إسرافيل عن أنس و قيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش عن مقاتل.

(٨٦) سورة الطارق مكيه و آياتها سبع عشره (١٧)

اشاره

[توضيح]

مكيه سبع عشره آيه.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

عن المعلى بن خنيس عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كان قراءته فى الفريضة بالسماء و الطارق كان له يوم القيامة عند الله جاه و منزله و كان من رفقاء النبيين و أصحابهم فى الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بالوعيد و افتتح هذه السوره بمثله و أكد ذلك بأن أعمال الخلق محفوظه فقال:

ص: ٢٨٩

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ (١) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمِ الثَّاقِبِ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)

فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ (١٠) وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرُّجُوعِ (١١) وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ (١٣) وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَ أَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و عاصم و حمزه لما عليها بتشديد الميم و الباقون بالتخفيف و فى الشواذ قراءة ابن عباس مهلهم رويدا بغير ألف.

الحج

قال أبو على من خفف لما كانت إن عنده المخففه من الثقيله و اللام معها هى اللام التى تدخل مع هذه المخففه لتخلصها من أن النافيه و ما صله كالتى فى قوله «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ» و «عَمَّا قَلِيلٍ» و تكون إن متلقيه للقسم كما تتلقاه مثقله و من ثقل "لما" كانت أن عنده النافيه كالتى فى قوله «فِيْمَا إِنَّ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ» و لما فى معنى إلا و هى متلقيه للقسم كما يتلقاه "ما" قال أبو الحسن الثقيله فى معنى إلا- و العرب لا- تكاد تعرف ذا و قال الكسائى لا أعرف وجه التثليل و عن ابن عوف قال قرأت عند ابن سيرين «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا» بالتشديد فأنكره قال الزجاج استعملت لما فى موضع إلا فى موضعين (أحدهما) هذا و الآخر فى باب القسم تقول سألتك لما فعلتك بمعنى إلا فعلت.

اللغة

طرقنى فلان إذا أتانى ليلا و أصل الطرق الدق و منه المطرقه لأنها يدق بها و الطريق لأن الماره تدقه و الطارق الآتى ليلا يحتاج إلى الدق للتنبيه و

نهى رسول الله ص أن يطرق الرجل أهله ليلا حتى تستجد المغيبه و تمشط الشعته

و قالت هند بنت عتبة

"نحن بنات طارق نمشى على النمارق"

تريد أن أبانا نجم فى شرفه و علوه و قال الشاعر:

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تأمنن بليل طاب أوله فرب آخر ليل أجج النارا

و النجم الكواكب الطالعه فى السماء يقال لكل طالع ناجم تشبيها به نجم النبت و نجم السن و القرن و الثاقب المضى ء النير و ثقبه توقده بنوره و الثاقب العالى الشديد العلو و الدفع صب الماء الكثير باعتماد قوى و مثله الدفع فالماء الذى يكون منه الولد يكون دافقا و هو القاطر المصب و هى النطفه التى يخلق الله منها الولد و قيل ماء دافق معناه مدفوق و مثله سر كاتم و عيشه راضيه و التراث نواحي الصدر واحدها تربيه و هو مأخوذ من تدليل حركتها كالتراب قال المثقب:

ص: ٢٩٠

و من ذهب يسن على تريب كلون العاج ليس بذى غضون

و قال آخر:

و الزعفران على ترائبها شرقا به اللبات و الصدر

و الرجع أصله من الرجوع و هو الماء الكثير تزدده الرياح تمر عليه قال المنخل فى صفة السيف:

أبيض كالرجع رسوب إذا ما ناخ فى محتفل يختلى

قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجىء و يرجع و يتكرر و الصدع الشق فصدع الأرض انشقاقها بالنبات و ضروب الزروع و الأشجار.

الإعراب

«مَا الطَّارِقُ» ما استفهام و الجملة مبتدأ و خبر و هى معلقة بإدراك فى موضع المفعول الثانى و الثالث و قوله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» العامل فيه فعل مضمر يدل عليه قوله «عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ» و التقدير يرجعه يوم إبلاء السرائر و لا يجوز أن يعمل فيه المصدر لأنه يكون من صلته و قد فرق بينه و بينه بقوله «لِقَادِرٌ» و يجوز أن يكون العامل فيه قوله «لِقَادِرٌ» و رويدا صفة لمصدر محذوف و تقديره إمهالا رويدا.

المعنى

أقسم الله سبحانه فقال «وَ السَّمَاءِ» أى بالسماء و قيل برب السماء و قد بينا القول فى ذلك «وَ الطَّارِقِ» و هو الذى يجىء ليلا «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ» و ذلك أن هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلا و لم يكن النبى ص يدرى ما المراد لو لم يبينه ثم بينه بقوله «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» أى هو الكوكب المضىء و يريد به العموم و هو جماع النجوم عن الحسن و قيل هو زحل و الثاقب العالى على النجوم عن ابن زيد و قيل أراد به الثريا و العرب تسميه النجم و قيل هو القمر لأنه يطلع بالليل عن الفراء و جواب القسم قوله «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» أى ما كل نفس إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها و قولها و فعلها و يحصى ما يكتسبه من خير و شر و من قرأ لما بالتخفيف فالمعنى إن كل نفس

لعلها حافظ يحفظها وقال قتاده حافظ من الملائكة يحفظ عملها و رزقها و أجلها ثم نبه سبحانه على البعث بقوله «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ» يعنى المكذب بالبعث عن مقاتل «مِمَّ خُلِقَ» أى فلينظر نظر التفكير و الاستدلال من أى شىء خلقه الله و كيف خلقه و أنشأه حتى يعرف أن الذى ابتدأه من نطفه قادر على إعادته ثم ذكر من أى شىء خلقه فقال «خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ» أى من ماء مهراق فى رحم المرأة يعنى المنى الذى يكون منه الولد عن ابن عباس قال الفراء و أهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول فى كثير من كلامهم نحو سر كاتم و هم ناصب و ليل نائم و قد ذكرناه قبل ثم وصف سبحانه ذلك الماء فقال «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» و هو موضع القلاده من الصدر عن ابن عباس قال عطاء يريد صلب الرجل و ترائب المرأة و الولد لا يكون إلا من الماءين و قيل الترائب اليدان و الرجلان و العينان عن الضحاك و سئل عكرمه عن الترائب فقال هذه و وضع يده على صدره بين ثديه و قيل ما بين المنكبين و الصدر عن مجاهد و المشهور فى كلام العرب أنها عظام الصدر و النحر «إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ» يعنى أن الذى خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على أن يرجعه حيا بعد الموت عن الحسن و قتاده و الجبائى و قيل معناه أنه تعالى على رد الماء فى الصلب لقادر عن عكرمه و مجاهد و قيل إنه على رد الإنسان ماء كما كان قادر عن الضحاك و قال مقاتل بن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب و من الشباب إلى الصبى و من الصبى إلى النطفه و الأصح القول الأول لقوله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» أى أنه قادر على بعثه يوم القيامة و معنى الرجوع رد الشىء إلى أول حاله و السرائر أعمال بنى آدم و الفرائض التى أوجبت عليه و هى سرائر بين الله و العبد و تبلى أى تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرها و مؤديها من مضيعها

روى ذلك مرفوعا عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ص ضمن الله خلقه أربع خصال الصلاة و الزكاه و صوم رمضان و الغسل من الجنابه و هى السرائر التى قال الله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»

و

عن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله ص و ما هذه السرائر التى تبلى بها العباد فى الآخرة فقال سرائركم هى أعمالكم من الصلاة و الصيام و الزكاه و الوضوء و الغسل من الجنابه و كل مفروض لأن الأعمال كلها سرائر خفيه فإن شاء قال الرجل صليت و لم يصل و إن شاء قال توضأت و لم يتوضأ فذلك قوله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»

و قيل يظهر الله أعمال كل أحد لأهل القيامة حتى يعلموا على أى شىء أثابه و يكون فيه زياده سرور له و إن يكن من أهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا على أى شىء عاقبه و يكون ذلك زياده غم له و السرائر ما أسره من خير أو شر و ما أضمره من إيمان أو كفر و روى عن عبد الله بن عمر أنه قال يبدى الله يوم القيامة كل سر و يكون زينا فى الوجوه و شينا فى الوجوه «فَمَا لَهُ» أى فما لهذا الإنسان المنكر للبعث و الحشر «مِنْ قُوَّةٍ»

يمنتع به من عذاب الله «وَلَا نَاصِرٍ» ينصره من الله و القوه هي القدره ثم ذكر سبحانه قسما آخر تأكيدا لأمر القيامه فقال «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ» أى ذات المطر عن أكثر المفسرين و قيل يعنى بالرجع شمسها و قمرها و نجومها تغيب ثم تطلع عن ابن زيد و قيل رجع السماء إعطاؤها الخير الذى يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان فترجع بالغيث و أرزاق العباد و غير ذلك «وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ» تتصدع بالنبات أى تنشق فيخرج منها النبات و الأشجار

«إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصِيْلٌ» هذا جواب القسم يعنى أن القرآن يفصل بين الحق و الباطل بالبيان عن كل واحد منهما و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و قيل معناه إن الوعد بالبعث و الإحياء بعد الموت قول فصل أى مقطوع به لا خلاف و لا ريب فيه «وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ» أى هو الجد و ليس باللعب و قيل إن القرآن لم ينزل باللعب ثم أخبر سبحانه عن مشركى قريش فقال «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا» أى يحتالون فى الإيقاع بكك و بمن معكك و يريدون إطفاء نورك «وَأَكِيدُ كَيْدًا» أى أريد أمرا آخر على ضد ما يريدون و أدبر ما ينقض تدابيرهم و مكايدهم فسمى ذلك كيدا من حيث يخفى ذلك عليهم «فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ» أى انتظر بهم يا محمد و لا تعاجلهم و ارض بتدبير الله فيهم «أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا» أى إمهالا قليلا عن قتاده و إنما قلل الإمهال لأن ما هو كائن آت لا محاله فهو قليل و المراد به يوم القيامه و قيل أراد يوم بدر و المعنى لا-تعجل على فى طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا فإن الله مجزيهم لا محاله إما بالقتل و الذل فى الدنيا أو بالعذاب فى الآخرة قال ابن جنى قوله «فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ» غير اللفظ لأنه أثر التأكيد و كره التكرير فلما تجشم إعاده اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثل و انتقل عن لفظ فعل إلى لفظ افعل فقال «أَمْهَلُهُمْ» و لما تجشم التثليث جاء بالمعنى و ترك اللفظ البته فقال «رُوَيْدًا».

(٨٧) سورة الأعلى مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)

اشاره

[توضيح]

مكيه عن ابن عباس مدنيه عن الضحاک و هي تسع عشره آيه بلا خلاف.

فضلها

أبي بن كعب قال قال النبي ص من قرأها أعطاه الله من الأجر عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم و موسى و محمد ص

و

روى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال كان رسول الله ص يحب هذه السوره سبح اسم ربك الأعلى و أول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل

و

عن ابن عباس كان النبي ص إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربي الأعلى و كذلك روى عن علي (عليه السلام) و ابن عمر و ابن الزبير أنهم كانوا يفعلون ذلك و روى جوير عن الضحاک أنه كان يقول ذلك و كان يقول من قرأها فليفل ذلك و

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سبح اسم ربك الأعلى في فريضه أو نافله قيل له يوم القيامة أدخل من أى أبواب الجنة شئت

و

روى العياشى بإسناده عن أبي حميصه عن علي (عليه السلام) قال صليت خلفه عشرين ليله فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك و قال لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مره و إن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى و إبراهيم الذى وفى

و

عن عقبه بن عامر الجهنى قال لما نزلت فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ* قال رسول الله ص اجعلوها فى ركوعكم و لما نزلت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قال اجعلوها فى سجودكم.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر الوعيد و التهديد للكفار افتتح هذه السوره بذكر صفاته العلى و قدرته على ما يشاء فقال:

ص: ٢٩٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤)

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَتِ الذُّكْرَى (٩)

سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَتَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)

القراءة

قرأ الكسائي

قدر بالتخفيف و هو قراءه على (عليه السلام)

و الباقرن «قَدَّرَ» بالتشديد وقرأ أبو عمرو و روح و زيد و قتيبه يؤثرون بالياء و الباقرن بالتاء.

الحج

قد تقدم أن قدر في معنى قدر فكلا الوجهين حسن و تؤثرون بالتاء على الخطاب بل أنتم تؤثرون و الياء على أنه يريد الأشقين و روى أن ابن مسعود و الحسن قرءاه.

اللغة

الأعلى نظير الأكبر و معناه العالى بسلطانه و قدرته و كل من دونه في سلطانه و لا يقتضى ذلك المكان قال الفرزدق:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

و الغناء ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات و أصله الأخلاط من أجناس شتى و العرب تسمى القوم إذا اجتمعوا من قبائل شتى أخلطا و غثاء و الأحوى الأسود و الحوه السواد قال ذو الرمة:

لمياء فى شفيتها حوه لعس و فى اللثا؁ و فى أنيابها شنب

ص: ٢٩٥

وقال:

قرحاء حواء أشراطيه وكفت فيها الذهب و حفنها البراعيم

و الإقراء أخذ القراءه على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل و القارئ التالى و أصله الجمع لأنه يجمع الحروف و النسيان ذهاب المعنى عن النفس و نظيره السهو و نقيضه الذكر و هو ذهاب العلم الضرورى بما جرت به العاده أن يعلمه و ليس بمعنى و قال أبو على الجبائى و هو معنى من فعل الله تعالى.

الإعراب

الأعلى يحتمل أن يكون جراً صفة لرب و أن يكون نصيباً صفة لاسم أحوى نصب على الحال من المرعى و التقدير أخرج المرعى أحوى أى أسود لشده خضرته «فَجَعَلَهُ غُثَاءً» أى جففه حتى صار جافاً كالغثاء و يجوز أن يكون نعتاً لغثاء و التقدير فجعله غثاء أسود و الأول أوجه و هو قول الزجاج. «ما شاء الله» فى موضع نصب على الاستثناء و التقدير سنقرئك القرآن فلا تنسأه إلا ما شاء الله أن تنسأه برفع حكمه و تلاوته و هو قول الحسن و قتاده «إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى» شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله «فَذُكْرٌ» و التقدير إن نفعت الذكرى فذكرهم.

المعنى

«سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» أى قل سبحان ربى الأعلى عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه نزه ربك عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومه و الأفعال القبيحه لأن التسييح هو التنزيه لله عما لا يليق به يجوز أن تقول لا إله إلا هو فتنفى ما لا يجوز فى صفته من شريك فى عبادته مع الإقرار بأنه الواحد فى إلهيته و أراد بالاسم المسمى و قيل إنه ذكر الاسم و المراد به تعظيم المسمى كما قال لبيد

" إلى الحول ثم اسم السلام عليكما "

و يحسن بالقارئ إذا قرأ هذه الآية أن يقول سبحان ربى الأعلى و إن كان فى الصلاة

قال الباقى (عليه السلام) إذا قرأت «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» فقل سبحان ربى الأعلى و إن كان فيما بينك و بين نفسك

و الأعلى معناه القادر الذى لا قادر أقدر منه القاهر لكل أحد و قيل الأعلى صفة الاسم و المعنى سبح الله بذكر اسمه الأعلى و أسماؤه الحسنى كلها أعلى و قيل معناه صل باسم ربك الأعلى عن ابن عباس «الَّذِى خَلَقَ» الخلق «فَسَوَّى» بينهم فى باب الأحكام و الإتقان و قيل خلق

كل ذى روح فسوى يديه و عينيه و رجليه عن الكلبى و قيل خلق الإنسان فعدل قامته عن الزجاج يعنى أنه لم يجعله منكوسا كالبهائم و الدواب و قيل خلق الأشياء على موجب إرادته و حكمته فسوى صنعها لتشهد على وحدانيته «وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى» أى قدر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور و الهيئات و أجرى لهم أسباب معاشهم من الأرزاق و الأقوات ثم هداهم إلى دينه بمعرفه توحيده بإظهار الدلالات و البيئات و قيل معناه قدر أقواتهم و هداهم لطلبها و قيل قدرهم على ما اقتضته حكمته فهدى أى أرشد كل حيوان إلى ما فيه منفعة و مضرته حتى أنه سبحانه هدى الطفل إلى ثدى أمه و هدى الفرخ حتى طلب الزق من أبيه و أمه و الدواب و الطيور حتى فزع كل منهم إلى أمه و طلب اليمينه من جهته سبحانه و تعالى و قيل قدرهم ذكورا و إناثا و هدى الذكر كيف يأتى الأنثى عن مقاتل و الكلبى و قيل هدى إلى سبيل الخير و الشر عن مجاهد و قيل قدر الولد فى البطن تسعه أشهر أو أقل أو أكثر و هدى للخروج منه للتمام عن السدى و قيل قدر المنافع فى الأشياء و هدى الإنسان لاستخراجها منه فجعل بعضها غذاء و بعضها دواء و بعضها سما و هدى إلى ما يحتاج إلى استخراجها من الجبال و المعادن كيف تستخرج و كيف تستعمل «وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعى» أى أنبت الحشيش من الأرض لمنافع جميع الحيوان و أقواتهم «فَجَعَلَهُ» بعد الخضره «غُثَاءً» أى هشيما جافا كالغثاء الذى تراه فوق السيل «أَحْوَى» أى أسود بعد الخضره و ذلك أن الكلاً إذا يبس اسود و قيل معناه أخرج العشب و ما ترعاه النعم أحوى أى شديد الخضره يضرب إلى السواد من شدة خضرته فجعله غثاء أى يابساً بعد ما كان رطباً و هو قوت البهائم فى الحالين فسبحان من دبر هذا التدبير و قدر هذا التقدير و قيل إنه مثل ضربه الله تعالى لذهاب الدنيا بعد نضارتها «سَيَنْقُرُوكَ فَلَا تَنْسى» أى سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك و قيل معناه سيقراً عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه و لا تنساه

قال ابن عباس كان النبى ص إذا نزل عليه جبرائيل (عليه السلام) بالوحي يقرأه مخافه أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل ع من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً

«إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» أن ينسيكه بنسخه من رفع حكمه و تلاوته عن الحسن و قتاده و على هذا فالإنشاء نوع من النسخ و قد مر بيانه فى سورة البقره عند قوله ما نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا الْآيَةَ و قيل معناه إلا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرأه و قيل إلا ما شاء الله كالاستثناء فى الإيمان و إن لم يقع منه مشيئه النسيان قال الفراء لم يشأ الله أن ينسى عليه السلم شيئاً فهو كقوله خالد بن فيهما ما دامت السَّمَاوَاتُ

وَ الْمَأْرُضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ* و لا يشاء و كقول القائل لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت و إلا أن أشاء أن أمنعك و النيه أن لا يمنعه و مثله الاستثناء فى الإيمان فى الآيه بيان لفضيله النبى ص و إخبار أنه مع كونه ص أميا كان يحفظ القرآن و إن جبرائيل ع كان يقرأ عليه سورة طويله فيحفظه بمره واحده ثم لا ينساه و هذه دلالة على الإعجاز الدال على نبوته.

«إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مَا يَخْفَى» معناه إن الله سبحانه يعلم العلانيه و السر. و الجهر رفع الصوت و نقيضه الهمس و المعنى أنه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به و ما أخفيت به مما تريد أن تعيه «وَ يُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى» اليسرى هى الفعلى من اليسر و هو سهوله عمل الخير و المعنى نوفقك للشريعة اليسرى و هى الحنيفيه و نهون عليك الوحى و نسهله حتى تحفظه و لا- تنساه و تعمل به و لا تخالفه و قيل معناه نسهل لك من الألفاف و التأييد ما يثبتك على أمرك و يسهل عليك المستصعب من تبليغ الرساله و الصبر عليه عن أبى مسلم و هذا أحسن ما قيل فيه فإنه يتصل بقوله «سَتُقِرُّكَ فَلَا تَنْسَى» فكأنه سبحانه أمره بالتبليغ و وعده النصر و أمره بالصبر و قيل إن اليسرى عبادته عن الجته فهى اليسرى الكبرى أى نيسر لك دخول الجته عن الجبائى «فَهَذَا كَرَمٌ» أمر النبى ص أن يذكر الخلق و يعظهم «إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى» و إنما قال ذلك و ذكره تنفع لا محاله فى عمل الإيمان و الامتناع من العصيان لأنه ليس بشرط حقيقه و إنما هو إخبار عن أنه ينفع لا محاله فى زياده الطاعه و الانتهاء عن المعصيه كما يقال سله إن نفع السؤال و قيل معناه عظمهم إن نفعت المواعظه أو لم تنفع لأنه ص بعث للإعذار و الإنذار فعليه التذكير فى كل حال نفع أو لم ينفع و لم يذكر الحاله الثانيه كقوله سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ وَ قد نبه الله سبحانه على تفصيل الحالتين بقوله «سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى» أى سيتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى و يخاف عقابه «وَ يَنْجِبُهَا» أى يتجنب الذكرى و المواعظه «الْأَشْقَى» أى أشقى العصاه فإن للعاصين درجات فى الشقاوه فأعظمهم درجه فيها الذى كفر بالله و توحيده و عبد غيره و قيل الأشقى من الاثنين من يخشى و من يتجنب عن أبى مسلم «الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى» أى يلزم أكبر النيران و هى نار جهنم و النار الصغرى نار الدنيا عن الحسن و قيل إن النار الكبرى هى الطبقة السفلى من جهنم عن الفراء «ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا» فيستريح «وَ لَا يَحْيَى» حياه ينتفع بها بل صارت حياته و بالا عليه يتمنى زوالها لما هو معها من فنون العقاب و ألوان العذاب و قيل و لا يحيى أى و لا يجد روح الحياه «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» أى قد فاز من تطهر من الشرك و قال لا إله إلا الله عن عطاء و عكرمه و قيل معناه قد ظفر بالبغيه من صار زاكيا بالأعمال الصالحه و الورع عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل زكى أى أعطى زكاه ماله عن ابن مسعود و كان يقول قد رحم الله امرأ تصدق ثم صلى و يقرأ هذه

قيل أراد صدقه الفطره و صلاه العيد عن أبى عمرو و أبى العاليه و عكرمه و ابن سيرين و روى ذلك مرفوعا عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و متى قيل على هذا القول كيف يصح ذلك و السوره مكيهه و لم يكن هناك صلاه عيد و لا- زكاه و لا فطره قلنا يحتمل إن يكون نزلت أوائلها بمكه و ختمت بالمدينه «و ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» أى وحد الله عن ابن عباس و قيل ذكر الله بقلبه عند صلاته فرجا ثوابه و خاف عقابه فإن الخشوع فى الصلاه بحسب الخوف و الرجاء و قيل ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله فى الصلاه فصلى بذلك الاسم أى قال الله أكبر لأن الصلاه لا تنعقد إلا به و قيل هو أن يفتح بسم الله الرحمن الرحيم و يصلى الصلوات الخمس المكتوبه ثم قال سبحانه مخاطبا للكفار «بَلْ تُؤْثِرُونَ» أى تختارون «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» على الآخره فتعملون لها و تعمرونها و لا تتفكرون فى أمر الآخره و قيل هو عام فى المؤمن و الكافر بناء على الأعم الأغلب فى أمر الناس قال عبد الله بن مسعود إن الدنيا اخضرت لنا و عجل لنا طعامها و شرابها و نساؤها و لذتها و بهجتها و إن الآخره نعتت لنا و زويت عنا فأخذنا بالعاجل و تركنا الآجل ثم رغب سبحانه فى الآخره فقال «وَالْآخِرَةُ» أى و الدار الآخره و هى الجنه «خَيْرٌ» أى أفضل «وَأَبْقَى» و أدام من الدنيا

فى الحديث من أحب آخرته أضرب بدنياه و من أحب دنياه أضرب بآخرته

«إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى» يعنى أن هذا الذى ذكر من قوله «قَدْ أَفْلَحَ» إلى أربع آيات لفى الكتب الأولى التى أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلى و المتركى و إثثار الخلق الدنيا على الآخره و إن الآخره خير و قيل معناه أن من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح فى الصحف الأولى كما هو ممدوح فى القرآن ثم بين سبحانه أن الصحف الأولى ما هى فقال «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى» و فى هذا دلالة على أن إبراهيم كان قد أنزل عليه الكتاب خلافا لمن يزعم أنه لم ينزل عليه كتاب و واحده الصحف صحيفه و

روى عن أبى ذر أنه قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء فقال مائه ألف نبى و أربعة و عشرون ألفا قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة و ثلاثه عشر و بقيتهم أنبياء قلت كان آدم (عليه السلام) نبيا قال نعم كلمه الله و خلقه بيده يا أبا ذر أربعة الأنبياء عرب هود و صالح و شعيب و نبيك قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائه و أربعة كتب أنزل الله منها على آدم (عليه السلام) عشر صحف و على شيث خمسين صحيفه و على أخنوخ و هو إدريس ثلاثين صحيفه و هو أول من خط بالقلم و على إبراهيم عشر صحائف و التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان

و

فى الحديث أنه كان فى صحف إبراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه

و قيل إن كتب الله كلها أنزلت فى شهر رمضان.

(٨٨) سورة الغاشية مكيه و آياتها ست و عشرون (٢٦)

اشاره

[توضيح]

مكيه ست و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص من قرأها حاسبه الله حسابا يسيرا

أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من أدمن قراءه هل أتاك حديث الغاشيه فى فرائضه أو نوافله غشاه الله برحمته فى الدنيا و الآخره و أعطاه الأمن يوم القيامه من عذاب النار.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بالترغيب فى الآخره و أنها خير من الدنيا و افتتح هذه أيضا ببيان أحوال الآخره فقال:

ص: ٣٠٠

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هل أتاك حديث الغاشية (١) وُجوهٌ يومئذٍ خاشعَةٌ (٢) عامله ناصبته (٣) تصلى ناراً حاميةً (٤)

تسقى من عين آنية (٥) ليس لهم طعام إلا من ضريع (٦) لا يسمن ولا يغنى من جوع (٧) وُجوهٌ يومئذٍ ناعمة (٨) لیسعها راضية (٩)

في جنه عاليه (١٠) لا تسمع فيها لاغية (١١) فيها عين جارية (١٢) فيها سرور مرفوعة (١٣) و أكواب موضوعة (١٤)

و نمارق مصفوفة (١٥) و زرابي مبنوثة (١٦) أفلا- ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (١٧) و إلى السماء كيف رفعت (١٨) و إلى الجبال كيف نصبت (١٩)

و إلى الأرض كيف سطحت (٢٠) فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمصيطر (٢٢) إلا- من تولى و كفر (٢٣) فيعذبه الله العذاب الأكبر (٢٤)

إن إنا إياهم (٢٥) ثم إن علينا حسابهم (٢٦)

القراءه

قرأ أهل البصره غير سهل و أبو بكر تصلى بضم التاء و الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أهل البصره غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغيه بالرفع و قرأ نافع لا تسمع بضم التاء لاغيه بالرفع و قرأ الباقون «لا تسمع» بفتح التاء «لاغية» بالنصب و قرأ أبو جعفر إياهم بتشديد الياء و الباقون بالتخفيف و

روى عن على (عليه السلام) أفلا- ينظرون إلى الإبل كيف خلقت و إلى السماء كيف رفعت و إلى الجبال كيف نصبت و إلى الأرض كيف سطحت بفتح أوائل هذه الحروف كلها و ضم التاء

و عن ابن عباس و قتاده و زيد بن أسلم و زيد بن علي إلا من تولى بالتخفيف.

الحجه

حجه من قال «تصلى» قوله سيصلى ناراً ذات لهب و قوله إلا من هو صال الجحيم و حجه من قال تصلى قوله ثم الجحيم صلوه و صلوه مثل اصلوه و اللاغية مصدر بمنزله العاقبه و العافيه و يجوز أن تكون صفه نحو أن تقول لا تسمع فيها كلمه لاغيه و الأول أوجه لقوله تعالى لا يسمعون فيها لغواً* و لا تسمع على بناء الفعل للمفعول به حسن لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه و بناء الفعل للفاعل أيضا حسن على الشيعاء في الخطاب و إن كان لواحد و على هذا و إذا رأيت ثم رأيت نعيماً و يجوز أن

يكون الخطاب للنبي ص و كل واحد من التاء و الياء في تسمع و يسمع حسن على اللفظ و على المعنى و أما قوله إياهم على التشديد فقال أبو الفتح أنكر أبو حاتم هذه القراءة لأنه حملها على نحو كذبوا كذا قال و هذا لا يجوز لأنه كان يجب أوبا لأنه فعال فيصح لاحتمال التغيير بالإدغام كقولهم اجلوذ اجلوذا قال أبو الفتح يجوز أن يكونوا قلبوا الواو ياء من أواب و إن كانت متحصنه بالإدغام استحسانا للتخفيف لا وجوبا كما قالوا ديمت السماء في دومت قال:

ص: ٣٠١

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل إن ديموا جاد و إن جادوا وبل

يريد دوموا و قال و يجوز أن يكون بنى من آب فيعلت و أصله أيوبت و المصدر إيواب فقلبت الواو ياء لوقوع الياء ساكنه قبلها و يجوز أن يكون أوبت فوعلت و المصدر على الفيعل كالحيقال من حوقلت أنشد الأصمعي:

يا قوم قد حوقلت أو دنوت و بعد حيقال الرجال الموت

فصار إيوابا فقلبت الواو ياء فصار إيابا و أما قراءه على (عليه السلام) فالمفعول جميعها محذوف لدلاله المعنى عليه أى كيف خلقتها و كيف رفعتها و كيف نصبتها و سطحتها و من قرأ إلا من تولى فإلا افتتاح كلام و من شرط و جوابه «فَيَعْدُبُهُ اللَّهُ» أى فهو يعذبه الله و قد تقدم القول فيه فى مواضع.

اللغة

الغاشيه المجمله لجميع الجمله غشيه يغشاه غشيانا و أغشاه غيره إذا جعله يغشى و غشاه بمعناه و نصب الرجل ينصب نصبا فهو نصب و ناصب إذا تعب فى العمل و الآنيه البالغه النهايه فى شده الحر و الضريع نبت تأكله الإبل يضر و لا ينفع و إنما سمي ضريعا لأنه يشتبه عليها أمره فتظنه كغيره من النبت و الأصل من المضارعه و المشابهه و النمارق واحدها نمرقه و الزرابى البسط الفاخره واحدها زربيه و المصيطر المتسلط على غيره بالقهر له يقال تصيطر فلان على فلان و صيطر إذا تسلط و قال أبو عبيده مصيطر و مبيطر لا ثالث لهما فى كلام العرب.

الإعراب

«كَيْفَ خُلِقَتْ» يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من خلقت و يجوز أن يكون على المصدر و تكون الجمله التى هى كيف خلقت معلقه بينظرون لأن النظر مؤد إلى العلم «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى» هو استثناء منقطع و سيبويه يقدر الاستثناء المنقطع ولكن و الفراء يقدره بسوى.

المعنى

«هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» خطاب للنبي ص يريد قد أتاك حديث يوم القيامة لأنها تغشى الناس بأهوالها بغته عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل الغاشيه النار تغشى وجوه الكفار بالعذاب و هذا كقوله تَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ عن محمد بن كعب و سعيد بن جبير «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ» أى ذليله بالعذاب الذى يغشاها و الشدائد التى تشاهدها و المراد

بذلك أرباب الوجوه و إنما ذكر الوجوه لأذن الذل و الخضوع يظهر فيها و قيل المراد بالوجوه الكبراء تقول جاءنى وجوه بنى تميم أى ساداتهم و قيل عنى به وجوه الكفار كلهم لأنها تكبرت عن عباده الله تعالى عن مقاتل «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ» فيه وجوه (أحدها) أن المعنى عامله فى النار ناصبه فيها عن الحسن و قتاده قالاً لم يعمل الله سبحانه فى الدنيا فأعملها و أنصبها فى النار بمعالجه السلاسل و الأغلال قال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار و قال الكلبي يجرون على وجوههم فى النار (و ثانيها) أن المراد عامله فى الدنيا بالمعاصى ناصبه فى النار يوم القيامة عن عكرمه و السدى (و ثالثها) عامله ناصبه فى الدنيا يعملون و ينصبون و يتعبون على خلاف ما أمرهم الله تعالى به و هم الرهبان و أصحاب الصوامع و أهل البدع و الآراء الباطلة لا يقبل الله أعمالهم فى البدعه و الضلاله و تصير هباء لا يثابون عليها عن سعيد بن جبير و زيد بن أسلم و أبى الضحاك عن ابن عباس و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) كل ناصب لنا و إن تعبد و اجتهد يصير إلى هذه الآية «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ»

«تَصِيْلِي نَارًا حَامِيَةً» قال ابن عباس قد حميت فهى تتلظى على أعداء الله و قيل المعنى إن هؤلاء يلزمون الإحراق بالنار التى فى غايه الحراره «تُشَقِّقِي مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ» أى و تسقى أيضا من عين حاره قد بلغت إناها و انتهت حرارتها قال الحسن قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا إليها وردا عطاشا هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال «لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ» و هو نوع من الشوك يقال له الشبرق و أهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس و هو أخبث طعام و أبشعه لا ترعاه دابه و

عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ص الضريع شىء يكون فى النار يشبه الشوك أمر من الصبر و أنتن من الجيفه و أشد حرا من النار سماه الله الضريع

و قال أبو الدرداء و الحسن إن الله يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصه فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستقون فيعطشهم الله سبحانه ألف سنه ثم يسقون من عين آتية شربه لا هنيهة و لا مريئه كلما أدنوه إلى وجوههم سلخ جلود وجوههم و شواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله وَ سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَفَقَّعَ أَمْعَاءَهُمْ و لما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع و كذبوا فى ذلك لأن الإبل لا ترعاه فقال الله سبحانه تكذبا لهم «لَا يُشْبِهُنَّ وَلَا يُعْنِي مِنْ جُوعٍ» أى لا يدفع جوعا و لا يسمن أحدا قال الحسن لا أدرى ما الضريع لم أسمع من أصحاب محمد ص شيئا فيه و قيل هو سم عن مجاهد و قتاده و قيل ضريع بمعنى مضرع أى يضرعهم و يذلهم و قيل يسمى ضريعا لأن آكله يضرع فى الإعفاء منه لخشونته و شدة كراهته عن كيسان و قيل هو الحجارة عن سعيد بن جبير ثم وصف سبحانه أهل الجنة فقال «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ» أى

منعمه فى أنواع اللذات ظاهر عليها إثر النعمة و السرور و مضيئه مشرقه «لِسَ عِيهَا» فى الدنيا «راضِيَةً» حين أعطيت الجنة بعملها و المعنى لثواب سعيها و عملها من الطاعات راضيه يريد أنه لما ظهر نفع أعمالهم و جزاء عباداتهم رضوه و حمدوه و هذا كما يقال عند الصباح يحمد القوم السرى «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» أى مرتفعه القصور و الدرجات و قيل إن علو الجنة على وجهين علو الشرف و الجلاله و علو المكان و المنزله بمعنى أنها مشرفه على غيرها و هى أنزه ما تكون و الجنة درجات بعضها فوق بعض كما أن النار دركات «لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغَيْهٍ» أى كلمه ساقطه لا- فائده فيها و قيل لاغيه ذات لغو كقولهم نابل و دارع أى ذو نبل و درع قال الحطيئه:

" و غررتنى و زعمت أنك لابن بالصيف تأمر "

«فِيهَا» أى فى تلك الجنة «عَيْنٌ جَارِيَةٌ» قيل إنه اسم جنس و لكل إنسان فى قصره من الجنة عين جاريه من كل شراب يشتهيهِ و فى العيون الجاريه من الحسن و اللذه و المنفعه ما لا يكون فى الواقفه و لذلك وصف بها عيون أهل الجنة و قيل إن عيون أهل الجنة تجرى فى غير أهدود و تجرى كما يريد صاحبها «فِيهَا» أى فى تلك الجنة «سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ» قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكمله بالزبرجد و الدر و الياقوت مرتفعه ما لم يجىء أهلها فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها و السرر جمع سرير و هو مجلس السرور و قيل إنما رفعت ليرى المؤمنون بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك «وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ» على حافات العيون الجاريه كلما أراد المؤمن شربها وجدها مملوءه و هى الأباريق ليس لها خراطيم و لا عرى تتخذ للشراب و قيل هى أوانى الشراب من الذهب و الفضة و الجواهر بين أيديهم و يشربون بها ما يشتهونه من الأشربه و يتمتعون بالنظر إليها لحسنها «وَ نَمَارِقٌ مَّصِفُوفَةٌ» أى وسائل يتصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك فى الدنيا «وَ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ» و هى البسط الفاخره و الطنافس المخمليه و المبوته المبسوطه المنشوره و يجوز أن يكون المعنى أنها مفرقه فى المجالس و

عن عاصم بن ضميره عن على (عليه السلام) أنه ذكر أهل الجنة فقال يحيئون فيدخلون فإذا أسس بيوتهم من جندل اللؤلؤ و سرر مرفوعه و أكواب موضوعه و نمارق مصفوفه و زرابى مبوته و لو لا- أن الله تعالى قدرها لهم لالتمعت أبصارهم بما يرون و يعانقون الأزواج و يعقدون على السرر و يقولون الحمد لله الذى هدانا لهذا

قال قتاده و لما نعت الله الجنة و ما فيها عجب من ذلك أهل الضلال فأنزل الله سبحانه «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ» و كانت عيشا من عيشهم فيقول أ فلا يتفكرون فيها و ما يخرج الله من ضروعها من بين فرث و دم لبنا خالصا سائعا للشاربين يقول كما صنعت هذا لهم فكذلك أصنع لأهل الجنة فى الجنة و قيل معناه أ فلا يعتبرون بنظرهم إلى الإبل و ما ركب الله عليه من عجب الخلق فإنه مع

عظمته وقوته يذلله الصغير فينقاد له بتسخير الله إياه لعباده فيبركه و يحمل عليه ثم يقوم و ليس ذلك فى غيره من ذوات الأربع فلا يحمل على شىء منها إلا و هو قائم فأراهم الله سبحانه هذه الآيه فيه ليستدلوا على توحيده بذلك عن أبى عمرو بن العلاء و الزجاج و سأل الحسن عن هذه الآيه و قيل له الفيل أعظم من الإبل فى الإعجوبه فقال أما الفيل فالعرب بعيدو العهد بها ثم هو خنزير لا- يركب ظهرها و لا يؤكل لحمها و لا يحلب درها و الإبل من أعز مال العرب و أنفسه تأكل النوى و ألقى و تخرج اللبن و يأخذ الصبى بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمتها فى نفسها و يحكى أن فأره أخذت بزمام ناقه فأخذت تجرها و هى تتبعها حتى دخلت الحجر فجرت الزمام فبركت الناقه فجرت فقربت فمها من جحر الفأر.

«وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ» أى كيف رفعها الله فوق الأرض و جعل بينهما هذا الفضاء الذى به قوام الخلق و حياتهم ثم إلى ما خلقه فيها من بدائع الخلق من الشمس و القمر و الكواكب و علق بها منافع الخلق و أسباب معاشهم «وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ» أى أ و لا- يتفكرون فى خلق الله سبحانه الجبال أوتادا للأرض و مسكنه لها و أنه لولاها لمادت الأرض بأهلها «وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» أى كيف بسطها الله و وسعها و لو لا ذلك لما صح الاستقرار عليها و الانتفاع بها و هذه من نعم الله سبحانه على عباده لا توازيها نعمه منعم و فيها دلائل على توحيده و لو تفكروا فيها لعلموا أن لهم صانعا صنعمهم و موجدا أوجدهم و لما ذكر سبحانه الأدله أمر نيته بالتذكير بها فقال «فَذَكِّرْ» يا محمد و التذكير التعريف للذكر بالبيان الذى يقع به الفهم و النفع بالتذكير عظيم لأنه طريق للعلم بالأمور التى يحتاج إليها «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ» لهم بنعم الله تعالى عندهم و بما يجب عليهم فى مقابلتها من الشكر و العباده و قد أوضح الله تعالى طريق الحجج فى الدين و أكده غايه التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ» و قوله وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ و قوله إِنَّ فى ذِكْرِكَ لِمَا يَهْدِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ و يَتَفَكَّرُونَ* و قيل إن المراد فذكرهم بهذه الأدله و أمرهم بالاستدلال بها و نبههم عليها عن الجبائى و أبى مسلم «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» معناه لست عليهم بمتسلط تسليطا يمكنك أن تدخل الإيمان فى قلوبهم و تجبرهم عليه و إنما الواجب عليك الإنذار فاصبر على الإنذار و التبليغ و الدعوه إلى الحق و قيل معناه لست عليهم بمتسلط الآن حتى تقاتلهم إن خالفوك و كان هذا قبل نزول آيه الجهاد ثم نسخ بالأمر بالقتال و الوجه الصحيح أنه لا نسخ فيه لأن الجهاد ليس بأكره للقلوب و المراد أنك إنما بعثت للتذكير و ليس عليك من ترك قبولهم شىء «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» أى أعرض عن الذكر و لم يقبل منك و كفر بالله و بما جئت به فكل أمره إلى الله عن الحسن و قيل معناه إلا من تولى و كفر فلست له بمذكر لأنه لا يقبل منك فكأنك لست تذكره «فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ

العَذَابِ الْأَكْبَرِ» و هو الخلود فى النار و لا عذاب أعظم منها ثم ذكر سبحانه أن مرجعهم إليه فقال «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ» أى مرجعهم و مصيرهم بعد الموت «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» أى جزاءهم على أعمالهم فهذا جامع بين الوعد و الوعيد و معناه لا يهمنك أمرهم فإنهم و إن عاندوك و آذوك فمصير جميعهم إلى حكمنا لا- يفوتوننا و مجازاتهم علينا و عن قريب تقرر عينك بما تراه فى أعدائك.

النظم

يسأل كيف يتصل ذكر الإبل و ما بعدها بذكر وصف الجنان و نعيمها (و الجواب) إنه يتصل بأول السوره و الضمير فى قوله «يَنْظُرُونَ» عائد إلى الذين وصفهم بقوله «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ» و أنه لما ذكر عقابهم و ثواب المؤمنين عاد عليهم بالاحتجاج بالإبل و السماء و الأرض و الجبال و كيفية دلالتها على وجود الصانع الحكيم يريد هلا نظر هؤلاء فى صنائع الله فيعرفونه و يعبدونه عن أبى مسلم و قيل إنه لما ذكر سرر الجنة و ارتفاعها تعجبوا من ذلك و قالوا كيف يصعد عليها فأراهم الله سبحانه الإبل و أنه كيف سخرت لبنى آدم مع عظمها حتى أنيخت للحمل عليها و تقوم بعد ذلك و كيف أحكم الله خلق السماوات و الأرض و الجبال ردا على أولئك القوم و إنما خص سبحانه هذه الأشياء بالذكر لاستواء الناس كلهم فى معرفتها.

(٨٩) سورة الفجر مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)

اشاره

[توضيح]

مكيه اثنتان و ثلاثون آيه حجازى و ثلاثون كوفى شامى و تسع و عشرون بصرى.

اختلفا

أربع آيات «و نَعَّمَهُ» «فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ» كلتهما حجازى «بِجَهَنَّمَ» حجازى شامى «فِي عِبَادِي» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها فى ليال عشر غفر الله له و من قرأها سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

و

روى داود بن فرقد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال اقرأوا سورة الفجر فى فرائضكم و نوافلكم فإنها سورة الحسين بن على (عليه السلام) من قرأها كان مع الحسين بن على (عليه السلام) يوم القيامة فى درجته من الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بأن إياب الخلق إليه و حسابهم عليه و افتتح هذه السوره بتأكيد ذلك المعنى حين أقسم أنه بالمرصاد فقال:

ص: ٣٠٧

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْفَجْرِ (١) وَ لَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَ ثَمُودَ
الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩)

وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ
لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا
بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَ لَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩)

وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّىٰ لَهُ الذُّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا (٢٥) وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا (٢٦) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨)
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩)

وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و الوتر بكسر الواو و الباقون بالفتح و قرأ أبو جعفر و ابن عامر فقدر بالتشديد و الباقون بالتخفيف و
قرأ لا يكرمون بالياء و كذلك ما بعده أهل البصره و الباقون بالتاء و قرأ لا تحاضون أهل الكوفه و أبو جعفر و قرأ لا يعذب و لا
يوثق بالفتح الكسائي و يعقوب و سهل و الباقون «لا يُعَذَّبُ» و «لا يُوثِقُ» و قرأ أهل المدينه و أبو عمرو و قتيبه عن

الكسائي و الليل إذا يسرى بإثبات الياء فى الوصل و حذفها فى الوقف و قرأ ابن كثير و يعقوب بإثبات الياء فى الوصل و الوقف و الباقون بالحذف فىهما و قرأ القواس و البزى و يعقوب بالوادى بإثبات الياء فى الوصل و الوقف و ورش بإثباتها فى الوصل و حذفها فى الوقف و الباقون بحذفها فى الوصل و الوقف و قرأ أهل المدينة أكرمى و أهاننى بإثبات الياء فى الوصل و حذفها فى الوقف و القواس و البزى و يعقوب بإثبات الياء فى الوصل و الوقف و أبو عمرو و لا- يبالى كيف قرأ بالياء و غير الياء و روى العياشى عنه بحذف الياء من غير تخيير و الباقون بحذف الياء فى الحرفين فى الوصل و الوقف و فى الشواذ قراءه ابن عباس بعاد إرم ذات العماد و روى ذلك عن الضحاك أيضا و قراءه ابن عباس و عكرمه و الضحاك و ابن السميع فادخلى فى عبدى.

الحجج

قال أبو على حدثنا محمد بن السرى أن الأصمعى قال لكل فرد وتر و أهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر فى الفرد و يكسرون الوتر فى الذحل و قيس و تميم يسوونهما فى الكسر و يقولون فى الوتر الذى هو الأفراد أوترت و أنا أوتر إيثارا أى جعلت أمرى و ترا و فى الذحل وترته أتره و ترا وتره قال أبو بكر وترته فى الذحل إنما هو أفردته من أهله و ماله و من قرأ يكرمون و ما بعده بالياء فلما تقدم من ذكر الإنسان و المراد به الجنس و الكثره على لفظ الغيبه و لا يمتنع فى هذه الأشياء المداله على الكثره أن يحمل على اللفظ مره و على المعنى أخرى و من قرأ بالثناء فعلى معنى قل لهم ذلك و معنى لا تحضون على طعام المسكين لا تأمرون به و لا- تبعثون عليه «وَلَا تَحَاضُونَ» تتفاعلون منه و قوله «لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ» معناه لا يعذب تعذيبه فوضع العذاب موضع التعذيب كما وضع العطاء موضع الإعطاء فى قوله

" و بعد عطائك المائه الرتاعا "

فالمصدر الذى هو عذاب مضاف إلى المفعول به مثل دعاء الخير و المفعول به الإنسان المتقدم ذكره فى قوله «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ» و الوصاق أيضا موضع الإيثاق فأما من قرأ لا يعذب فقد قيل إن المعنى فيه أنه لا يتولى عذاب الله تعالى يومئذ أحد و الأمر يومئذ أمره و لا أمر لغيره هذا قول و قد قيل أيضا لا يعذب أحد فى الدنيا مثل عذاب الله فى الآخرة و كان الذى حمل قائل هذا القول على أن قاله إنه إن حملة على ظاهره كان المعنى لا يعذب أحد فى الآخرة مثل عذاب الله و معلوم أنه لا يعذب أحد فى الآخرة مثل

عذاب الله إنما المعذب الله تعالى فعديل عن الظاهر لذلك.

و لو قيل إن المعنى فيومئذ لا يعذب أحد أحدا تعذيبا مثل تعذيب الكافر المتقدم ذكره فأضيف المصدر إلى المفعول به كما أضيف إليه في القراءة الأولى و لم يذكر الفاعل كما لم يذكره في مثل قوله تعالى مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ لكان المعنى في القراءتين سواء و الذى يرد بأحد الملائكة الذين يتولون تعذيب أهل النار و يكون ذلك كقوله يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ و قوله وَ لَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَ أَذْبَارَهُمْ و قوله «وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» لا شبهه أن يكون هذا القول أولى و الفاعل له هم الملائكة قال و وجه قول من قال يسرى بالياء وصل أو وقف إن الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف من الأسماء نحو قاض و غاز فتقول هو يقضى و أنا أقضى فتثبت الياء و لا تحذف كما تحذف من الاسم نحو هذا قاض و ليس إثبات الياء بالأحسن في الوقف من الحذف و ذلك أنها فاصله و جميع ما لا يحذف في الكلام و ما يختار فيه أن لا يحذف نحو القاضى بالألف و اللام يحذف إذا كان في قافيه أو فاصله قال سيبويه: و الفاصله نحو «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» و يَوْمَ التَّنَادِ و الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ فإذا كان شىء من ذلك في كلام تام شبه بالفاصله فحسن حذفها نحو قوله «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ» فإن قلت كيف كان الاختيار فيه أن يحذف إذا كان في فاصله أو قافيه و هذه الحروف من أنفس الكلم و هلا لم يستحسن حذفها كما أثبت سائر الحروف و لم يحذف و القول في ذلك أن الفواصل و القوافى في مواضع الوقف و الوقف موضع تغير فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف و الإسكان و روم الحركة غيرت فيه هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ألا ترى أن النداء لما كان في موضع حذف بالترخيم و الحذف للحروف الصحيحة ألزمو الحذف في أكثر الكلام للحرف المتغير و هو تاء التأنيث فكذلك ألزم الحذف في الوقف لهذه الحروف المتغيره فجعل تغييرها الحذف و لما يراع فيها ما روعى في الحروف الصحيحة فسوا بينها و بين الزائد في الحذف للجزم نحو لم يغز و لم يرم و لم يخش و أجروها مجرى الزائد في الإطلاق نحو

" و بعض القوم يخلق ثم لا يفري "

و ما يمر و ما يحلو كما قالوا

" أقوين من حجج و من دهر "

فلذلك اختير فيها الحذف في الفواصل و القوافى و كذلك قوله «جأبوا

الصَّخْرَ بِالْوَادِ» الأوجه فيه الحذف إذا كانت فاصله و إن كان الأحسن إذا لم تكن فاصله الإثبات و من قرأ فى الوصل يسرى بالياء و فى الوقف بغير ياء فإنه ذهب إلى أنه إذا لم يقف عليها صار بمنزله غيرها من المواضع التى لا يوقف عليها فلم تحذف من الفاصله إذا لم يقف عليها كما لم يحذف من غيرها و حذفها إذا وقف عليها من أجل الوقف و من قرأ «أَكْرَمَنِ» و «أَهَانَنِ» بغير ياء فى وصل و لا وقف فهو كمن قرأ «يَسْرِ» فى الوصل و الوقف لأن ما قبلها كسره فى فاصله و من قرأهما بياء فى الوصل كمثل من قرأ يسرى فى الوصل بإثبات الياء و بحذفها فى الوقف و روايه سيويه عن أبى عمرو أنه قرأ «رَبِّى أَكْرَمَنِ» و «رَبِّى أَهَانَنِ» على الوقف و من قرأ أرم ذات العماد فالمعنى جعلها رميمما رمت هى و استرمت و أرمها غيرها قال ابن جنى و أما القراءه «بِعَادِ إِرَمَ» فعلى أنه أراد أهل إرم هذه المدينه فحذف المضاف و هو يريد كقوله تعالى بَزِينَهُ الْكَوَاكِبِ أَى بزينه الكواكب قال و قوله فى عبدى لفظه لفظ الواحد و معناه الجمع أى عبادى و ذلك أنه جعل عبادى كالواحد أى لا خلاف بينهم فى عبوديته كما لا يخالف الإنسان فيصير

كقول النبى ص و هم يد على من سواهم

و قال غيره معناه فادخلى فى جسم عبدى.

اللغه

الفجر شق عمود الصبح فجره الله لعباده فجرا إذا أظهره فى أفق المشرق مبشرا بإدبار الليل المظلم و إقبال النهار المضى ء و هما فجران (أحدهما) الفجر المستطيل و هو الذى يصعد طولا كذنب السرحان و لا حكم له فى الشرع (و الآخر) هو المستطير المنتشر فى أفق السماء و هو الذى يحرم عنده الأكل و الشرب لمن أراد أن يصوم فى شهر رمضان و هو ابتداء اليوم و الحجر العقل و أصله المنع يقال حجر القاضى على فلان ماله أى منعه من التصرف فيه فالعقل يمنع من المقبحات و يزجر عن فعلها و العماد جمعه عمد و هو ما تبنى به الأبنيه و يستعمل فى القوه و الشرق يقال فلان رفيع العماد قال:

و نحن إذا عماد البيت خرت على الأخفاض نمنع من يلينا

و الجواب القطع قال النابغه:

أتاك أبو ليلى تجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاه غشمشم

و الغشمشم الطويل و السوط معروف قال الفراء السوط اسم للعذاب و إن لم يكن ثم ضرب بسوط و أصل السوط خلط الشىء بعضه ببعض فكان السوط قسط عذاب يخالط اللحوم و الدماء كما يخالطهما السوط قال الشاعر:

أ حارث أنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

و المرصاد الطريق مفعال من رصده يرصده رصدا إذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه و اللم الجمع و لمت ما على الخوان ألمه لما إذا أكلته أجمع كأنه يأكل ما ألم به و لا يميز شيئا من شىء و الجم الكثير العظيم و جمه الماء معظمه و جم الماء فى الحوض إذا اجتمع و كثر قال زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم

و الدك حط المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير إذا انفرش فى ظهره و ناقه دكاء إذا كانت كذلك و منه الدكان لاستوائه قال:

ليت الجبال تداعت عند مصرعها دكا فلم يبق من أحجارها حجر

و الوثاق الشد و أوثقته شدته.

الإعراب

جواب القسم قوله «إِنَّ رَبَّكَ بِالْمُرْصَادِ» و قيل جوابه محذوف تقديره ليقبضن على كل ظالم أو لينتصفن كل مظلوم من ظالمه أ ما رأيت كيف فعلنا بعاد و فرعون و ثمود لما ظلموا و أجرى إرم على عاد عطف بيان أو على البدل و لا يجوز أن يكون صفه لأنه غير مشتق و إنما لا ينصرف إرم للتعريف و التأنيث ألا ترى إلى قوله «ذَاتِ الْعِمَادِ» و من أضاف فقال بعاد إرم فى الشواذ فإنه عنده بمنزله قولهم زيد بطه لأنه لقب فيضاف إليه الاسم و ثمود فى موضع جر أى و بثمود لا ينصرف لأنه أعجمى معرفه على طعام المسكين تقديره على إطعام طعام المسكين فحذف المضاف و يجوز أن يكون طعام اسما أقيم مقام الإطعام كقول لبيد:

باكرت حاجتها الدجاج بسحره لأعل منها حين هب نيامها

أى لاحتياجى إليها فهو مفعول له و التراث أصله الوارث من ورثت و لكن التاء تبدل من الواو و مثله تجاه أصله وجاه من واجهه و جواب إذا فى قوله «إِذَا دَكَّتِ الْأَرْضُ» قوله «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا» و قوله «صَيْفًا صَيْفًا» مصدر وضع موضع الحال أى مصطفين.

المعنى

«وَالْفَجْرِ» أقسم الله سبحانه بفجر النهار و هو انفجار الصبح كل يوم عن

عكرمه و الحسن و الجبائى و رواه أبو صالح عن ابن عباس و قيل هو فجر ذى الحجه لأن الله تعالى قرن الأيام به فقال «و ليالٍ عَشْرٍ» و هى عشر ذى الحجه عن مجاهد و الضحاك و قيل فجر أول المحرم لأنه تتجدد عنده السنه عن قتاده و قيل يريد فجر يوم النحر لأنه يقع فيه القربان و يتصل بالليالى العشر عن أبى مسلم و قيل أراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس و

ليال عشر يعنى العشر من ذى الحجه عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و الضحاك و السدى و روى ذلك مرفوعا

شرفها الله ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير و قيل هى العشر الأواخر من شهر رمضان فى روايه أخرى عن ابن عباس و قيل إنها عشر موسى للثلاثين ليله التى أتمها الله بها «و الشَّفَعِ وَ الوُتْرِ» يعنى الزوج و الفرد من العدد كله عن الحسن قال أبو مسلم هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع و النعم بما يضبط به من المقادير و قيل الشفع و الوتر كل ما خلقه الله تعالى لأن جميع الأشياء إما زوج و إما فرد عن ابن زيد و الجبائى و

قيل الشفع الخلق لأنه قال وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَ الوتر الله تعالى عن عطيه العوفى و أبى صالح و ابن عباس و مجاهد و هى روايه أبى سعيد الخدرى عن النبى ص

و

قيل الشفع و الوتر الصلاة و منه شفع و منها وتر و هى روايه ابن حصين عن النبى ص

و

قيل الشفع يوم النحر و الوتر يوم عرفه عن ابن عباس و عكرمه و الضحاك و هى روايه جابر عن النبى ص

و الوجه فيه أن يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده و ينفرد يوم عرفه بالموقف و

قيل الشفع يوم الترويه و الوتر يوم عرفه و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل إن الشفع و الوتر فى قول الله عز و جل فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا- إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا- إِثْمَ عَلَيْهِ فالشفع النفر الأول و الوتر يوم النفر الأخير و هو الثالث و أما الليالى العشر فالثمانى من ذى الحجه و عرفه و النحر عن ابن الزبير و قيل الوتر آدم شفع بزوجه عن ابن عباس و قيل الشفع الأيام و الليالى و الوتر اليوم الذى لا ليل بعده و هو يوم القيامة عن مقاتل بن حيان و قيل الشفع صفات المخلوقين و تضادها العز و الذل و الوجود و العدم و القدره و العجز و العلم و الجهل و الحياه و الموت و الوتر صفة الله تعالى إذ هو الموجود لا يجوز عليه العدم و القادر لا يجوز عليه العجز و العالم لا يجوز عليه الجهل و الحى لا يجوز عليه الموت و قيل الشفع على و فاطمه (عليه السلام) و الوتر محمد ص و قيل الشفع الصفا و المروه و الوتر البيت الحرام «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٍ» اختلفوا فى المراد به على و جهين (أحدهما) أنه أراد جنس الليالى كما قال وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٍ أَوْ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٍ بظلامه فيذهب حتى ينقضى بالضياء المبتدئ ففى سيره على المقادير المرتبه و مجيئه بالضياء عند تقضيه أدل دلالة على أن فاعله يختص بالعز و الجلال و يتعالى عن الأشباه و الأمثال و قيل إنه إنما أضاف السير إليه لأن الليل يسير بمسير الشمس فى الفلك و انتقالها من أفق إلى أفق و قيل إذا يسرى إذا جاء

و أقبل إلينا و يريد كل ليله عن قتاده و الجبائي و الوجه الآخر أن المراد به ليله بعينها تمييزا لها من بين الليالي ثم قيل إنها ليله المزدلفه لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعه الله تعالى و فيها يسرى الحاج من عرفه إلى المزدلفه ثم يصلى الغداه بها و يغدو منها إلى منى عن مجاهد و عكرمه و الكلبي «هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِتَدِي حِجْرٍ» أى هل فيما ذكر من الأقسام مقنع لذى عقل و لب يعقل القسم و المقسم به و هذا تأكيد و تعظيم لما وقع القسم به و المعنى أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه عجائب و دلائل على توحيد الله توضح عن عجائب صنعه و بدائع حكمته ثم اعترض بين القسم و جوابه بقوله «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» و هذا خطاب للنبي ص و تنبيه للكفار على ما فعله سبحانه بالأمم السالفه لما كفرت بالله و بأنبيائه و كانت أطول أعمارا و أشد قوه و عاد قوم هود و اختلفوا فى إرم على أقوال (أحدها) أنه اسم لقبيله قال أبو عبيده هما عادان فالأولى هى إرم و هى التى قال الله تعالى فيهم وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى و قيل هو جد عاد و هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عن محمد بن إسحاق و قيل هو سام بن نوح نسب عاد إليه عن الكلبي و قيل إرم قبيله من قوم عاد كان فيهم الملك و كانوا بمهره و كان عاد أباهم عن مقاتل و قتاده (و ثانيها) أن إرم اسم بلد ثم قيل هو دمشق عن ابن سعيد المقرئ و سعيد بن المسيب و عكرمه و قيل هو مدينه الإسكندريه عن محمد بن كعب القرظي و قيل هو مدينه بناها شداد بن عاد فلما أتمها و أراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحه نزلت من السماء (و ثالثها) أنه ليس بقبيله و لا بلد بل هو لقب لعاد و كان عاد يعرف به عن الجبائي و روى عن الحسن أنه قرأ بعاد إرم على الإضافه و قيل هو اسم آخر لعاد و كان له اسمان و من جعله بلدا فالتقدير فى الآيه بعاد صاحب إرم و قوله «ذَاتِ الْعِمَادِ» يعنى أنهم كانوا أهل عمد سياره فى الربيع فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم عن ابن عباس فى روايه عطاء و الكلبي عن قتاده و قيل معناه ذات الطول و الشده عن ابن عباس و مجاهد من قول العرب رجل معمد للطويل و رجل طويل العماد أى القامه ثم وصفهم سبحانه فقال «الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ» أى لم يخلق فى البلاد مثل تلك القبيله فى الطول و القوه و عظم الأجسام و هم الذين قالوا من أشد منا قوه و روى أن الرجل منهم كان يأتى بالصخره فيحملها على الحى فيهلكهم و قيل ذات العماد أى ذات الأبنيه العظام المرتفعه عن الحسن و قال ابن زيد ذات العماد فى أحكام البنيان التى لم يخلق مثلها أى مثل أبنيتها فى البلاد.

[قصه إرم ذات العماد]

قال وهب بن منبه خرج عبد الله بن قلابه فى طلب إبل له شردت فينا هو فى صحارى

ص: ٣١٤

عدن إذ هو قد وقع في مدينه في تلك الغلوات عليها حصن و حول الحصن قصور كثيره و أعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فنزل عن دابته و عقلها و سل سيفه و دخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببايين عظيمين لم ير أعظم منهما و البابان مرصعان بالياقوت الأبيض و الأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينه لم ير أحد مثلها و إذا هو قصور كل قصر فوقه غرف و فوق الغرف غرف مبنيه بالذهب و الفضة و اللؤلؤ و الياقوت و مصاريع تلك الغرف مثل مصراع المدينه يقابل بعضها بعضا مفروشه كلها باللآلئ و بنادق من مسك و زعفران فلما رأى الرجل ما رأى و لم ير فيها أحدا هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقه فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار و تحت الأشجار أنهار مطرده يجرى ماؤها من قنوات من فضه كل قناه أشد بياضا من الشمس فقال الرجل و الذى بعث محمدا ص بالحق ما خلق الله مثل هذه فى الدنيا و إن هذه هى الجنه التى وصفها الله تعالى فى كتابه فحمل معه من لؤلؤها و من بنادق المسك و الزعفران و لم يستطع أن يقلع من زبرجدها و من ياقوتها شيئا و خرج و رجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه و علم الناس أمره فلم يزل ينمو أمره حتى بلغ معاويه خبره فأرسل فى طلبه حتى قدم عليه فقص عليه القصة فأرسل معاويه إلى كعب الأحبار فلما أتاه قال يا أبا إسحاق هل فى الدنيا مدينه من ذهب و فضه قال نعم أخبرك بها و بمن بناها إنما بناها شداد بن عاد فأما المدينه فارم ذات العماد التى وصفها الله تعالى فى كتابه و هى التى لم يخلق مثلها فى البلاد قال معاويه فحدثنى حديثها فقال إن عادا الأولى ليس بعاد قوم هود و إنما هود و قوم هود ولد ذلك و كاد عاد له ابنان شداد و شديد فهلك عاد فبقيا و ملكا فقهرا البلاد و أخذها عنوه ثم هلك شديد و بقى شداد فملك وحده و دانت له ملوك الأرض فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنه عتوا على الله سبحانه فأمر بصنعه تلك المدينه إرم ذات العماد و أمر على صنعتها مائه قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان و كتب إلى كل ملك فى الدنيا أن يجمع له ما فى بلاده من الجواهر و كان هؤلاء القهارمه أقاموا فى بنائها مده طويله فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصنا و حول الحصن ألف قصر ثم سار الملك إليها فى جنده و وزرائه فلما كان منها على مسيره يوم و ليله بعث الله عز و جل عليه و على من معه صيحه من السماء فأهلكتهم جميعا و لم يبق منهم أحدا و سيدخلها فى زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال و على عنقه خال يخرج فى طلب إبل له فى تلك الصحارى و الرجل عند معاويه فالتفت كعب إليه و قال هذا و الله ذلك الرجل

[المعنى]

ثم قال سبحانه «و تَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» أى و كيف فعل بشمود الذين قطعوا الصخر و نقبوها بالوادى الذى كانوا ينزلونه يعنى وادى القرى قال ابن عباس كانوا ينحتون الجبال

ص: ٣١٥

فيجعلون منها بيوتا كما قال الله تعالى وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ «وَفِرْعَوْنَ» أى و كيف فعل فرعون الذى أرسل إليه موسى «ذِي الْأَوْتَادِ» أى ذى الجنود الذين كانوا يشيدون أمره عن ابن عباس و سماهم أوتادا لأنهم قواد عسكره الذين بهم قوام أمره و قيل كان يشد الرجل بأربعه أوتاد على الأرض إذا أراد تعذيبه و يتركه حتى يموت عن مجاهد و عن ابن مسعود قال و تد امرأته بأربعه أوتاد ثم جعل على ظهرها رحي عظيمه حتى ماتت و قد مر بيانه فى سورة ص «الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ» يعنى عادا و ثمود و فرعون طغوا أى تجبروا فى البلاد على أنبياء الله و عملوا فيها بمعصيه الله «فَأَكْثَرُوا فِيهَا» أى فى الأرض أو فى البلاد «الْفَسَادَ» أى القتل و المعصيه عن الكلبي ثم بين سبحانه ما فعله بهم عاجلا بأن قال «فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ» أى فجعل سوطه الذى ضربهم به العذاب عن الزجاج و قيل معناه صب عليهم قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذى يعرف أراد ما عذبوا به و قيل إن كل شىء عذب الله به فهو سوط فأجرى على العذاب اسم السوط مجازا عن قتاده شبه سبحانه العذاب الذى أحله بهم و ألقاه عليهم بانصباب السوط و تواتره على المضروب حتى يهلكه «إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِغٌ أَلِيمٌ» أى عليه طريق العباد فلا يفوته أحد عن الكلبي و الحسن و عكرمه و المعنى أنه لا يفوته شىء من أعمالهم لأنه يسمع و يرى جميع أقوالهم و أفعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد و

روى عن على (عليه السلام) أنه قال معناه إن ربك قادر على أن يجزى أهل المعاصى جزاءهم

و

عن الصادق (عليه السلام) أنه قال المرصاد قنطره على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمه عبد

و قال عطاء يعنى يجازى كل واحد و ينتصف من الظالم للمظلوم و قيل لأعرابي أين ربك قال بالمرصاد و ليس يريد به المكان

فقد سئل على (عليه السلام) أين كان ربنا قبل أن خلق السماوات و الأرض فقال أين سؤال عن مكان و كان الله و لا مكان

و روى عن ابن عباس فى هذه الآية قال إن على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عندها أولها عن شهادته أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامه جاز إلى الثانى فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامه جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاه فإن جاء بها تامه جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء بها تامه جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز إلى السادس فيسأل عن العمره فإن جاء بها تامه جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها و إلا يقال انظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة ثم قسم سبحانه أحوال البشر فقال «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ» أى اختبره و امتحنه بالنعمة «فَأَكْرَمَهُ» بالمال «و نَعَّمَهُ» بما وسع عليه من أنواع الإفضال «فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ» فيفرح بذلك و يسر و يقول ربي أعطاني هذا لكرامتى عنده و منزلتى لديه أى يحسب أنه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ» بالفقر و الفاقة «فَقَدَرَ» أى فضيق و

قتر «عَلَيْهِ رِزْقُهُ» و جعله على قدر البلغه «فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ» أى فيظن أن ذلك هوان من الله و يقول ربى أذلنى بالفقر ثم قال «كَلَّا» أى ليس كما ظن فيانى لا أغنى المرء لكرامته على و لا أفقره لمهانتته عندى و لكنى أوسع على من أشاء و أضييق على من أشاء بحسب ما توجهه الحكمة و يقتضيه الصلاح ابتلاء بالشكر و الصبر و إنما الإكرام على الحقيقة يكون بالطاعة و الإهانة تكون بالمعصية ثم بين سبحانه ما يستحق به الهوان فقال بل إنما أهنت من أهنت لأنهم عصونى.

ثم فصل العصيان فقال «بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» و هو الطفل الذى لا أب له أى لا تعطونهم مما أعطاكم الله حتى تغنوهم عن ذل السؤال و خص اليتيم لأنهم لا كافل لهم يقوم بأمرهم و

قد قال ص أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنة و أشار بالسبابه و الوسطى

قال مقاتل: كان قدامه بن مظعون فى حجر أميه بن خلف يتيما و كان يدفعه عن حقه فعلى هذا فإنه يحتمل معنيين (أحدهما) إنكم لا- تحسنون إليه (و الآخر) إنكم لا- تعطونه حقه من الميراث على ما جرت به عادة الكفار من حرمان اليتيم ما كان له من الميراث و لا تحضون على طعام المسكين أى و لا تحثون على إطعامه و لا تأمرون بالتصدق عليه و من قرأ «لا تَحَاضُّونَ» أراد لا يحض بعضكم بعضا على ذلك و المعنى أن الإهانة ما فعلتموه من ترك إكرام اليتيم و منع الصدقه من الفقير لا ما توهمتموه و قيل إن المراد إنما أعطيتكم المال لذلك فإذا لم تفعلوه فذلك يوجب إهانتكم «وَأَتَاكُلُونَ الثَّرَاثَ» أى الميراث و قيل أموال اليتامى عن أبى مسلم قال و لم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام آكله عليه قال الحسن: يأكل نصيبه و نصيب اليتيم و ذلك أنهم كانوا لا- يورثون النساء و الصبيان و يأكلون أموالهم و قيل يأكلون الميراث فيما يشتهون و لا يتفكرون فى إخراج ما أوجب الله عليهم من الحقوق فيه «أَكَلًا لَمًّا» شديدا تلمون جميعه فى الأكل و قيل هو أن يأكل نصيبه و نصيب غيره عن الحسن و قيل هو أن يأكل ما يجده و لا يفكر فيما يأكله من خبيث و طيب عن ابن زيد «وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا» أى كثيرا شديدا عن ابن عباس و مجاهد و المعنى تحبون جمع المال و تولعون به فلا تنفقونه فى خير و قيل يحبون كثره المال من فرط حرصهم فيجمعونه من غير وجهه و يصرفونه فى غير وجهه و لا يتفكرون فى العاقبه ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى لا ينبغى أن يكون الأمر هكذا و قال مقاتل:

معناه لا يفعلون ما أمروا به فى اليتيم و المسكين و قيل كلا زجر تقديره لا تفعلوا هكذا ثم خوفهم فقال «إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا» أى كسر كل شىء على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شىء يفعل ذلك مره بعد مره و قيل دكت الأرض أى مدت يوم القيامة مد الأديم عن ابن عباس و قيل دقت جبالها و أنشازها حتى استوت عن ابن قتيبه و المعنى استوت فى انفراشها و ذهب دورها و قصورها و سائر أبنيتها حتى تصير كالصحراء

الملساء «وَجَاءَ رَبُّكَ» أى أمر ربك وقضاؤه ومحاسبته عن الحسن والجبائى وقيل جاء أمره الذى لا أمر معه بخلاف حال الدنيا عن أبى مسلم وقيل جاء جلائل آياته فجعل مجيئها مجيئه تفخيما لأمرها وقال بعض المحققين: المعنى وجاء ظهور ربك لضروره المعرفه به لأن ظهور المعرفه بالشىء يقوم مقام ظهوره ورؤيته ولما صارت المعارف بالله فى ذلك اليوم ضروريه صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل جاء ربك أى زالت الشبهه وارتفع الشك كما يرتفع عند مجىء الشىء الذى كان يشك فيه جل وتقدس عن المجىء والذهاب لقيام البراهين القاهره والدلائل الباهره على أنه سبحانه ليس بجسم «وَالْمَلَكُ» أى وتجىء الملائكه «صَفًّا صَفًّا» يريد صفوف الملائكه وأهل كل سماء صف على حده عن عطاء وقال الضحاك:

أهل كل سماء إذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالأرض وبمن فيها فيكون سبع صفوف فذلك قوله «صَفًّا صَفًّا» وقيل معناه مصطفين كصفوف الناس فى الصلاه يأتى الصف الأول ثم الصف الثانى ثم الصف الثالث ثم على هذا الترتيب لأن ذلك أشبه بحال الاستواء من التشويش فالتعديل والتقويم أولى «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» أى وأحضرت فى ذلك اليوم جهنم ليعاقب بها المستحقون لها ويرى أهل الموقف هولها وعظم منظرها و

روى مرفوعا عن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآية تغير وجه رسول الله ص وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه ما رأوا من حاله وانطلق بعضهم إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) فقالوا يا على لقد حدث أمر قد رأيناه فى نبى الله ص فجاء على (عليه السلام) فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بأبى أنت وأمى ما الذى حدث اليوم قال جاء جبرائيل (عليه السلام) فأقرأنى «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» قال فقلت كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شرده لو تركت لأحرق أهل الجمع ثم أترض لجهنم فتقول ما لى ولك يا محمد فقد حرم الله لحمك على فلا يبقى أحد إلا قال نفسى نفسى وإن محمدا يقول رب أمتى أمتى

ثم قال سبحانه «يَوْمَئِذٍ» يعنى يوما يجاء بجهنم «يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ» أى يتعظ ويتوب الكافر «وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى» أى ومن أين له التوبه عن الزجاج وقيل معناه يتذكر الإنسان ما قصر وفرط إذ يعلم يقينا ما قد توعد به فكيف ينفعه التذكر أثبت له التذكر ثم نفاه بمعنى أنه لا- ينتفع به فكأنه لم يكن وكان ينبغى له أن يتذكر فى وقت ينفعه ذلك فيه ثم حكى سبحانه ما يقول الكافر والمفرط الجانى على نفسه ويتمناه بقوله «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» أى يتمنى أن يكون قد كان عمل الطاعات والحسنات لحياته بعد موته أو عملها للحياه التى تدوم له بقوله «يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» العمل الصالح لآخرتى التى لا موت فيها ثم قال سبحانه «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا» أى لا يعذب عذاب الله أحد من

الخلق «وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ» أى وثاق الله أحد من الخلق فالمعنى لا يعذب أحد فى الدنيا مثل عذاب الله الكافر يومئذ و لا يوثق أحد فى الدنيا بمثل وثاق الله الكافر يومئذ و أما القراءه بفتح العين فى يعذب و يوثق

فقد وردت الروايه عن أبى قلابه قال أقرأنى من أقرأه رسول الله ص فيومئذ لا يعذب عذابه أحد و لا يوثق وثاقه أحد

و المعنى لا يعذب أحد تعذيب هذا الكافر إن قلنا إنه كافر بعينه أو تعذيب هذا الصنف من الكفار و هم الذين ذكروا فى قوله «لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» الآيات و هذا و إن أطلق فالأولى أن يكون المراد التقييد لأننا نعلم أن إبليس أشد عذابا و وثاقا منه و قيل معناه لا يؤاخذ بذنبه غيره و التقدير لا يعذب أحد بعذابه لأنه المستحق بعذابه و لا يؤاخذ الله أحدا بجرم غيره «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» بالإيمان المؤمنه الموقنه المصدقه بالثواب و البعث و الطمأنينه حقيقه الإيمان عن الحسن و مجاهد و قيل المطمئنه الآمنه بالبشاره بالجنه عند الموت و يوم البعث عن ابن زيد و قيل النفس المطمئنه التى يبىض وجهها و يعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئن عن الكلبي و أبى روق «ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ» أى يقال لها عند الموت عن أبى صالح و قيل عند البعث عن عكرمه و الضحاك ارجعى إلى ثواب ربك و ما أعدده لك من النعيم عن الحسن و قيل ارجعى إلى الموضع الذى يختص الله سبحانه بالأمر و النهى فيه دون خلقه و قيل إن المراد ارجعى إلى صاحبكك و جسدك فيكون الخطاب للروح أن ترجع إلى الجسد عن ابن عباس «راضية» بثواب الله «مَرْضِيَّةٌ» أعمالها التى عملتها و قيل راضيه عن الله بما أعد الله لها مرضيه رضى عنها ربها بما عملت من طاعته و قيل راضيه بقضاء الله فى الدنيا حتى رضى الله عنها و رضى بأفعالها و اعتقادها «فَادْخُلِي فِي عِبَادِي» أى فى زمرة عبادى الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم و هذه نسبة تشرىف و تعظيم «وَادْخُلِي جَنَّتِي» التى وعدتكم بها و أعددت نعيمكم فيها.

النظم

وجه اتصال قوله «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ» الآيه بما قبله فيه قولان (أحدهما) أنه يتصل بقوله «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ» أى هو بالمرصاد لأعمالهم لا- يخفى عليه شىء من مصالحهم فإذا أكرم أحدا منهم بنوع من النعم التى هى الصحه و السلامه و المال و البنون امتحانا و اختبارا ظن ذلك واجبا و إذا قتر عليه رزقه ظن ذلك إهانه له و إنما يفعل سبحانه جميع ذلك للمصالح عن أبى مسلم (و الثانى) أن المعنى بالمرصاد لهم يتعبده بما هو الأصلح لهم و أنهم يظنون أنه يتدئ عباده بالإكرام و الإهانه و ليس كذلك بل هما مستحقان و لا يدخل العباد تحت الاستحقاق إلا بعد التكليف و أما قوله «بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» فوجه اتصاله بما قبله أنه رد عليهم ظنهم أنه ضيق عليهم أرزاقهم على وجه الإهانه فبين سبحانه أن الإهانه لما ذكره لا لما قالوه.

ص: ٣١٩

(٩٠) سورة البلد مكيه و آياتها عشرون (٢٠)

اشاره

[توضيح]

مكيه عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأها أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كان قراءته فى الفريضة لا أقسم بهذا البلد كان فى الدنيا معروفا أنه من الصالحين و كان فى الآخرة معروفا أن له من الله مكانا و كان من رفقاء النبيين و الشهداء و الصالحين.

تفسيرها

لما ختم تلك السوره بذكر النفس المطمئنه بين فى هذه السوره وجه الاطمئنان و أنه النظر فى طريق معرفه الله و أكد ذلك بالقسم فقال:

ص: ٣٢٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدٌ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ (٩)

وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤)

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)

عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر لبدا بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و الكسائي فك رقبه أو أطعم و الباقون «فك رقبته» بالرفع و الإضافة «أَوْ إِطْعَامٌ» بالتونين و قرأ أبو عمرو و أهل الكوفة غير عاصم مؤصده بالهمزة و الباقون بغير همزة و يعقوب مختلف عنه و في الشواذ قراءة الحسن في يوم ذا مسغبه.

الحجج

لبد يجوز أن يكون واحدا على وزن زمل و جبا و يجوز أن يكون جمعا فيكون جمع لأبد و أما قوله «فك رقبته أَوْ إِطْعَامٌ» فقد قال أبو علي: المعنى فيه و ما أدراك ما اقتحام العقبة فك رقبه أو إطعام أى اقتحامها أحد هذين أو هذا الضرب من فعل القرب فلو لم تقدره و تركت الكلام على ظاهره كان المعنى العقبة فك رقبه و لا تكون العقبة الفك لأنه عين و الفك حدث و الخبر ينبغى أن يكون المبتدأ فى المعنى و مثل هذا قوله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» أى الحطمة نار الله و مثله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ» و كذلك قوله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» و المعنى القارعه يوم يكون الناس لأن القارعه مصدر فيكون اسم الزمان خبرا عنه فهذه الجمل من الابتداء و الخبر تفسير لهذه الأشياء المتقدم ذكرها من اقتحام العقبة و الحطمة و القارعه كما أن قوله تعالى «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» تفسير للوعد و قوله «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» معناه فلم يقتحم و إذا كانت لا بمعنى لم لم يلزم تكريرها كما لا يلزم التكرير مع لم فإن تكررت فى موضع نحو فلا صِدَقَ وَ لا صِيَلَى فهو كتكرير لم فى قوله لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا و قوله «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى كان مقتحم العقبة و فكاك الرقبه من الذين آمنوا فإنه إذا لم يكن منهم لم ينفعه رقبه و جاز وصف

اليوم بقوله «ذِي مَسْغِيهِ» كما جاز أن يقال ليله نائم و نهاره صائم و نحو ذلك و من قرأ فك رقبه أو أطعم فإنه يجوز أن يكون ما ذكر من الفعل تفسيرا لاقتحام العقبة فإن قلت إن هذا الضرب لم يفسر بالفعل و إنما فسر بالابتداء و الخبر كقوله «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» و قوله «نَارُ حَامِيَّتِهِ» فهلا رجحت القراءة الأخرى قيل إنه قد يمكن أن يكون كَذَبَتْ ثُمُودٌ وَ عَادٌ بِالْقَارِعَةِ تفسيرا لقوله وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ على المعنى و قد جاءَ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ و فسر المثل بقوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ و زعموا أن أبا عمرو احتج بقوله «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» لقراءه فك رقبه كأنه لما كان فعلا و جب أن يكون المعطوف عليه مثله و قد يجوز أن يكون ذلك كالقطع من الأول و الاستئناف كأنه أعلم أن فكاك الرقبه من الرق بأن كان من الذين آمنوا لأنه بالإيمان يحرز ثواب ذلك و يحوزه فإذا لم ينضم الإيمان إلى فعل القرب التي تقدم ذكرها لم ينفع ذلك و التقدير ثم كونه من الذين آمنوا فجاء هذا مجيء قوله سبحانه كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا بِرَبِّهِمْ وَ أَوْصَدتِ الْبَابَ وَ أَصَدتْ لَغْتَانِ فَمَنْ لَمْ يَهْمَزْ مَوْصَدَهُ احْتَمَلَ أَمْرَيْنِ (أحدهما) أن يكون على لغه من قال أوصدت (و الوجه الآخر) أن يكون من آصدت ثم خففت الهمزة فقلت واوا كما جاء في جونه و تووى و من همز مؤصده فهو من أصدت و أبو عمرو يترك الهمزة الساكنة و يبدلها واوا إذا انضم ما قبلها نحو يؤمنون و مؤمنين و يبدلها ألفا إذا انفتح ما قبلها ياء إذا انكسر ما قبلها و لا يبدلها في نحو قوله «مُؤَصِّدَةٌ» بل يهمزها لأن مؤصده بالهمز هي لغه من قال آصدت الباب و الباب مؤصده و أبو عمرو على هذه اللغه فلا يترك الهمز إذا احتاج أن يترك لغته و ينتقل عنها إلى لغه أخرى و كذلك لا يترك الهمز في قوله تووى إليك لأنه لو أبدلها واوا و بعدها واو اجتمع واوان و اجتماعهما أثقل من الهمزة و كذلك إذا كان الفعل مجزوما و لامها همزة بقاها على حالها و لا يبدلها بته نحو قوله إِنَّ تَمَسَّيَكُمْ حَسْبِنَهُ تَسْوُهُمْ لأنه لو أبدلها واوا و جب حذفها بالجزم كما تقول في يغزو لم يغز كذلك إِنَّ يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ لا يبدلها ألفا لهذا المعنى أيضا و كذلك قوله أَثَاثًا وَ رِيَاءًا لا يقلبها ياء لأنه يشبهه بالرى من روى من الماء فهذه أربعة أحوال لا يترك الهمز فيها إذا احتاج إلى ترك لغته و أن ينتقل إلى لغه أخرى و إذا كان الهمز في موضع الجزم و إذا اشتبه المعنى في الكلمة بكلمه أخرى و إذا كان ترك الهمز يؤدي إلى اجتماع الواوين فافهم ذلك و من قرأ ذا مسغبه جعله مفعول إطعام و يتيما بدل منه و يجوز أن يكون يتيما وصفا لذا مسغبه كقولك رأيت كريما عاقلا و جاز وصف الصفه الذي هو كريم لأنه لما لم يجر على الاسم الموصوف أشبه الاسم.

اللغه

الحل الحال و هو الساكن و الحل الحلال و رجل حل و حلال أى محل و الكبد

فى اللغة شده الأمر و منه تكبد اللبن إذا غلظ و اشتد و منه الكبد لأنه دم يغلظ و يشتد و تكبد الدم إذا صار كالكبد قال لبيد:

عين هلا بكيت أربد إذ قمنا و قام الخصوم فى كبد

و اللبد الكثير مأخوذ من تلبد الشىء إذا تراكب بعضه على بعض و منه اللبد يقال ما له سبد و لا لبد و أصل النجد العلو و سمي نجد نجدا لعلوه عن انخفاض تهامه و كل عال من الأرض نجد و الجمع نجاد قال امرؤ القيس:

غداه غدوا فسألك بطن نخله و آخر منهم جازع نجد كبكب

أراد طريقه فى ارتفاع و كبكب جبل و فى المثل (أنجد من رأى حضنا) و رجل نجد بين النجده إذا كان جلدا قويا لاستعلائه على قرنه و استنجدت فلانا فأنجدنى أى استعنته للاستعلاء على قرنى فأعانى و شبه طريق الخير و الشر بالطريقين العالين لظهور ما فيهما و الاقتحام الدخول على الشده بالضيق يقال اقتحم و تقحم و أقحمه و قحمه غيره و العقبه الطريقه التى ترتقى على صعوبه و يحتاج فيها إلى معاقبه الشده بالضيق و المخاطره و قيل العقبه الثنيه الضيقه فى رأس الجبل يتعاقبها الناس فشبهت النفقه فى وجوه البر بها و عاقب الرجل صاحبه إذا صار فى موضعه بدلا منه و الفك فرق يزيد المنع و يمكن معه أمر لم يكن متمكنا كفك القيد و الغل لأنه يزول به المنع و يمكن به تصرف لم يمكن قبل فك الرقبه فرق بينها و بين حال الرق بإيجاب الحريره و إبطال العبوديه و المسغبه المجاعه سغب يسغب سغبا فهو ساغب إذا جاع قال جرير:

تعلل و هى ساغبه بنيتها بأنفاس من الشيم القراح

و المقربه القرابه و لا يقال فلان قرابتى و إنما يقال ذو قرابتى لأنه مصدر كما قال الشاعر:

بيكى الغريب عليه ليس يعرفه و ذو قرابته فى الحى مسرور

و المتربه الحاجه الشديده من قولهم ترب الرجل إذا افتقر.

المعنى

«لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام و هو مكه و قد تقدم بيان قوله «لَا أُقْسِمُ» فى سوره القيامه «وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» أى و أنت يا محمد مقيم به و هو محللك و هذا تنبيه على شرف البلد بشرف من حل به من الرسول الداعى إلى توحيدهِ و إخلاص عبادته و بيان أن تعظيمه له و قسمه به لأجله ص و لكونه حالا فيه كما سميت المدينه طيبه لأنها طابت به حيا و ميتا و قيل معناه و أنت محل بهذا البلد و هو ضد المحرم و المراد و أنت حلال لك قتل من رأيت به من الكفار و ذلك حين أمر بالقتال يوم فتح مكه فأحلها الله له ص حتى قاتل و قتل و

قد قال ص لا يحل لأحد قبلى و لا يحل لأحد من بعدى و لم يحل لى إلا ساعه من نهار

عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و عطاء و هذا وعد من الله لنبيه ص أن يحل له مكه حتى يقاتل فيها و يفتحها على يده و يكون بها حلا يصنع بها ما يريد القتل و الأسر و قد فعل سبحانه ذلك فدخلها غلبه و كرها و قتل ابن أخطل و هو متعلق بأستار الكعبه و مقيس بن سبابه و غيرهما و

قيل معناه لا أقسم بهذا البلد و أنت حل فيه منتهك الحرمه مستباح العرض لا تحترم فلم بين للبلد حرمه حيث هتكت حرمتك عن أبى مسلم و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال كانت قريش تعظم البلد و تستحل محمدا ص فيه فقال «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» يريد أنهم استحلوك فيه فكذبوك و شتموك و كانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه و يتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من رسول الله ص ما لم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم فقال «وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدٌ» يعنى آدم (عليه السلام) و ذريته عن الحسن و مجاهد و قتاده و ذلك أنهم خليفه أعجب من هذه الخليفه و هم عمار الدنيا و

قيل آدم و ما ولد من الأنبياء و الأوصياء و أتباعهم عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل يريد إبراهيم (عليه السلام) و ولده عن ابن أبى عمران الجونى لما أقسم بالبلد أقسم بإبراهيم فإنه بانيه و بأولاده العرب إذ هم المخصصون بالبلد و قيل يعنى كل والد و ولده عن ابن عباس و الجبائى و قيل و والد من يولد له و ما ولد يعنى العاقر عن ابن جبير فيكون ما نفيا و هو بعيد لأنه يكون تقديره و ما ما ولد فحذف ما الأولى التى تكون موصوله أو موصوفه «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» أى فى نصب و شدة عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن قال يكابد مصائب الدنيا و شدائد الآخرة و قال ابن آدم لا يزال يكابد أمرا حتى يفارق الدنيا و قيل فى شدة خلق من حملة و ولادته و رضاعه و فطامه و معاشه و حياته و موته ثم أنه سبحانه لم

يخلق خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم و هو أضعف الخلق و قيل فى كبد أى قائما على قدميه منتصبا و كل شىء خلق فإنه يمسى مكبا إلا الإنسان فإنه خلق منتصبا فالكبد الاستواء و الاستقامة و هو روايه مقسم عن ابن عباس و هو قول مجاهد و أبى صالح و عكرمه و قيل يريد شده الأمر و النهى أى خلقناه ليعبدنا بالعبادات الشاقه مثل الاغتسال من الجنابه فى البرد و القيام إلى الصلاه من النوم فينبغى له أن يعلم أن الدنيا دار كبد و مشقه و الجنه دار الراحه و النعمه «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» معناه أ يظن هذا الإنسان أنه لن يقدر على عقابه أحد إذا عصى الله تعالى و ركب القبائح فبئس الظن ذلك و هذا استفهام إنكار أى لا يظن ذلك و قيل معناه أ يحسب هذا المغتر بماله أن لا يقدر عليه أحد يأخذ ماله عن الحسن و قيل أ يحسب أن لا يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه و فى ما ذا أنفقه عن قتاده و قيل أنه يعنى أبا الأسد بن كلده و هو رجل من جمح كان قويا شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظى فتجره العشره من تحته فينقطع و لا- يبرح من مكانه عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عن مقاله هذا الإنسان فقال «يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُدِيًّا» أى أنفقت مالا كثيرا فى عداوه النبى ص يفتخر بذلك و قيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و ذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله ص فأمره أن يكفر فقال لقد ذهب مالى فى الكفارات و النفقات منذ دخلت فى دين محمد عن مقاتل «أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ» فيطالبه من أين اكتسبه و فى ما ذا أنفقه عن قتاده و سعيد بن جبير و روى عن ابن عباس عن النبى ص قال لا- تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعه عن عمره فيما أفناه و عن ماله من أين جمعه و فيما ذا أنفقه و عن عمله ما ذا عمل به و عن حبا أهل البيت

و قيل أنه كان كاذبا لم ينفق ما قاله فقال الله سبحانه أ يظن أن الله تعالى لم ير ذلك فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التى أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيدده فقال «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ» ليصير بهما آثار حكمته «وَلِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ» لينطق بهما فيبين باللسان و يستعين بالشفتين على البيان قال قتاده: نعم الله عليك متظاهرة فقررك بها كيما تشكر و

روى عبد الحميد المدائنى عن أبى حازم أن رسول الله ص قال إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق و إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق

«وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» أى سبيل الخير و سبيل الشر عن على (عليه السلام)

و ابن مسعود و ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و قيل معناه أرشدناه للثديين عن سعيد بن المسيب و الضحاك و

فى روايه أخرى عن ابن عباس روى أنه قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) أن ناسا يقولون فى قوله «وَهَدَيْنَاهُ

قال الحسن بلغنى أن رسول الله ص قال يا أيها الناس هما نجدان نجد الخير و نجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير

و لو قيل كيف يكون نجد الشر مرتفعا كنجد الخير و معلوم أنه لا رفعه في الشر " و الجواب " أن الطريقتين جميعا ظاهران باديان للمكلفين فسمى سبحانه كلاهما نجدا لظهوره و بروزه و يجوز أن يكون سمي طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه الرفعه و الشرف كما يحصل ذلك في طريق الخير و قيل أيضا أنه على عادة العرب في تشبيه الأمرين إذا اتفقا على بعض الوجوه فيجربى لفظ أحدهما على الآخر كقولهم القمرين في الشمس و القمر قال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمرها و النجوم الطوالع

و نظائره كثيره «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» فيه أقوال (أحدها) أن المعنى فلم يقتحم هذا الإنسان العقبه و لا جاوزها و أكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظه لا كما قال سبحانه فَلَا صَدَقَّ وَ لَا صَلَّى أَي لم يصدق و لم يصل و كما قال الحطيئه:

و إن كانت النعماء فيهم جزوا بها و إن أنعموا لأكدروها و لا كدوا

و قد جاء من غير تكرار في نحو قوله:

إن تغفر اللهم تغفر جما و أى عبد لك لا ألما

أى لم يلم بذنب (و الآخر) أن يكون على وجه الدعاء عليه بأن لا- يقتحم العقبه كما يقال لا- غفر الله له و لا- نجا و لا سلم و المعنى لا- نجا من العقبه و لا- جاوزها (و الثالث) أن المعنى فهلا اقتحم العقبه أو أ فلا اقتحم العقبه عن ابن زيد و الجبائي و أبى مسلم قالوا و يدل على ذلك قوله تعالى «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» و لو كان أراد النفي لم يتصل الكلام قال المرتضى قدس الله روحه: هذا الوجه ضعيف جدا لأن الكلام خال من لفظ الاستفهام و قبيح حذف حرف الاستفهام فى مثل هذا الموضوع و قد عيب على عمر بن أبى ربيعه قوله:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل و الحصى و التراب.

و أما قولهم لو أريد النفي لم يتصل الكلام فليس بشىء لأن المعنى فلا اقتحم العقبه ثم كان من الذين آمنوا أى لم يقتحم و لم يؤمن و أما المراد بالعقبه ففيه وجوه (أحدها) أنه مثل ضربه الله تعالى لمجاهده النفس و الهوى و الشيطان فى أعمال الخير و البر فجعل ذلك كتكليف صعود العقبه الشاقه الكؤود فكأنه قال لم يحمل على نفسه المشقه بعق الرقبه و الإطعام و هو قوله «وَمَا أَذْرَاكَ مَيَّا الْعَقْبَةَ» أى ما اقتحام العقبه ثم ذكره فقال «فَكُ رَقَبَةٍ» و هو تخليصها من إسار الرق إلى آخره (و ثانيها) أنها عقبه حقيقه قال الحسن و قتاده: هى عقبه شديده فى النار دون الجسر فافتحموها بطاعه الله عز و جل و

روى أن النبى ص أنه قال إن أمامكم عقبه كؤودا لا يجوزها المثقلون و أنا أريد أن أخفف عنكم لتلك العقبه

و عن ابن عباس أنه قال:

هى النار نفسها و روى عنه أيضا أنها عقبه فى النار (و ثالثها) ما روى عن مجاهد و الضحاك و الكلبي أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيره ثلاثه آلاف سهلا و صعودا و هبوطا و إن فى جنبيه كالليب و خطاطيف كأنها شوكة السعدان فمن بين مسلم و ناج و مخدوش فى النار منكوس فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف و منهم من يمر عليه كالريح العاصف و منهم من يمر عليه كالفارص و منهم من يمر عليه كالرجل يعدو و منهم من يمر عليه كالرجل يسير و منهم من يزحف زحفا و منهم الزالون و الزلايت و منهم من يكرس فى النار و اقتحامه على المؤمن كما بين صلاه العصر إلى العشاء و قال سفيان بن عيينه: كل شىء قاله سبحانه «وَمَا أَذْرَاكَ» فإنه أخبره به و كل شىء قال فيه «وَمَا يُدْرِيكَ»* فإنه لم يخبره به و

روى مرفوعا عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى النبى ص فقال يا رسول الله علمنى عملا- يدخلنى الجنة قال إن كنت أقصرت الخطبه لقد عرضت المسأله أعتق النسمة و فك الرقبه فقال أ و ليسا واحدا قال لا عتق النسمة أن تنفرد بعقها و فك الرقبه أن تعين فى ثمنها و الفىء على ذى الرحم الظالم فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع و اسق الظمآن و أمر بالمعروف و أنه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير

و قيل أن معنى فك رقبه أن يفك رقبه من الذنوب بالتوبه عن عكمره و قيل أراد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات عن الجبائى «أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ» أى ذى مجاعه قال ابن عباس:

يريد بالمسغبه الجوع و

فى الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ص من أشبع جائعا فى يوم سغب أدخله الله يوم القيامة من باب من أبواب الجنة لا يدخلها إلا من فعل مثل ما فعل

و

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ص من موجبات المغفره إطعام المسلم

روى عن محمد بن عمر بن يزيد قال قلت لأبى الحسن الرضا (عليه السلام) أن لى ابنا شديدا العله قال مره يتصدق بالقبضه من الطعام بعد القبضه فإن الله تعالى يقول فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وقرأ الآيات

«يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ» أى ذا قربى من قرابه النسب و الرحم و هذا حث على تقديم ذوى القرابه المحتاجين على الأجانب فى الإطعام و الإنعام «أَوْ مَسْكِينًا» أى فقيرا «ذَا مَقْرَبَةٍ» قد لصق بالتراب من شدة فقره و ضره و روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: هو المطروح فى التراب لا يقيه شىء و هذا مثل قولهم فقير مدقع مأخوذ من الدقعاء و هو التراب ثم بين سبحانه أن هذه القربه إنما تنفع مع الإيمان فقال «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى ثم كان مع هذا من جملة المؤمنين الذين استقاموا على إيمانهم «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» على فرائض الله و الصبر عن معصيه الله أى وصى بعضهم بعضا بذلك «وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» أى و أوصى بعضهم بعضا بالمرحمه على أهل الفقر و ذوى المسكنه و الفاقه و قيل تواسوا بالمرحمه فيما بينهم فرحموا الناس كلهم «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» يؤخذ بهم ناحيه اليمين و يأخذون كتبهم بإيمانهم عن الجبائى و قيل هم أصحاب اليمين و البركه على أنفسهم عن الحسن و أبى مسلم «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا» أى بحججنا و دلالاتنا و كذبوا أنبياءنا «هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» أى يأخذون كتبهم بشمالهم و يؤخذ بهم ذات الشمال و قيل أنهم أصحاب الشؤم على أنفسهم «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ» أى مطبقه عن ابن عباس و مجاهد و قيل يعنى أن أبوابها عليهم مطبقه فلا يفتح لهم باب و لا يخرج عنها غم و لا يدخل فيها روح آخر الأبد عن مقاتل.

النظم

وجه اتصال قوله سبحانه «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ» بما قبله أن المعنى كيف يحسب هذا الإنسان أن الله سبحانه لا يراه و هو الذى خلقه و جعل له عينين و كذا و قيل أنه اتصل بقوله «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» أى اخترناه حيث كلفناه ثم أرحنا علة بأن جعلنا له عينين و قيل أنه يتصل بقوله «أَلَيْسَ أَتَى يَوْمَ الْآخِرَةِ أَنْ لَنْ يَفْعَلِدْرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» و المعنى كيف يظن ذلك و قد خلقناه و خلقنا أعضاءه التى يبصر الدلائل بها و يتكلم بها.

(٩١) سورة الشمس مكيه و آياتها خمس عشره (١٥)

اشاره

عدد آياتها

ست عشره آيه مكي و المدني الأول و خمس عشره في الباقيين.

اختلافها

آيه فَعَقَّرُوهَا مكي و المدني الأول.

فضلها

أبي بن كعب عنه ص قال من قرأها فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس و القمر.

معاويه بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من أكثر قراءه و الشمس و ضحاها و الليل إذا يغشى و الضحى و ألم نشرح في يومه أو في ليلته لم يبق شيء بحضرته إلا شهد له يوم القيامة حتى شعره و بشره و لحمه و دمه و عروقه و عصبه و عظامه و جميع ما أقلت الأرض منه و يقول الرب تبارك و تعالى قبلت شهادتكم لعبدى و أجزتها له انطلقوا به إلى جناني حتى يتخير منها حيث أحب فأعطوه إياها من غير منى و لكن رحمه و فضلا منى عليه فهنيئا هنيئا لعبدى.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر النار المؤصده بين في هذه السوره أن النجاه منها لمن زكى نفسه و أكده بأن أقسم عليه فقال:

ص: ٣٢٩

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا (١) وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)

وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا (٥) وَ الْأَرْضِ وَ مَا طَحَّاهَا (٦) وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)

وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤)

وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر

فلا يخاف بالفاء و كذلك هو في مصاحف أهل المدينة و الشام و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و الباقر «وَ لَا يَخَافُ» بالواو و كذلك هو في مصاحفهم.

الحج

قال أبو علي: الواو يجوز أن يكون في موضع حال أي فسواها غير خائف عقباها يعني غير خائف أن يتعقب عليه في شيء مما فعله و فاعل يخاف الضمير العائد إلى قوله «رَبُّهُمْ» و قيل أن الضمير يعود إلى صالح النبي ص الذي أرسل إليهم و قيل إذا انبعث أشقاها و هو لا يخاف عقباها أي لا يخاف من إقدامه على ما أتاه مما نهى عنه ففاعل يخاف العاقر على هذا و الفاء للعطف على قوله «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا» فلا يخاف كأنه يتبع تكذيبهم و عقورهم إن لم يخوفوا.

اللغة

ضحى الشمس صدر وقت طلوعها و ضحى النهار صدر وقت كونه و أضحى يفعل كذا إذا فعله في وقت الضحى و ضحى بكبش أو غيره إذا ذبحه في وقت الضحى من أيام الأضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك الوقت ل قيل ضحى و الطحو و الدحو بمعنى يقال طحا بك همك يطحو طحوا إذا انبسط بك إلى مذهب بعيد قال علقمه:

" طحا بك قلب في الحسان ظروب "

يقال طحا القوم بعضهم بعضا عن الشيء إذا دفعوا دفعا

شديد الانبساط و الطواحي النسور تنبسط حول القتلى و أصل الطحو البسط الواسع يقال دسا فلان يدسو دسوا فهو داس نقيض زكا يزكو زكا فهو زاك و قيل أن أصل دسا دس فأبدل من أحد السينين ياء كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت و مثله:

"تقضى البازى إذا البازى كسر"

بمعنى تقضض و إنما يفعلون ذلك كراهيه التضعيف و الطغوى و الطغيان مجاوزه الحد فى الفساد و بلوغ غايته و فى قراءة الحسن و حماد بن مسلمه بطغواها بضم الطاء و على هذا فيكون مصدرا على فعلى كالرجعى و الحسنى و بعث مطاوع انبعث يقال بعثته على الأمر فانبعث له و السقيا الحظ من الماء و النصيب منه و العقر قطع اللحم بما يسيل الدم و هو من عقر الحوض أى أصله و العقر نقص شىء من أصل بنيه الحيوان و الدمدمه ترديد الحال المستكره و هى مضاعفه ما فيه الشقه و قال مؤرج: الدمدمه هلاك باستئصال قال ابن الأعرابى: دمدم أى عذب عذابا تاما.

الإعراب

و الشمس هذه الواو الأولى هى التى للقسم و سائر الواوات فيما بعدها عطف عليها إلى قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» و هو جواب القسم و التقدير لقد أفلح و قوله «وَمَا بَنَاهَا» «وَمَا طَحَّاهَا» «وَمَا سَوَّاهَا» ما هاهنا مصدرية و تقديره و السماء و بنائها و الأرض و طحواها و نفس و تسويتها و قيل أن ما فى هذه المواضع بمعنى من أى و الذى بناها و يحكى عن أهل الحجاز أنهم يقولون إذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له أى سبحان الذى سبحت له و من سبحت له و قوله «نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا» منصوب بفعل مضمر أى احذروا ناقه الله و ذروا سقياها.

المعنى

«وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا» قد تقدم أن الله سبحانه أن يقسم بما يشاء من خلقه تنبيها على عظيم قدره و كثره الانتفاع به و لما كان قوام العالم من الحيوان و النبات بطلوع الشمس و غروبها أقسم الله سبحانه بها و بضحاها و هو امتداد ضوءها و انبساطه عن مجاهد و الكلبى و قيل هو النهار كله عن قتاده و قيل حرها عن مقاتل كقوله تعالى فى طه «وَلَا تَضْحَى» أى لا يؤذيك حرها «وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا» أى إذا أتبعها فأخذ من ضوءها و سار خلفها قالوا و ذلك فى النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر فى الإضاءة و خلفها فى النور و قيل تلاها ليله الهلال و هى أول ليله من الشهر إذا سقطت الشمس رؤى القمر عند غيوبتها عن الحسن و قيل فى الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس و قيل فى الشهر كله فهو فى النصف الأول يتلوها و تكون أمامه و هو وراؤها و فى النصف الأخير يتلو

غروبها بالطلوع «وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا» أى جلى الظلمه و كشفها و جازت الكنايه عن الظلمه و لم تذكر لأن المعنى معروف غير ملتبس و قيل أن معناه و النهار إذا أظهر الشمس و أبرزها سمي النهار مجليا لها لظهور جرمها فيه «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا» أى يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق و يلبسها سواده «وَالسَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا» أى و من بناها عن مجاهد و الكلبي و قيل و الذى بناها عن عطاء و قيل معناه و السماء و بنائها مع إحكامها و اتساقها و انتظامها «وَالْمَأْرُضِ وَ مَا طَحَاهَا» فى ما وجهان كما ذكرناه أى و طحوها و تسطيحها و بسطها ليتمكن الخلق التصرف عليها «وَالنَّفْسِ وَ مَا سَوَّاهَا» هو كما ذكرناه و سواها عدل خلقها و سوى أعضائها و قيل سواها بالعقل الذى فضل به سائر الحيوان ثم قالوا يريد جميع ما خلق من الجن و الإنس عن عطاء و قيل يريد بالنفس آدم و من سواها الله تعالى عن الحسن «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» أى عرفها طريق الفجور و التقوى و زهداها فى الفجور و رغبها فى التقوى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل علمها الطاعة و المعصيه لتفعل الطاعة و تذر المعصيه و تجتنى الخير و تجتنب الشر «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» على هذا وقع القسم أى قد أفلح من زكى نفسه عن الحسن و قتاده أى طهرها و أصلحها بطاعه الله و صالح الأعمال «وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» بالعمل الطالح أى أحملاها و أخفى محلها و قيل أضلها و أهلكتها عن ابن عباس و قيل أفجرها عن قتاده و قيل معناه قد أفلحت نفس زكاهها الله و خابت نفس دساها الله أى جعلها قليله خسيسه و

جاءت الروايه عن سعيد بن أبى هلال قال كان رسول الله إذا قرأ هذه الآيه «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» وقف ثم قال اللهم آت نفسى تقواها أنت وليها و مولاها و زكها و أنت خير من زكها

و

روى زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) فى قوله «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» قال بين لها ما تأتى و ما تترك و فى قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» قال قد أفلح من أطاع «وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» قال قد خاب من عصى

و قال ثعلب قد أفلح من زكى نفسه بالصدقه و الخير و خاب من دس نفسه فى أهل الخير و ليس منهم ثم أخبر سبحانه عن ثمود و قوم صالح فقال «كَذَّبَتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَاهَا» أى بطغيانها و معصيتها عن مجاهد و ابن زيد يعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب فالطغوى اسم من الطغيان كما أن الدعوى من الدعاء و قيل أن الطغوى اسم العذاب الذى نزل بهم فالمعنى كذبت ثمود بعذابها عن ابن عباس و هذا كما قال فَأَهْلِكُوا بِالطَّاعِيَةِ و المراد كذبت بعذابها الطاعيه فأتاها ما كذبت به «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا» أى كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود للعقر و معنى انبعث انتدب و قام و الأشقى عاقر الناقه و هو أشقى الأولين على لسان رسول الله ص و اسمه قدار بن سالف قال الشاعر و هو عدى بن زيد:

فمن يهدى أخوا لذناب لو فأرشوه فإن الله جار

و لكن أهلكت لو كثيرا و قبل اليوم عالجهما قدار

يعنى حين نزل بها العذاب فقال لو فعلت و قد صحت

الروايه بالإسناد عن عثمان بن صهيب عن أبيه قال قال رسول الله ص لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) من أشقى الأولين قال عاقر الناقه قال صدقت فمن أشقى الآخرين قال قلت لا أعلم يا رسول الله قال: الذى يضربك على هذه و أشار إلى يافوخه

و

عن عمار بن ياسر قال كنت أنا و على بن أبى طالب (عليه السلام) فى غزوه العسره نائمين فى صور من النخل و دقعاء من التراب فو الله ما أهبنا إلا رسول الله ص يحركنا برجله و قد تتربنا من تلك الدقعاء فقال أ لا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذى عقر الناقه و الذى يضربك بالسيف يا على على هذه و وضع يده على قرنه حتى تبل منها هذه و أخذ بلحيته

و قيل أن عاقر الناقه كان أشقر أزرق قصيرا ملترق الحلق «فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ» صالح «نَاقَةَ اللَّهِ» قال الفراء: حذرهم إياها و كل تحذير فهو نصب و التقدير احذروا ناقه الله فلا تعقروها عن الكلبى و مقاتل كما يقال الأسد الأسد أى احذروه «و سَيِّئًا» أى و شربها من الماء أو ما يسقيها أى فلا تزاخموها فيه كما قال سبحانه لها شَرِبْتُ وَ لَكُمْ شَرِبْتُ يَوْمَ مَعْلُومٍ «فَكَذَّبُوهُ» أى فكذب قوم صالح صالحا و لم يلتفتوا إلى قوله و تحذيره إياهم بالعذاب بعقرها «فَعَقَرُوهَا» أى فقتلوا الناقه «فَدَمَّ دَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ» أى فدمر عليهم ربهم عن عطاء و مقاتل و قيل أطبق عليهم بالعذاب و أهلكتهم «بِحَذِّبِهِمْ» لأنهم رضوا جميعا به و حثوا عليه و كانوا قد اقترحوا تلك الآيه فاستحقوا بما ارتكبوه من العصيان و الطغيان عذاب الاستئصال «فَسَوَّاهَا» أى فسوى الدمدمه عليهم و عمهم بها فاستوت على صغيرهم و كبيرهم و لم يفلت منها أحد منهم و قيل معناه سوى الأمه أى أنزل العذاب بصغيرها و كبيرها فسوى بينها فيه عن الفراء و قيل جعل بعضها على مقدار بعض فى الاندكاك و اللصوق بالأرض فالتسويه تصيير الشىء على مقدار غيره و قيل سوى أرضهم عليهم «و لا يَخَافُ عُقْبَاهَا» أى لا يخاف الله من أحد تبعه فى إهلاكهم عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و الجبائى و المعنى لا- يخاف أن يتعقب عليه فى شىء من فعله فلا يخاف عقبى ما فعل بهم من الدمدمه عليهم لأن أحدا لا يقدر على معارضته و الانتقام منه و هذا كقوله لا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ و قيل معناه لا يخاف الذى عقرها عقباها عن الضحاك و السدى و الكلبى أى لا يخاف عقبى ما صنع بها لأنه كان مكذبا بصالح و قيل معناه و لا يخاف صالح عاقبه ما خوفهم به من العقوبات لأنه كان على ثقه من نجاته.

(٩٢) سورة الليل مكيه و آياتها إحدى و عشرون (٢١)

اشاره

[توضيح]

مكيه إحدى و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها أعطاه الله حتى يرضى و عافاه من العسر و يسر له اليسر.

تفسيرها

لما قدم في تلك السوره بيان حال المؤمن و الكافر عقبه سبحانه بمثل ذلك في هذه السوره فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

ص: ٣٣٤

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى (٤)

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى (٥) وَ صَدَقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَّ لَهُ لِلْإِسْرَى (٧) وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى (٨) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)

فَسَنِيَّ لَهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَ إِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤)

لَا يَصِيْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (١٦) وَ سَيَجْزِيهَا الْأُنْقَى (١٧) الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩)

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَ لَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

القراءه

فى الشواذ قراء النبى ص و قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) و ابن مسعود و أبى الدرداء و ابن عباس و النهار إذا تجلى و خلق الذكر و الأنثى بغير ما و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

الحججه

قال ابن جنى: فى هذه القراءه شاهد لما أخبرنا به أبو بكر عن أبى العباس أحمد بن يحيى قراءه بعضهم و ما خلق الذكر و الأنثى بالجر و ذلك أنه جره لكونه بدلا من ما فقراءه النبى ص شاهد بصحه ذلك.

اللغه

شتى أى متفرق على تباعد ما بين الشيتين جدا و منه شتان أى بعد ما بينهما كبعد ما بين الثرى و الثريا و تشتت أمر القوم و شتتهم ريب الزمان و اليسرى تأنيث الأيسر و العسرى تأنيث الأعسر من اليسر و العسر و التلظى تلهب النار بشده الإيقاد و تلظت النار تلتظى فحذف إحدى التاءين تخفيفا و قرأ ابن كثير تلظى بتشديد التاء أدغم إحدى التاءين فى الأخرى و التجنب تصيير الشىء فى جانب من غيره.

الإعراب

«وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى» أن جعلت ما مصدرية فهو فى موضع الجر و التقدير و خلق الذكر أى و خلقه الذكر و الأنثى و إن

جعلتها بمعنى من فكذلك و الحسنى صفه حذف موصوفها أى و صدق بالخصله الحسنى و كذا اليسرى و العسرى. التقدير فيهما للطريقه اليسرى و للطريقه العسرى و يتزكى فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون منصوب الموضع أو مرفوعا على تقدير حذف أن أى لأن يتزكى فحذف اللام فصار أن يتزكى ثم حذف أن أيضا كما فى قول طرفه:

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلصى

روى أحضر بالرفع و النصب «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» من نعمه الجار و المجرور

ص: ٣٣٥

فى موضع رفع، و من مزیده لتأکید النفى و إفاده العموم و تجزى جمله مجروره الموضع لكونها صفة لنعمه و التقدير من نعمه مجزیه و إن شئت كانت مرفوعه الموضع على محل كونه من نعمه و التقدير و ما لأحد عنده نعمه مجزیه و ابتغاء منصوب لأنه مفعول له و العامل فيه يؤتى أى و ما يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه أى لطلب ثواب ربه و لم يفعل ذلك مجازاه ليد قد أسديت إليه.

المعنى

«وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى» أقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار و قيل إذا يغشى بظلمته الأفق و جميع ما بين السماء و الأرض و المعنى إذا أظلم و ادلهم و أغشى الأنام بالظلام لما فى ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام «وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى» أى بأن و ظهر من بين الظلمه و فيه أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاما لما أمكن الخلق طلب معاشهم و لو كان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم و راحتهم فلذلك كرر سبحانه ذكر الليل و النهار فى السورتين لعظم قدرهما فى باب الدلاله على مواقع حكمته «وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى» أى و الذى خلق عن الحسن و الكلبى و على هذا يكون ما بمعنى من و قيل معناه خلق الذكر و الأنثى عن مقاتل قال مقاتل و الكلبى: الذكر و الأنثى آدم و حواء (عليه السلام) و قيل أراد كل ذكر و أنثى من الناس و غيرهم «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى» هذا جواب القسم و المعنى أن أعمالكم لمختلفه فعمل للجنه و عمل للنار عن ابن عباس و قيل أن سعيكم لمتفرق فساع فى فكاك رقبته و ساع فى هلاكه و ساع للدنيا و ساع للعقبى و

روى الواحدى بالإسناد المتصل المرفوع عن عكرمه عن ابن عباس أن رجلا كانت له نخله فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال و كان الرجل إذا جاء فدخل الدار و صعد النخله ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمره فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخله حتى يأخذ التمر من أيديهم فإن وجدها فى أحدهم أدخل إصبعه حتى يأخذ التمره من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبی ص و أخبره بما يلقى من صاحب النخله فقال له النبی ص اذهب و لقي رسول الله ص صاحب النخله فقال تعطينى نخلتك المائله التى فرعها فى دار فلان و لك بها نخله فى الجنه فقال له الرجل إن لى نخلا كثيرا و ما فيه نخله أعجب إلى تمره منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ص يا رسول الله أ تعطينى ما أعطيت الرجل نخله فى الجنه إن أنا أخذتها قال نعم فذهب الرجل و لقي صاحب النخله فساومها منه فقال له أشعرت أن محمدا أعطانى بها نخله فى الجنه فقلت له يعجبني تمرتها و إن لى نخلا كثيرا فما فيه نخله أعجب إلى تمره منها فقال له الآخر أ تريد بيعها فقال لا إلا أن أعطى ما لا أظنه أعطى قال فما مناك قال أربعون نخله فقال الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائله أربعين نخله ثم سكت عنه فقال له أنا أعطيك

أربعين نخله فقال له اشهد إن كنت صادقاً فمر إلى أناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخله ثم ذهب إلى النبي ص فقال يا رسول الله إن النخلة قد صارت في ملكي فهي لك فذهب رسول الله ص إلى صاحب الدار فقال له النخلة لك و لعيالك فأنزل الله تعالى «وَ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى» السوره

و عن عطاء قال اسم الرجل أبو الدحداح «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى» هو أبو الدحداح «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَتَعَنَى» و هو صاحب النخله و قوله «لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى» و هو صاحب النخله «وَ سَيَجْزِيهَا الْأَثَقَى» هو أبو الدحداح «وَ لَسَوْفَ يَرْضَى» إذا دخل الجنة قال و كان النبي ص يمر بذلك الحش و عذوقه دانیه فيقول عذوق و عذوق لأبي الدحداح في الجنة

و عن ابن الزبير قال أن الآيه نزلت في أبي بكر لأنه اشترى المماليك الذين أسلموا مثل بلال و عامر بن فهيره و غيرهما و اعتقهم و الأولى أن تكون الآيات محموله على عمومها في كل من يعطى حق الله من ماله و كل من يمنع حقه سبحانه و

روى العياشى ذلك بإسناده عن سعد الإسكاف عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى» مما أتاه الله «وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى» أى بأن الله يعطى بالواحد عشرا إلى كثير من ذلك و فى روايه أخرى إلى مائه ألف فما زاد «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» قال لا يريد شيئا من الخير إلا يسره الله له «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ وَ اسْتَتَعَنَى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى» بأن الله يعطى بالواحد عشرا إلى أكثر من ذلك و فى روايه أخرى إلى مائه ألف فما زاد «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» قال لا يريد شيئا من الشر إلا يسره الله له قال ثم قال أبو جعفر (عليه السلام) «وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» أما و الله ما تردى من جبل و لا- تردى من حائط و لا تردى فى بئر و لكن تردى فى نار جهنم

فعلى هذا يكون قوله «وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى» معناه بالعهده الحسنى و هو قول ابن عباس و قتاده و عكرمه و قيل بالجنة التى هى صواب المحسنين عن الحسن و مجاهد و الجبائى و قوله «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» معناه فسنهون عليه الطاعه مره بعد مره و قيل معناه سنهيوه و نوفقه للطريقه اليسرى أى سنسهل عليه فعل الطاعه حتى يقوم إليها بجد و طيب نفس و قيل معناه سنيسره للخصله اليسرى و الحاله اليسرى و هو دخول الجنة و استقبال الملائكه إياه بالتحيه و البشرى و قوله «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ» أى ضمن بماله الذى لا يبقى له و بخل بحق الله فيه «وَ اسْتَتَعَنَى» أى التمس الغنى بذلك المنع لنفسه و قيل معناه أنه عمل عمل من هو مستغن عن الله و عن رحمته «وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى» أى بالجنة و الثواب و الوعد و بالخلف «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْحُسْرَى» هو على مزواجه الكلام و المراد به التمكين أى نخلى بينه و بين الأعمال الموجهه للعذاب و العقوبه «وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» أى سقط فى النار عن قتاده و أبى صالح.

وقيل إذا مات و هلك عن مجاهد و قيل للحسن أن فلانا جمع مالا فقال هل جمع لذلك عمرا قالوا لا قال فما تصنع الموتى بالأموال «إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى» معناه إن علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه فأما الاهتداء فإليكم أخبر سبحانه أن الهدى واجب عليه و لو جاز الإضلال عليه لما وجب الهداية قال قتاده: معناه أن علينا بيان الطاعة و المعصية «وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى» و إن لنا ملك الآخرة و ملك الأولى فلا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى و لا ينقص منه عصيان من عصى و لو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسرا و جبرا و لكن التكليف اقتضى أن نمنعهم بيانا و أمرا و زجرا ثم خوف سبحانه العادل عن الهدى فقال «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى» أى خوفتكم نارا تتلهب و تتوهج و تتوقد «لَا يَصْصِلُهَا» أى لا يدخل تلك النار و لا يلزمها «إِلَّا الْأَشْقَى» و هو الكافر بالله «الَّذِي كَذَّبَ» بآيات الله و رسله «وَ تَوَلَّى» أى أعرض عن الإيمان «وَ سَيُجْزَى» أى سيجذب النار و يجعل منها على جانب «الْأَتَقَى» المبالغ فى التقوى «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ» أى ينفقه فى سبيل الله «يَتَرَكَى» يطلب أن يكون عند الله زكيا لا يطلب بذلك رياء و لا سمعه قال القاضى: قوله «لَا يَصْصِلُهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» لا يدل على أنه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما يقوله الخوارج و بعض المرجئه و ذلك لأنه نكر النار المذكوره و لم يعرفها فالمراد بذلك أن نارا من جملة النيران لا يصلها إلا من هذه حاله و النيران دركات على ما بينه سبحانه فى سورة النساء فى شأن المنافقين فمن أين عرف أن غير هذه النار لا يصلها قوم آخرون و بعد فإن الظاهر من الآية يوجب أن لا يدخل النار إلا من كذب و تولى و جمع بين الأمرين فلا بد للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات و إن لم يكذب و قيل أن الأتقى و الأشقى المراد بهما التقى و الشقى كما قال طرفه:

تمنى رجال أن أموت و إن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أراد بواحد ثم وصف سبحانه الأتقى فقال «وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» أى و لم يفعل الأتقى ما فعله من إيتاء المال و إنفاقه فى سبيل الله ليد أسديت إليه يكافئ عليها و لا ليد يتخذها عند أحد من الخلق «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى» أى و لكنه فعل ما فعل يبتغى به وجه الله و رضاه و ثوابه و إنما ذكر الوجه طلبا لشرف الذكر و المعنى إلا الله و لا ابتغاء ثواب الله «وَ لَسَوْفَ يَرْضَى» أى و لسوف يعطيه الله من الجزاء و الثواب ما يرضى به فإنه يعطيه كل ما تمنى و لم يخطر بباله فيرضى به لا محاله.

(٩٣) سورة الضحى مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

اشاره

[توضيح]

إحدى عشر آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها كان ممن يرضاه الله و لمحمد ص أن يشفع له و له عشر حسنات بعدد كل يتيم و سائل.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بأن الأتقى يعطيه من الثواب ما به يرضى و افتتح هذه السوره بأنه يرضى نبيه بما يؤتیه يوم القيامة من الكرامه و الزلفى فقال:

[سورة الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ١١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الضُّحَى (١) وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى (٣) وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤)

وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩)

وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

القراءة

فى الشواذ

عن النبى ص و عروه بن الزبير ما ودعك بالتخفيف

و القراءة المشهوره بالتشديد و عن أشهب العقيلي فأوى بغير مد و عن ابن أبى السميع عيلا بالتشديد

و عن النخعي و الشعبي فلا تكهر بالكاف و كذلك هو في مصحف عبد الله.

الحج

قال ابن جنى: ودع بالتخفيف يقل استعماله و قال سيويه: استغنوا عن وزر و ودع بقولهم ترك و أنشد أبو علي ذلك في شعر أبي الأسود قوله:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

و أما قوله فأوى فإنه من أويته أي رحمته و أما عيلا فإنه فيعل من العيله و هي الفقر و هو مثل العائل و معناها ذو العيله من غير جده يقال عال الرجل يعيل عيله إذا كثر عياله و افتقر قال الشاعر:

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل

أي متى يفتقر و أما الكهر فهو مثل القهر و العرب قد تعاقب بين القاف و الكاف و في حديث معاوية بن الحكم الذي تكلم في الصلاة قال ما كهرني و لا ضربني.

اللغة

السجو السكون يقال سجي يسجو إذا هدئ و سكن و طرف ساج و بحر ساج قال الأعشى:

فما ذنبنا إذ جاش بحر ابن عمكم و بحرك ساج لا يوارى الدعامصا

و قال الآخر:

يا حبذا القمرء و الليل الساج و طرق مثل ملائ النساج

و القلى البغض إذا كسرت القاف قصرت و إذا فتحت مددت قال:

عليك سلام لا مللت قريبه و ما لك عندي إن نأيت قلاء

و نهرة و انتهره بمعنى و هو أن يصيح في وجه السائل الطالب للرفد.

الإعراب

«و ما قلى» أي و ما قلا-ك و كذلك قوله «فأوى» «فأغنى» تقديره فأواك فأغناك فالمفعول في هذه الآي محذوف و قال «و لسؤف يعطيك» و لم يقل و يعطينك و إن كان جواب

القسم لأن النون إنما تدخل لتؤذن بأن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد حصل هاهنا العلم بأن هذه اللام للقسم لا للابتداء لدخوله على سوف و لام الابتداء لا تدخل على سوف لأن سوف تختص بالأفعال و لام الابتداء إنما تدخل على الأسماء «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» تقديره فمهما يكن من شىء فلا تقهر اليتيم ثم أقيم أما مقام الشرط فحصل أما فلا تقهر اليتيم ثم قدم المفعول على الفاء كراهه لأن يكون الفاء التى من شأنها أن تكون متبعه شيئاً فشيئاً فى أول الكلام و إن كثر يجتمع فى اللفظ مع أما فتكون على خلاف أصول كلامهم و كذلك «أَمَّا يَنْعَمَ رَبُّكَ فَحَدِّثْ».

النزول

قال ابن عباس: احتبس الوحي عنه ص خمسة عشر يوماً فقال المشركون أن محمداً قد ودعه ربه و قلاه و لو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة و قيل إنما احتبس الوحي اثني عشر يوماً عن ابن جريج و قيل أربعين يوماً عن مقاتل و

قيل إن المسلمين قالوا ما ينزل عليك الوحي يا رسول الله فقال و كيف ينزل على الوحي و أنتم لا تنقون براجمكم و لا تقلمون أظفاركم و لما نزلت السورة قال النبي ص لجبرائيل (عليه السلام) ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبرائيل (عليه السلام) و أنا كنت أشد إليك شوقاً و لكنى عبد مأمور و ما تنتزل إلا بأمر ربك

و

قيل سألت اليهود رسول الله ص عن ذى القرنين و أصحاب الكهف و عن الروح فقال سأخبركم غداً و لم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي هذه الأيام فاغتم لشماته الأعداء فنزلت السورة تسليه لقلبه

و

قيل إن النبي ص رمى بحجر فى إصبغه فقال "هل أنت إلا إصبع رميت، و فى سبيل الله ما لقيت" فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له أم جميل بنت حرب امرأه أبى لهب يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت السورة.

المعنى

«وَ الضُّحَى» أقسم سبحانه بنور النهار كله من قولهم ضحى فلان للشمس إذ ظهر لها و يدل عليه قوله فى مقابلته «وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى» أى سكن و استقر ظلامه و قيل إن المراد بالضحى أول ساعه من النهار و قيل صدر النهار و هى الساعه التى فيها ارتفاع الشمس و اعتدال النهار فى الحر و البرد فى الشتاء و الصيف و قيل معناه و رب الضحى و رب الليل إذا سجد عن الجبائى و قيل إذا سجد أى غطى بالظلمه كل شىء عن عطاء و الضحاك و قيل إذا أقبل ظلامه عن الحسن «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى» هذا جواب القسم و معناه و ما

تركك يا محمد ربك و ما قطع عنك الوحي توديعا لك و ما قلاك أى ما أبغضك منذ اصطفاك «وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» يعنى أن ثواب الآخرة و النعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية و الكون فيها و قيل إن له ص فى الجنة ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك و فى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج و الخدم و ما يشتهى على أتم الوصف عن ابن عباس و قيل معناه و لآخر عمرك الذى بقى خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح و النصره «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» معناه و سيعطيك ربك فى الآخرة من الشفاعة و الحوض و سائر أنواع الكرامه فيك و فى أمتك ما ترضى به و روى حرث بن شريح عن محمد بن على بن الحنفية أنه قال يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آيه فى كتاب الله عز و جل «يا عِبَادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» الآيه و إنا أهل البيت (عليه السلام) نقول أرجى آيه فى كتاب الله «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» و هى و الله الشفاعة ليعطينها فى أهل لا إله إلا الله حتى يقول رب رضيت و

عن الصادق (عليه السلام) قال دخل رسول الله ص على فاطمه (عليه السلام) و عليها كساء من ثله الإبل و هى تطحن بيدها و ترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله ص لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلى مراره الدنيا بحلاوه الآخرة فقد أنزل الله على «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى»

و قال زيد بن على إن من رضا رسول الله ص أن يدخل أهل بيته الجنة و

قال الصادق (عليه السلام) رضا جدى أن لا يبقى فى النار موحد

ثم عدد سبحانه عليه نعمه فى دار الدنيا فقال «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنه تقرير لنعمه الله عليه حين مات أبوه و بقى يتيما فأواه الله بأن سخر له أولا عبد المطلب ثم لما مات عبد المطلب قيض له أبا طالب و سخره للإشفاق عليه و حبه إليه حتى كان أحب إليه من أولاده فكلفه و رباه و اليتيم من لا أب له و كان النبى ص مات أبوه و هو فى بطن أمه و قيل أنه مات بعد ولادته بمدته قليله و ماتت أمه ص و هو ابن ستين و مات جده و هو ابن ثمانى سنين فسلمه إلى أبى طالب (عليه السلام) لأنه كان أخوا عبد الله لأمه فأحسن تربيته و

سئل الصادق (عليه السلام) لم أوتى النبى ص عن أبويه فقال لثلا يكون لمخلوق عليه حق

(و الآخر) أن يكون المعنى أ لم يجدك واحدا لا مثل لك فى شرفك و فضلك فأواك إلى نفسه و اختصك برسالته من قولهم دره يتيمه إذا لم يكن لها مثل قال:

لا و لا دره يتيمه بحر تتلأأ فى جؤنه البياع

و قيل فأواك أى جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيما و كفيلا للأنام بعد أن كنت

مكفولاً- عن الماوردي ثم ذكر نعمه أخرى فقال «وَوَجِدَكَ ضَالًّا فَهَيْدِي» قيل في معناه أقوال (أحدها) وجدك ضالاً عما أنت عليه الآن من النبوه و الشريعة أى كنت غافلاً عنهما فهذاك إليهما عن الحسن و الضحاك و الجبائي و نظيره ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ و قوله «وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الْغَافِلِينَ» فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله «أَنْ تَضَلَّ إِخِيْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِخِيْدَاهُمَا الْآخْرَى» (و ثانيها) إن المعنى وجدك متحيراً لا تعرف وجوه معاشك فهذاك إلى وجوه معاشك فإن الرجل إذا لم يهتد طريق مكسبه و وجه معيسته يقال أنه ضال لا يدرى إلى أين يذهب و من أى وجه يكتسب عن أبى مسلم و

فى الحديث نصرت بالرعب و جعل رزقى فى ظل رمحى يعنى الجهاد

(و ثالثها) إن المعنى وجدك لا تعرف الحق فهذاك إليه بإتمام العقل و نصب الأدله و الألفاف حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين و ذلك من نعم الله سبحانه عليك (رابعها) وجدك ضالاً فى شعاب مكه فهذاك إلى جدك عبد المطلب

فروى أنه ص ضل فى شعاب مكه و هو صغير فرآه أبو جهل و رده إلى جده عبد المطلب

فروى أنه ص ضل فى شعاب مكه و هو صغير فرآه أبو جهل و رده إلى جده عبد المطلب فمن الله سبحانه بذلك عليه إذا رده إلى جده على يد عدوه

عن ابن عباس (و خامسها)

ما روى أن حليمه بنت أبى ذؤيب لما أرضعته مده و قضت حق الرضاع ثم أرادت رده على جده جاءت به حتى قربت من مكه فضل فى الطريق فطلبته جزعه و كانت تقول إن لم أره لأرمين نفسى من شاهق و جعلت تصيح و محمداه قالت فدخلت مكه على تلك الحال فرأيت شيخاً متوكلنا على عصا فسألنى عن حالى فأخبرته فقال لا تبكين فأنا أدلك على من يردك عليك فأشار إلى هبل صنمهم الأكبر و دخل البيت فطاف بهبل و قبل رأسه و قال يا سيداه لم تنزل منتك جسيمه رد محمداً على هذه السعديه قال فتساقطت الأصنام لما تفوه باسم محمد ص و سمع صوت إن هلاكنا على يدى محمد فخرج و أسنانه تصطك و خرجت إلى عبد المطلب و أخبرته بالحال فخرج فطاف بالبيت و دعا الله سبحانه فنودى و أشعر بمكانه فأقبل عبد المطلب و تلقاه ورقه بن نوفل فى الطريق فبينما هما يسيران إذ النبى ص قائم تحت شجره يجذب الأغصان و يلعب بالورق فقال عبد المطلب فداك نفسى و حملة و رده إلى مكه

عن كعب (و سادسها)

ما روى أنه ص خرج مع عمه أبى طالب فى قافله ميسره غلام خديجه فبينما هو راكب ذات ليله ظلماء جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل (عليه السلام) فنفخ إبليس نفخه رفع بها إلى الحبشه و رده إلى القافله فمن الله عليه بذلك

عن سعيد بن المسيب (و سابعها) إن المعنى وجدك مضلولا عنك فى قوم لا يعرفون حقك فهذاهم إلى معرفتك و أرشدهم إلى فضلك و الاعتراف بصدقك و المراد أنك كنت خاملاً لا تذكر و لا تعرف فعرفك الله الناس حتى عرفوك و عظموك.

«وَ وَجَدَكَ عَائِلًا»

أى فقيرا لا مال لك «فَأَغْنِي» أى فأغناك بمال خديجه و الغنائم و قيل فأغناك بالقناعه و رضاك بما أعطاك عن مقاتل و اختار الفراء قال لم يكن غنيا عن كثره المال لكن الله سبحانه أرضاه بما أتاه من الرزق و ذلك حقيقه الغنى و

روى العياشى بإسناده عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) فى قوله «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» قال فردا لا مثل لك فى المخلوقين فآوى الناس إليك و وجدك ضالا- أى ضاله فى قوم لا- يعرفون فضلك فهداهم إليك و وجدك عائلا تعول أقواما بالعلم فأغناهم بك

و

روى أن النبى ص قال من على ربه و هو أهل المن

و قد طعن بعض الملحدين فقال كيف يحسن الامتنان بالإنعام و هل يكون هذا من فعل الكرام (و الجواب) أن المن إنما يقبح من المنعم إذا أراد به الغض من المنعم عليه و الأذى له فأما من أراد التذكير لشكر نعمته و الترغيب فيه ليستحق الشاكر المزيد فإنه فى غايه الحسن و لأن من كمال الجود و تمام الكرم تعريف المنعم عليه أنه إنما أنعم عليه ليسأل جميع ما يحتاج إليه فيعطى ثم أوصاه سبحانه باليتامى و الفقراء فقال «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» أى فلا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت تفعل العرب فى أمر اليتامى عن الفراء و الزجاج و قيل معناه لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما عن مجاهد و كان النبى ص يحسن إلى اليتامى و يبرهم و يوصى بهم و

جاء فى الحديث عن أبى أوفى قال كنا جلوسا عند رسول الله ص فأتاه غلام فقال غلام يتيم و أخت لى يتيمه و أم لى أرملة أطعمنا مما أطعمك الله أعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة و عشرين تمره فقال سبع لك و سبع لأختك و سبع لأمك فقام إليه معاذ بن جبل فمسح رأسه و قال جبر الله يتمك و جعلك خلفا من أبيك و كان من أبناء المهاجرين فقال رسول الله ص رأيتك يا معاذ و ما صنعت قال رحمته قال لا يلى أحد منكم يتيما فيحسن ولايته و وضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعره حسنه و محا عنه بكل شعره سيئه و رفع له بكل شعره درجه

و

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ص من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعره تمر على يده نور يوم القيامة

و

قال ص أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنة إذا اتقى الله عز و جل و أشار بالسبابه و الوسطى

و

عن عمر بن الخطاب عن النبى ص قال إن اليتيم إذا بكى اهتر لبكائه عرش الرحمن فيقول الله لملائكته يا ملائكتى من أبكى هذا

اليتيم الذى غيب أبوه فى التراب فتقول الملائكة أنت أعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتى فإنى أشهدكم أن لمن أسكته و أرضاه
أن أرضيه يوم القيامة

و كان عمر إذا رأى يتيما مسح رأسه و أعطاه شيئا «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» أى لا تنهر السائل و لا ترده إذا أتاك يسألك فقد
كنت فقيرا فأما أن تطعمه و إما أن ترده ردا لنا و

فى الحديث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص إذا أتاك سائل

ص: ٣٤٤

على فرس باسط كفيه فقد وجب له الحق و لو بشق تمره

قال أبو مسلم يريد كما أعطاك الله و رحمك و أنت عائل فأعط سائلك و ارحمه و قال الجبائي: المراد بها جميع المكلفين و إن كان الخطاب للنبي ص و قيل إن المراد بالسائل طلب العلم و هو متصل بقوله «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» عن الحسن و المعنى علم من يسألك كما علمك الله الشرائع و كنت بها غير عالم «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» معناه اذكر نعمه الله و أظهرها و حدث بها و

فى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله و من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير و التحدث بنعمه الله شكر و تركه كفر

و قيل يريد بالنعمه القرآن عن الكلبي قال و كان القرآن أعظم ما أنعم الله عليه به فأمره أن يقرأه و قيل بالنبوه التى أعطاك ربك عن مجاهد و اختاره الزجاج قال: أى بلغ ما أرسلت به و حدث بالنبوه التى آتاها الله و هى أجل النعم و قيل معناه اشكر لما ذكر من النعمه عليك فى هذه السوره

قال الصادق (عليه السلام) معناه فحدث بما أعطاك الله و فضلك و رزقك و أحسن إليك و هداك.

النظم

وجه اتصال قوله «لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» بما قبله أن فى قوله «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى» إثباتا لمحبه سبجانه إياه و إنعامه عليه فاتصل هذا أيضا به و التقدير ليس الأمر كما قالوه بل الوحي يأتيك ما عمرت و تدوم محبتى لك و ما أعطيتك فى الآخره من الشرف و رفعه المنزله خير مما أعطيتك اليوم فإذا حسدوك على ذا فكيف بهم إذا رأوا ذلك و أما اتصال قوله «أَلَمْ يَجِدْكَ» بما قبله فوجهه أنه اتصال ذكر النعم بذكر المنعم و التقدير أنه سبجانه سينعم عليك فى مستقبل أمرك كما أنعم عليك فى الماضى من أمرك.

ص: ٣٤٥

(٩٤) سورة الشرح مكيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

مكيه و هي ثمانى آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عنه ص قال من قرأها أعطى من الأجر كمن لقي محمدا ص مغتما ففرج عنه

و روى أصحابنا أن الضحى و أ لم نشرح سورة واحده لتعلق إحديهما بالأخرى و لم يفصلوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم و جمعوا بينهما فى الركعه الواحده فى الفريضة و كذلك القول فى سورة أ لم تر كيف و لإيلاف قريش و السياق يدل على ذلك لأنه قال أ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ قَالَ:

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (٢) الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَ إِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

اللغه

الشرح فتح الشىء بإذهاب ما يصد عن إدراكه و أصل الشرح التوسعه و يعبر عن السرور بسعه القلب و شرحه و عن الهم بضيق القلب لأنه يورث ذلك و الوزر الثقل فى اللغه و منه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الملك و إنما سميت الذنوب أوزارا لما يستحق عليها من العقاب العظيم و الأنقاض الأثقال التى كان ينتقض بها ما حمل عليه و النقض

و الهدم واحد و نقض المذهب إبطاله بما يفسده و بعير نقض سفر إذا أثقله السفر و النصب التعب و أنصبه الهم فهو منصب قال الشاعر:

(تعناك هم من أميمه منصب)

و هم ناصب ذو نصب قال النابغه:

(كلينى لهم يا أميمه ناصب)

. المعنى

ثم أتم سبحانه تعداد نعمه على نبيه ص فقال «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ»

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ص لقد سألت ربي مسأله وددت أنى لم أسأله قلت أى رب أنه قد كان أنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح و منهم من كان يحيى الموتى قال فقال (ألم أجذك يتيما فأويتك) قال قلت بلى قال (ألم أجذك ضالا فهديتك) قال قلت بلى أى رب قال (ألم أشرح لك صدرك و وضعت عنك وزرك) قال قلت بلى أى رب

و المعنى أ لم نفتح لك صدرك و نوسع قلبك بالنبوه و العلم حتى قمت بأداء رساله و صبرت على المكاره و احتمال الأذى و اطمأنتت إلى الإيمان فلم تضق به ذرعا و منه تشريح اللحم لأنه فتحه بترقيقه فشرح سبحانه صدره بأن ملاء علما و حكمه و رزقه حفظ القرآن و شرائع الإسلام و من عليه بالصبر و الاحتمال و قيل إنه ص كان قد ضاق صدره بمعاداه الجن و الإنس إياه و مناصبتهم له فأتاه من الآيات ما اتسع به صدره بكل ما حملة الله إياه و أمره به و ذلك من أعظم النعم عن البلخي و قيل معناه أ لم نشرح صدرك بإذهاب الشواغل التى تصد عن إدراك الحق و

عن ابن عباس قال سئل النبى ص فقيل يا رسول الله أ ينشرح الصدر قال نعم قالوا يا رسول الله و هل لذلك علامه يعرف بها قال نعم التجافى عن دار الغرور و الإنابه إلى دار الخلود و الإعداد للموت قبل نزول الموت

و معنى الاستفهام فى الآيه التقرير أى قد فعلنا ذلك و يدل عليه قوله فى العطف عليه «وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ» أى و حططنا عنك وزرك «الذى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ» أى أثقله حتى سمع له نقيض أى صوت عن الزجاج قال: و هذا مثل معناه أنه لو كان حملا لسمع نقيض ظهره و قيل إن المراد به تخفيف أعباء النبوه التى تثقل الظهر من القيام بأمرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسر له و من عليه بذلك عن أبى عبيده و عبد العزيز بن يحيى و قيل معناه و أزلنا عنك همومك التى أثقلتك من أذى الكفار فشبه الهموم بالحمل و العرب تجعل الهم ثقلا عن أبى مسلم و قيل معناه و عصمناك عن احتمال الوزر فإن المقصود من الوضع أن لا يكون عليه ثقل فإذا عصم كان أبلغ فى أن لا يكون قال المرتضى قدس الله روحه إنما سميت الذنوب بأنها أوزار لأنها تثقل كاسبها و حاملها فكل شىء أثقل الإنسان و غمه و كده جاز أن يسمى وزرا فلا يمتنع أن يكون

الوزر في الآيه إنما أراد به غمه ص بما كان عليه قومه من الشرك و أنه و أصحابه بينهم مقهور مستضعف فلما أعلى الله كلمته و شرح صدره و بسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيراً له بمواقع النعمة ليقابله بالشكر و يؤيده ما بعده من الآيات فإن اليسر بإزاله الهموم أشبه و العسر بإزاله الشدائد و الغموم أشبه فإن قيل أن السوره مكيه نزلت قبل أن يعلى الله كلمه الإسلام فلا وجه لقولكم قلنا أنه سبحانه لما بشره بأن يعلى دينه على الدين كله و يظهره على أعدائه كان بذلك واضعاً عنه ثقل غمه بما كان يلحقه من أذى قومه و مبدلاً عسره يسراً فإنه يثق بأن وعد الله حق و يجوز أيضاً أن يكون اللفظ و إن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال كقوله وَ نَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ وَ لِهَذَا نُنَازِلُكَ وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» أى قرنا ذكرك بذكرنا حتى لا- أذكر إلا- و تذكر معى يعنى فى الأذان و الإقامه و التشهد و الخطبه على المنابر عن الحسن و غيره قال قتاده: رفع الله ذكره فى الدنيا و الآخره فليس خطيب و لا متشهد و لا صاحب صلاه إلا و ينادى بأشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله و

فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص فى هذه الآيه قال قال لى جبرائيل قال الله عز و جل إذا ذكرت ذكرت معى

و فى هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبى ص:

أغر عليه للنبوه خاتم من الله مشهور يلوح و يشهد

و ضم الإله اسم النبى إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

و شق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود و هذا محمد.

ثم وعد سبحانه اليسر و الرخاء بعد الشده و ذلك أنه كان بمكه فى شده قال «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» أى مع الفقر سعه عن الكلبى و قيل معناه أن مع الشده التى أنت فيها من مزاوله المشركين يسرا و رخاء بأن يظهر ك الله عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به طوعاً أو كرها ثم كرر ذلك فقال «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»

روى عطاء عن ابن عباس قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحداً و خلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين

و

عن الحسن قال خرج النبى ص يوماً مسروراً فرحاً و هو يضحك و يقول لن يغلب عسر يسرين

«فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» قال الفراء: إن العرب تقول إذا ذكرت نكره ثم أعدتها نكره مثلها صارتا اثنتين كقولك إذا كسبت درهما فأنفق درهما فالثانى غير الأول فإذا أعدتها معرفه فهى كقولك إذا كسبت الدرهم فأنفق الدرهم فالثانى هو الأول و نحو هذا ما قال الزجاج: أنه ذكر العسر مع الألف و اللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى إن مع العسر يسرين و قال صاحب كتاب النظم فى تفسير

هذه الآية: إن الله بعث نبيه و هو مقل مخف و كانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا له إن كان بك من هذا القول الذى تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا- حتى تكون كأيسر أهل مكة فكره النبي ص ذلك و ظن أن قومه إنما يكذبوه لفقره فوعده الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك عما خامر من الهم فقال «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» و تأويله لا يحزنك ما يقولون و ما أنت فيه من الإقلال فإن مع العسر يسرا فى الدنيا عاجلا ثم أنجز ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز و ما والاها من القرى العربيه و عامه بلاد اليمن فكان يعطى المائتين من الإبل و يهب الهبات السنيه و يعد لأهله قوت سنته ثم ابتداء فصلا آخر فقال «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» و الدليل على ابتدائه تعريه من فاء و واو و هو وعد لجميع المؤمنين لأنه يعنى بذلك أن مع العسر فى الدنيا للمؤمن يسرا فى الآخرة و ربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا و هو ما ذكر فى الآية الأولى و يسر الآخرة و هو ما ذكر فى الآية الثانية

فقوله ص لن يغلب عسر يسرين

أى يسر الدنيا و الآخرة فالعسر بين يسرين أما فرج الدنيا و أما ثواب الآخرة و هذا الذى ذكره الجرجاني يؤيد ما ذهب إليه المرتضى قدس الله روحه من أن القائل إذا قال شيئا ثم كرره فإن الظاهر من تغاير الكلامين تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيدا لما لا يفيداه الآخر فيجب مع الإطلاق حمل الثانى على غير مقتضى الأول إلا إذا كان بين المتخاطبين عهد أو دلالة يعلم المخاطب بذلك أن المخاطب أراد بكلامه الثانى الأول فيحمله على ذلك و أنشد أبو بكر الأنبارى:

إذا بلغ العسر مجهوده فثق عند ذاك بيسر سريع

ألم تر نحس الشتاء الفظيع يتلوه سعد الربيع البديع

و أنشد إسحاق بن بهلول القاضى:

فلا تيأس و إن أعسرت يوما فقد أيسرت فى دهر طويل

و لا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

فإن العسر يتبعه يسار و قول الله أصدق كل قيل

«فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَ إِلَى رَبِّكَ فَارْجِعْ» معناه فإذا فرغت من الصلاة المكتوبه فانصب إلى ربك فى الدعاء و أرغب إليه فى المسأله يعطك عن مجاهد و قتاده و الضحاك و مقاتل و الكلبي و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و معنى انصب من النصب و هو التعب أى لا- تشتغل بالراحه و قال الزهرى: إذا فرغت من الفرائض فادع بعد التشهد بكل حاجتك و

قال الصادق (عليه السلام) هو الدعاء فى دبر الصلاة و أنت جالس

و قيل معناه فإذا فرغت من

الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن مسعود وقيل معناه فإذا فرغت من دنياك فانصب في عباده ربك وصل عن مجاهد و الجبائي وقيل فإذا فرغت من الفرائض فانصب فيما رغبتك الله فيه من الأعمال وصل عن ابن عباس وقيل إذا فرغت من جهاد أعدائك فانصب بالعبادة لله عن الحسن و ابن زيد وقيل فإذا فرغت من جهاد الأعداء فانصب بجهاد نفسك وقيل إذا فرغت من أداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة و سئل علي بن طلحة عن هذه الآية فقال القول فيه كثير و قد سمعناه أنه يقال إذا صححت فاجعل صحتك و فراغك نصبا في العبادة و يدل علي هذا ما روى أن شريحا مر برجلين يصطرعان فقال: ليس بهذا أمر الفارغ إنما قال الله سبحانه «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ» أي فارفع حوائجك إلى ربك و لا ترفعها إلى أحد من خلقه و قال عطاء: يريد تضرع إليه راهبا من النار و راغبا إلى الجنة.

ص: ٣٥٠

(٩٥) سورة التين مكيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

مكيه المعدل عن ابن عباس مدنيه ثمانى آيات بالاجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأها أعطاه الله خصلتين العافيه و اليقين ما دام فى دار الدنيا فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السوره صيام يوم

و

عن البراء بن عازب قال سمعت النبى ص يقرأ فى المغرب و التين و الزيتون فما رأيت إنسانا أحسن قراءه منه رواه أبو مسلم فى الصحيح

و

روى شعيب العقرقوفى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ و التين فى فرائضه و نوافله أعطى من الجنة حيث يرضى.

تفسيرها

أمر الله سبحانه بالرغبه إليه فى خاتمه تلك السوره و افتتح هذه السوره بذكر أنه الخالق المستحق للعباده بعد أن أقسم عليه فقال:

[سورة التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (١) وَ طُورِ سِينِينَ (٢) وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)

التقويم تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه من التأليف والتعديل يقال قومه فاستقام و تقويم.

المعنى

«وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ» أقسم الله سبحانه بالتين الذى يؤكل و الزيتون الذى يعصر منه الزيت عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و عكرمه و قتاده و هو الظاهر و إنما أقسم بالتين لأنه فاكهه مخلصه من شائب التنغيص و فيه أعظم عبره لأنه عز اسمه جعلها على مقدار اللقمة و هيأها على تلك الصفة إنعاماً على عباده بها و

قد روى أبو ذر عن النبي ص قال فى التين لو قلت إن فاكهه نزلت من الجنة لقلت هذه هى لأن فاكهه الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير و تنفع من النقرس

و أما الزيتون فإنه يعصر منه الزيت الذى يدور فى أكثر الأطعمة و هو إدام و التين طعام فيه منافع كثيرة و قيل التين الجبل الذى عليه دمشق و الزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس عن قتاده و قال عكرمه: هما جبلان و إنما سميا لأنهما يبتان بهما و قيل التين مسجد دمشق و الزيتون بيت المقدس عن كعب الأخبار و عبد الرحمن بن غنيم و ابن زيد و قيل التين مسجد نوح الذى بنى على الجودى و الزيتون بيت المقدس عن ابن عباس و قيل التين المسجد الحرام و الزيتون المسجد الأقصى عن الضحاك «وَأُطُورِ سَيْنِينَ» يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عن الحسن و سنيين و سينا و واحد و قيل إن سنيين معناه المبارك الحسن و كأنه قيل جبل الخير الكثير لأنه إضافه تعريف عن مجاهد و قتاده و قيل معناه كثير النبات و الشجر عن عكرمه و قيل إن كل جبل فيه شجر مثمر فهو سنيين و سينا بلغه النبط عن مقاتل

قال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة فى المغرب و التين و الزيتون و طور سينا قال فظننت أنه إنما قرأها ليعلم حرمة البلد و روى ذلك عن موسى بن جعفر (عليه السلام)

أيضاً «وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» يعنى مكة البلد الحرام يأمن فيه الخائف فى الجاهلية و الإسلام فالأمين يعنى المؤمن من يدخله و قيل بمعنى الأمان و يؤيده قوله أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا قال الشاعر:

ألم تعلمى يا أسم ويحك إننى حلفت يمينا لا أخون أمني

يريد آمنى «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» هذا جواب القسم و أراد جنس الإنسان و هو آدم و ذريته خلقهم الله فى أحسن صوره عن إبراهيم و مجاهد و قتاده و قيل فى أحسن تقويم أى منتصب القامة و سائر الحيوان مكب على وجهه إلا الإنسان عن ابن عباس

وقيل أراد أنه خلقهم على كمال في أنفسهم و اعتدال في جوارحهم و أبانهم عن غيرهم بالنطق و التمييز و التدبير إلى غير ذلك مما يختص به الإنسان و في ذلك إشاره أيضا إلى حال الشباب «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» يريد إلى الخرف و أرذل العمر و الهرم و نقصان العقل و السافلون هم الضعفاء و الزمنى و الأطفال و الشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعا عن ابن عباس و إبراهيم و قتاده و قيل معناه ثم رددناه إلى النار عن الحسن و مجاهد و ابن زيد و الجبائي و المعنى إلى أسفل الأسفلين لأن جهنم بعضها أسفل من بعض و على هذا فالمراد به الكفار أى خلقناهم فى أحسن خلقه أحرارا عقلاء مكلفين فكفروا فرددناهم إلى النار فى أقيح صوره ثم استثنى فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بالله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى أخلصوا العبادة لله و أضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة فإن هؤلاء لا يردون إلى النار و من قال بالقول الأول قال إن المؤمن لا يرد إلى الخرف و إن عمر عمرا طويلا قال إبراهيم: إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له ما كان يعمل و هو قوله «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» و قال عكرمه: من رد منهم إلى أرذل العمر كتب له صالح ما كان يعمل فى شبابه و ذلك أجر غير ممنون و عن ابن عباس قال: و من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر و ذلك قوله «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» قال إلا الذين قرءوا القرآن و

فى الحديث عن أنس قال قال رسول الله ص المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنه كتب لوالديه فإن عمل سيئه لم تكتب عليه و لا على والديه فإذا بلغ الحنث و جرى عليه القلم أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه و يسددانه فإذا بلغ أربعين سنة فى الإسلام آمنه الله من البلايا الثلاث الجنون و الجذام و البرص فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه فإذا بلغ ستين رزقه الإنابة إليه فيما يجب فإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء فإذا بلغ ثمانين كتب الله حسناته و تجاوز عن سيئاته فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و شفعه فى أهل بيته و كان اسمه أسير الله فى الأرض فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا كتب الله له بمثل ما كان يعمل فى صحته من الخير و إن عمل سيئه لم تكتب عليه

و أقول إن صح الخبر فإنما لا تكتب عليه السيئه لزوال عقله و نقصان تمييزه فى ذلك الوقت و قوله «غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير منقوص و قيل غير مقطوع عن أبى مسلم و قيل غير محسوب عن مجاهد و قيل غير مكدر بما يؤذى و يغم عن الجبائي «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ» معناه أى شىء يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين الذى هو الجزاء و الحساب عن الحسن و عكرمه و أبى مسلم و المراد ما يحملك على أن لا تتفكر فى صوتك و شبابك و هرمك فتعتبر و تقول إن الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثنى و يحاسبنى و يجازينى بعملى فيكون قوله «فَمَا يُكَذِّبُكَ» يعنى به ما الذى يجعلك تكذب و قيل إن الخطاب

للنبي ص أى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذه الحجج بالدين الذى هو الإسلام عن مجاهد و قتاده أى لا شىء يكذبك «أ
لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه تعالى أحكم الحاكمين فى صنائعه و أفعاله و أنه لا خلل فى
شىء منها و لا اضطراب فكيف يترك هذه الخلائق و يهملهم فلا يجازيهم و قيل معناه أ ليس الله بأقضى القاضين فيحكم بينك
يا محمد و بين أهل التكذيب بك عن مقاتل و

قال قتاده و كان رسول الله ص إذا ختم هذه السوره قال بلى و أنا على ذلك من الشاهدين.

النظم

اتصل قوله «أ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» بما قبله من ذكر الدين و الجزاء على سبيل التنبيه على الإعادة فإن الحكيم إذا كلف و
أمر و نهى و خلى بين الظالم و المظلوم فلا بد من المجازاه و الإنصاف و الانتصاف فإذا لم يكن ذلك فى الدنيا فلا بد من البعث
فإن أحكم الحاكمين لا يجوز عليه الإخلال بما ذكرناه.

ص: ٣٥٤

(٩٦) سورة العلق مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)

اشاره

عدد آياتها

عشرون آيه حجازى و تسع عشره عراقى و ثمانى عشره شامى.

اختلافها

آيتان الذى ينهى غير الشامى لئن لم ينته حجازى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله

محمد بن حسان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ فى يومه أو فى ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات فى يومه أو فى ليلته مات شهيدا و بعثه الله شهيدا و أحياه كمن ضرب بسيفه فى سبيل الله مع رسول الله ص.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر اسمه و افتتح هذه السوره باسمه أيضا فقال:

ص: ٣٥٥

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩)

عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤)

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفِ فَعَا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَدِّدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسِجْدُ وَ اقْتَرَبَ (١٩)

اللغة

العلق جمع علقه و هي القطعه الجامده من الدم التي تعلق لرتوبتها بما تمر به فإذا جفت لا تسمى علقه و العلق ضرب من الدود أسود لأنه يعلق على العضو فيمتص منه الدم و الرجعي الرجوع و المرجع واحد و السفع الجذب الشديد يقال سفعت بالشىء إذا قبضت عليه و جذبته جذبا شديدا و سفته النار و الشمس إذا غيرت وجهه إلى حال تشويه و منه الحديث

ليصين أقواما سفع من النار

أى تشويه خلقه و الناصيه شعر مقدم الرأس سميت بذلك لأنها متصله بالرأس من قولهم ناصى يناصره إذا وصل قال الراجز:

"قى تناصيها بلاد قى"

النادى مجلس أهل النادى ثم كثر فسمى كل مجلس ناديا و واحد الزبانيه زبينه عن أبى عبيده و زبنى عن الكسائى و زابن عن الأخفش أخذ من الزبن و هو الدفع و الناقه تزبن الحالب أى تركضه برجلها قال الشاعر:

و مستعجب مما يرى من انائنا و لو زبنته الحرب لم يترمرم

. الإعراب

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» تخصيص بعد تعميم ألا ترى أن قوله «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» بعد قوله «خَلَقَ» خصوص بعد عموم فهو مثل قوله يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ثم قال وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ فخصص الآخرة بعد ذكر الغيب الذى هو عام لكل ما غاب عنا و عكسه قول لبيد:

و هم العشيره أن يبطئ حاسد أو أن يلوم بحاجه لوامها

ص: ٣٥٦

ألا- ترى أن اللوم أعم من التبطئه لأن التبطئه نسبه قوم إلى البطء فهذا بعض اللوم وقوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» الضمير المستكن في رآه عائد إلى الضمير المستكن في يطغى والهاء في رآه عائد إلى الضمير المستكن فيه وإنما جاز أن يعود الضمير المنصوب إلى ضمير الفاعل في باب علمت وأخواتها من غير ذكر النفس لدخول هذه الأفعال على المبتدأ والخبر والخبر هو نفس المبتدأ فتقول علمتني وحسبتي أفعل كذا ولا يجوز في غيرها إلا بواسطة النفس تقول ضربت نفسي ولا تقول ضربتني وإن رآه في محل نصب لأنه مفعول له و«اسْتِغْنَى» جملة في موضع نصب لكونها مفعوله ثانية لرآه والتقدير لأن رآه مستغنيا. ناصيه بدل من الناصيه أى ناصيه كاذبه خاطئه ومعناه ناصيه صاحبها كاذب خاطئ يقال فلان نهاره صائم و ليله قائم أى هو صائم في نهاره وقائم في ليله. «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ» أى أهل ناديه فحذف المضاف. والنون في «لَنْسِيْفَعًا» نون التأكيد الخفيفة والاختيار عند البصريين أن تكتب بالألف لأن الوقف عليها بالألف واختار الكوفيون أن تكتب بالنون لأنها نون في الحقيقة.

المعنى

«أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ» هذا أمر من الله سبحانه لنبيه ص أن يقرأ باسم ربه و أن يدعو بأسمائه الحسنى و فى تعظيم الاسم تعظيم المسمى لأن الاسم ذكر المسمى بما يخصه فلا سبيل إلى تعظيمه إلا بمعناه ولهذا لا يعظم اسم الله حق تعظيمه إلا من هو عارف به و معتقد عبادته ولهذا قال سبحانه قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى و قال سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فالباء هنا زائده و التقدير اقرأ باسم ربك و أكثر المفسرين على أن هذه السورة أول ما نزل من القرآن و أول يوم نزل جبرائيل (عليه السلام) على رسول الله ص و هو قائم على حراء علمه خمس آيات من أول هذه السورة و قيل أول ما نزل من القرآن قوله «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» و قد مر ذكره و قيل أول سورة نزلت على رسول الله ص فاتحه الكتاب

رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن أبي ميسره عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ص قال لخديجه:

إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك إلا خيرا فو الله إنك لتؤدى الأمانة و تصل الرحم و تصدق الحديث قالت خديجه: فانطلقنا إلى ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى هو ابن عم خديجه فأخبره رسول الله ص بما رأى فقال له ورقه: إذا أتاك فائت له حتى تسمع ما يقول ثم أتيني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل له ذلك فقال له أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم و أنك على مثل ناموس موسى و أنك نبي مرسل و أنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا و لئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك فلما توفى ورقه قال رسول الله ص: لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى و صدقنى

يعنى ورقه و روى أن ورقه قال فى ذلك:

فإن يك حقا يا خديجه فأعلمي حديثك إيانا فأحمد مرسل

و جبريل يأتيه و ميكال معهما من الله وحي يشرح الصدر منزل

يفوز به من فاز عزا لدينه و يشقى به الغاوى الشقى المضلل

فريقان منهم فرقه فى جناه و أخرى بأغلال الجحيم تغلغل

ثم وصف سبحانه ربه و بينه بفعله الدال عليه فقال «الَّذِي خَلَقَ» أى خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته و أخرجه من العدم إلى الوجود بكمال قدرته ثم خص الإنسان بالذكر تشريفا له و تبيها على إبانته إياه عن سائر الحيوان فقال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» أراد به جنس بنى آدم أى خلقهم من دم جامد بعد النطفه و قيل معناه خلق آدم من طين يعلق باليد و الأول أصح و فى هذا إشاره إلى بيان النعمه بأن خلقه من الأصل الذى هو فى الغايه القصوى من المهانه ثم بلغ به مبالغ الكمال حتى صار بشرا سويا مهيتا للنطق و التمييز مفرغا فى قالب الاعتدال و أنه كما نقل الإنسان من حال إلى حال حتى استكمل كذلك بنقلك من الجهاله إلى درجه النبوه و الرساله حتى تستكمل شرف محلها ثم أكد الأمر بالإعاده فقال «أَفْرَأُ» و قيل أمره فى الأول بالقراءه لنفسه و فى الثانى بالقراءه للتبليغ و ليس بتكرار عن الجبائى و معناه اقرأ القرآن «وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» أى الأعظم كرما فلا يبلغه كرم كريم لأنه يعطى من النعم ما لا يقدر على مثله غيره فكل نعمه توجد من جهته تعالى إما بأن اخترعها و إما سببها و سهل الطريق إليها و قيل معناه بلغ قومك و ربك الأكرم الذى يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه و يقويك و يعينك على حفظ القرآن «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» أى علم الكاتب أن يكتب بالقلم أو علم الإنسان البيان بالقلم أو علم الكتابه بالقلم امتن سبحانه على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابه بالقلم لما فى ذلك من كثره الانتفاع فيما يتعلق بالدين و الدنيا قال قتاده: القلم نعمه من الله عظيمه لولاه لم يقم دين و لم يصلح عيش و قال بعضهم فى وصفه:

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه و أرى الجنى اشتارته أيد عواسل.

و قيل أراد سبحانه آدم لأنه أول من كتب عن كعب و قيل أول من كتب إدريس عن الضحاك و قيل أراد كل نبى كتب بالقلم لأنه ما علمه إلا- بتعليم الله إياه «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» من أنواع الهدى و البيان و أمور الدين و الشرائع و الأحكام فجميع ما يعلمه الإنسان

من جهته سبحانه إما بأن اضطره إليه وإما بأن نصب الدليل عليه في عقله وإما بأن بينه له على ألسنه ملائكته ورسله فكل العلوم على هذا مضاف إليه وفي هذا دلالة على أنه سبحانه عالم لأن العلم لا يقع إلا من عالم «كَلَّا» أي حقا «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ» أي يتجاوز حده ويستكبر على ربه ويعدو طوره «أَنْ رَأَاهُ سَيِّئًا يَتَّغَى» أي لأن رآه نفسه مستغنيا عن ربه بعشيرته وأمواله وقوته كأنه قال إنما يطغى من رأى أنه مستغن عن ربه لا من كان غنيا قال قتاده:

كان إذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه وقيل إنها نزلت في أبي جهل هشام من هنا إلى آخر السورة «إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ» أي إلى الله مرجع كل أحد أي فهذا الطاغى كيف يطغى بماله ويعصى ربه ورجوعه إليه وهو قادر على إهلاكه وعلى مجازاته إذا رجع إليه «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ» هذا تقرير للنبي ص وأعلام له بما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة

فقد جاء في الحديث أن أبا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فبالذي يحلف به لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبتك فليلطأ على رقبتك فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقالوا ما لك يا أبا الحكم قال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا- وأجنحه وقال نبي الله والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فأنزل الله سبحانه «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ» إلى آخر السورة رواه مسلم في الصحيح

ومعنى الآية أ رأيت يا محمد من منع من الصلاة ونهى من يصلى عنها ما ذا يكون جزاؤه وما يكون حاله عند الله تعالى وما الذى يستحقه من العذاب فحذف لدلالة الكلام عليه والآية عامه فى كل من ينهى عن الصلاة والخير و

روى عن على (عليه السلام) أنه خرج فى يوم عيد فرأى ناسا يصلون فقال يا أيها الناس قد شهدنا نبي الله فى مثل هذا اليوم فلم يكن أحد يصلى قبل العيد أو قال النبى ص فقال رجل يا أمير المؤمنين ألا تنهى أن يصلوا قبل خروج الإمام فقال لا أريد أن أنهى عبدا إذا صلى ولكننا نحدثهم بما شهدنا من النبى ص أو كما قال

ومعنى أ رأيت هاهنا تعجيب للمخاطب ثم كرر هذه اللفظة تأكيداً فى التعجيب فقال «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ» يعنى العبد المنهى وهو محمد ص «أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ» يعنى بالإخلاص والتوحيد ومخافة الله تعالى وهاهنا حذف أيضا تقديره كيف يكون حال من ينهاه عن الصلاة ويزجره عنها ثم قال «أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ» أبو جهل «وَتَوَلَّىٰ» عن الإيمان وأعرض عن قبوله والإصغاء إليه «أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ» ما يفعله ويعلم ما يصنعه والتقدير أ رأيت الذى فعل هذا الفعل ما الذى يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب وقيل إن تقدير نظم الآية أ رأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى وهو على الهدى أمر بالتقوى والناهى كاذب مكذب متول عن الإيمان فما أعجب هذا ثم هدده بقوله ألم يعلم هذا

المكذب فإن لم يعلم فليعلم بأن الله يرى هذا الصنيع الشنيع فيؤاخذ به و في هذا إشاره إلى فعل الطاعة و ترك المعصية ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى لا يعلم ذلك «لَئِن لَّمْ يَنْتَه» يعنى أن لم يمتنع أبو جهل عن تكذيب محمد ص و إيذائه «لَنْسِفَعَا بِالنَّاصِيَةِ» أى لنجرن بناصيته إلى النار و هذا كقوله فَيُؤَخِّدُ بِالنَّوَاصِيَةِ وَ الْأَقْدَامِ و معناه لنذلنه و نقيمته مقام الأذله ففى الأخذ بالناصيه إهانته و استخفاف و قيل معناه لنغيرن وجهه و نسودنه بالنار يوم القيامة لأن السفع أثر الإحراق بالنار ثم أخبر سبحانه عنه بأنه فاجر خاطئ بأن قال «نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ» وصفها بالكذب و الخطأ بمعنى أن صاحبها كاذب فى أقواله خاطئ فى أفعاله، لما ذكر الجبر بها أضاف الفعل إليها قال ابن عباس: لما أتى أبو جهل رسول الله ص انتهره رسول الله ص فقال أبو جهل أ تنتهرنى يا محمد فو الله لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى فأنزل الله سبحانه «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ» و هذا وعيد أى فليدع أهل ناديه أى أهل مجلسه يعنى عشيرته فليستنصر بهم إذا حل عقاب الله به و النادى الفناء قال وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ثم قال «سَيَدْعُونَ نَادِيَهُ» يعنى الملائكة الموكلين بالنار و هم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية النار من ساعته معاينه و قيل إنه إخبار بأنه يدعو إليه الزبانية دعا ناديه أم لم يدع و صدق سبحانه ذلك فقتل أبو جهل يوم بدر ثم قال «كَلَّا» أى ليس الأمر على ما عليه أبو جهل «لَا تُطْعَمُهُ» فى النهى عن الصلاة «وَ اسْجُدْ» له عز اسمه «وَ اقْتَرِبْ» من ثوابه و قيل معناه و تقرب إليه بطاعته و قيل معناه اسجد يا محمد للتقرب منه فإن أقرب ما يكون العبد من الله إذا سجد له و قيل «وَ اسْجُدْ» أى و صل لله و اقترب من الله

و فى الحديث عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ص قال أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجدا

و قيل المراد به السجود لقراءه هذه السوره و السجود هنا فرض و هو من العزائم و

روى عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال العزائم الم تنزل و حم السجده و النجم إذا هوى و اقرأ باسم ربك و ما عداها فى جميع القرآن مسنون و ليس بمفروض

(٩٧) سورة القدر مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

مكيه و قيل مدنيه.

عدد آياتها

ست آيات مكي و شامى و خمس فى الباقين.

اختلافها

آيه لَيْلَةُ الْقَدْرِ الثَّالِثِ مَكِي شَامِي.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأها أعطى من الأجر كمن صام رمضان و أحيا ليله القدر.

الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إنا أنزلناه فى فريضه من الفرائض نادى مناد يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل.

سيف بن عميره عن رجل عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ إنا أنزلناه بجهر كان كشاهر سيفه فى سبيل الله و من قرأها سرا كان كالمتشحط بدمه فى سبيل الله و من قرأها عشر مرات مرت على نحو ألف ذنب من ذنوبه.

تفسيرها

أمر سبحانه بالسجود و التقرب إليه فى خاتمه تلك السوره و افتتح هذه السوره بذكر ليله القدر و إن التقرب فيها إلى الله يزيد على التقرب إليه من سائر الليالى و الأيام فكأنه قال اقترب إليه فى سائر الأوقات خصوصا فى ليله القدر و قال أبو مسلم: لما أمره بقراءه القرآن فى تلك السوره بين فى هذه السوره أن إنزاله فى ليله القدر فقال:

ص: ٣٦١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ فِيهَا يَأْذِنُ رَبَّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤)

سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥)

القراءة

قرأ الكسائي و خلف مطلع بكسر اللام و الباقون بفتح اللام و فى الشواذ قراءة ابن عباس و عكرمه و الكلبي من كل امرء.

الحج

قال أبو علي: مطلع هنا مصدر بدلالة أن المعنى سلام هي حتى وقت طلوعه و إلى وقت طلوعه نحو مقدم الحاج و خفوق النجم المصدر فيه زمانا على تقدير حذف المضاف فالقياس أن يفتح اللام كما أن مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو المخرج و المدخل و أما الكسر فلأن المصادر التي ينبغي أن تكون على المفعول ما قد كسر كقولهم علاه المكبر و المعجزه و قوله «من كل امرء» قال ابن جنى أنكر أبو حاتم هذه القراءة على أنه حكى عن ابن عباس أنه قال يعنى الملائكة قال و لا أدري ما هذا و إنما هو تنزل الملائكة فيها كل أمر كقوله فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا وَ «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» فتم الكلام ثم استأنف فقال سلام أى هي سلام إلى أن يطلع الفجر و قال قطرب: معناه هي سلام من كل أمر و امرئ و يلزم على قول قطرب أن يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدر الذى هو سلام عليه و قد عرفنا امتناع جواز تقديم صله الموصول أو شىء منها عليه و الجواب أن سلاما فى الأصل كعمري مصدر فأما هنا فإنه موضوع اسم الفاعل الذى هو سالمه هي أو مسلمه فكأنه قال من كل أمر سالمه أو مسلمه هي أى هي سالمه أو مسلمه منه.

اللغة

القدر كون الشىء مساويا لغيره من غير زياده و لا نقصان و قدر الله هذا الأمر يقدره قدرا إذا جعله على مقدار ما تدعو إليه الحكمة و الشهر فى الشرع عبارته عما بين هالين من الأيام و إنما سمي شهرا لاشتغاره بالهلاك و قد يكون الشهر ثلاثين و يكون تسعه و عشرين إذا كان هالليا فإن لم يكن هالليا فهو ثلاثون.

الإعراب

«خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» تقديره خير من ألف شهر لا ليله قدر فيه فحذف الصفة و قوله «سَلَامٌ هِيَ» هي مبتدأ و سلام خبر مقدم عليه و هو بمعنى الفاعل لأنه إذا حمل على المصدر لم يجز تعليق حتى به لأنه لا يفصل بين الصلة و الموصول و مثله قول الشاعر:

فهلأ سعتم سعى عصبه مازن و هل كفلائى فى الوفاء سواء

سواء بمعنى مستو و التقدير فهل كفلائى مستون فى الوفاء لا بد من هذا التقدير لأن

ص: ٣٤٢

سواء لو كانت مصدرا لما تقدم عليه ما فى صلته و يجوز تعليق حتى بقوله «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ» و لا يجوز أن يكون هى مبتدأ و تكون حتى نكره فى موضع الخبر لأنه لا فائده فيه إذ كل ليله بهذه الصفة و مطلع مجرور بحتى و هو فى معنى إلى.

المعنى

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» الهاء كناية عن القرآن و إن لم يجر له ذكر لأنه لا يشتبه الحال فيه «فِي لَيْلِهِ الْقَدْرِ» قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فى ليله القدر ثم كان ينزله جبريل (عليه السلام) على محمد ص نجوما و كان من أوله إلى آخره ثلاث و عشرون سنة و قال الشعبي: معناه أنا ابتدأنا إنزاله فى ليله القدر و قال مقاتل:

أنزله من اللوح المحفوظ إلى السفره و هم الكتبه من الملائكة فى السماء الدنيا و كان ينزل ليله القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرائيل (عليه السلام) على النبي ص فى السنه كلها إلى مثلها من القابل و الكلام فى ليله القدر على ضروب (فالأول) اختلاف العلماء فى معنى هذا الاسم و مأخذه فقل سميت ليله القدر لأنها الليله التى يحكم الله فيها و يقضى بما يكون فى السنه بأجمعها من كل أمر عن الحسن و مجاهد و هى الليله المباركه فى قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ فِيهَا الْخَيْرُ وَ الْبِرْكَهَ وَ الْمَغْفِرَهَ وَ رَوَى أَبُو الضَّحَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْضَى الْقَضَايَا فِي لَيْلِهِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ثُمَّ يَسْلَمُهَا إِلَى أَرْبَابِهَا فِي لَيْلِهِ الْقَدْرِ وَ قِيلَ لَيْلِهِ الْقَدْرِ أَى لَيْلِهِ الشَّرْفِ وَ الْخَطَرِ وَ عَظُمَ الشَّأْنُ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ لَهُ قَدْرٌ عِنْدَ النَّاسِ أَى مَنْزِلُهُ وَ شَرَفُهُ وَ مِنْهُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ* أَى مَا عَظَمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْوَرَّاقُ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا قَدْرِ إِذَا أَحْيَاهَا صَارَ ذَا قَدْرِ وَ قَالَ غَيْرُهُ لِأَنَّ لِلطَّاعَاتِ فِيهَا قَدْرًا عَظِيمًا وَ ثَوَابًا جَزِيلًا وَ قِيلَ سَمِيَتْ لَيْلَهُ الْقَدْرِ لِأَنَّهُ أَنْزَلَ فِيهَا كِتَابَ ذُو الْقَدْرِ إِلَى رَسُولِ ذِي الْقَدْرِ لِأَجْلِ أُمِّهِ ذَاتِ الْقَدْرِ عَلَى يَدَيْ مَلِكِ ذِي الْقَدْرِ وَ قِيلَ هِيَ لَيْلَهُ التَّقْدِيرِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَ فِيهَا أَنْزَالَ الْقُرْآنَ وَ قِيلَ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَضِيقُ فِيهَا بِالْمَلَائِكَةِ مِنْ قَوْلِهِ وَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ (الضَّرْبُ الثَّانِي) اِخْتِلَافُهُمْ فِي أَنَّهَا أَيْهَ لَيْلِهِ فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص ثُمَّ رَفَعَتْ وَ

جاءت الروايه عن أبى ذر أنه قال قلت يا رسول الله ليله القدر هى شىء تكون على عهد الأنبياء ينزل فيها فإذا قبضوا رفعت قال لا بل هى إلى يوم القيامة

و قيل إنها فى ليالى السنه كلها و من علق طلاق امرأته على ليله القدر لم يقع إلى مضى السنه و هو مذهب أبى حنيفه و فى بعض الروايات عن ابن مسعود أنه قال: من يقيم الحول كله يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال رحم الله أبا عبد الرحمن أ ما أنه علم أنها فى شهر رمضان و لكنه أراد أن لا يتكل الناس و جمهور العلماء على أنها فى شهر رمضان فى كل سنه ثم اختلفوا فى.

أى ليله هي منه فقيل هي أول ليله منه عن ابن زيد العقيلي وقيل هي ليله سبع عشره منه عن الحسن و روى أنها ليله الفرقان و فى صبيحتها التقى الجمعان و الصحيح أنها فى العشر الأواخر من شهر رمضان و هو مذهب الشافعى و

روى مرفوعا أنه ص قال التمسوها فى العشر الأواخر

و

عن على (عليه السلام) أن النبى ص كان يوقظ أهله فى العشر الأواخر من شهر رمضان قال و كان إذا دخل العشر الأواخر دأب و أدأب أهله

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال كان رسول الله ص إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر و اجتنب النساء و أحيا الليل و تفرغ للعباده

ثم اختلفوا فى أنها أيه ليله من العشر فقيل إنها ليله إحدى و عشرين و هو مذهب أبى سعيد الخدرى و اختيار الشافعى

قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ص رأيت هذه الليله ثم أنسيتها و رأيتنى أسجد فى ماء و طين فالتمسوها فى العشر الأواخر و التمسوها فى كل و تر قال فأبصرت عيناي رسول الله ص انصرف و على جبهته و أنفه أثر الماء و الطين من صبيحه إحدى و عشرين أورده البخارى فى الصحيح

وقيل هي ليله ثلاث و عشرين منه

عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل إلى النبى ص فقال يا رسول إني رأيت فى النوم كان ليله القدر هي ليله سابعه تبقى فقال ص: أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث و عشرين فمن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئا فليقم ليله ثلاث و عشرين

قال معمر كان أيوب يغتسل ليله ثلاث و عشرين و يمس طيبا و سأل عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ص فقال قد علمتم

أن رسول الله ص قال فى ليله القدر اطلبوها فى العشر الأواخر و ترا

ففى أى الوتر ترون فأكثر القوم فى الوتر قال ابن عباس فقال لى ما لك لا تتكلم يا ابن عباس فقلت رأيت الله أكثر ذكر السبع فى القرآن فذكر السماوات سبعا و الأرضين سبعا و الطواف سبعا و الجمار سبعا و ما شاء الله من ذلك خلق الإنسان سبعا و جعل رزقه فى سبعه فقال كل ما ذكرت عرفت فما قولك خلق الإنسان من سبعه و جعل رزقه فى سبعه فقلت خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ إِلَى قَوْلِهِ خَلَقْنَا آخَرَ قَرَأَتْ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا إِلَى قَوْلِهِ وَ فَكَيْهَهُ وَ أَبًّا فَمَا أَرَاهَا إِلَّا لَيْلَهُ ثَلَاثَ وَ عَشْرِينَ لَسَبْعَ بَقِيْنَ فَقَالَ عَمْرُ عَجَزْتُمْ أَنْ تَأْتُوا بِمَا جَاءَ بِهِ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ شُؤْنُ رَأْسِهِ قَالَ وَ قَالَ عَمْرُ وَافِقُ رَأْيِي رَأْيِكَ ثُمَّ ضَرَبَ مِنْكِبِي فَقَالَ مَا أَنْتَ بِأَقْلِ الْقَوْمِ عِلْمًا وَ

روى العياشى بإسناده عن زرارہ عن عبد الواحد بن المختار الأنصارى قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن ليله القدر قال فى ليلتين ليله ثلاث و عشرين و إحدى و عشرين فقلت أفرد لى أحدهما فقال و ما عليك أن تعمل فى ليلتين هى إحداهما

و

عن شهاب ابن عبد ربه قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) أخبرنى بليله القدر فقال ليله إحدى و عشرين و ليله ثلاث و عشرين

و

عن حماد بن عثمان عن حسان بن أبى على قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ليله القدر قال اطلبها فى تسع عشره و إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين

و

فى كتاب من لا

ص: ٣٦٤

يحضره الفقيه عن علي بن حمزه قال كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له أبو بصير جعلت فداك الليله التي يرجى فيها ما يرجى أى ليله هي فقال هي ليله إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين قال فإن لم أقو على كليهما فقال ما أيسر ليلتين فيما تطلب قال قلت فربما رأينا الهلال عندنا و جاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك في أرض أخرى فقال ما أيسر أربع ليال فيما تطلب فيها جعلت فداك ليله ثلاث و عشرين ليله الجهنى قال إن ذلك ليقال قلت جعلت فداك إن سليمان بن خالد روى أن في تسع عشره يكتب وفد الحاج فقال يا أبا محمد وفد الحاج يكتب في ليله القدر و المنايا و البلايا و الأرزاق ما يكون إلى مثلها في قابل فاطبها في إحدى و ثلاث و صل في كل واحده منها مائه ركعه و أحيهما إن استطعت إلى النور و اغتسل فيهما قال قلت فإن لم أقدر على ذلك و أنا قائم قال فصل و أنت جالس قلت فإن لم أستطع قال فعلى فراشك قلت فإن لم أستطع فقال لا عليك أن تكتحل أول الليل بشىء من النوم إن أبواب السماء تفتح في شهر رمضان و تصفد الشياطين و تقبل أعمال المؤمنين نعم الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله ص المرزوق

و

في روايه عبد الله بن بكير عن زراره عن أحدهما قال سألته عن الليالى التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال ليله تسع عشره و ليله إحدى و عشرين و ليله ثلاث و عشرين و قال ليله ثلاث و عشرين هي ليله الجهنى و حديثه أنه قال لرسول الله ص إن منزلى نأى عن المدينة فمرنى بليله أدخل فيها فأمره بليله ثلاث و عشرين

قال الشيخ أبو جعفر (ره) و اسم الجهنى عبد الله بن أنيس الأنصارى و قيل إنها ليله سبع و عشرين عن أبي بن كعب و عائشه و

روى أن ابن عباس و ابن عمر قالوا قال رسول الله ص تحروها ليله سبع و عشرين

و عن زر بن حبيش قال قلت لأبى يا أبا المنذر من أين علمت إنها ليله سبع و عشرين قال بالآيه

ص: ٣٦٥

التي أنبأ بها رسول الله ص قال تطلع الشمس غدائئذ كأنها طست ليس لها شعاع و قال بعضهم إن الله قسم كلمات السوره على ليالى شهر رمضان فلما بلغ السابعه و العشرين أشار إليها فقال هي و قيل إنها ليله تسع و عشرين و

روى عن أبى بكره قال سمعت رسول الله ص يقول التمسوها فى العشر الأواخر فى تسع بقين أو سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليله

و الفائدة فى إخفاء هذه الليله أن يجتهد الناس فى العباده و يحيوا جميع ليالى شهر رمضان طمعا فى إدراكها كما أن الله سبحانه أخفى الصلاه الوسطى فى الصلوات الخمس و اسمه الأعظم فى الأسماء و ساعه الإجابه فى ساعات الجمعة (و الضرب الثالث) ذكر بعض ما ورد فى فضل هذه الليله

روى ابن عباس عن النبى أنه قال إذا كان ليله القدر تنزل الملائكه الذين هم سكان سدره المنتهى و منهم جبرائيل فينزل جبرائيل (عليه السلام) و معه ألويه ينصب لواء منها على قبرى و لواء على بيت المقدس و لواء فى المسجد الحرام و لواء على طور سيناء و لا يدع فيها مؤمنا و لا مؤمنه إلا سلم عليه إلا مدمن الخمر و آكل لحم الخنزير و المتضمخ بالزعفران

عنه ص قال من قام ليله القدر إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه

و

عنه ص قال إن الشيطان لا يخرج فى هذه الليله حتى يضىء فجرها و لا يستطيع فيها على أحد بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد و لا ينفذ فيه سحر ساحر

و

روى الحسن عن النبى ص قال فى ليله القدر إنها ليله سمحه لا حاره و لا بارده تطلع الشمس فى صبيحتها و ليس لها شعاع

ثم قال الله سبحانه تعظيما لشأن هذه الليله و تنبيها لعظم قدرها و شرف محلها «و ما أذراك ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ» فكأنه قال و ما أدراك يا محمد ما خطر ليله القدر و ما حرمتها و هذا حث على العباده فيها ثم فسر سبحانه تعظيمه و حرمة فقال «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» أى قيام ليله القدر و العمل فيها خير من قيام ألف شهر ليس فيه ليله القدر و صيامه عن مقاتل و قتاده و ذلك أن الأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير من النفع فلما جعل الله الخير الكثير فى ليله القدر كانت خيرا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير و البركه ما يكون فى هذه الليله ذكر

عطاء عن ابن عباس قال ذكر لرسول الله ص رجل من بنى إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله تعالى ألف شهر فعجب من ذلك رسول الله ص عجا شديدا و تمنى أن يكون ذلك فى أمته فقال يا رب جعلت أمتى أقصر الناس أعمارا و أقلها أعمالا فأعطاه الله ليله القدر و قال ليله القدر خير من ألف شهر الذى حمل الإسرائيلي السلاح فى سبيل الله لك و لأمتك من بعدك إلى يوم القيامة فى كل رمضان

ثم أخبر سبحانه بما يكون في تلك الليلة

ص: ٣٦٦

فقال «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ» أى تنزل الملائكة «وَالرُّوحُ» يعنى جبرائيل «فِيهَا» أى فى ليله القدر إلى الأرض ليسمعوا الثناء على الله و قراءه القرآن و غيرها من الأذكار و قيل ليسلموا على المسلمين بإذن الله أى بأمر الله و قيل ينزلون بكل أمر إلى السماء الدنيا حتى يعلم ذلك أهل السماء الدنيا فيكون لطفاً لهم و قال كعب و مقاتل بن حيان الروح طائفه من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليله ينزلون من لادن غروب الشمس إلى طلوع الفجر و قيل الروح هو الوحي كما قال وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا أى تنزل الملائكة و معهم للوحي بتقدير الخيرات و المنافع «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بأمر ربهم كما قال و ما ننزل إلا بأمر ربك و قيل بعلم ربهم كما قال أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أى بكل أمر من الخير و البركه كقوله يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أى بأمر الله و قيل بكل أمر من أجل و رزق إلى مثلها من العام القابل فعلى هذا يكون الوقف هنا تاماً ثم قال «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ» أى هذه ليله إلى آخرها سلامه من الشرور و البلايا و آفات الشيطان و هو تأويل قوله فِى لَيْلِهِ مُبَارَكَةٌ عَنْ قَتَادَةَ و قال مجاهد يعنى أن ليله القدر سالمه عن أن يحدث فيها سوء أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها و قيل معناه سلام على أولياء الله و أهل طاعته فكلما لقيهم الملائكة فى هذه الليله سلموا عليهم من الله تعالى عن عطاء و الكلى و قيل إن تمام الكلام عند قوله «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» ثم ابتداء فقال «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ» أى بكل أمر فيه سلامه و منفعه و خير و بركه لأن الله يقدر فى تلك الليله كل ما فيه خير و بركه ثم قال «هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ» أى السلامه و البركه و الفضيله تمتد إلى وقت طلوع الفجر و لا- يكون فى ساعه منها فحسب بل يكون فى جميعها و الله أعلم بالصواب.

(٩٨) سورة البينه مدنيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة البريه و سورة القيمه مدنيه و قيل مكيه.

عدد آياتها

تسع آيات بصرى ثمان فى الباقيين.

اختلافها

آيه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها كان يوم القيامة مع خير البريه مسافرا و مقيما

و

عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ص: لو يعلم الناس ما فى لم يكن لعطلوا الأهل و المال و تعلموها فقال رجل من خزاعه ما فيها من الأجر يا رسول الله فقال لا يقرأها منافق أبدا و لا عبد فى قلبه شك فى الله عز و جل و الله إن الملائكه المقربين ليقرءونها منذ خلق الله السماوات و الأرض لا يفترون عن قراءتها و ما من عبد يقرأها بليل إلا بعث الله ملائكه يحفظونه فى دينه و دنياه و يدعون له بالمغفره و الرحمه فإن قرأها نهارا أعطى عليها من الثواب مثل ما أضاء عليه النهار و أظلم عليه الليل فقال رجل من قيس عيلان زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك أبى و أمى فقال ص تعلموا عم يتساءلون و تعلموا ق و القرآن المجيد و تعلموا و السماء ذات البروج و تعلموا و السماء و الطارق فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتهم ما أنتم فيه و تعلمتموهن و تقربتن إلى الله بهن و إن الله يغفر بهن كل ذنب إلا- الشرك بالله و اعلموا أن تبارك الذى بيده الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة و تستغفر له من الذنوب.

أبو بكر الحضرمى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: من قرأ سورة لم يكن كان بريئا من الشرك و أدخل فى دين محمد ص و بعثه الله مؤمنا و حاسبه الله حسابا يسيرا

تفسيرها

بين الله سبحانه فى سورة القدر أن القرآن حجه ثم بين فى هذه السوره أن الكفار قبله لم يخلو قط من حجه فقال:

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مَ یَكُنِ الَّذِیْنَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِیْنَ مُنْفَكِیْنَ حَتّٰی تَأْتِیَهُمُ الْبَیِّنَةُ (١) رَسُوْلٌ مِنَ اللّٰهِ یَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِیْهَا كُتِبَ قِیْمَةٌ (٣) وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِیْنَ اُوْتُوا الْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَیِّنَةُ (٤)

مَا اْمُرُوا اِلَّا لِیَعْبُدُوْا اللّٰهَ مُخْلِصِیْنَ لَهٗ الدِّیْنَ حُنْفَاءً وَ یُقِیْمُوا الصَّلَاةَ وَ یُوْتُوْا الزَّكَاةَ وَ ذَلِكُمْ دِیْنُ الْقِیْمَةِ (٥) اِنَّ الَّذِیْنَ كَفَرُوا مِنْ هٰلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِیْنَ فِی نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِیْنَ فِیْهَا اُولٰٓئِكَ هُمُ الشُّرُكُیَّةُ (٦) اِنَّ الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخَیْرُ الْبَرِیَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِیْنَ فِیْهَا اَبَدًا رَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكُمْ لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهُ (٨)

القراءه

قرأ نافع و ابن ذكوان البريئه مهموزه و الباقون بغير همزه.

الحجه

قال أبو علي البريئه من برأ الله الخلق فالقياس فيه الهمز إلا أنه مما ترك همزه كقولهم النبي و الذرية و الخاييه فالهمزه فيه كالرد إلى الأصل المتروك في الاستعمال كما أن همز النبي كذلك و ترك الهمز أجود لأنه لما ترك فيه الهمز صار كرده إلى الأصول المرفوضه مثل ظننوا و همز من همز البريئه يدل على فساد قول من قال إنه من البرى الذى هو التراب.

الانفكاك الانفصال عن شدة اتصال قال ذو الرمة:

قلانس ما تنفك إلا مناخه على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا

و أكثر ما يستعمل ذلك في النفي مثل ما زال تقول ما انفك من هذا الأمر أى ما انفصل منه لشده ملابسته له و بينه الحجة الظاهره التى يتميز بها الحق من الباطل و أصلها من الينونه و فصل الشىء من غيره فالنبي ص حجه و بينه و إقامه الشهاده العادله بينه و كل برهان و دلالة بينه و القيمه المستمره فى جهه الصواب و الحنيف المائل إلى الصواب و الحق و الحنيفيه الشريعه المائله إلى الحق و أصله الميل و من ذلك الأحنف المائل القدم إلى جهه القدم الأخرى و قيل أصله الاستقامه و إنما قيل للمائل القدم أحنف على وجه التفاؤل.

الإعراب

«رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» بدل من البيئه قبله و قال الفراء هو مستأنف تقديره هو رسول دين القيمه تقديره دين لمله القيمه لأنه إذا لم يقدر ذلك كان إضافه الشىء إلى صفته و ذلك غير جائز لأنه بمنزله إضافه الشىء إلى نفسه «جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ» أى دخول جنات عدن «خَالِدِينَ فِيهَا» حال من مضمرة أى يجزونها خالدين فيها.

المعنى

«لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى اليهود و النصارى «وَالْمُشْرِكِينَ» أى و من المشركين الذين هم عبده الأوثان من العرب و غيرهم و هم الذين ليس لهم كتاب «مُنْفَكِينَ» أى منفصلين و زائلين و قيل لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله و عبادتهم غير الله عن ابن عباس فى روايه عطاء و الكلبي «حَتَّى تَأْتِيَهُمْ» اللفظ لفظ الاستقبال و معناه المضى كقوله ما تَتَلَّوْا الشَّيَاطِينَ أى ما تلت و قوله «الْبَيْتُ» يريد محمدا ص عن ابن عباس و مقاتل بين سبحانه لهم ضلالهم و شركهم و هذا إخبار من الله تعالى عن الكفار أنهم لم ينتهوا عن كفرهم و شركهم بالله حتى أتاهم محمد ص فبين لهم ضلالهم عن الحق و دعاهم إلى الإيمان و قيل معناه لم يكونوا ليركوا منفكين من حجج الله حتى تأتاهم البيئه التى تقوم بها الحجه عليهم و قوله «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» بيان للبيئه و تفسير لها أى رسول من قبل الله «يَتْلُوا» عليهم «صِيْحُفًا مَّطَهَّرَةً» يعنى مطهره فى السماء لا- يمسها إلا- الملائكه المطهرون و من الأنجاس عن الحسن و الجبائى و هو محمد ص أتاهم بالقرآن و دعاهم إلى

التوحيد والإيمان «فيها» أى فى تلك الصحف «كُتِبَ قِيَمَةٌ» أى مستقيمه عادله غير ذات عوج تبين الحق من الباطل و قيل مطهره عن الباطل و الكذب و الزور يريد القرآن عن قتاده و يعنى بالصحف ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها و يدل على ذلك أن النبى ص كان يتلو عن ظهر قلبه لا- عن كتاب و قيل معناه رسول من الملائكه يتلو صحفا من اللوح المحفوظ عن أبى مسلم و قيل «فيها كُتِبَ قِيَمَةٌ» معناه فى هذه الصحف التى هى القرآن كتب قيمه أى إن القرآن يشتمل على معانى الكتب المتقدمه فتاليها تالى الكتب القيمه كما قال مُصَيِّدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ* فإذا كان مصدقا لها كان تاليا لها و قيل معناه فى القرآن كتب قيمه بمعنى أنه يشتمل على أنواع من العلوم كل نوع كتاب قال السدى: فيها فرائض الله العادله «وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» يعنى و ما اختلف هؤلاء فى أمر محمد ص إلا من بعد ما جاءتهم البشاره به فى كتبهم و على السنه رسلهم فكانت الحجه قائمه عليهم فكذلك لا- يترك المشركون من غير حجه تقوم عليهم و قيل معناه و لم يزل أهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد ص حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا فى أمره و اختلفوا فآمن به بعضهم و كفر آخرون ثم ذكر سبحانه ما أمروا به فى كتبهم فقال «وَ مَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ» أى لم يأمرهم الله تعالى إلا لأن يعبدوا الله وحده لا يشركون بعبادته فهذا ما لا تختلف فيه مله و لا يقع فيه تبدل «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» لا يخلطون بعبادته عباده ما سواه «حُنَفَاءَ» مائلين عن جميع الأديان إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالرسول كلهم قال عطيه: إذا اجتمع الحنيف و المسلم كان معنى الحنيف الحاج و إذا انفرد كان معناه المسلم و هو قول ابن عباس لأنه قال حنفاء أى حجاجا و قال ابن جبير: لا تسمى العرب حنيفا إلا من حج و اختتن قال قتاده: الحنيفيه الختان و تحريم البنات و الأمهات و الأخوات و العمات و الخالات و إقامة المناسك «وَ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ» أى و يداوموا على إقامة الصلاه و يخرجوا ما فرض عليهم فى أموالهم من الزكاه «وَ ذَلِكَ» يعنى الدين الذى قدم ذكره «دِينُ الْقِيَمَةِ» أى دين الكتب القيمه التى تقدم ذكرها و قيل دين الملئ القيمه و الشريعة القيمه قال النضر بن شميل سألت الخليل عن هذا فقال القيمه جمع القيم و القائم و القائم واحد فالمراد و ذلك دين القائمين لله بالتوحيد و فى هذه الآيه دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر لأن فيها تصريحاً بأنه سبحانه إنما خلق الخلق ليعبدوه و استدلل بهذه الآيه أيضا على وجوب النيه فى الطهاره إذ أمر سبحانه بالعباده على وجه الإخلاص و لا- يمكن الإخلاص إلا- بالنيه و القربه و الطهاره عباده فلا تجزى بغير نيه ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى من جحد توحيد الله و أنكروا نبوه نبيه ص و من أشرك

معه إليها آخر في العباده «فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» لا يفنى عقابهم «أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ» أى شر الخليقه ثم أخبر عن حال المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» أى خير الخليقه «جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» مر معناه «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى مؤبدين فيها دائما «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» بما قدموه من الطاعات «وَرَضُوا عَنْهُ» بما جازاهم من الثواب و قيل رضى الله عنهم إذ وحدوه و نزهوه عما لا يليق به و أطاعوه و رضوا عنه إذ فعل بهم ما رجوا من رحمته و فضله «ذَلِكَ» الرضاء و الثواب «لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» فترك معاصيه و فعل طاعاته و

في كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبى القاسم الحسكاني (ره) قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب على (عليه السلام) قال سمعت عليا (عليه السلام) يقول قبض رسول الله ص و أنا مسنده إلى صدرى فقال يا على أ لم تسمع قول الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» هم شيعتك و موعدى و موعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرا محجلين

و فيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاک عن ابن عباس فى قوله «هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» قال نزلت فى على (عليه السلام) و أهل بيته.

(٩٩) سورة الزلزله مدنيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

مدنيه عن ابن عباس و قتاده مكيه عن الضحاك و عطاء.

عدد آياتها

ثمان آيات كوفى و المدنى الأول تسع فى الباقيين.

اختلافها

آيه أشتاتاً غير الكوفى و المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها فكأنما قرأ البقره و أعطى من الأجر كمن قرأ ربع القرآن

و

عن أنس بن مالك قال سأل النبى ص رجلاً من أصحابه فقال يا فلان هل تزوجت قال لا و ليس عندى ما أتزوج به قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا زلزلت قال بلى قال ربع القرآن ثم قال تزوج تزوج تزوج

و

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال لا تملوا من قراءه إذا زلزلت فإن من كانت قراءته فى نوافله لم يصبه الله بزلزله أبداً و لم يمت بها و لا بصاعقه و لا بأفه من آفات الدنيا و إذا مات أمر به إلى الجنة فيقول الله سبحانه عبدى أبحتك جنتى فاسكن منها حيث شئت و هويت لا ممنوع و لا مدفوع عنه.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره ببيان حال المؤمنين و الكافرين و افتتح هذه السوره ببيان وقت ذلك فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)
يَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

القراءة

فى بعض الروايات عن الكسائى

خيرا يره و شرا يره بضم الياء فيهما و هى روايه أبان عن عاصم أيضا و هى قراءه على (عليه السلام)

و الباقون «يَرَهُ» بفتح الياء فى الموضوعين إلا أن أبا جعفر و روحا و رويسا قرءوا بضم الهاء ضمه مختلسه غير مشبعه.

الحج

قال أبو على من قرأ يره جعل الفعل منقولا من رأيت زيدا إذا أدركته ببصرك و أريته عمرا و بنى الفعل للمفعول و من قرأ «يَرَهُ» فالتقدير ير جزاءه و إثبات الواو فى يرهو بعد الهاء هو الوجه كما تقول أكرمهُو لأن هذه الهاء يتبعها حرف اللين الواو و الياء إذا كان قبلها كسره أو ياء نحو بهى و عليهى و قد جاء فى الشعر نحوه قاله

" و نضواى مشتاقان له أرقان".

اللغة

الزلزله شده الاضطراب و الزلزال بكسر الزاى المصدر و بفتحها الاسم و زلزلت و رجفت و رجت بمعنى واحد و الأثقال جمع الثقل و سمي سبحانه الموتى أثقالا تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن لأن الحمل سمي ثقلا كما قال سبحانه فَلَمَّا أَثْقَلَتْ و تقول العرب إن للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثى أخاها صحرا:

أ بعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها

عنت بذلك أنه حل عن الأرض ثقل بموته لسؤدده و عزه و قيل معناه زينت موتها به من الحليه و قال الشمردل اليربوعى يرثى أخاه:

و حلت به أثقالها الأرض و انتهى لمثواه منها و هو عف شمائله

و ذكر ابن السائب أن زهير بن أبي سلمى قال بيتا ثم أكدى فمر به الناغى الذى انى

ص: ٣٧٤

فقال له يا أبا أمامه أجز قال ما ذا قال:

تزال الأرض إما مت خفا و تحبا ما حيت بها ثقيلًا

نزلت بمستقر العز منها

فما ذا قال فأكدى و الله النابغه الذبياني و أقبل كعب بن زهير و هو غلام فقال له أبوه أجز يا بني قال ما ذا فأنشده فقال كعب

" فتمنع جانبها أن تزولا "

فقال له زهير أنت و الله ابني و أوحى و وحى بمعنى واحد قال العجاج:

" وحى القرار فاستقرت "

. الإعراب

العامل فى إذا قوله «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» و قوله «خَيْرًا» منصوب على التمييز و قيل إن العامل فى إذا قوله «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» و يكون يومئذ تكرارا أى إذا زلزلت الأرض تحدث أخبارها و قيل إن التقدير و قال الإنسان يومئذ ما لها يومئذ تحدث أخبارها فقيل ذلك بأن ربك أوحى لها و تحدث يجوز أن يكون على الخطاب أى تحدث أنت و يجوز أن يكون على تحدث هى.

المعنى

خوف الله سبحانه عباده أهوال يوم القيامة فقال «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» أى إذا حركت الأرض تحريكا شديدا لقيام الساعة زلزالها التى كتب عليها و يمكن أن يكون إنما أضافها إلى الأرض لأنها تعم جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التى تختص ببعض الأرض فى قوله «زِلْزَالَهَا» تنبيها على شدتها «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» أى أخرجت موتاها المدفونه فيها تخرجها أحياء للجزاء عن ابن عباس و مجاهد و الجبائى و قيل معناه لفظت ما فيها من كنوزها و معادننا فتلقينا على ظهرها ليراها أهل الموقف و تكون الفائدة فى ذلك أن يتحسر العصاة إذا نظروا إليها لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا تغنى عنهم شيئا و أيضا فإنه تكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم «وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا» أى و يقول الإنسان متعجبا ما للأرض تتزلزل يعنى ما لها حدث فيها ما لم يعرف منها عن أبى مسلم و قيل إن المراد بالإنسان الكافر لأن المؤمن معترف بها لا يسأل عنها أى يقول الكافر الذى لم يؤمن بالبعث أى شىء زلزلها و أصرها إلى هذه الحالة «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» أى تخبر بما عمل عليها و جاء فى

الحديث أن النبى ص قال أ تدرؤن ما أخبارها قالوا الله و رسوله أعلم قال أخبارها أن تشهد على كل عبد و أنه بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا و كذا يوم كذا و كذا و هذا أخبارها

و على هذا فيجوز أن يكون الله تعالى أحدث الكلام فيها و إنما

نسبه إليها توسعا و مجازا و يجوز أن يقلبها حيوانا يقدر على النطق و يجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقامه الكلام فعبر عنه بالكلام كما يقال عيناك تشهدان بسهرك و كقول الشاعر

" و قالت له العينان سمعا و طاعة "

و قد مر أمثاله و قوله «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا» معناه أن الأرض تحدث بها فتقول إن ربك يا محمد أوحى لها أى ألهمها و عرفها بأن تحدث أخبارها و قيل بأن تلقى الكنوز و الأموات على ظهرها يقال أوحى له و إليه أى ألقى إليه من جهة تخفى قال الفراء تحدث أخبارها بوحي الله و إذنه لها و قال ابن عباس إذن لها لتخبر بما عمل عليها و

روى الواحدى بإسناده مرفوعا إلى ربيعه الحرشى قال قال رسول الله ص حافظوا على الوضوء و خير أعمالكم الصلاة و تحفظوا من الأرض فإنها أمكم و ليس فيها أحد يعمل خيرا و شرا إلا و هى مخبره

و

قال أبو سعيد الخدرى إذا كنت بالبوادى فارفع صوتك بالأذان فإنى سمعت رسول الله ص يقول لا يسمعه جن و لا إنس و لا حجر إلا يشهد له

«يَوْمَئِذٍ يَصِفُّدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا» أى يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين أهل الإيمان على حده و أهل كل دين على حده و هذا كقوله و يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ و قوله يَوْمَئِذٍ يَصَدَّعُونَ «لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» أى ليروا جزاء أعمالهم عن ابن عباس و المعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة و النار و قيل معنى الرؤيه هنا المعرفه بالأعمال عند تلك الحال و هى رؤيه القلب و يجوز أن يكون التأويل على رؤيه العين بمعنى ليروا صحائف أعمالهم فيقرءون ما فيها لا يغادر صغيره و لا- كبيره إلا- أحصاها «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» أى فمن يعمل وزن ذره من الخير ير ثوابه و جزاءه «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» أى ير ما يستحق عليه من العقاب و يمكن أن يستدل بها على بطلان الإحباط لأن الظاهر يدل على أنه لا يفعل أحد شيئا من طاعه أو معصيه إلا و يجازى عليها و ما يقع محبطا لا يجازى عليه و ليس لهم أن يقولوا إن الظاهر بخلاف ما تذهبون إليه فى جواز العفو عن مرتكب الكبيره و ذلك لأن الآيه مخصوصه بالإجماع فإن التائب معفو عنه بلا خلاف و عندهم أن من شرط المعصيه التى يؤاخذ بها أن لا- تكون صغيره فجاز لنا أيضا أن ن شرط فيها أن لا يكون مما يعفو الله عنه و قال محمد بن كعب معناه فمن يعمل مثقال ذره خيرا و هو كافر ير ثوابه فى الدنيا فى نفسه و أهله و ماله و ولده حتى يخرج من الدنيا و ليس له عند الله خير و من يعمل مثقال ذره شرا و هو مؤمن ير عقوبته فى الدنيا فى نفسه و أهله و ماله و ولده حتى يخرج من الدنيا و ليس له عند الله شر و قال مقاتل فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره يوم القيامة فى كتابه فيفرح به و كذلك من الشر يراه

فى كتابه فى سوءه ذلك قال و كان أحدهم ىستقل أن يعطى الیسیر و یقول إنما نوجر على ما نعطى و نحن نحبه و لیس الیسیر مما یحب و یتهاون بالذنب الیسیر و یقول إنما وعد الله النار على الكبائر فأنزل الله هذه الآیه یرغبهم فى القلیل من الخیر و یحذرهم الیسیر من الشر و

عن أبى عثمان المازنى عن أبى عبيده قال قدم صعصعه بن ناجیه جد الفرزدق على رسول الله ص فى وفد بنى تمیم فقال بأبى أنت یا رسول الله أوصینى خیرا فقال أوصیک بأمک و أبیک و أدانیک قال زدنى یا رسول الله قال احفظ ما بین لحيک و رجلیک ثم قال رسول الله ص ما شىء بلغنى عنک فعلته فقال یا رسول الله رأیت الناس یرجعون على غیر وجه و لم أدر أين الصواب غیر أنى علمت أنهم لیسوا علیه فرأیتهم یتدون بناتهم فعرفت الله عز و جل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم یتدون و فدیت ما قدرت و فى روایه أخرى أنه سمع «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» فقال حسبى ما أبالى أن لا أسمع من القرآن غیر هذا

و قال عبد الله بن مسعود أحکم آیه فى القرآن «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» إلى آخر السوره و كان ص یسمیها الجامعه و تصدق سعد بن أبى وقاص بتمرین فقبض السائل یده فقال سعد و یحكك یقبل الله منا مثقال الذره و الخردله و كان فیها مثاقیل.

(١٠٠) سورة العاديات مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

أشاره

[توضيح]

مدنيه عن ابن عباس و قتاده و قيل مكيه.

عدد آياتها

إحدى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفه و شهد جمعا.

سليمان بن خالد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال و من قرأ و العاديات و أدمن قراءتها بعثه الله مع أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم القيامة خاصه و كان في حجره و رفقائه.

النظم

اتصلت هذه السوره بما قبلها لما فيها من ذكر القيامة و الجزاء اتصال النظم بالنظم فقال:

ص: ٣٧٨

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَنْزَلَ بِهِ نَعْمًا (٤)

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَ فَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩)

وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى حياه فأثرن بتشديد الناء

و قراءه على (عليه السلام) و قتاده و ابن أبى ليلى فوسطن بتشديد السين.

الحجه

قال ابن جنى: فأثرن مثل أبدين و أرين نغعا كما يؤثر الإنسان النقش و غيره مما يديه للناظر و هو من التأثير فالهمزه فاء الفعل و أثرن بالتخفيف من الإثارة فالهمزه مزیده و قوله «فوسطن» بالتشديد معناه ميزن به جمعا أى جعلته شطرين قسمين و شقين و معنى وسطنه بالتخفيف صرن فى وسطه.

اللغه

الضبح فى الخيل الحمحمه عند العدو و قيل هو شده النفس عند العدو و ضبحت الخيل تضبح ضباحا و قيل ضبح و ضبع بمعنى و هو أن يمد ضبعه فى السير حتى لا يجد مزيدا و أورى القادح النار يورى إبراء إذا قدح قدحا و تسمى تلك النار نار الحباب لضعفها قال النابغه:

يقد السلوقى المضاعف نسجه و يوقدن بالصفاح نار الحباب

و هو اسم رجل كان بخيلا و كانت ناره ضعيفه لثلا يراها الأضياف فضربوا المثل بناره و شبهوا نار الحوافر بها لقلتها و النقع الغبار يغوص فيه صاحبه كما يغوص فى الماء و الكنود الكفور و منه الأرض الكنود و هى التى لا تنبت شيئا و الأصل فيه منع الحق و الخير قال الأعشى:

أحدث لها تحدث لوصلك إنها كند لوصل الزائر المعتاد

وقيل إنما سميت كنده لقطعها إياها.

النزول

قيل بعث رسول الله ص سريره إلى حى من كنانه فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى أحد النقباء فتأخر رجوعهم فقال المنافقون قتلوا جميعاً فأخبر الله تعالى عنها بقوله وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا عن مقاتل و قيل

نزلت السوره لما بعث النبي ص عليا (عليه السلام) إلى ذات

ص: ٣٧٩

السلاسل فأوقع بهم و ذلك بعد أن بعث عليهم مرارا غيره من الصحابه فرجع كل منهم إلى رسول الله ص و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث طويل قال و سميت هذه الغزوه ذات السلاسل لأنه أسر منهم و قتل و سبى و شد أسراهم فى الحبال مكتفين كأنهم فى السلاسل و لما نزلت السوره خرج رسول الله ص إلى الناس فصلى بهم الغداه و قرأ فيها و العاديات فلما فرغ من صلاته قال أصحابه هذه سوره لم نعرفها فقال رسول الله ص نعم إن عليا ظفر بأعداء الله و بشرنى بذلك جبرئيل (عليه السلام) فى هذه الليله فقدم على (عليه السلام) بعد أيام بالغنائم و الأسارى.

المعنى

«وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» قيل هى الخيل فى الغزو تعدو فى سبيل الله عن ابن عباس و عكرمه و الحسن و مجاهد و قتاده و الربيع قالوا أقسم الله بالخيل العاديه لغزو الكفار و هى تضبح ضبحا و ضبحة صوت أجوافها إذا عدت ليس بصهيل و لا حمحمه و لكنه صوت نفس و قيل

هى الإبل حين ذهبت إلى غزوه بدر تمد أعناقها فى السير فهى تضبح أى تضبع روى ذلك عن على (عليه السلام)

و ابن مسعود و السدى و روى أيضا أنها إبل الحاج تعدو من عرفه إلى المزدلفه و من المزدلفه إلى منى قالت صفيه بنت عبد المطلب:

ألا و العاديات غداه جمع بأيديها إذا سطع الغبار

و اختلفت الروايات فيه

فروى عن أبى صالح أنه قال قاوت فيه عكرمه فقال عكرمه قال ابن عباس هى الخيل فى القتال فقلت أنا قال على (عليه السلام) هى الإبل فى الحج و قلت مولاى أعلم من مولاك

و فى

روايه أخرى أن ابن عباس قال: هى الخيل ألا- تراه يقول «فَأَتُّزْنَ بِهِ نَقْعًا» فهل تثيره إلا بحوافرها و هل تضبح الإبل إنما تضبح الخيل قال على (عليه السلام) ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر و ما معنا إلا فرس أبلق للمقداد بن الأسود

و فى

روايه أخرى لمرشد بن أبى مرثد الغنوى و روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال بينما أنا فى الحجره جالس إذ أتانى رجل فسأل عن العاديات ضبحة فقلت له الخيل حين تغير فى سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم و يورون نارهم فانفتل عنى و ذهب إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) و هو تحت سقايه زمزم فسأله عن العاديات ضبحة فقال سألت عنها أحدا قبلى قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال الخيل حين تغير فى سبيل الله قال فاذهب فادعه لى فلما وقف على رأسه قال تفتى الناس بما لا- علم لك به و الله إن كانت لأول غزوه فى الإسلام بدر و ما كانت معنا إلا فرسان فرس للزبير و فرس للمقداد بن

الأسود فكيف تكون العاديات الخيل بل العاديات ضبحا الإبل من عرفه إلى مزدلفه و من مزدلفه إلى منى قال ابن عباس فرغبت
عن قولي و رجعت إلى الذي قاله علي (عليه السلام)

«فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا» هي الخيل توري النار بحوافرها إذا

ص: ٣٨٠

صارت في الحجارة و الأرض المحصبه عن عكرمه و الضحاك و قال مقاتل: يقدحن بحوافهن النار في الحجارة قال ابن عباس: يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار مثل الزناد إذا قدح و قال مجاهد: يريد مكر الرجال في الحروب تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما و الله لأورين لك بزناد و ار و لأقدحن لك و خالف المصدر فيها صدر الكلام و مجازه فالقادحات قدحا و قيل هي النيران بجمع عن محمد بن كعب و قيل هي ألسنه الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به عن عكرمه «فَالْمَغِيرَاتِ صُيْبِحًا» يريد الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح و إنما ذكر وقت الصبح لأنهم كانوا يسرون إلى العدو ليلا- فيأتونهم صباحا هذا قول الأكثرين و قيل يريد الإبل ترتفع بركبائها يوم النحر من جمع إلى منى و السنه أن لا ترتفع بركبائها حتى تصيح و الإغاره سرعه السير و منه قولهم أشرق ثبير كيما نغير عن محمد بن كعب «فَأَثْرُنَ بِهِ نَقْعًا» يقال ثار الغبار و الدخان و أثرته أى هيجته و الهاء فى به عائد إلى معلوم يعنى بالمكان أو بالوادى المعنى فهيجن بمكان عدوهن غبارا «فَوَسَّيَ طَنَ بِهِ جَمْعًا» أى صرن بعدوهن أو بذلك المكان وسط جمع العدو و هم الكتيبه و قال محمد بن كعب: يريد جمع منى «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» هذا جواب القسم و الكنود الكفور الجحود لنعم الله عن ابن عباس و قتاده و الحسن و مجاهد و قيل هو بلسان كنده و حضرموت العاصى و بلسان مضر و ربيعه و قضاعه الكفور عن الكلبي و قيل هو الذى يعد المصائب و ينسى النعم عن الحسن أخذه بعض الشعراء فقال:

يا أيها الظالم فى فعله و الظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت و حتى متى تشكو المصيبات و تنسى النعم

و

روى أبو أمامه عن النبى ص أنه قال أ تدرون من الكنود قالوا الله و رسوله أعلم قال الكنود الذى يأكل وحده و يمنع رفته و يضرب عبده

و قيل الكنود الذى لا يعطى فى النائبه مع قومه عن عطاء و قيل هو القليل الخير عن أبى عبيده «وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ» معناه و إن الله على كفره لشهيد عن ابن عباس و قتاده و عطاء و قيل أن الهاء تعود إلى الإنسان و المعنى أن الإنسان شاهد على نفسه يوم القيامه بكنوده أو فى الدنيا فإنك لو سألته عن النعمه لم يذكر أكثرها و يذكر جميع مصائبه و هو معنى قول الحسن «وَ إِنَّهُ» يعنى الإنسان «لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» أى لأجل حب الخير الذى هو المال أى من أجله لبخيل شحيح يمنع منه حق الله تعالى عن الحسن يقال للبخيل شديد و متشدد قال طرفه:

أرى الموت يعتام الكرام و يصطفى عقيله مال الفاحش المتشدد

و قيل معناه و إنه لشديد الحب للخير أى المال عن الفراء و قال ابن زيد: سمي الله سبحانه المال خيرا و عسى أن يكون خبيثا و حراما و لكن لأن الناس يعدونه خيرا فكذلك سمي الجهاد سوءا فقال لم يمسسهم سوء أى قتال و ليس هو عند الله بسوء لأن الناس يسمونه سوءا و قال سبحانه على وجه التذكير و الوعيد «أَفَلَا يَعْلَمُ» هذا الإنسان الذى وصفناه «إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ» أى بعث الموتى و نشروا و أخرجوا و مثله بـ «وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ» أى ميزوا بين ما فيها من الخير و الشر و قيل معناه و أظهر ما أخفته الصدور ليجازى على السر كما يجازى على العلانية «إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ» قال الزجاج: الله سبحانه خبير بهم فى ذلك اليوم و فى غيره و لكن المعنى أن الله يجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم و ليس يجازيهم إلا بعلمه بأحوالهم و أعمالهم و مثله قوله «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» و معناه أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم و فى هذا إشارة إلى الزجر و الوعيد فإن الإنسان متى علم أن خالقه يرى جميع أعماله و يعلم سائر أفعاله و يحقق ذلك لا بد أن ينزجر عن المعاصى.

ص: ٣٨٢

(١٠١) سورة القارعه مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

اشاره

عدد آياتها

إحدى عشره آيه كوفي حجازى ثمان بصرى شامى.

اختلافها

ثلاث آيات القارعه الأولى كوفي ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ كلتاهما حجازى كوفي.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة.

عمرو بن ثابت عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ القارعه آمنه الله من فتنه الدجال أن يؤمن به و من قبح جهنم يوم القيامة.

تفسيرها

اتصلت هذه السوره بما قبلها اتصال النظير بالنظير فإن كليهما فى ذكر القيامة فقال سبحانه:

ص: ٣٨٣

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)

وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيهِ (٧) وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)

وَ مَا أَذْرَاكَ مَا هِيَتْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)

القراءة

روى عن أبي عمرو أنه أمال «القارعه» وقرأ حمزه و يعقوب ما هي في الوصل و الباقون «ما هيته» بإثبات الهاء و لم يختلفوا في الوقف أنها بالهاء.

الحجج

قال أبو علي: إمالة القارعه و إن كان المستعلى فيه مفتوحا جائزه و ذلك أن كسره الراء غلبت عليها فإمالتها و قد أمالت ما تباعد عنها نحو قادر و زعم سيبويه أن ذلك لغه قوم ترضى عربيتهم و كذلك طارد و غارم و طاهر و كل ذلك تجوز إمالته إذا كانت الراء مكسوره و قال سيبويه: و ينشد أصحاب هذه اللغة:

عسى الله يغنى عن بلاد ابن قادر بمنهم جون الرباب سكوب

و أما قوله «ما هيته» فيوقف عندها لأنها فاصله و الفواصل مواضع وقوف كما أن أواخر الآيات كذلك و هذا مما يقوى حذف الياء من يسر و ما أشبهه ألا ترى أنهم حذفوا الياء من نحو قوله:

و لأنت تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفرى.

اللغة

القارعه البليه التي تفرع القلب بشده المخافه و القرع الضرب بشده الاعتماد قرع يقرع قرعا و منه المقرعه و تقارع القوم في القتال إذا تضاربوا بالسيوف و القرعه كالضرب بالقال و قوارع الدهر دواهيته و الفراش الجراد الذي ينفرش و يركب بعضه بعضا و هو غوغاء الجراد عن الفراء و المبتوث المتفرق في الجهات كأنه محمول على الذهب فيها و البث التفريق و أبثته الحديث إذا ألقيته إليه كأنك فرقته بأن جعلته عند اثنين و العهن الصوف ذو الألوان يقال عهن و عهنه و عيشه راضيه مرضيه بمعنى المفعول و قيل معناه ذات رضى كقولهم فلان نابل أى ذو نبل قال:

و غررتنى و زعمت أنك لابن بالصيف تأمر

أى ذو لبن و تمر و قال النابغه:

ص: ٣٨٤

كلينى لهم يا أميمه ناصب و ليل أقاسيه بطى ء الكواكب

أى ذى نصب و الهاويه من أسماء جهنم و هى المهواه التى لا يدرك قعرها.

الإعراب

«الْقَارِعَةُ» مبتدأ و ما مبتدأ ثان و ما بعده خبره و كان حقه القارعه ما هى لكنه سبحانه كرر تفخيماً لشأنها و مثله قوله لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ و الجملة خبر المبتدأ الأول و يجوز أن يكون قوله «الْقَارِعَةُ» مبتدأ و يكون الناس خبره بمعنى أن القارعه تحدث فى هذا اليوم فيكون قوله «مَا الْقَارِعَةُ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ» اعتراضاً و يجوز أن يكون التقدير هذا الأمر يقع يوم يكون الناس كالفراس المبتوث.

المعنى

«الْقَارِعَةُ» اسم من أسماء يوم القيامة لأنها تفرع القلوب بالفرع و تفرع أعداء الله بالعذاب «مَا الْقَارِعَةُ» هذا تعظيم لشأنها و تهويل لأمرها و معناه و أى شىء القارعه ثم عجب نبيه ص فقال «وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ» يقول إنك يا محمد لا تعلم حقيقته أمرها و كنه وصفها على التفصيل و إنما تعلمها على سبيل الإجمال ثم بين سبحانه أنها متى تكون فقال «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» شبه الناس عند البعث بما يتهافت فى النار و قال قتاده: هذا هو الطائر الذى يتساقط فى النار و السراج و قال أبو عبيده: هو طير ينفرش ليس بذباب و لا- بعوض لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم إلى بعض فالفراس إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحده فدل ذلك على أنهم يفرعون عند البعث فيختلفون فى المقاصد على جهات مختلفه و هذا مثل قوله كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» و هو الصوف المصبوغ المندوف و المعنى أن الجبال تزول عن أماكنها و تصير خفيفه السير ثم ذكر سبحانه أحوال الناس فقال «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ» أى رجحت حسناته و كثرت خيراته «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» أى معيشه ذات رضى يرضاها صاحبها «وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ» أى خفت حسناته و قلت طاعاته و القول فى حقيقه الوزن و الميزان و الاختلاف فى ذلك قد مضى ذكره فيما سبق من الكتاب و قد ذكر سبحانه الحسنات فى الموضوعين و لم يذكر وزن السيئات لأن الوزن عباره عن القدر و الخطر و السيئه لا خطر لها و لا قدر و إنما الخطر و القدر للحسنات فكان المعنى فأما من عظم قدره عند الله لكثرت حسناته و من خف قدره عند الله لخفته حسناته «فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ» أى فمأواه جهنم و مسكنه النار و إنما سماها أمه لأنه يأوى إليها كما يأوى الولد إلى أمه و لأن الأصل السكون إلى الأمهات قال قتاده: هى كلمه عرييه كان الرجل إذا وقع

فى أمر شديد قيل هوت أمه و قيل إنما قال «فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ» لأن العاصى يهوى إلى أم رأسه فى النار عن أبى صالح و قيل أنه يهوى فيها و هى المهواه لا يدرك قعرها ثم قال سبحانه «وَمَا أَذْرَاكَ مَا هَيْئَةٌ» هذا تعظيم و تفخيم لأمرها يريد أنك لا تعلم تفصيلها و أنواع ما فيها من العقاب و إن كنت تعلمها على طريق الجملة و الهاء فى هيه للوقف ثم فسرها فقال «نَارٌ حَامِيَةٌ» أى نار حاره شديده الحراره.

(١٠٢) سورة التكاثر مكيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و قيل مكيه ثمان آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى و من قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذى أنعم عليه فى دار الدنيا و أعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آيه.

شعيب العقرقوفى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة ألهاكم التكاثر فى فريضه كتب له ثواب و أجر مائه شهيد و من قرأها فى نافله كان له ثواب خمسين شهيدا و صلى معه فى فريضته أربعون صفا من الملائكه.

و

عن درست عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله ص من قرأ ألهاكم التكاثر عن النوم و قى فتنه القبر.

تفسيرها

أخبر الله سبحانه فى تلك السوره عن صفه القيامة و ذكر فى هذه السوره من ألهاه عنها التكاثر فقال:

[سورة التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)

القراءه

قرأ ابن عامر و الكسائى

لترون بضم التاء و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و الباقون «لَتَرَوُنَّ» بالفتح.

قال أبو علي: من قال لترون بضم التاء فإن رأى فعل يتعدى إلى مفعول واحد تقول رأيت الهلال كما تقول لبست ثوبك فإذا نقلت الفعل بالهمزة زاد مفعول آخر تقول رأيت زيدا الهلال فإذا بنيت هذا الفعل للمفعول قلت أرى زيد الهلال وكذلك «لَتَرُونَ الْجَحِيمَ».

اللغة

الإلهاء الصرف إلى اللهو واللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى يقال لها يلهو لهوا و لهى عن الشىء يلهى و منه قولهم فإذا استأثر الله بشىء فاله عنه و التكاثر التفاخر بكثرة المناقب يقال تكاثر القوم إذا تعادوا ما لهم من المناقب و الزياره إتيان الموضع كإتيان المألوف على غير إقامة زاره يزوره زياره و منه زور تزويرا إذا شبه الخط بما يوهم أنه خط فلان و ليس به و المزوره من ذلك اشتقت و الفرق بين النعيم و النعمة أن النعمة كالإنعام فى التضمين لمعنى منعم أنعم إنعاما و نعمه و كلاهما موجب للشكر و النعيم ليس كذلك لأنه من نعم نعيما فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيما لا يوجب شكرا و أما النعمة بفتح النون فمن نعم بضم العين إذا لان.

الإعراب

كلا حرف و ليس باسم و تضمنه معنى ارتدع لا يدل على أنه كصه بمعنى اسكت و مه بمعنى اكفف ألا ترى أن أما تتضمن معنى مهما يكن من شىء و هو حرف فكذا كلا ينبغى أن يكون حرفا «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ» جواب لو محذوف و تقديره لما ألهاكم التكاثر. و «عِلْمَ الْيَقِينِ» مصدر و قيل هو قسم و التقدير و علم اليقين لترون الجحيم أى عذاب الجحيم فحذف لأن رؤيتها ليس بوعيد و إن الوعيد برؤيه عذابها و تقديره فى الإعراب علم الخبر اليقين فحذف المضاف و مثله حب الحصيد و لا يجوز الهمز فى واو «لَتَرُونَ» و «لَتَرُونَهَا» على قياس أثوب فى أثوب و أعد فى وعد لأن الضمه هنا عارضه لالتقاء الساكنين و ليست بلازمه و أما «عَيْنَ الْيَقِينِ» فانتصابه انتصاب المصدر أيضا كما تقول رأيتة حقا و تبينته يقينا و الرؤيه هنا بمعنى المشاهده كما قال سبحانه وَ إِنِّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا.

النزول

قيل نزلت السوره فى اليهود قالوا نحن أكثر من بنى فلان و بنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا عن قتاده و قيل نزلت فى فخذ من الأنصار تفاخروا عن أبى بريده و قيل نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف بن قصى و بنى سهم بن عمرو تكاثروا و عدوا أشرافهم فكثروهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم و قالوا هذا قبر فلان و هذا قبر فلان فكثروهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا فى الجاهليه عن مقاتل و الكلبي.

«أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ» أى شغلكم عن طاعة الله و عن ذكر الآخرة التكاثر بالأموال و الأولاد و التفاخر بكثرتهم «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» أى حتى أدر ككم الموت على تلك الحال عن الحسن و قتاده و قال الجبائى: حتى متم على ذلك و لم تتوبوا و قيل ألهاكم التباهى بكثرة المال و العدد عن تدبر أمر الله حتى عددتهم الأموات فى القبور و

روى قتاده عن مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ص و هو يقول «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ» السوره قال يقول ابن آدم مالى مالى و ما لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت أورده مسلم فى الصحيح

ثم رد الله تعالى عليهم هذا فقال «كَلَّا» أى ليس الأمر الذى ينبغى أن تكونوا عليه التكاثر ثم أوعدهم فقال «سَوْفَ تَعْلَمُونَ» ثم أكد ذلك و كرره فقال «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» قال الحسن و مقاتل: هو وعيد بعد وعيد و المعنى سوف تعلمون عاقبه تباهيكم و تكاثركم إذا نزل بكم الموت و قيل معناه سوف تعلمون فى القبر ثم سوف تعلمون فى الحشر

رواه زر بن حبيش عن على (عليه السلام) قال ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ» إلى قوله «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» يريد فى القبر «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» بعد البعث

و قيل إن المعنى «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» إذا رأيتم دار الأبرار «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» إذا رأيتم دار الفجار و العرب تؤكد بكلا- و حقا «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» هذا كلام آخر يقول لو تعلمون الأمر علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر و التباهى بالعز و الكثرة و علم اليقين هو العلم الذى يثلج به الصدر بعد اضطراب الشك فيه و لهذا لا يوصف الله بأنه متيقن ثم استأنف سبحانه وعيدا آخر فقال «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» على نيه القسم عن مقاتل يعنى حين تبرز الجحيم فى القيامة قبل دخولهم إليها «ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا» يعنى بعد الدخول إليها «عَيْنَ الْيَقِينِ» كما يقال حق اليقين و محض اليقين و معناه ثم لترونها بالمشاهده إذا دخلتموها و عذبتم بها «ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قال مقاتل: يعنى كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير و النعمه فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه إذ لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره و أشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر و هذا قول الحسن قال لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار و قال الأكثرون: أن المعنى ثم لتستلن يا معاشر المكلفين عن النعيم قال قتاده: إن الله سائل كل ذى نعمه عما أنعم عليه و قيل عن النعيم فى المأكل و المشرب و غيرهما من الملاذ عن سعيد بن جبير و قيل النعيم الصحه و الفراغ عن عكرمه و يعضده ما

رواه ابن عباس عن النبى ص قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحه و الفراغ

و

قيل هو الأمن و الصحه عن عبد الله بن مسعود و مجاهد و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل يسأل عن كل نعيم إلا ما خصه الحديث و هو

قوله ثلاث لا يسأل

عنها العبد خرقة يوارى بها عورته أو كسره يسد بها جوعته أو بيت يكنه من الحر و البرد

و

روى أن بعض الصحابه أضاف النبي ص مع جماعه من أصحابه فوجدوا عنده تمرا و ماء باردا فأكلوا فلما خرجوا قال هذا من النعيم الذى تسألون عنه

و

روى العياشى بإسناده فى حديث طويل قال سأل أبو حنيفه أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية فقال له ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من الطعام و الماء البارد فقال لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكله أكلتها و شربه شربتها ليطولن و قوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن أهل البيت النعيم الذى أنعم الله بنا على العباد و بنا ائلفوا بعد أن كانوا مختلفين و بنا ألفت الله بين قلوبهم و جعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء و بنا هداهم الله للإسلام و هى النعمة التى لا تنقطع و الله سائلهم عن حق النعيم الذى أنعم الله به عليهم و هو النبى ص و عترته

ص: ٣٩٠

(١٠٣) سورة العصر مكيه و آياتها ثلاث (٣)

اشاره

[توضيح]

مكيه ثلاث آيات بالإجماع.

اختلافها

آيتان وَ الْعَصْرِ غير المكي و المدنى الأخير بِالْحَقِّ مكي و المدنى الأخير.

فضلها

فى

حديث أبى و من قرأها ختم الله له بالصبر و كان مع أصحاب الحق يوم القيامة.

الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ و العصر فى نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقا وجهه ضاحكا سنه قريره عينه حتى يدخل الجنه.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بوعيد من ألهاه التكاثر و افتتح هذه السوره بمثل ذلك و هو أن الإنسان لفى خسر إلا المؤمن الصالح فقال سبحانه:

[سورة العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ (٣)

اللغه

أصل العصر عصر الثوب و نحوه و هو فتله لإخراج مائه و منه عصر الدهر فإنه الوقت الذى يمكن فيه فتل الأمور كما يفتل الثوب و العصر العشى قال:

يروح بنا عمرو و قد قصر العصر و فى الروحه الأولى الغنيمه و الأجر

و العصران الغداه و العشى و العصران الليل و النهار قال:

ص: ٣٩١

و لن يلبث العصران يوم و ليله إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

. الإعراب

أراد بالإنسان الجمع دون المفرد بدلاله أنه استثنى منه الذين آمنوا و روى بعضهم عن أبي عمرو «و تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» على لغه من قال مررت ببيكر.

المعنى

«و العَصْرِ» أقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبره لذوى الأبصار من جهة مرور الليل و النهار على تقدير الأدوار و هو قول ابن عباس و الكلبى و الجبائى و قيل هو وقت العشى عن الحسن و قتاده فعلى هذا أقسم سبحانه بالطرف الأخير من النهار لما فى ذلك من الدلالة على وحدانيه الله تعالى بإدبار النهار و إقبال الليل و ذهاب سلطان الشمس كما أقسم بالضحى و هو الطرف الأول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس و إقبال النهار و أهل الملتين يعظمون هذين الوقتين و قيل أقسم بصلاه العصر و هى الصلاه الوسطى عن مقاتل و قيل هو الليل و النهار و يقال لهما العصران عن ابن كيسان «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَى خُسْرٍ» هذا جواب القسم و الإنسان اسم الجنس و المعنى أنه لفى نقصان لأنه ينقص عمره كل يوم و هو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله و لم يكتسب به الطاعه يكون على نقصان طول دهره و خسران إذ لا خسران أعظم من استحقاق العقاب الدائم و قيل لفى خسر أى فى هلكه عن الأـخفش «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد الله العاملين بطاعه الله «و تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ» أى وصى بعضهم بعضا باتباع الحق و اجتناب الباطل و قيل الحق القرآن عن الحسن و قتاده و قيل هو الإيمان و التوحيد عن مقاتل و قيل هو أن يقولوا عند الموت لمخلفيهم لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «و تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» أى وصى بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق فى طاعه الله عن الحسن و قتاده و بالصبر عن معاصى الله أى فإن هؤلاء ليسوا فى خسر بل هم فى أعظم ربح و زياده يربحون الثواب باكتساب الطاعات و إنفاق العمر فيها فكان رأس مالهم باق كما أن التاجر إذا خرج رأس المال من يده و ربح عليه لم يعد ذلك ذهابا و قيل «لَفَى خُسْرٍ» معناه لفى عقوبه و غبن من فوت أمهله و منزله فى الجنه و قيل المراد بالإنسان الكافر خاصه و هو أبو جهل و الوليد بن المغيرة و فى هذه السوره أعظم دلالة على إعجاز القرآن ألا ترى أنها مع قله حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس إليه فى الدين علما و عملا و فى وجوب التواصى بالحق و الصبر إشاره إلى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الدعاء إلى التوحيد و العدل و أداء الواجبات و الاجتناب عن المقبحات و قيل أن فى قراءه ابن مسعود

و العصر إن الإنسان لفى خسر و أنه فيه إلى آخر الدهر و روى ذلك عن على (عليه السلام).

ص: ٣٩٢

(١٠٤) سورة الهمزة مكيه و آياتها تسع (٩)

اشاره

[توضيح]

مكيه و هي تسع آيات بالإجماع.

فضلها

و

في حديث أبي من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد ص و أصحابه.

أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ ويل لكل همزه في فريضه من فرائضه نفت عنه الفقر و جلبت عليه الرزق و تدفع عنه ميتة السوء.

تفسيرها

أجمل سبحانه في تلك السوره أن الإنسان لفي خسر و فصل في هذه السوره تلك الجملة فقال:

[سورة الهمزة (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْأَخْطَمِ (٤)

وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْأَخْطَمُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)

القراءه

قرأ أهل البصره و ابن كثير و نافع و عاصم «جَمَعَ» بالتخفيف و الباقون جمع بالتشديد «مُؤَصَّدَةٌ» و ذكرناه في سوره البلد و قرأ أهل الكوفه غير حفص في عمد بضميتين و الباقون «فِي عَمَدٍ» بفتح العين و الميم.

قال أبو الحسن: المثقله أكثر تقول فلان يجمع المال من هنا و من هنا قال أبو عمرو: و جمع خفيفه إذا أكثر و إذا ثقل فإنما هو شىء بعد شىء قال أبو على: و قد يجوز أن يكون جمع لما يجمع فيما قرب من الوقت و لم يجمع شيئاً بعد شىء قال سبحانه وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً و قال الأعشى:

و لمثل الذى جمعت لريب الدهر لا مسند و لا زمال

و الأشبه أن تكون أداه الحرب لا تجمع فى وقت واحد و إنما هو شىء بعد شىء فى يجوز على هذا أن يكون شيئاً بعد شىء فى قول من خفف كما تقول ذلك فى قول من ثقل و من قرأ عمداً جعله جمعاً لعمود مثل قدوم و قدم و زبور و زبر و من قال «عمد» فإنه جمع عمود أيضاً كما قالوا أفق و آدم و أهب فى جمع أفيق و أديم و إهاب و هذا اسم من أسماء الجمع غير مستمر و قد قالوا حارس و حرس و غائب و غيب و خادم و خدم و رائح و روح و هو فى أنه غير مطرد مثل عمداً.

اللغه

الهمزه الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب و أصل الهمز الكسر فكان العائب بعيبه إياه و طعنه فيه يكسره و يهمله و قيل لأعرابي أتهمز الفأره قال السنور تهمزها و كان الهمز فى الكلام نبره كالطعنه بقوه اعتمادها و اللمز العيب أيضاً و الهمزه و اللمزه بمعنى و قد قيل بينهما فرق فإن الهمزه الذى يعيبك بظهر الغيب و اللمزه الذى يعيبك فى وجهك عن الليث و قيل الهمزه الذى يؤذى جليسه بسوء لفظه و اللمزه الذى يكسر عينه على جليسه و يشير برأسه و يومئ بعينه و يقال لمزه يلمزه و يلمزه بكسر الميم و ضمها و رجل لماز و لمزه و هماز و همزه قال زياد الأعجم:

تدلى بودى إذا لاقيتنى كذبا و إن تغيت كنت الهامز اللمزه

و الحطمه الكثير الحطم أى الأكل و رجل حطمه أكل و حطم الشىء إذا كسره و أذهبته قال:

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى إبل و لا غنم

و فعله بناء المبالغه فى صفه من يكثر منه الفعل و يصير عادة له تقول رجل نكحه كثير النكاح و ضحكه كثير الضحك و كذا همزه و لمزه و فعله ساكنه العين يكون للمفعول به.

«الَّذِي جَمَعَ» فى موضع جر على البدل من همزه و لا- يجوز أن يكون صفه لأنه معرفه و يجوز أن يكون فى موضع نصب على إضمار أعنى و فى موضع رفع على إضمار هو و فى حرف عبد الله ويل للهمزه اللزمه فعلى هذا الوجه يكون صفه. «لَيْتَبَدَّنَّ» يعنى الجامع للمال و روى فى الشواذ عن الحسن لينبذان يعنى الجامع و المال. و «نَارُ اللَّهِ» تقديره هى نار الله.

المعنى

«وَيُلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب غياب مشاء بالنميمة مفرق بين الأحبه عن ابن عباس و عنه أيضا قال: الهمزه الطعان و اللمزه المغتاب و قيل الهمزه المغتاب و اللمزه الطعان عن سعيد بن جبير و قتاده و قيل الهمزه الذى يطعن فى الوجه بالعيب و اللمزه الذى يغتاب عند الغيبه عن الحسن و أبى العالیه و عطاء بن أبى رباح و قيل الهمزه الذى يهمز الناس بيده و يضربهم و اللمزه الذى يلزمهم بلسانه و بعينه عن ابن زيد «الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ» أى أحصاه عن الفراء و قيل عدده للدهور فيكون من العده عن الزجاج يقال أعددت الشىء و عددته إذا أمسكته و قيل جمع مالا من غير حله و منعه من حقه و أعدده ذخرا لنوائب دهره عن الجبائى و قيل أن الآيات نزلت فى الوليد بن المغيرة و كان يغتاب النبى ص من ورائه و يطعن عليه فى وجهه عن مقاتل و قيل نزلت فى الأخنس بن شريق الثقفى و كان يلزم الناس و يغتابهم عن الكلبي ثم ذكر سبحانه طول أمله فقال «يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» أى يظن أن ماله الذى جمعه يخلده فى الدنيا و يمنعه من الموت فأخلده فى معنى يخلده لأن قوله «يَحْسَبُ» يدل عليه و إنما قال ذلك و إن كان الموت معلوما عند جميع الناس لأنه يعمل عمل من يتمنى ذلك و قيل «أَخْلَدَهُ» بمعنى أوجب إخلاده و هذا كما يقال هلك فلان إذا حدث به سبب الهلاك و إن لم يقع هلاكه بعد ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى لا يخلده ماله و لا يبقى له و قيل معناه ليس الأمر كما حسب و قيل معناه حقا «لَيْتَبَدَّنَّ فِي الْحُطْمَةِ» أى ليقذفن و يطرحن من وصفناه فى الحطمه و هى اسم من أسماء جهنم قال مقاتل: و هى تحطم العظام و تأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه «وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ» تفخيما لأمرها ثم فسرها بقوله «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» أى المؤججه أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كسائر النيران ثم وصفها بالإيقاد على الدوام «الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِتْدَةِ» أى تشرف على القلوب فيبلغها ألمها و حريقها و قيل معناه أن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا «إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ» يعنى أنها على أهلها مطبقه يطبق أبوابها عليهم تأكيدا للإياس عن الخروج «فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ» و هى جمع عمود و قال أبو عبيده:

كلاهما جمع عماد قال و هى أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النار و قال مقاتل: أطبقت

الأبواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع إليهم غمها و حرها فلا يفتح عليهم باب و لا يدخل عليهم روح و قال الحسن: يعنى عمد السرادق فى قوله أحاطَ بهم سِرَادِقُهَا فإذا مدت تلك العمد أطبقت جهنم على أهلها نعوذ بالله منها و قال الكلبي: فى عمد مثل السوارى ممدده مطوله تمد عليهم و قال ابن عباس: هم فى عمد أى فى أغلال فى أعناقهم يعذبون بها و

روى العياشى بإسناده عن محمد بن النعمان الأحول عن حمران بن أعين عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أن الكفار و المشركين يعيرون أهل التوحيد فى النار و يقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً و ما نحن و أنتم إلا سواء قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفَعُوا فيشفَعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين اشفَعُوا فيشفَعون لمن شاء الله ثم يقول للمؤمنين اشفَعُوا فيشفَعون لمن شاء الله و يقول الله أنا أرحم الراحمين أخرجوا برحمتى كما يخرج الفراش قال ثم قال أبو جعفر (عليه السلام) ثم مدت العمد و أوصدت عليهم و كان و الله الخلود.

ص: ٣٩٦

(١٠٥) سورة الفيل مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

مكيه خمس آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها عافاه الله أيام حياته فى الدنيا من المسخ و القذف.

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ فى الفريضة أ لم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل شهد له يوم القيامة كل سهل و جبل و مدر بأنه كان من المصلين و ينادى يوم القيامة مناد صدقتم على عبدى قبلت شهادتكم له أو عليه أدخلوا عبدى الجنة و لا تحاسبوه فإنه ممن أحبه و أحب عمله و من أكثر قراءه لإيلاف قريش بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة.

تفسيرها

ذكر الله سبحانه فى تلك السوره ما أعدده من العذاب لمن عاب الناس و اغتابهم و ركن إلى الدنيا و بين فى هذه السوره ما فعله بأصحاب الفيل قال:

[سورة الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى عبد الرحمن أ لم تر بسكون الراء.

الحجه

قال ابن جنى: أن هذا السكون بابه الشعر دون القرآن لما فيه من استهلاك

الحرف و الحركه قبله يعنى الألف و الفتحة من ترى أنشد أبو زيد:

" قالت سليمي اشتر لنا سويقا "

يريد اشتر و أنشد:

قد حجج في ذا العام من كان رجا فاكتر لنا كرى صدق فالنجا

و احذر فلا تكتر كريا أعرجا علجا إذا سار بنا عفنجا

فحذف كسره اكثر في الموضوعين.

اللغة

أبايل جماعات في تفرقه زمرة زمرة و لا واحد لها في قول أبي عبيده و الفراء كعباديد و قال الكسائي: واحدها أبول مثل عجول و زعم أبو جعفر الرواسي أنه سمع في واحدها إباله.

الإعراب

« كَيْفَ فَعِيلَ رَبُّكَ » منصوب بفعل على المصدر أو على الحال من الرب و التقدير أ لم تر أى فعل فعل ربك أو أ منتقما فعل ربك بهم أم مجازيا و نحو ذلك و الجملة التي هي كيف فعل ربك سدت مسد مفعولى ترى.

قصه أصحاب الفيل

أجمعت الرواه على أن ملك اليمن الذى قصد هدم الكعبه هو أبرهه بن الصباح الأشرم و قيل أن كنيته أبو يكسوم قال الواقدي: هو صاحب النجاشي جد النجاشي الذى كان على عهد رسول الله ص و قال محمد بن يسار أقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي قبا فحفر بها بئرا يدعى اليوم بئر الملك قال و بالمدينة إذ ذاك يهود و الأوس و الخزرج فقاتلوه و جعلوا يقاتلونه بالنهار فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافه فاستحيا و أراد صلحهم فخرج إليه رجل من الأوس يقال له أحيحة بن جلاح و خرج إليه من اليهود بنيامين القرظي فقال أحيحة:

أيها الملك نحن قومك و قال بنيامين: هذه بلده لا تقدر على أن تدخلها و لو جهدت قال و لم قال لأنها منزل نبي من الأنبياء يبعثه الله من قريش قال ثم خرج يسير حتى إذا كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحا فقصفت يديه و رجليه و شنجت جسده فأرسل إلى من معه من اليهود فقال ويحكم ما الذى أصابنى قالوا حدثت نفسك بشىء قال نعم و ذكر ما أجمع عليه من هدم البيت و إصابه ما فيه قالوا ذلك بيت الله الحرام و من أراد هلك قال ويحكم و ما

المخرج مما دخلت فيه قالوا تحدث نفسك بأن تطوف به و تكسوه و تهدى له فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت و سعى بين الصفا و المروه و كسا البيت و ذكر الحديث فى نحره بمكة و إطعامه الناس ثم رجوعه إلى اليمن و قتله و خروج ابنه إلى قيصر و استغاثته به فيما فعل قومه بأبيه و أن قيصر كتب له إلى النجاشى ملك الحبشه و أن النجاشى بعث له ستين ألفا و استعمل عليهم روزبه حتى قاتلوا حمير أبيه و دخلوا صنعاء فملكوها و ملكوا اليمن و كان فى أصحاب روزبه رجل يقال له أبرهه و هو أبو يكسوم فقال لروزبه: إني أولى بهذا الأمر منك و قتله مكرأ و أرضى النجاشى ثم أنه بنى كعبه باليمن و جعل فيها قبابا من ذهب فأمر أهل مملكته بالحج إليها يضاهى بذلك البيت الحرام و إن رجلا من بنى كنانه خرج حتى قدم اليمن فنظر إليها ثم قعد فيها يعنى لحاجه الإنسان فدخلها أبرهه فوجد تلك العذره فيها فقال من اجترأ على بهذا و نصرانيتى لأهدمن ذلك البيت حتى لا يحجه حاج أبدا و دعا بالفيل و أذن قومه بالخروج و من اتبعه من أهل اليمن و كان أكثر من اتبعه منهم عك و الأشعرون و خثعم قال ثم خرج يسير حتى إذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بنى سليم ليدعو الناس إلى حج بيته الذى بناه فتلقيه أيضا رجل من الحمس من بنى كنانه فقتله فازداد بذلك حنقا و حث السير و الانطلاق و طلب من أهل الطائف دليلا- فبعثوا معه رجلا- من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى إذا كانوا بالمغمس نزلوه و هو من مكة على سته أميال فبعثوا مقدماتهم إلى مكة فخرجت قريش عباديد فى رءوس الجبال و قالوا لا- طاقه لنا بقتال هؤلاء- و لم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم أقام على سقايته و غير شبيهه بن عثمان بن عبد الدار أقام على حجاب البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ثم يقول:

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبوا بصليبهم و محالهم عدوا محالك

لا يدخلوا البلد الحرام إذا فأمر ما بدا لك

ثم إن مقدمات أبرهه أصابت نعماً لقريش فأصابت فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى أتى القوم و كان حاجب أبرهه رجلا من الأشعريين و كانت له بعبد المطلب معرفه فاستأذن له على الملك و قال له أيها الملك جاءك سيد قريش الذى يطعم إنسها فى الحى و وحشها فى الجبل فقال له ائذن له و كان عبد المطلب رجلا جسيما جميلا فلما رآه أبو يكسوم أعظمه أن يجلسه تحته و كره أن يجلسه معه على سريره فنزل من سريره

فجلس على الأرض و أجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك قال حاجتى مائتا بعير لى أصابتها مقدمتك فقال أبو يكسوم و الله لقد رأيتك فأعجبتنى ثم تكلمت فزهدت فيك فقال و لم أيها الملك قال لأنى جئت إلى بيت عزكم و منعتكم من العرب و فضلكم فى الناس و شرفكم عليهم و دينكم الذى تعبدون فجئت لأكسره و أصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمتنى فى إبلك و لم تطلب إلى فى بيتكم فقال له عبد المطلب: أيها الملك أنا أكلمك فى مالى و لهذا البيت رب هو يمنعه لست أنا منه فى شىء فراع ذلك أبا يكسوم و أمر برد إبل عبد المطلب عليه ثم رجع و أمست ليلتهم تلك الليله كالحه نجومها كأنها تكلمهم كلاما لاقتربا منها فأحست نفوسهم بالعذاب و خرج دليلهم حتى دخل الحرم و تركهم و قام الأشعرون و خثعم فكسروا رماحهم و سيوفهم و برءوا إلى الله أن يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليله ثم أدلجوا بسحر فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكه فوجهوه إلى مكه فربض فضرىبه فتمرغ فلم يزلوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا ثم أنهم أقبلوا على الفيل فقالوا لك الله أن لا- نوجهك إلى مكه فانبعث فوجهوه إلى اليمن راجعا فتوجه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقا حتى إذا رده إلى مكانه الأول ربض فلما رأوا ذلك عادوا إلى القسم فلم يزلوا كذلك يعالجونه حتى إذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم و كل طائر فى منقاره حجر و فى رجليه حجران و إذا رمت بذلك مضت و طلعت أخرى فلا- يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقة و لا عظم إلا أوهاه و ثقبه و تاب أبو يكسوم راجعا قد أصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم أرضا انقطع له فيها أرب حتى إذا انتهى إلى اليمن لم يبق شىء إلا باده فلما قدمها تصدع صدره و انشق بطنه فهلك و لم يصب من الأشعرين و خثعم أحد قال و كان عبد المطلب يرتجز و يدعو على الحبشه يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا إنهم لم يقهروا قواكا

قال و لم تصب تلك الحجارة أحدا إلا- هلك و ليس كل القوم أصابت و خرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى منها جاءوا و يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق و قال نفيل فى ذلك:

ردينه لو رأيت و لن ترينه لدى جنب المحصب ما رأينا

حمدت الله إذ عاينت طيرا و خفت حجاره تلقى علينا

و كل القوم يسأل عن نفيل كان على للحبشان دينا

و قال مقاتل بن سليمان: السبب الذي جر أصحاب الفيل إلى مكة هو أن فئه من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشى فساروا حتى دنوا من ساحل البحر و فى حقف من أحقادها بيعه للنصارى تسميها قريش الهيكل و يسميها النجاشى و أهل أرضه ماسرخشان فنزل القوم فجمعوا حطبا ثم أجبوا نارا و اشتروا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل نارا فغضب النجاشى لذلك فبعث أبرهه لهدم الكعبه و روى

العياشى بإسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أرسل الله على أصحاب الفيل طيرا مثل الخطاف و نحوه فى منقاره حجر مثل العدسه فكان يحاذى برأس الرجل فيرميه بالحجاره فيخرج من دبره فلم تنزل بهم حتى أتت عليهم قال فأفلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصه فيينا هو يخبرهم إذ أبصر طيرا فقال هذا هو منها قال فحاذى فطرحة على رأسه فخرج من دبره

و قال عبيد بن عمير الليثى: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل فبعث عليهم طيرا نشأت من البحر كأنها الخطاطيف كل طير منها معه ثلاثه أحجار ثم جاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت و ألفت ما فى أرجلها و مناقيرها فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر و إن وقع على رأسه خرج من دبره و إن وقع على شىء من جسده خرج من الجانب الآخر و عن عكرمه عن ابن عباس قال دعا الله الطير الأبايل فأعطاها حجاره سودا عليها الطين فلما حاذت بهم رمتهم فما بقى أحد منهم إلا أخذته الحكه و كان لا يحك الإنسان منهم جلدا إلا تساقط لحمه قال و كانت الطير نشأت من قبل البحر لها خراطيم الطيور و رؤوس السباع لم تر قبل ذلك و لا بعده

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه ص تنبيها على عظم الآيه التى أظهرها و المعجزه التى فعلها فقال «أَلَمْ تَرَ» أى أ لم تعلم يا محمد لأنه ص لم ير ذلك و قيل معناه أ لم تخبر عن الفراء «كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» الذى قصدوا تخريب الكعبه و كان معهم فيل واحد اسمه محمود عن مقاتل و قيل ثمانية أفيال عن الضحاك و قيل اثنا عشر فيلا عن الواقدى و إنما وحد لأنه أراد الجنس و كان ذلك فى العام الذى ولد فيه رسول الله ص و عليه أكثر العلماء و قيل كان أمر الفيل قبل مولد النبى ص بثلاث و عشرين سنه عن الكلبي و قيل كان قبل مولده بأربعين سنه عن مقاتل و الصحيح الأول و يدل عليه ما ذكر أن عبد الملك بن مروان قال لعتاب بن أشيم الكنانى الليثى يا عتاب أنت أكبر أم رسول الله ص قال عتاب رسول الله ص

أكبر منى و أنا أسن منه ولد رسول الله ص عام الفيل و وقعت على روث الفيل و قالت عائشه:

رأيت قائد الفيل و سائقه بمكه أعميين مقعدين يستطعمان «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ» معناه ألم يجعل إرادتهم السوء و احتيالهم فى تخريب البيت الحرام و قتل أهله و سبيهم و استباحتهم فى تضليل عما قصدوا إليه ضل سعيهم حتى لم يصلوا إلى ما أرادوه بكيدهم و قيل فى تضليل أى فى ذهاب و بطلان «وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ» أى أفاطيع يتبع بعضها بعضا كالإبل المؤبله قال الأعشى:

طريق و جبار رواء أصوله عليه أبابيل من الطير تنعب

و قال امرؤ القيس:

تراهم إلى الداعى سراعا كأنهم أبابيل طير تحت داجن مدجن

و كانت لها خراطيم كخراطيم الطير و أكف كأكف الكلاب عن ابن عباس و قيل لها أنياب كأنياب السباع عن الربيع و قيل طير خضر لها مناقير صفر عن سعيد بن جبير و قيل طير سود بحريه تحمل فى مناقيرها و أكفها الحجاره عن عبيد الله بن عمير و قتاده و يمكن أن يكون بعضها خضرا و بعضها سودا «تَرْمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سِتْجِيلٍ» أى تقذفهم بحجاره صلبه شديده ليست من جنس الحجاره و قد فسرنا السجيل فى سوره هود و ما جاء من الأقوال فيه فلا معنى لإعادته و قال موسى بن عائشه: كانت الحجاره أكبر من العدسه و أصغر من الحمصه و قال عبد الله بن مسعود: صاحت الطير فرمتهم بالحجاره فبعث الله ريحا فضربت الحجاره فزادتها شده فما وقع منها حجر على رجل إلا- خرج من الجانب الآخر فإن وقع على رأسه خرج من دبره «فَجَعَلَهُمْ كَعَضِفٍ مِّأْكُولٍ» أى كزرع و تبين قد أكلته الدواب ثم رائته فديست و تفرقت أجزاءه شبه الله تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث قال الحسن: كنا و نحن غلمان بالمدينه نأكل الشعير إذا قصب و كان يسمى العصف و قال أبو عبيده: العصف ورق الزرع قال الزجاج:

أى جعلهم كورق الزرع الذى جز و أكل أى وقع فيه الأكال و كان هذا من أعظم المعجزات القاهرات و الآيات الباهرات فى ذلك الزمان أظهره الله تعالى ليدل على وجوب معرفته و فيه إرهاب لنبوه نبينا ص لأنه ولد فى ذلك العام و قال قوم من المعتزله أنه كان معجزه لنبى من الأنبياء فى ذلك الزمان و ربما قالوا هو خالد بن سنان و نحن لا نحتاج إلى ذلك لأننا نجوز

إظهار المعجزات على غير الأنبياء من الأئمة و الأولياء و فيه حجه لائحه قاصمه لظهور الفلاسفه و الملحدين المنكرين للآيات الخارقه للعادات فإنه لا يمكن نسبه شىء مما ذكره الله تعالى من أمر أصحاب الفيل إلى طبع و غيره كما نسبوا الصيحه و الريح العقيم و الخسف و غيرهما مما أهلك الله تعالى به الأعمم الخاليه إلى ذلك إذ لا يمكنهم أن يروا فى أسرار الطبيعه إرسال جماعات من الطير معها أحجار معهه مهياه لهلا-ك أقوام معينين قاصدات إياهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم و تدمر عليهم حتى لا يتعدى ذلك إلى غيرهم و لا يشك من له مسكه من عقل و لب أن هذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى مسبب الأسباب و مذلل الصعاب و ليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا ص لما قرأ هذه السوره على أهل مكه لم ينكروا ذلك بل أقروا به و صدقوه مع شده حرصهم على تكذيبه و اعتنائهم بالرد عليه و كانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقه و أصل لأنكروه و جحدوه و كيف و أنهم قد أرخوا بذلك كما أرخوا ببناء الكعبه و موت قصى بن كعب و غير ذلك و قد أكثر الشعراء ذكر الفيل و نظموه و نقلته الرواه عنهم فمن ذلك ما قاله أميه بن أبى الصلت:

إن آيات ربنا بينات ما يمارى فيهن إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

و قال عبد الله بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس

من بعد ما هم بشىء مبلس حبسته فى هيئه المكرس

أى المنكس قال ابن الرقيات فى قصيده:

و استهلت عليهم الطير بالجنديل حتى كأنه مرجو.

(١٠٦) سورة قريش مكيه و آياتها أربع (٤)

اشاره

[توضيح]

مكيه خمس آيات حجازى أربع آيات عند غيرهم.

اختلفا

آيه مِنْ جُوعٍ حجازى.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبه و اعتكف بها

و

روى العياشى بإسناده عن المفضل بن صالح عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول لا تجمع بين سورتين فى ركعه واحده إلا (الضحى و ألم نشرح و ألم تر كيف و لإيلاف قريش).

و

عن أبى العباس عن أحدهما (عليه السلام) قال (ألم تر كيف فعل ربك و لإيلاف قريش) سورة واحده

و روى أن أبى بن كعب لم يفصل بينهما فى مصحفه. و قال عمرو بن ميمون الأزدي صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب و قرأ فى الأولى (و التين) و فى الثانية (ألم تر كيف و لإيلاف قريش).

تفسيرها

و لما ذكر سبحانه عظيم نعمته على أهل مكه بما صنعه بأصحاب الفيل قال عقيب ذلك:

[سورة قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ أَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ

(٤)

القراءه

قرأ أبو جعفر ليلاف قريش بغير همز إلافهم مختلسه الهمزه ليس بعدها ياء وقرأ ابن عامر لثلاف قريش مختلسه الهمزه ليس بعدها ياء «إيلافهم» مشبعه الهمزه فى الحرفين بعدها ياء. وقرأ ابن فليح لإيلاف قريش الفهم ساكنه اللام ليس بعدها ياء وقرأ الآخرون «لإيلاف قريش إلافهم» مشبعه الهمزه فى الحرفين بعدها ياء.

الحجه

قال أبو على: قال أبو عبيده ألفته و آلفته لغتان أنشد أبو زيد:

من المولفات الرمل أدماء حره شعاع الضحى فى جيدها يتوضح

و أنشد غيره:

ألف الصفون فلا يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال آخر:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف و ليس لكم إلاف

و الألف و الآلاف مصدر ألف و الإيلاف مصدر آلف.

اللغه

الإيلاف إيجاب الألف بحسن التدبير و التلطف يقال ألف يألف ألفا و آلفه يؤلفه إيلافا إذا جعله يألف فالإيلاف نقيض الإيحاش و نظيره الإيناس و ألف الشىء لزومه على عادته فى سكون النفس إليه. و الرحله حال السير على الرحله و هى الناقه القويه على السير و منه

الحديث المروى الناس كإبل مائه لا تجد فيها راحله

و الرحل متاع السفر و الارتحال احتمال الرحل للسير فى السفر.

الإعراب

قال أبو الحسن الأخفش اللام فى قوله «لإيلاف قريش» يتعلق بقوله «كعصف مأكول» أى فعلنا ذلك بهم لتألف قريش رحلتها و قال الزجاج معناه أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش و ما قد ألفوا من رحله الشتاء و الصيف قال أبو على اعترض معترض فقال إنما جعلوا كعصف مأكول لكفرهم و لم يجعلوا كذلك لتألف قريش قال و ليس هذا الاعتراض بشىء لأنه يجوز أن يكون المعنى أهلكوا لكفرهم و لما أدى إهلاهم إلى أن تألف قريش جاز كقوله تعالى «لِيَكُونَ لَهُمْ عَيْدٌ وَ حَزَنًا» و هم لم

يلتقطوه لذلك فلما آل

ص: ٤٠٥

الأمر إليه حسن أن يجعله على الالتقاط وقال الخليل و سبيويه فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش أى ليجعلوا عبادتكم شكرا لهذه النعمة و اعترافا بها و قيل هو على أ لم تر كيف فعل ربك لإيلاف قريش عن الفراء لأنه سبحانه ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحيشه.

المعنى

«لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ» أى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمه منا على قريش مضافه إلى نعمتنا عليهم فى رحله الشتاء و الصيف فكأنه قال نعمه إلى نعمه فتكون اللام مؤديه معنى إلى و هو قول الفراء و قيل معناه فعلنا ذلك لتألف قريش بمكة و يمكنهم المقام بها أو لتؤلف قريشا فإنهم هابوا من أبرهه لما قصدها و هربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش إلى مكة و يألفوا بها و يولد محمد ص فيبعث إلى الناس بشيرا و نذيرا و قوله «إِيْلَافِهِمْ» ترجمه عن الأول و بدل منهم «رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ» منصوبه بوقوع إيلافهم عليها و تحقيقه أن قريشا كانت بالحرم آمنه من الأعداء أن تهجم عليهم فيه و أن يعرض لهم أحد بالسوء إذا خرجت منها لتجارتها و الحرم واد جديب إنما كانت تعيش قريش فيه بالتجاره و كانت لهم رحلتان فى كل سنه رحله فى الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حاميه و رحله فى الصيف إلى الشام لأنها بلاد بارده و لو لا- هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام و لو لا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم و مقامهم بمكة و قيل إن كلتا الرحلتين كانت إلى الشام و لكن رحله الشتاء فى البحر و أيله طلب للدفاً و رحله الصيف إلى الشام لأنها بلاد بارده و لو لا هاتين الرحلتين لم يمكنهم مقام و لو لا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم و مقامهم بمكة و قيل إن كلتا الرحلتين كانت إلى الشام و لكن رحله الشتاء فى البحر و أيله طلب للدفاً و رحله الصيف إلى بصرى و أذرعَات طلبا للهواء و أما قريش فهم ولد النضر بن كنانه فكل من ولده النضر فهو قرشى و من لم يلبده النضر فليس بقرشى و اختلف فى تسميتهم بهذا الاسم فقيل سموا قريشا للتجاره و طلب المال و جمعه و كانوا أهل تجاره و لم يكونوا أصحاب ضرع و لا زرع و القرش المكسب يقال هو يقرش لعياله أى يكتسب لهم و ذكر أنه قيل لابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابه تكون فى البحر من أعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشىء من الغث و السمين إلا أكلته قيل أفتنشد فى ذلك شيئا فأنشد قول الجمحي:

و قريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث و السمين و لا تترك فيه لدى الحناجر ريشا

و كانت قريش تعيش بتجارتهم و رحلتهم و كان لا يتعرض لهم أحد بسوء و كانوا يقولون قريش سكان حرم الله و ولاء بيته قال الكلبى و كان أول من حمل الميره من الشام و رحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف و يصدقه قول الشاعر:

تحمل هاشم ما ضاق عنه و أعيأ أن يقوم به ابن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات من أرض الشام بالبر النفيض

فوسع أهل مكة من هشيم و شاب البر باللحم الغريض

و

قال سعيد بن جبير مر رسول الله ص و معه أبو بكر بملا و هم ينشدون:

يا ذا الذى طلب السماحة و الندى هلا مررت بآل عبد الدار

لو أن مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد و من إقتار

فقال لأبى بكر أ هكذا قال الشاعر فقال لا و الذى بعثك بالحق بل قال:

يا ذا الذى طلب السماحة و الندى هلا مررت بآل عبد مناف

لو أن مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد و من إيجاف

الرائشين و ليس يوجد رائش و القائلين هلم للأضياف

و الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافى

و القائلين بكل وعد صادق و رجال مكة مستتين عجاف

سفرين سنهما له و لقومه سفر الشتاء و رحله الأضياف

«فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ» هذا أمر من الله سبحانه أى فليوجهوا عبادتهم إلى رب

هذه الكعبه و يوحده و هو الله سبحانه «الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» بما سبب لهم من الأرزاق في رحله الشتاء و الصيف و أعطاهم من الأموال «و آمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ» فلا- يتعرض لهم أحد في سفرهم إذا قالوا نحن أهل حرم الله و قيل آمنهم من خوف الغاره بالحرم الذى جبلت قلوب الناس على تعظيمه لأنهم كانوا يقولون فى الجاهليه نحن قطان حرم الله فلا يتعرض لهم و إن كان الرجل ليصاب فى الحى من أحياء العرب فيقال هو حرمى فيخلى عنه و عن ماله تعظيما للحرم و كان غيرهم إذا خرج أغير عليه و قيل «أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» أى من بعد جوع كما يقال كسوتك من بعد عرى يعنى ما كانوا فيه من الجوع قال ابن عباس كانوا فى ضر و مجاعه حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو أب أكثر مالا و لا أعز من قريش.

(١٠٧) سورة الماعون مكيه و آياتها سبع (٧)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة الماعون مكيه و قال الضحاك مدنيه و قيل بعضها مكي و بعضها مدني.

عدد آياتها

سبع عراقى و ست فى الباقيين.

اختلافها

آيه يُرَاوُنَ عراقى.

فضلها

فى

حديث أبى من قرأها غفر الله له إن كان للزكاه مؤديا

، و

عمرو بن ثابت عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ أ رأيت الذى يكذب بالدين فى فرائضه و نوافله قبل الله صلاته و صيامه و لم يحاسبه بما كان منه فى الحياه الدنيا.

تفسيرها

ذكر سبحانه نعمه على قريش ثم عجب سبحانه فى هذه السوره من تكذيبهم مع عظيم النعمه عليهم فقال:

[سورة الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَ رَأَيْتَ الَّذِیْ یُكذِّبُ بِالذِّیْنِ (١) فَذَلِكَ الَّذِیْ یَدْعُ النِّیْمَ (٢) وَ لَا یَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِیْنِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّیْنَ (٤)

الَّذِیْنَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِیْنَ هُمْ يُرَاوُنَ (٦) وَ یَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى رجاء العطاردى يدع اليتيم بفتح الدال خفيفه.

الحجه

و معناه يتركه و يعرض عنه فهو صائر إلى معنى القراءه المشهوره «يُدْعُ الْيَتِيمَ» أى يدفعه و يجفو عليه.

اللغه

الدع الدفع بشده و منه الدعده تحريكك المكيال ليستوعب الشىء كأنك تدفعه و الدعده أيضا زجر المعز و الحض و الحث و التحريض بمعنى واحد و الماعون كل ما فيه منفعه قال الأعشى:

بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم

و قال الراعى:

قوم على الإسلام لما يمنعون ماعونهم و يضيعوا التهليلا

و قال أعرابى فى ناقه له

" كيما أنها تعطيك الماعون "

أى تنقاد لك و تطيعك و أصله القله من المعن و هو القليل قال الشاعر

" فإن هلاك مالك غير معن "

أى غير قليل و يقال ما له ممعن و لا معن فالماعون القليل القيمه مما فيه منفعه و يقال معن الوادى إذا جرت مياهه قليلا قليلا.

الإعراب

«فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» اعتمد هنا فى الخبر على ما جرى فى صله الموصول الذى هو وصف المجرور باللام المتعلق بالخبر ألا- ترى أن قوله «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ» غير محمول على الظاهر و الاعتماد على السهو فى صله الذين و قوله «الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤْنَ» يجوز أن يكون مجرورا على أنه صفة للمصلين و يجوز أن يكون منصوبا على إضمار أعنى و أن يكون مرفوعا على إضمارهم.

المعنى

خاطب الله تعالى نبيه ص فقال «أَرَأَيْتَ» يا محمد «الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ» أى هذا الكافر الذى يكذب بالجزاء و الحساب و ينكر

البعث مع وضوح الأمر فى ذلك و قيام الحجج على صحته و إنما ذكره سبحانه بلفظ الاستفهام إرادته للمبالغة فى الأفهام و التأكيد بالجزاء من أضر شىء على صاحبه لأنه لعدم بذلك أكثر الدواعى إلى الخير و الصوارف عن الشر فهو يتهالك فى الإسراع إلى الشر الذى يدعو به إليه طبعه إذ لا يخاف عواقب الضرر فيه

ص: ٤١٠

قال الكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي و قيل نزلت في الوليد بن المغيرة عن السدي و مقاتل بن حيان و قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان ينحرف في كل أسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصاه عن ابن جريج و قيل نزلت في رجل من المنافقين عن عطاء عن ابن عباس «فَذَلِكَ الَّذِي يُدْعَى الْيَتِيمَ» بين سبحانه أن من صفه هذا الذي يكذب بالدين أنه يدفع اليتيم عنفا به لأنه لا- يؤمن بالجزاء عليه فليس له رادع عنه و قيل يدع اليتيم أى يدفعه عن حقه بجفوه و عنف و يقهره عن ابن عباس و مجاهد «وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ» أى لا- يطعمه و لا- يأمر بإطعامه يعنى لا يفعله إذا قدر و لا يحض عليه إذا عجز لأنه يكذب بالجزاء «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» و هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها عن ابن عباس و مسروق و روى ذلك مرفوعا و قيل يريد المنافقين الذين لا يرجون لها ثوابا إن صلوا و لا يخافون عليها عقابا إن تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء و إذا لم يكونوا معهم لم يصلوا و هو قوله «الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ» عن علي (عليه السلام) و ابن عباس و قال أنس: الحمد لله الذى قال عن صلاتهم و لم يقل فى صلاتهم يريد بذلك أن السهو الذى يقع للإنسان فى صلاته من غير عمد لا يعاقب عليه و قيل ساهون عنها لا يبالون صلوا أم لم يصلوا عن قتاده و قيل هم الذين يتركون الصلاة عن الضحاك و قيل الذين إن صلوا صلوا رياء و إن فاتتهم لم يندموا عن الحسن و قيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها و لا يتمون ركوعها و لا سجودها عن أبي العالبيه و عنه أيضا قال هو الذى إذا سجد قال برأسه هكذا و هكذا ملتفتا و

روى العياشى بالإسناد عن يونس بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألته عن قوله «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» أ هى و سوسه الشيطان فقال لا كل أحد يصيبه هذا و لكن أن يغفلها و يدع أن يصلى فى أول وقتها

و

عن أبي أسامه زيد الشحام قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» قال هو الترك لها و التواني عنها

و

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السلام) قال هو التضييع لها

و قيل هم الذين يراءون الناس فى جميع أعمالهم لم يقصدوا بها الإخلاص لله تعالى «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» اختلف فيه فقيل

هى الزكاه المفروضه عن على و ابن عمر و الحسن و قتاده و الضحاك و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل هو ما يتعاوره الناس بينهم من الدلو و الفأس و القدر و ما لا يمنع كالماء و الملح عن ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبير و روى ذلك مرفوعا و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال هو القرض تقرضه و المعروف تصنعه و متاع البيت تعيره و منه الزكاه قال فقلت إن لنا جيرانا إذا أعرناهم متاعا كسروه و أفسدوه أفعلينا جناح أن نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح أن تمنعهم إذا كانوا كذلك

و قيل هو المعروف كله عن الكلبي.

(١٠٨) سورة الكوثر مكيه و آياتها ثلاث (٣)

اشاره

[توضيح]

مكيه عن ابن عباس و الكلبي مدنيه عن عكرمه و الضحاك و هي ثلاث آيات بالإجماع.

فضلها

فى

حديث أبى من قرأها سقاه الله من أنهار الجنة و أعطى من الأجر بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم عيد و يقربون من أهل الكتاب و المشركين.

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إنا أعطيناك الكوثر فى فرائضه و نوافله سقاه الله يوم القيامة من الكوثر و كان محدثه عند محمد ص.

تفسيرها

ذم سبحانه فى تلك السوره تاركى الصلاه و مانعى الزكاه و ذكر فى هذه السوره أنهم إن فعلوا ذلك و كذبوه فإنه يعطيه الخير الكثير و أمره بالصلاه فقال:

[سورة الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

اللغه

الكوثر فوعل من الكثره و هو الشىء الذى من شأنه الكثره و الكوثر الخير الكثير و الإعطاء على وجهين إعطاء تمليك و إعطاء غير تمليك و إعطاء الكوثر إعطاء تمليك كإعطاء الأجر و أصله من عطا يعطو إذا تناول و الشانئ المبغض و الأبتَر أصله من الحمار الأبتَر و هو المقطوع الذنب و فى حديث زياد أنه خطب خطبته البتراء لأنه لم يحمد الله فيها و لم يصل على النبى ص.

ص: ٤١٢

«وَ أَنْحَرْ» مفعوله محذوف أى و انحر أضحيتك كما حذف ليبد من قوله:

" و هم العشيره أن يبطئ حاسد "

أى إن يبطأهم حاسد أى أن ينسبهم إلى البطوء و قوله «إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» لا- أنت هذا تقديره أى هو مبتور لا- أنت لأن ذكرك مرفوع مهما ذكرت ذكرت معى و هو فصل و الأبتير خبر إن.

النزول

قيل نزلت السوره فى العاص بن وائل السهمى و ذلك أنه رأى رسول الله ص يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بنى سهم و تحدثا و أناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذى كنت تتحدث معه قال ذلك الأبتير و كان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ص و هو من خديجه و كانوا يسمون من ليس له ابن أبتير فسمته قريش عند موت ابنه أبتير و صنورا عن ابن عباس.

المعنى

خاطب سبحانه نبيه ص على وجه التعداد لنعمه عليه فقال «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» اختلفوا فى تفسير الكوثر فقيل هو نهر فى الجنة عن عائشه و ابن عمر

قال ابن عباس لما نزلت إنا أعطيناك الكوثر صعد رسول الله ص المنبر فقرأها على الناس فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذى أعطاك الله قال نهر فى الجنة أشد بياضا من اللبن و أشد استقامه من القدح حافظه قباب الدر و الياقوت ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت قالوا يا رسول الله ما أنعم تلك الطير قال أ فلا أخبركم بأنعم منها قالوا بلى قال من أكل الطائر و شرب الماء و فاز برضوان الله

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نهر فى الجنة أعطاه الله نبيه ص عوضا من ابنه

و قيل هو حوض النبى ص الذى يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطاء و

قال أنس بينا رسول الله ص ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه مبتسما فقلت ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على أنفا سورة فقرا سورة الكوثر ثم قال أ تدررون ما الكوثر قلنا الله و رسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه عليه ربي خيرا كثيرا هو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول يا رب إنهم من أمتى فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أورده مسلم فى الصحيح

وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس و ابن جبير و مجاهد و قيل هو النبوه و الكتاب عن عكرمه و قيل هو القرآن عن الحسن
و قيل هو كثره الأصحاب و الأشياع عن أبي بكر بن عياش و قيل هو كثره النسل و الذريه و قد ظهرت الكثره فى نسله من ولد
فاطمه (عليه السلام) حتى لا يحصى عددهم و اتصل إلى يوم القيامه مددهم و

قيل هو الشفاعه

ص: ٤١٣

رووه عن الصادق (عليه السلام)

و اللفظ يحتمل للكامل فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال فقد أعطاه الله سبحانه و تعالى الخير الكثير في الدنيا و وعده الخير الكثير في الآخرة و جميع هذه الأقوال تفصيل للجمله التي هي الخير الكثير في الدارين «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ أَنْحِرْ» أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمه العظيمة بأن قال فصل صلاه العيد لأنه عقبها بالانحر أى و انحر هديك و أضحيتك عن عطاء و عكرمه و قتاده و قال

أنس بن مالك كان النبي ص ينحر قبل أن يصلى فأمر أن يصلى ثم ينحر

و قيل معناه فصل لربك صلاه الغداه المفروضه بجمع و انحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير و مجاهد و قال محمد بن كعب إن أناسا كانوا يصلون لغير الله و ينحرون لغير الله فأمر الله تعالى نبيه ص أن يكون صلاته و نحره للبدن تقربا إليه و خالصا له و قيل معناه فصل لربك الصلاه المكتوبه و استقبل القبله بنحرك و تقول العرب منازلنا تتناحر أى هذا ينحر هذا يعنى يستقبله و أنشد:

أبا حكم هل أنت عم مجالد و سيد أهل الأبطح المتناحر

أى ينحر بعضه بعضا و هذا قول الفراء و أما

ما رووه عن على (عليه السلام) أن معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاه

فمما لا يصح عنه لأن

جميع عترته الطاهره (عليه السلام) قد رووه بخلاف ذلك و هو أن معناه ارفع يديك إلى النحر في الصلاه

و

عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قوله «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ أَنْحِرْ» هو رفع يديك حذاء وجهك و روى عنه عبد الله بن سنان مثله

و

عن جميل قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ أَنْحِرْ» فقال بيده هكذا يعنى استقبل بيديه حذو وجهه القبله في افتتاح الصلاه

و

عن حماد بن عثمان قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) ما النحر فرفع يده إلى صدره فقال هكذا ثم رفعها فوق ذلك فقال هكذا يعنى استقبل بيديه القبله في افتتاح الصلاه

روى عن مقاتل بن حيان عن الأصمغ بن نباته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لما نزلت هذه السوره قال النبى ص لجبريل (عليه السلام) ما هذه النحيير التي أمرنى بها ربى قال ليست بنحييره و لكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاه أن ترفع يديك إذا كبرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع و إذا سجدت فإنه صلاتنا و صلاه الملائكه فى السماوات السبع فإن لكل شىء زينه و إن زينه الصلاه رفع الأيدى عند كل تكبيره

قال النبى ص رفع الأيدى من الاستكانه قلت و ما الاستكانه قال أ لا تقرأ هذه الآيه «فَمَا اسْتِكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ» أورده الثعلبى و الواحدى فى تفسيرهما

«إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» معناه إن مبغضك هو المنقطع عن الخير و هو العاص بن وائل و قيل معناه أنه الأقل الأذل بانقطاعه عن كل خير عن قتاده و قيل معناه أنه لا ولد له على الحقيقه و أن من ينسب إليه ليس بولد له

قال مجاهد الأبتى الذى لا عقب له و هو جواب لقول قريش إن محمدا ص لا عقب له يموت فنستريح منه و يدرس دينه إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه فينقطع أمره و فى هذه السورة دلالات على صدق نبينا ص و صحه نبوته (أحدها) أنه أخبر عما فى نفوس أعدائه و ما جرى على ألسنتهم و لم يكن بلغه ذلك فكان على ما أخبر (و ثانيها) أنه قال «أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» فانظر كيف انتشر دينه و علا أمره و كثرت ذريته حتى صار نسبه أكثر من كل نسب و لم يكن شىء من ذلك فى تلك الحال (و ثالثها) أن جميع فصحاء العرب و العجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على و جازة ألفاظها مع تحديه إياهم بذلك و حرصهم على بطلان أمره منذ بعث النبى ص إلى يومنا هذا و هذا غاية الإعجاز (و رابعها) أنه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه و أخيره بسقوط أمرهم و انقطاع دينهم أو عقبيهم فكان المخبر على ما أخبر به هذا و فى هذه السورة الموجه من تشاكل المقاطع للفواصل و سهوله مخارج الحروف بحسن التأليف و التقابل لكل من معانيها بما هو أولى به ما لا يخفى على من عرف مجارى كلام العرب.

(١٠٩) سورة الكافرون مكيه و آياتها ست (٦)

إشارة

[توضيح]

مكيه و عن ابن عباس و قتاده مدنيه و هي ست آيات بالإجماع.

فضلها

فى

حديث أبى و من قرأ يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن و تباعدت عنه مرده الشياطين و برى من الشرك و يعافى من الفزع الأكبر.

و

عن جبير بن مطعم قال قال لى رسول الله ص أ تحب يا جبير أن تكون إذا خرجت سفرا من أمثل أصحابك هيئه و أكثرهم زادا قلت نعم بأبى أنت و أمى يا رسول الله قال فاقراً هذه السور الخمس قل يا أيها الكافرون و إذا جاء نصر الله و الفتح و قل هو الله أحد و قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس و افتتح قراءتك بيسم الله الرحمن الرحيم قال جبير و كنت غير كثير المال و كنت أخرج مع من شاء الله أن أخرج فأكون أكثرهم همه و أمثلهم زادا حتى أرجع من سفرى ذلك

و عن

فروه بن نوفل الأشجعى عن أبيه أنه أتى النبى ص فقال جئت يا رسول الله لتعلمنى شيئاً أقوله عند منامى قال إذا أخذت مضجعك فاقراً قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمها فإنها براءه من الشرك.

شعيب الحداد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال كان أبى يقول قل يا أيها الكافرون ربع القرآن و كان إذا فرغ منها قال أعبد الله وحده أعبد الله وحده.

و

عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا قلت «لا أعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ» فقل و لكنى أعبد الله مخلصاً له دينى فإذا فرغت منها فقل دينى الإسلام ثلاث مرات.

و

عن الحسين بن أبى العلاء قال من قرأ قل يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد فى فريضه من الفرائض غفر الله له و لوالديه و ما

ولدا و إن كان شقيا محى من ديوان الأشقياء و كتب فى ديوان السعداء و أحياه الله سعيد و أماته شهيدا و بعثه شهيدا.

تفسيرها

ذكر سبحانه فى تلك السوره أن أعداءه عابوه بأنه أبتز فرد ذلك عليهم و ذكر فى هذه السوره أنهم سألوه المداهنه فأمره بالبراءه منهم فقال:

ص: ٤١٦

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤)

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ (٦)

القرءاءه

قرأ نافع و ابن كثير و حفص عن عاصم «لِي دِينِ» بفتح الياء و الباقون بسكون الياء.

الحججه

إسكان الياء من و لِي و فتحها جميعا حسنان سائغان.

الإعراب

«وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» كان الوجه من أعبد و لكنه جاء بما ليطابق ما قبله و ما بعده و قيل إن ما هاهنا بمعنى من و العائد من الصلته إلى الموصول في الجميع محذوف و التقدير ما تعبدون و ما أعبد و ما عبدتموه.

النزول

نزلت السوره في نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي و العاص ابن أبي وائل و الوليد بن المغيره و الأسود بن عبد يغوث الزهري و الأسود بن المطلب بن أسد و أميه بن خلف قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك و نشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنه و نعبد إلهك سنه فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه و أخذنا بحظنا منه و إن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا و أخذت بحظك منه فقال ص معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك و نعبد إلهك فقال حتى أنظر ما يأتي من عند ربي فنزل قل يا أيها الكافرون السوره فعديل رسول الله ص إلى المسجد الحرام و فيه الملاء من قريش فقام على رءوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السوره فأيسوا عند ذلك فأذوه و آذوا أصحابه قال ابن عباس و فيهم نزل قوله قُلْ أَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ.

المعنى

خاطب سبحانه النبي ص فقال «قُلْ» يا محمد «يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» يريد قوما معينين لأن الألف و اللام للعهد «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» أي لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم و في هذه الحال «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أي إلهي الذي أعبده اليوم و في هذه الحال أيضا

«وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» فيما بعد اليوم «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» فيما بعد اليوم من الأوقات المستقبله عن ابن عباس و مقاتل قال الزجاج: نفى رسول الله ص بهذه السوره عباده آلهتهم عن نفسه فى الحال و فيما يستقبل و نفى عنهم عباده الله فى الحال و فيما يستقبل و هذا فى قوم أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤمنون كقوله سبحانه فى قصه نوح (عليه السلام) أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنِ قَدْ آمَنَ و قيل أيضا فى وجه التكرار إن القرآن نزل بلغه العرب و من عادتهم تكرير الكلام للتأكيد و الأفهام فيقول المجيب بلى بلى و يقول الممتنع لا لا عن الفراء قال و مثله قوله تعالى كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ و أنشد:

و كائن و كم عندى لهم من صنيعه أياذى ثنوها على و أوجبوا

و أنشد:

كم نعمه كانت لكم كم كم كم كم و كم

و قال آخر:

نعق الغراب بين ليلى غدوه كم كم و كم بفراق ليلى ينعق

و قال آخر:

" هلا سألت جموع كنده يوم و لو أين أينا "

و قال آخر:

أردت لنفسى بعض الأمور فأولى لنفسى أولى لها

و قال و هذا أولى المواضع بالتأكيد لأن الكافرين أبدوا فى ذلك و أعادوا فكرر سبحانه ليؤكد أيأسهم و حسم أطماعهم بالتكرير و قيل أيضا فى ذلك أن المعنى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها و لا أنتم عابدون الله الذى أنا عابده إذا أشركتم به و اتخذتم الأصنام و غيرها تعبدونها من دونه و إنما يعبد الله من أخلص العباده له «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» أى لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أى و ما تعبدون عبادتى على نحو ما ذكرناه فأراد فى الأول المعبود و فى الثانى العباده فإن قيل أما اختلاف المعبودين فمعلوم فما معنى اختلاف العباده (قلنا) إنه يعبد الله على وجه الإخلاص و هم يشركون به فى عبادته فاختلفت العبادتان و لأنه كان يتقرب إلى عبادته إلى معبوده بالأفعال المشروعه الواقعه على وجه العباده و هم لا يفعلون

ذلك و إنما يتقربون إليه بأفعال يعتقدونها قربه جهلا من غير شرع «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه لكم جزاء دينكم و لى جزاء دينى فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه (و ثانيها) أن المعنى لكم كفركم بالله و لى دين التوحيد و الإخلاص و هذا و إن كان ظاهره إباحه فإنه وعيد و تهديد و مبالغه فى النهى و الزجر كقوله اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ (و ثالثها) أن الدين الجزاء و معناه لكم جزاؤكم و لى جزائى قال الشاعر:

إذا ما لقونا لقيناهم و دناهم مثل ما يقرضونا

و قد تضمنت السوره معجزه لنبينا ص من جهه الإخبار بما يكون فى الأوقات المستقبلة مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله سبحانه العالم بالغيوب فكان ما أخبر به كما أخبر و فيها دلالة على ذم المداهنه فى الدين و وجوب مخالفه الكفار و المبطلين و البراءه منهم و

روى داود بن الحصين عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا قرأت «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» فقل أيها الكافرون و إذا قلت «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» فقل أعبد الله وحده و إذا قلت «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ» فقل ربي الله و دينى الإسلام.

ص: ٤١٩

(١١٠) سورة النصر مدنيه و آياتها ثلاث (٣)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و هي ثلاث آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله ص فتح مكه

و

روى كرام الخنعمى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إذا جاء نصر الله و الفتح فى نافله أو فريضه نصره الله على جميع أعدائه و جاء يوم القيامة و معه كتاب ينطق قد أخرجه الله من جوف قبره فيه أمان من حر جهنم و من النار و من زفير جهنم يسمعه بأذنيه فلا تمر على شىء يوم القيامة إلا بشره و أخبره بكل خير حتى يدخل الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر الدين و افتتح هذه السوره بظهور الدين فقال:

[سورة النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

الإعراب

مفعول جاء محذوف و التقدير إذا جاءك نصر الله و جواب إذا محذوف و التقدير إذا جاء نصر الله حضر أجلك و قيل جوابه الفاء فى قوله فسبح و أفواجا منصوب على الحال.

ص: ٤٢٠

«إِذَا جَاءَ» يا محمد «نَصِيرُ اللَّهِ» على من عاداك و هم قريش «وَالْفَتْحُ» فتح مكة و هذه بشاره من الله سبحانه لنبيه ص بالنصر و الفتح قبل وقوع الأمر «وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» أى جماعه بعد جماعه و زمرة بعد زمرة و المراد بالدين الإسلام و التزام أحكامه و اعتقاد صحته و توطين النفس على العمل به قال الحسن: لما فتح رسول الله ص مكة قالت العرب أما إذا ظفر محمد ص بأهل الحرم و قد أجارهم الله من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان أى طاقه فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا أى جماعات كثيره بعد أن كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا أو اثنين فصارت القبيله تدخل بأسرها فى الإسلام و قيل فى دين الله أى فى طاعه الله و طاعتك و أصل الدين الجزاء ثم يعبر به عن الطاعه التى يستحق بها الجزاء كما قال سبحانه فى دِينِ الْمَلَائِكَةِ أى فى طاعته «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِذْ بِهِ» هذا أمر من الله سبحانه بأن ينزه عمالا يليق به من صفات النقص و أن يستغفره و وجه وجوب ذلك بالنصر و الفتح أن النعمه تقتضى القيام بحقها و هو شكر المنعم و تعظيمه و الائتمار بأوامره و الانتهاء عن معاصيه فكانه قال قد حدث أمر يقتضى الشكر و الاستغفار و إن لم يكن ثم ذنب فإن الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصيه بما ينافى الإصرار و قد يكون على وجه التسييح و الانقطاع إلى الله عز و جل «إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» يقبل توبه من بقى كما قبل توبه من مضى

قال مقاتل لما نزلت هذه السوره قرأها ص على أصحابه ففرحوا و استبشروا و سمعها العباس فبكى فقال ص: ما يبكيك يا عم فقال أظن أنه قد نعت إليك نفسك يا رسول الله فقال: إنه لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رأى فيهما ضاحكا مستبشرا

قال و هذه السوره تسمى سوره التوديع و قال ابن عباس: لما نزلت إذا جاء نصر الله قال: نعت إلى نفسى بأنها مقبوضه فى هذه السنه و اختلف فى أنهم من أى وجه علموا ذلك و ليس فى ظاهره نعى فقيل لأن التقدير فسبح بحمد ربك فإنك حينئذ لاحق بالله و ذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل و عند الكمال يرقب الزوال كما قيل

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

و قيل لأنه سبحانه أمره بتجديد التوحيد و استدراك الفائت بالاستغفار و ذلك مما يلزم عند الانتقال من هذه الدار إلى دار الأبرار و

عن عبد الله مسعود قال: لما نزلت السوره كان النبى ص يقول كثيرا سبحانهك اللهم و بحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم

و

عن أم سلمه قالت: كان رسول الله ص بالآخره لا يقوم و لا يقعد و لا يجىء و لا يذهب إلا قال سبحانه الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه فسألناه عن ذلك فقال ص إنى أمرت بها ثم قرأ إذا

فى روايه عائشه: أنه كان يقول سبحانك اللهم و بحمدك أستغفرك و أتوب إليك.

[حديث فتح مكه]

لما صالح رسول الله ص قريشا عام الحديبيه كان فى أشراطهم أنه من أحب أن يدخل فى عهد رسول الله ص أدخل فيه فدخلت خزاعه فى عقد رسول الله ص و دخلت بنو بكر فى عقد قريش و كان بين القبيلتين شر قديم ثم وقعت فيما بعد بين بنى بكر و خزاعه مقاتله و رفدت قريش بنى بكر بالسلاح و قاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا و كان ممن أعان بنى بكر على خزاعه بنفسه عكرمه بن أبى جهل و سهيل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله ص المدينه و كان ذلك مما هاج فتح مكه فوقف عليه و هو فى المسجد بين ظهراى القوم فقال:

لا هم إنى ناشد محمدا حلف أينا و أبيه الأتلا

إن قريشا أخلفوك الموعدا و نقضوا ميثاقتك المؤكدا

و قتلونا ركعا و سجدا

فقال رسول الله: حسبك يا عمرو ثم قام فدخل دار ميمونه و قال: اسكبى لى ماء فجعل يغتسل و هو يقول لا نصرت أن لم أنصر بنى كعب و هم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعه حتى قدموا على رسول الله ص فأخبروه بما أصيب منهم و مظاهره قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكه و قد كان ص قال للناس كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد و يزيد فى المده و سيلقى بديل بن ورقاء فلقوا أبا سفيان بعسفان و قد بعثته قريش إلى النبى ص ليشدد العقد فلما لقى أبو سفيان بدिला قال: من أين أقبلت يا بديل قال: سرت فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى قال: ما أتيت محمدا قال: لا فلما راح بديل إلى مكه قال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينه لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته و أخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ص فقال: يا محمد احقن دم قومك و أجر بين قريش و زدنا فى المده فقال ص: أ غدرتم يا أبا سفيان قال: لا قال ص: فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقى أبا بكر فقال: أجر بين قريش قال: ويحك واحد يجير على رسول الله ص ثم لقى

عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على أم حبيبه فذهب ليجلس على الفراش فأهوت إلى الفراش فطوته فقال: يا بنيه أربب بهذا الفراش عنى فقالت نعم هذا فراش رسول الله ص ما كنت لتجلس عليه و أنت رجس مشرك ثم خرج فدخل على فاطمه (عليه السلام) فقال: يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش و تزيدين فى المده فتكونين أكرم سيده فى الناس فقالت: جوارى جوار رسول الله ص قال: أ تأمرين ابنيك أن يجيرا بين الناس قالت: و الله ما بلغ ابناى أن يجيرا بين الناس و ما يجير على رسول الله ص أحد فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى فقال على (عليه السلام): إنك شيخ قريش فقم على باب المسجد و أجر بين قريش ثم الحق بأرضك قال و ترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال: لا و الله ما أظن ذلك و لكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال يا أيها الناس إنى قد أجزت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك فأخبرهم بالقصه فقالوا: و الله إن زاد على بن أبى طالب على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت قال: لا و الله ما وجدت غير ذلك قال: فأمر رسول الله ص بالجهاز لحرب مكه و أمر الناس بالتهيئه و قال: اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها و كتب حاطب بن أبى بلتعه إلى قريش فأتى رسول الله ص الخبر من السماء فبعث عليا (عليه السلام) و الزبير حتى أخذ كتابه من المرأه و قد مضت هذه القصه فى سورة الممتحنه ثم استخلف رسول الله ص أبا ذر الغفارى و خرج عامدا إلى مكه لعشر مضمين من شهر رمضان سنه ثمان فى عشره آلاف من المسلمين و نحو من أربعمائه فارس و لم يتخلف من المهاجرين و الأنصار عنه أحد و قد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و عبد الله بن أميه بن المغيره قد لقيا رسول الله ص بنى العقاب فيما بين مكه و المدينه فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته أم سلمه فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك و ابن عمك و صهرك قال: لا حاجه لى فيهما أما ابن عمى فهتك عرضى و أما ابن عمتى و صهرى فهو الذى قال لى بمكه ما قال فلما خرج الخبر إليهما بذلك و مع أبى سفيان بنى له فقال: و الله ليأذن لى أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا و جوعا فلما بلغ ذلك رسول الله ص رق لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما فلما نزل رسول الله ص من الظهران و قد غمت الأخبار عن قريش فلا- يأتهم عن رسول الله ص خبر خرج فى تلك الليله أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار و قد قال العباس ليلتئذ يا سوء صباح قريش و الله لئن بغتها رسول الله فى بلادها فدخل مكه عنوه أنه لهلاك

قريش إلى آخر الدهر فخرج على بغله رسول الله و قال أخرج إلى الأراك لعلى أرى خطابا أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكة
فنخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال العباس:

فو الله إنى لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبى سفيان و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء و سمعت
أبا سفيان يقول: و الله ما رأيت كالليله قط نيرانا فقال بديل: هذه نيران خزاعه فقال أبو سفيان: خزاعه الأم من ذلك قال فعرفت
صوته فقلت يا أبا حنظله يعنى أبا سفيان فقال أبو الفضل فقلت نعم قال ليبيك فداك أبى و أمى ما وراك هذا رسول الله
وراءك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشره آلاف من المسلمين قال فما تأمرنى فقلت تركب هذه البغله فاستأمن لك رسول
الله ص فو الله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفنى فخرجت أركض به بغله رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا
هذا عم رسول الله ص على بغله رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال يعنى عمر يا أبا سفيان الحمد لله الذى أمكن
منك بغير عهد و لا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ص و ركضت البغله حتى اقتحمت باب القبه و سبقت عمر بما يسبق به الدابه
البطيئه الرجل البطىء فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد و لا عقد فدعنى أضرب
عنقه فقلت يا رسول الله إنى قد أجرته ثم إنى جلست إلى رسول الله ص و أخذت برأسه و قلت و الله لا يناجيه اليوم أحد دونى
فلما أكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر فو الله ما يصنع هذا الرجل إلا أنه رجل من آل بنى عبد مناف و لو كان من عدى بن كعب ما
قلت هذا قال مهلا يا عباس فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم فقال ص اذهب فقد أمناه
حتى تغدو به على فى الغداه قال: فلما أصبح غدوت به على رسول الله ص فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن
تعلم أن لا- إله إلا- الله فقال بأبى أنت و أمى ما أوصلك و أكرمك و أرحمك و أحلمك و الله لقد ظننت أن لو كان معه إله
لأغنى يوم بدر و يوم أحد فقال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال بأبى أنت و أمى أما هذه فإن فى
النفس منها شيئا قال العباس فقلت له ويحك اشهد بشهاده الحق قبل أن يضرب عنقك فتشهد فقال ص للعباس انصرف يا عباس
فاحبسه عند مضيق الوادى حتى تمر عليه جنود الله قال: فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادى و مر عليه القبائل قبيله قبيله و هو
يقول من هؤلاء و أقول أسلم و جهينه و فلان حتى مر رسول الله ص فى الكتيبه الخضراء من المهاجرين و الأنصار فى الحديد لا
يرى منهم إلا الحدق فقال من هؤلاء يا أبا الفضل قلت هذا رسول الله ص فى المهاجرين و الأنصار فقال يا أبا الفضل لقد أصبح
ملك ابن أخيك عظيما فقلت ويحك إنها النبوه فقال نعم إذا و جاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء رسول الله ص و أسلما

و بايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ص بين يديه إلى قريش يدعونهم إلى الإسلام و قال من دخل دار أبي سفيان و هي بأعلى مكة فهو آمن و من دخل دار حكيم و هي بأسفل مكة فهو آمن و من أغلق بابيه و كف يده فهو آمن و لما خرج أبو سفيان و حكيم من عند رسول الله ص عامدين إلى مكة بعث في إثرهما الزبير بن العوام و أمره على خيل المهاجرين و أمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون و قال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله ص مكة و ضربت هناك خيمته و بعث سعد بن عباده في كتيبه الأنصار في مقدمته و بعث خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضائه و بنى سليم و أمره أن يدخل أسفل مكة و يغرز رايته دون البيوت و أمرهم رسول الله ص جميعا أن يكفوا أيديهم و لا يقاتلوا إلا من قاتلهم و أمرهم بقتل أربعه نفر عبد الله بن سعد بن أبي سرح و الحويرث بن نفيل و ابن خطل و مقبس بن ضبابه و أمرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ص و قال اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبه فقتل على (عليه السلام) الحويرث بن نفيل و إحدى القينتين و أفلتت الأخرى و قتل مقبس بن ضبابه في السوق و أدرك ابن خطل و هو متعلق بأستار الكعبه فاستبق إليه سعيد بن حريث و عمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا فقتله قال و سعى أبو سفيان إلى رسول الله ص و أخذ غرزه أي ركابه فقبله ثم قال بأبي أنت و أمي أما تسمع ما يقول سعد إنه يقول

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمه

فقال ص لعلي (عليه السلام) أدركه فخذ الرايه منه و كن أنت الذي يدخل بها و أدخلها إدخالا رفيقا فأخذها على (عليه السلام) و أدخلها كما أمر و لما دخل رسول الله ص مكة دخل صناديد قريش الكعبه و هم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم و أتى رسول الله و وقف قائما على باب الكعبه فقال: لا إله إلا الله وحده و أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده ألا أن كل مال أو مأثره و دم تدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانه الكعبه و سقايه الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما ألا أن مكة محرمه بتحريم الله لم تحل لأحد كان قبلي و لم تحل لى إلا ساعه من نهار و هي محرمه إلى أن تقوم الساعه لا يختلى خلاها و لا يقطع شجرها و لا يفر صيدها و لا تحل لقطتها إلا لمنشد ثم قال ألا لبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتهم و طردتم و أخرجتم و آذيتهم ثم ما رضيتهم حتى جئتموني في بلادى تقاتلوننى فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكأنما أنشروا من القبور و دخلوا في الإسلام و كان الله سبحانه أمكنه من رقابهم عنوه فكانوا له فيئا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء و جاء ابن الزبعرى إلى رسول الله ص و أسلم و قال:

يا رسول الإله إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

ص: ٤٢٥

إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى و من مال ميله مشبور

أمن اللحم و العظام لربى ثم نفسى الشهيد أنت النذير

و عن ابن مسعود قال: دخل النبى ص يوم الفتح و حول البيت ثلاثمائة و ستون صنما فجعل يطعنهما بعود فى يده و يقول جاء الحق و ما يبدئ الباطل و ما يعيد جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا و عن ابن عباس قال: لما قدم النبى ص إلى مكة أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة فأمر بها فأخرجت صورته إبراهيم و إسماعيل (عليه السلام) و فى أيديهما الأزلام فقال ص: قاتلهم الله أما و الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط.

ص: ٤٢٦

(١١١) سورة المسد مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

و تسمى أيضا سورة أبي لهب و تسمى سورة المسد مكيه.

عدد آياتها

خمس آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها رجوت أن لا يجمع الله بينه و بين أبى لهب فى دار واحده

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا قرأتم تبّت فادعوا على أبى لهب فإنه كان من المكذبين بالنبى ص و بما جاء به من عند الله.

تفسيرها

ذكر سبحانه فى تلك السوره وعده بالنصر و الفتح ثم بين فى هذه السوره ما كفاه الله من أمر أبى لهب فقال:

[سورة المسد (١١١): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤)

فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ (٥)

القراءه

قرأ ابن كثير أبى لهب ساكنه الهاء و الباقون بفتحها و اتفقوا فى «ذات لَهَبٍ» أنها مفتوحه الهاء لو فاق الفواصل و قرأ عاصم «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» بالنصب و الباقون بالرفع و روى

عن البرجمي سيصلى بضم الياء و هي قراءه أشهب العقيلي و أبي رجاء و في الشواذ قراءه ابن مسعود و مريثه حماله للحطب في جيدها حبل من مسد.

الحجبه

قال أبو علي يشبه أن يكون لهب و لهب لغتين كالشمع و الشمع و النهر و النهر و اتفاقهم في الثانيه على الفتح يدل على أنه أوجه من الإسكان و كذلك قوله و لا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ و أما حماله الحطب فمن رفع جعله وصفا لقوله «و امرأته» و يدل على أن الفعل قد وقع كقولك مررت برجل ضارب عمرا أمس فهذا لا يكون إلا معرفه و لا يقدر فيه إلا الانفصال كما يقدر في هذا النحو إذا لم يكن الفعل واقعا و أما ارتفاع امرأته فيحتمل وجهين (أحدهما) العطف على فاعل سيصلى التقدير سيصلى نارا هو و امرأته إلا أن الأحسن أن لا يؤكد لما جرى من الفصل بينهما و يكون «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» على هذا وصفا لها و يجوز في قوله «في جيدها» أن يكون في موضع حال و فيها ذكر منها و يتعلق بمحذوف و يجوز فيه وجه آخر و هو أن يرتفع امرأته بالابتداء و حماله وصف لها و في جيدها خبر المبتدأ و أما النصب في «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» فعلى الذم لها كأنها كانت اشتهرت بذلك فجرت الصفه عليها للذم لا للتخصيص و التخليص من موصوف غيرها و قوله «حَبْلٌ» معناه غليظ. رجل حبل الوجه و حبل الرأس.

اللغه

التب و التباب الخسران المؤدى إلى الهلاك و المسد الحبل من الليف و جمعه أمساد قال:

و مسد أمر من أياق ليس بأنياب و لا حقائق

. النزول

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سعد رسول الله ص ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فأقبلت إليه قريش فقالوا له ما لك فقال أ رأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أ ما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك لهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله هذه السوره أورده البخارى في الصحيح.

المعنى

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ» أى خسرت يدها و خسر هو عن مقاتل و إنما قال خسرت يدها لأن أكثر العمل يكون باليد و المراد خسر عمله و خسرت نفسه بالوقوع في النار و قيل أن اليد هنا صله كقولهم يد الدهر و يد السنه قال:

" و أيدي الرزايا بالدخائر مولع "

و قيل معناه صفرت يدها من كل خير قال الفراء: الأول دعاء و الثاني خبر فكأنه قال أهلكه الله

وقد هلك و في حرف عبد الله و أبى و قد تب و قيل أن الأول أيضا خبر و معناه أنه لم تكتسب يده خيرا قط و خسر مع ذلك هو نفسه أى تب على كل حال و أبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ص و كان شديد المعاداة و المناصبه له

قال طارق المحاربي: بينا أنا بسوق ذى المجاز إذا أنا بشاب يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا و إذا برجل خلفه يرميه قد آدمى ساقيه و عرقويه و يقول يا أيها الناس أنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم أنه نبى و هذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب

و إنما ذكر سبحانه كنيته دون اسمه لأنها كانت أغلب عليه و قيل لأن اسمه عبد العزى فكره الله سبحانه أن ينسبه إلى العزى و أنه ليس بعبد لها و إنما هو عبد الله و قيل بل اسمه كنيته و إنما سمي بذلك لحسنه و إشراق وجهه و كانت وجنتاه كأنهما تلتهبان عن مقاتل «ما أغنى عنه ماله و ما كسب» أى ما نفعه و لا دفع عنه عذاب الله ماله و ما كسبه و يكون ما فى قوله «و ما كَسَبَ» موصوله و الضمير العائد من الصلة محذوف و قيل معناه أى شىء أغنى عنه ماله و ما كسب يعنى ولده لأن ولد الرجل من كسبه و ذلك أنه قال لما أنذره النبي ص بالنار إن كان ما تقول حقا فإنى أفتدى بمالى و ولدى ثم أنذره سبحانه بالنار فقال «سَيَصِيلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ» أى سيدخل نارا ذات قوه و اشتعال تلتهب عليه و هى نار جهنم و فى هذا دلالة على صدق النبي ص و صحه نبوته لأنه أخبر أن أبا لهب يموت على كفره و كان كما قال «و امرأته» و هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان «حَمَالَه الحُطَبِ» كانت تحمل الشوك و العضاه فتطرحه فى طريق رسول الله ص إذا خرج إلى الصلاة ليعقره عن ابن عباس و فى روايه الضحاك قال الربيع بن أنس كانت تبث و تنشر الشوك على طريق الرسول فيطأه كما يطأ أحدكم الحرير و قيل أنها كانت تمشى بالنميمة بين الناس فتلقى بينهم العداوه و توقد نارها بالتهيج كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطبا عن ابن عباس فى روايه أخرى و قتاده و مجاهد و عكرمه و السدى قالت العرب فلان يحطب على فلان إذا كان يغرى به قال

" و لم يمش بين الحى بالحطب الرطب "

أى لم يمش بالنميمة و قيل حماله الحطب معناه حماله الخطايا عن سعيد بن جبير و أبى مسلم و نظيره قوله وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» أى فى عنقها حبل من ليف و إنما وصفها بهذه الصفة تخسيسا لها و تحقيرا و قيل حبل يكون له خشونه الليف و حراره النار و ثقل الحديد يجعل فى عنقها زياده فى عذابها و قيل فى عنقها سلسله من حديد طولها سبعون ذراعا تدخل من فيها و تخرج من دبرها و تدار على عنقها فى النار عن ابن عباس و عروه بن الزبير و سميت السلسله مسدا بمعنى أنها ممسوده أى مفتوله و قيل أنها كانت لها قلاده فاخره من جوهر فقالت لأنفقتها فى عداوه محمد فيكون عذابا يوم القيامة فى عنقها عن سعيد بن المسيب و يروى عن أسماء

بنت أبي بكر قالت لما نزلت هذه السوره أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب و لها ولوله و فى يدها فهر و هى تقول

" مذمما أينا. و دينه قلينا

و أمره عصينا"

و النبى ص جالس فى المسجد و معه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت و أنا أخاف أن تراك قال رسول الله ص إنها لن ترانى و قرأ قرآنا فاعتصم به كما قال و إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا فوقفت على أبي بكر و لم تر رسول الله ص فقالت يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجانى فقال لا و رب البيت ما هجاك فقلت و هى تقول " قريش تعلم إنى بنت سيدها"

و روى أن النبى ص قال صرف الله سبحانه عنى أنهم يذمون مذمما و أنا محمد

و متى قيل كيف يجوز أن لا ترى النبى ص و قد رأته غيره فالجواب يجوز أن يكون الله قد عكس شعاع عينيها أو صلب الهواء فلم ينفذ فيه الشعاع أو فرق الشعاع فلم يتصل بالنبى ص

و روى أن النبى ص قال ما زال ملك يسترنى عنها

و إذا قيل هل كان يلزم أبا لهب الإيمان بعد هذه السوره و هل كان يقدر على الإيمان و لو آمن لكان فيه تكذيب خير الله سبحانه بأنه سيصلى نارا ذات لهب فالجواب أن الإيمان يلزمه لأن تكليف الإيمان ثابت عليه و إنما توعدده الله بشرط أن لا يؤمن أ لا ترى إلى قوله سبحانه فى قصه فرعون «آلآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» و فى هذا دلالة على أنه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه و لهذا خص رد التوبه عليه بذلك الوقت و أيضا فلو قدرنا أن أبا لهب سأل النبى ص قال لو آمنت هل أدخل النار لكان ص يقول له لا و ذلك لعدم الشرط.

ص: ٤٣٠

(١١٢) سورة الإخلاص مكيه و آياتها أربع (٤)

إشاره

[توضيح]

مكيه و قيل مدنيه و سميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلا التوحيد و كلمه التوحيد تسمى كلمه الإخلاص و قيل إنما سميت بذلك لأن من تمسك بما فيها اعتقادا و إقرارا كان مؤمنا مخلصا و قيل لأن من قرأها على سبيل التعظيم أخلصه الله من النار أى أنجاه منها و تسمى أيضا سورة الصمد و تسمى أيضا بفاتحتها و تسمى أيضا نسبه الرب و

روى فى الحديث لكل شىء نسبه و نسبه الرب سورة الإخلاص

و

فى الحديث أيضا أنه كان يقول لسورتى قل يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد المقشقتان

سميتا بذلك لأنهما يبرئان من الشرك و النفاق يقال تقشش المريض من علقته إذا أفاق و برأ و قشقه أبرأه كما يقشش الهناء الجرب.

عدد آياتها

خمس آيات مكي شامى أربع فى الباقيين.

اختلافها

آيه «لَمْ يَلِدْ» مكي شامى.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن و أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

و

عن أبى الدرداء عن النبى ص قال أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليله قلت يا رسول الله و من يطيق ذلك قال اقرأوا قل هو الله أحد

و

عن أنس عن النبي ص قال من قرأ قل هو الله أحد مره بورك عليه فإن قرأها مرتين بورك عليه و على أهله فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه و على أهله و على جميع جيرانه فإن قرأها اثنتى عشره مره بنى له اثنا عشر قصرًا فى الجنة فتقول الحفظه انطلقوا بنا ننظر إلى قصر أختينا فإن قرأها مائه مره كفر عنه ذنوب خمس و عشرين سنه ما خلا- الدماء و الأموال فإن قرأها أربعمائه كفر عنه ذنوب أربعمائه سنه فإن قرأها ألف مره لم يمت حتى

ص: ٤٣١

يرى مكانه من الجنة أو يرى له

و

عن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل إلى النبي ص فشكا إليه الفقر و ضيق المعاش فقال له رسول الله ص إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد و إن لم يكن فيه أحد فسلم و اقرأ قل هو الله أحد مره واحده ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقا حتى أفاض على جيرانه.

السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن رسول الله ص صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال ص لقد وافى من الملائكه سبعون ألف ملك و فيهم جبرائيل (عليه السلام) يصلون عليه فقلت يا جبرائيل بم استحق صلاتكم عليه قال بقراءه قل هو الله أحد قاعدا و قائما و راكبا و ماشيا و ذاهبا و جائيا.

منصور بن حازم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من مضى به يوم واحد فصلى فيه الخمس صلوات و لم يقرأ فيها بقل هو الله أحد قيل له يا عبد الله لست من المصلين.

إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من مضت عليه جمعه و لم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات مات على دين أبي لهب.

هارون بن خارجه عنه ص قال من أصابه مرض أو شده فلم يقرأ في مرضه أو شدته بقل هو الله أحد ثم مات في مرضه أو في تلك الشده التي نزلت به فهو من أهل النار.

أبو بكر الحضرمي عنه ص قال من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد فإنه من قرأها جمع له خير الدنيا و الآخرة و غفر الله له و لوالديه و ما ولدا.

عبد الله بن حجر قال سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشره مره في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب و أرغم أنف الشيطان.

إبراهيم بن مهزم عن سمع أبا الحسن (عليه السلام) يقول من قدم قل هو الله أحد بينه و بين كل جبار منعه الله منه يقرؤها بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره و منعه شره و قال إذا خفت أمرا فاقرا مائة آيه من القرآن حيث شئت ثم قل اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرات.

عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال قال رسول الله ص من قرأ قل هو الله أحد مائة مره حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنه.

تفسيرها

لما ذم سبحانه أعداء أهل التوحيد في السوره المتقدمه ذكر في هذه السوره بيان التوحيد فقال:

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

ص: ٤٣٢

قرأ أبو عمرو أحد الله الصمد بغير تنوين الدال من أحد و

روى عنه (عليه السلام) أنه كان يقول «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثم يقف فإن وصل قال أحد الله

و زعم أن العرب لم تكن تصل مثل هذا و الباقون «أَحَدُ اللَّهِ» بالتنوين و قرأ إسماعيل عن نافع و حمزه و خلف و رويس كَفُؤًا ساكنه الفاء مهموزه و قرأ حفص «كُفُؤًا» مضمومه الفاء مفتوحه الواو و غير مهموزه و قرأ الباقون كَفُؤًا بالهمزه و ضم الفاء.

الحجه

قال أبو علي: من قرأ «أَحَدُ اللَّهِ» فوجهه بين و ذلك أن التنوين من أحد ساكن و لام المعرفه من الاسم ساكن فلما التقى الساكنان حرك الأول منهما بالكسر كما تقول اذهب اذهب و من قال أحد الله فحذف النون فإن النون قد شابهت حروف اللين في الآخر في أنها تزداد كما يزدن و في أنها تدغم فيهن كما يدغم كل واحد من الواو و الياء في الآخر و في أنها قد أبدلت منها الألف في الأسماء المنصوبه و في الخفيفه فلما شابهت حروف اللين أجريت مجراها في أن حذفت ساكنه لالتقاء الساكنين كما حذفت الألف و الواو و الياء لذلك في نحو رمى القوم و يغزو الجيش و يرمى القوم و من ثم حذفت ساكنه في الفعل في نحو لَمْ يَكُ* و فَلَا تَكُ في مِرْيَةٍ فحذفت في أحد الله لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف في نحو هذا زيد بن عمرو حتى استمر ذلك في الكلام و أنشد أبو زيد:

فالفيتة غير مستعجب و لا ذاكر الله إلا قليلا

و قال الشاعر:

كيف نومي على الفراش و لما تشمل أشأم غاره شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه و تبدى عن خدام العقيله العذراء

أما كفوا و «كُفُؤًا» فأصله الضم فخفف مثل طنّب و طنّب و عنق و عنق.

اللغه

أحد أصله وحد فقلبت الواو همزه و مثله أناه و أصله وناه و هو على ضربين (أحدهما) أن يكون اسما (و الآخر) أن يكون صفه فالاسم نحو أحد و عشرون يريد به الواحد و الصفه كما في قول النابغه:

كان رحلى و قد زال النهار بنا بنى الجليل على مستأنس وحد

و كذلك قولهم واحد يكون اسما كالكاهل و الغارب و منه قولهم واحد اثنان ثلاثه و تكون صفه كما فى قول الشاعر:

" فقد رجعوا كحى واحدنا "

و قد جمعوا أحدا الذى هو الصفه على أحد أن قالوا أحد و أحدان شبهوه بسلق و سلقان و نحوه قول الشاعر:

يحمى الصريمه أحدان الرجال له صيد و مجترئ بالليل هماس

فهذا جمع لأحد الذى يراد به الرفع من الموصوف و التعظيم له و أنه متفرد عن الشبه و المثل و قالوا هو أحد الأحد إذا رفع منه و عظم و قالوا أحد الأحدين و واحد الآحاد و حقيقه الواحد شىء لا ينقسم فى نفسه أو فى معنى صفته فإذا أطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد فى نفسه و إذا أجرى على موصوف فهو واحد فى معنى صفته فإذا قيل الجزء الذى لا يتجزأ واحد أريد أنه واحد فى نفسه و إذا قيل هذا الرجل إنسان واحد فهو واحد فى معنى صفته و إذا وصف الله تعالى بأنه واحد فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها أحد غيره نحو كونه قادرا لنفسه عالما حيا موجودا كذلك و الصمد السيد المعظم الذى يصمد إليه فى الحوائج أى يقصد و قيل هو السيد الذى ينتهى إليه السؤدد قال الأسدى:

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد بعمر و بن مسعود و بالسيد الصمد

و قال الزبرقان:

" و لا رهينه إلا السيد الصمد "

و قال رجل مصمد أى مقصود و كذلك بيت مصمد قال طرفه:

و إن يلتقى الحى الجميع تلاقنى إلى ذروه البيت الرفيع المصمد

و الكفو و الكفىء و الكفاء واحد و هو المثل و النظير قال النابغه:

لا تقذفنى بركن لا كفاء له و لو تأثفك الأعداء بالرمد

ص: ٤٣٤

و قال حسان:

و جبريل رسول الله منا و روح القدس ليس له كفاء

و قال آخر فى الكفىء:

أما كان عباد كفيئا لدارم بلى و لأبيات بها الحجرات

. الإعراب

قال أبو على «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» يجوز فى إعراب الله ضربان (أحدهما) أن يكون خبر مبتدأ و ذلك على قول من ذهب إلى أن هو كناية عن اسم الله تعالى ثم يجوز فى قوله «أَحَدٌ» ما يجوز فى قولك زيد أخوك قائم (و الآخر) على قول من ذهب إلى أن هو كناية عن القصة و الحديث فيكون اسم الله عنده مرتفعا بالابتداء و أحد خبره و مثله قوله تعالى فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا إلا أن هى جاءت على التأنيث لأن فى التفسير اسما مؤنثا و على هذا جاء فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ و إذا لم يكن فى التفسير مؤنث لم يؤنث ضمير القصة و قوله «اللَّهُ الصَّمِيدُ» الله مبتدأ و الصمد خبره و يجوز أن يكون الصمد صفة الله و الله خبر مبتدأ محذوف أى هو الله الصمد و يجوز أن يكون «اللَّهُ الصَّمِيدُ» خبرا بعد خبر على قول من جعل هو ضمير الأمر و الحديث «و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» قال أن له ظرف غير مستقر و هو متعلق بكان و كفوا منتصب بأنه خبر متقدم كما كان قوله تعالى وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كذلك و زعموا أن من البغداديين من يقول أن فى يكن من قوله «و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» ضميرا مجهولا و قوله «كُفُوًا» ينتصب على الحال و العامل فيها له و هذا إذا أفردته عن يكن كان معناه له أحد كفوا و إذا حمل على هذا لم يسغ و وجه ذلك أنه محمول على معنى النفى فكأنه لم يكن أحد له كفوا كما كان قولهم ليس الطيب إلا المسك محمولا على معنى النفى و لولا- حملة على المعنى لم يجز ألا- ترى أنك لو قلت زيدا إلا منطلق لم يكن كلاما فكما أن هذا محمول على المعنى كذلك «لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» محمول على المعنى و على هذا جاز أن يكون أحد فيه الذى يقع لعموم النفى و لولا ذلك لم يجز أن يقع أحد هذا فى الإيجاب فإن قلت أ يجوز أن يكون قوله تعالى «لَهُ» عندكم حالا على أن يكون المعنى و لم يكن كفوا له أحد فيكون له صفة للنكرة فلما قدم صار فى موضع الحال كقوله

" لعزه موحشا طلل قديم "

فإن سبويه قال إن ذلك يقل

ص: ٤٣٥

فى الكلام و إن كثر فى الشعر فإن حملته على هذا على استكراه كان غير ممتنع و العامل فى قوله «لَهُ» إذا كان حالا يجوز أن يكون أحد شيئين (أحدهما) يكن (و الآخر) أن يكون ما فى معنى كفوا من معنى المماثلة فإن قلت أن العامل فى الحال إذا كان معنى لم يتقدم الحال عليه فإن له لما كان على لفظ الظرف و الظرف يعمل فيه المعنى و إن تقدم عليه كقولك كل يوم لك ثوب كذلك يجوز فى هذا الظرف و ذلك من حيث كان ظرفا و فيه ضمير فى الوجهين يعود إلى ذى الحال و هو كفوا.

النزول

قيل أن المشركين قالوا لرسول الله ص أنسب لنا ربك فنزلت السوره عن أبى بن كعب و جابر و قيل أتى عامر بن الطفيل و أربد بن ربيعه أخو لبيد النبى ص و قال عامر إلى ما تدعوننا يا محمد فقال إلى الله فقال صفه لنا أ من ذهب هو أم من فضه أم من حديد أم من خشب فنزلت السوره و أرسل الله الصاعقه على أربد فأحرقته و طعن عامر فى خنصره فمات عن ابن عباس و قيل جاء أناس من أحبار اليهود إلى النبى ص فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعننا نؤمن بك فإن الله أنزل نعتة فى التوراه فنزلت السوره و هى نسبة الله خاصة عن الضحاك و قتاده و مقاتل و

روى محمد بن مسلم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أن اليهود سألو النبى ص فقالوا أنسب لنا ربك فمكث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت السوره.

و قريب منه ما ذكره القاضى فى تفسيره أن عبد الله بن سلام انطلق إلى رسول الله ص و هو بمكة فقال له رسول الله ص أنشدك بالله هل تجدنى فى التوراه رسول الله فقال أنعت لنا ربك فنزلت هذه السوره فقرأها النبى ص فكانت سبب إسلامه إلا أنه كان يكتم ذلك إلى أن هاجر النبى ص إلى المدينه ثم أظهر الإسلام.

المعنى

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» هذا أمر من الله عز اسمه لنبىه ص أن يقول لجميع المكلفين هو الله الذى تحق له العباده قال الزجاج: هو كناية عن ذكر الله عز و جل و معناه الذى سألتهم تبين نسبته هو الله أحد أى واحد و يجوز أن يكون المعنى الأمر الله أحد لا شريك له و لا نظير و قيل معناه واحد ليس كمثله شىء عن ابن عباس و قيل واحد فى الإلهيه و القدم و قيل واحد فى صفه ذاته لا يشركه فى وجوب صفاته أحد فإنه يجب أن يكون موجودا عالما قادرا حيا و لا- يكون ذلك واجبا لغيره و قيل واحد فى أفعاله لأن أفعاله كلها إحسان لم يفعلها لجر نفع و لا لدفع ضرر فاختص بالوحده من هذا الوجه إذ لا يشركه فيه سواه واحد فى أنه لا يستحق العباده سواه لأنه القادر على أصول النعم من الحياه و القدره و الشهوه و غير ذلك مما لا تكون النعمه نعمه إلا به و لا يقدر على شىء من ذلك غيره فهو أحد من هذه الوجوه الثلاثه

وقيل إنما قال أحد و لم يقل واحد لأن الواحد يدخل فى الحساب و يضم إليه آخر و أما الأحد فهو الذى لا يتجزأ و لا ينقسم فى ذاته و لا فى معنى صفاته و يجوز أن يجعل للواحد ثانيا و لا يجوز أن يجعل للأحد ثانيا لأن الأحد يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا- ترى أنك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان و لما قلت لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان و لا أكثر فهو أبلغ و

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) فى معنى «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» أى قل أظهر ما أوحينا إليك و ما نبأناك به بتأليف الحروف التى قرأناها عليك ليهتدى بها من ألقى السمع و هو شهيد

و هو اسم مكنى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت و الواو إشاره إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك هذا إشاره إلى الشاهد عند الحواس و ذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشاره إلى المشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسه بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذى تدعو إليه حتى نراه و ندركه و لا ناله فيه فأنزل الله سبحانه «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فالهاء تثبيت للثابت و الواو إشاره إلى الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس و أنه يتعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار و مبدع الحواس و

حدثنى أبى عن أبيه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال رأيت الخضر فى المنام قبل بدر بليله فقلت له علمنى شيئا أنتصر به على الأعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما أصبحت قصصت على رسول الله ص فقال يا على علمت الاسم الأعظم فكان على لسانى يوم بدر قال و قرأ (عليه السلام) يوم بدر «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو إلا هو اغفر لى و انصرنى على القوم الكافرين و كان يقول ذلك يوم صفين و هو يطارد فقال له عمار بن ياسر يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الأعظم و عماد التوحيد لله لا- إله إلا هو ثم قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم و آخر الحشر ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال قال و قال أمير المؤمنين (عليه السلام) الله معناه المعبود الذى يأله فيه الخلق و يؤله إليه الله المستور عن إدراك الأبصار المحجوب عن الأوهام و الخطرات

و

قال الباقر (عليه السلام) الله معناه المعبود الذى أله الخلق عن إدراك ماهيته و الإحاطه بكيفيته

و تقول العرب أله الرجل إذا تحير فى الشىء فلم يحط به علما و وله إذا فرغ إلى شىء قال و الأحد الفرد المتفرد و الأحد الواحد بمعنى واحد و هو المتفرد الذى لا نظير له و التوحيد الإقرار بالوحده و هو الانفراد و الواحد المبين الذى لا ينبعث من شىء و لا يتحد بشىء و من ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد و ليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله «اللَّهُ أَحَدٌ» أى المعبود الذى يسأله الخلق عن إدراكه و الإحاطه بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه.

«اللَّهُ الصَّمَدُ»

قال الباقر (عليه السلام) حدثنى أبى زين العابدين (عليه السلام) عن أبيه الحسين بن على

(عليه السلام) أنه قال الصمد الذى قد انتهى سؤدده و الصمد الدائم الذى لم يزل و لا يزال و الصمد الذى لا جوف له و الصمد الذى لا يأكل و لا يشرب و الصمد الذى لا ينام

و أقول أن المعنى فى هذه الثلاثة أنه سبحانه الحى الذى لا يحتاج إلى الطعام و الشراب و النوم

قال الباقر (عليه السلام) و الصمد السيد المطاع الذى ليس فوقه أمر و لا ناه

قال و كان محمد بن الحنفية يقول الصمد القائم بنفسه الغنى عن غيره و قال غيره الصمد المتعالى عن الكون و الفساد و الصمد الذى لا يوصف بالنظائر قال و

سئل على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) عن الصمد فقال الصمد الذى لا شريك له و لا يؤوده حفظ شىء و لا يعزب عنه شىء

و قال أبو البختري وهب بن وهب القرشى قال زيد بن على (عليه السلام) الصمد الذى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون و الصمد الذى أبداع الأشياء فخلقها أضداداً و أصنافاً و أشكالاً و أزواجاً و تفرد بالوحده بلا ضد و لا شكل و لا مثل و لا ند

قال وهب بن وهب و حدثني الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) عن أبيه الباقر (عليه السلام) إن أهل البصره كتبوا إلى الحسين بن على (عليه السلام) يسألونه عن الصمد فكتب إليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا فى القرآن و لا تجادلوا فيه و لا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدى رسول الله ص يقول من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار إن الله قد فسر سبحانه الصمد فقال «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»

«لَمْ يَلِدْ» لم يخرج منه شىء كثيف كالولد و لا سائر الأشياء الكثيفه التى تخرج من المخلوقين و لا شىء لطيف كالنفس و لا ينبعث منه البدوات كالسنه و النوم و الخطره و الغم و الحزن و البهجه و الضحك و البكاء و الخوف و الرجاء و الرغبه و السامه و الجوع و الشبع تعالى أن يخرج منه شىء و أن يتولد منه شىء كثيف أو لطيف «وَ لَمْ يُولَدْ» أى و لم يتولد من شىء و لم يخرج من شىء كما تخرج الأشياء الكثيفه من عناصرها كالشىء من الشىء و الدابه من الدابه و النبات من الأرض و الماء من الينابيع و الثمار من الأشجار و لا كما تخرج الأشياء اللطيفه من مراكزها كالبصر من العين و السمع من الأذن و الشم من الأنف و الذوق من الفم و الكلام من اللسان و المعرفه و التمييز من القلب و النار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذى لا من شىء و لا فى شىء و لا على شىء مبدع الأشياء و خالقها و منشىء الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته و يبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذى لم يلد و لم يولد عالم الغيب و الشهاده الكبير المتعال «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»

قال وهب بن وهب سمعت الصادق (عليه السلام) يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر (عليه السلام) فسأله عن مسائل فأجابهم عنها ثم سأله عن الصمد فقال تفسيره فيه الصمد خمسه أحرف (فالألف) دليل على انيته و هو قوله عز و جل «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و ذلك تنبيه و إشاره إلى الغائب عن درك الحواس (و اللام)

دليل على إلهيته بأنه هو الله والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع و يظهران في الكتابه دليلان على أن إلهيته بلطفه خافيه لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا أذن سامع لأن تفسير الإله هو الله الذى أله الخلق عن درك ماهيته و كفيته بحس أو بوهم لا بل هو مبدع الأوهام و خالق الحواس و إنما يظهر ذلك عند الكتابه فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته فى إبداع الخلق و تركيب أرواحهم اللطيفه فى أجسادهم الكثيفه و إذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لا- الصمد لا- يتبين و لا يدخل فى حاسه من حواسه الخمس فلما نظر إلى الكتابه ظهر له ما خفى و لطف فمتى تفكر العبد فى ماهيه البارئ و كفيته أله و تحير و لم تحط فكرته بشىء يتصور له لأنه تعالى خالق الصور و إذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز و جل خالقهم و مركب أرواحهم فى أجسادهم و أما (الصاد) فـ دليل على أنه سبحانه صادق و قوله صدق و كلامه صدق و دعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق و وعدنا بالصدق و أراد الصدق و أما (الميم) فـ دليل على ملكه و أنه الملك الحق المبين لم يزل و لا- يزال و لا- يزول ملكه و أما (الذال) فـ دليل على دوام ملكه و أنه دائم تعالى عن الكون و الزوال بل هو الله عز و جل مكون الكائنات الذى كان بتكوينه كل كائن ثم قال (عليه السلام) لو وجدت لعلمى الذى أتانى الله حملة لنشرت التوحيد و الإسلام و الدين و الشرائع من الصمد و كيف لى بذلك و لم يجد جدى أمير المؤمنين (عليه السلام) حملة لعلمه حتى كان يتنفس على الصعداء أو يقول على المنبر سلونى قبل أن تفقدونى فإن بين الجوانح منى علما جما هاه هاه ألا لا أجد من يحمله ألا و أن عليكم من الله الحجه البالغه فلا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخره كما يئس الكفار من أصحاب القبور

و

عن عبد خير قال سأل رجل عليا (عليه السلام) عن تفسير هذه السوره فقال قل هو الله أحد بلا تأويل عدد الصمد بلا تبويض بدد لم يلد فيكون موروثا هالكا و لم يولد فيكون إلها مشاركا و لم يكن له من خلقه كفوا أحد

و قال ابن عباس لم يلد فيكون والدا و لم يولد فيكون ولدا و قيل لم يلد ولدا فيرث عنه ملكه و لم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره و قيل لم يلد فيدل على حاجته فإن الإنسان يشتهى الولد لحاجته إليه و لم يولد فيدل على حدوثه و ذلك من صفه الأجسام و فى هذا رد على القائلين أن عزيرا و المسيح ابن الله و إن الملائكه بنات الله و لم يكن له كفوا أحد أى لم يكن له أحد كفوا أى عديلا و نظيرا يماثله و فى هذا رد على من أثبت له مثلا فى القدم و غيره من الصفات و قيل معناه و لم تكن له صاحبه و زوجه فتلد منه لأن الولد يكون من الزوجه فكفى عنها بالكفو لأن الزوجه تكون كفوا لزوجها و قيل إنه سبحانه بين التوحيد بقوله «اللَّهُ أَحَدٌ» و بين العدل بقوله «اللَّهُ الصَّمَدُ» و بين ما يستحيل عليه من الوالد و الولد بقوله «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُؤَلَدْ» و بين

ما لا

يجوز عليه من الصفات بقوله «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» وفيه دلالة على أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة وقال بعض أرباب اللسان وجدنا أنواع الشرك ثمانية النقص والتقلب والكثرة والعدد وكونه عله أو معلولا- والأشكال والأضداد فنفي الله سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ونفي التقلب والنقص بقوله «اللَّهُ الصَّمَدُ» ونفي العله والمعلول بقوله «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» ونفي الأشكال والأضداد بقوله «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فحصلت الوجدانيه البحث و

روى عمران بن الحصين أن النبي ص بعث سريه واستعمل عليها عليا (عليه السلام) فلما رجعوا سألهم عن علي (عليه السلام) فقالوا كل خير غير أنه كان يقرأ في أثناء كل صلاه بقل هو الله أحد فقال لم فعلت يا علي هذا فقال لحبي قل هو الله أحد فقال النبي ص ما أحببتها حتى أحبك الله عز وجل

و

يروى أن النبي ص كان يقف عند آخر كل آيه من هذه السوره

و

روى الفضيل بن يسار قال أمرني أبو جعفر أن أقرأ قل هو الله أحد و أقول إذا فرغت منها كذلك الله ربي ثلاثا.

ص: ٤٤٠

(١١٣) سورة الفلق مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

مدنيه فى أكثر الأفاويل و قيل مكيه.

عدد آياتها

خمس آيات بالإجماع.

فضلها

فى

حديث أبى و من قرأ (قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس) فكأنما قرأ جميع الكتب التى أنزلها الله على الأنبياء.

و

عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله ص أنزلت على آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان أوردته مسلم فى الصحيح.

و

عنه عن النبى ص قال يا عقبه ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن أو من أفضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلمنى المعوذتين ثم قرأ بهما فى صلاه الغداه و قال لى اقرأهما كلما قمت و نمت.

أبو عبيده الحذاء عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من أوتر بالمعوذتين و قل هو الله أحد قيل له يا عبد الله أبشر فقد قبل الله و ترك.

تفسيرها

ذم سبحانه أعداء الرسول ص فى سورة تبت ثم ذكر التوحيد فى سورة الإخلاص ثم ذكر سبحانه الاستعاذه فى السورتين فقال:

[سورة الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

ص: ٤٤١

أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف يفلقه فلقا و يقال أبين من فلق الصبح و فرق الصبح لأن عموده ينفلق بالضياء عن الظلام و الغاسق في اللغة الهاجم بضرره و هو هاهنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها و الهوام من مكامنها فيه يقال غسقت القرحة إذا جرى صديدها و منه الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب و غسقت عينه سال دمعها. التقوب الدخول و قب يقب و منه الوقبه النقره لأنه يدخل فيها النفث شبيهه بالنفخ و أما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث و التفل قال الفرزدق:

هما نفثا في في من فمويهما على النافث الغاوى أشد رجام

و الحاسد الذى يتمنى زوال النعمه عن صاحبها و إن لم يرد لها لنفسه فالحسد مذموم و الغبطه محموده و هى أن يريد من النعمه لنفسه مثل ما لصاحبه و لم يرد زوالها عنه.

النزول

قالوا أن لبيد بن أعصم اليهود سحر رسول الله ص ثم دس ذلك في بئر لبنى زريق فمرض رسول الله ص فبينما هو نائم إذا أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجليه فأخبراه بذلك و أنه في بئر دروان في جف طلعه تحت راعوفه و الجف قشر الطلع و الراعوفه حجر في أسفل البئر يقوم عليها الماتح فانتبه رسول الله ص و بعث عليا (عليه السلام) و الزبير و عمار فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخره و أخرجوا الجف فإذا فيه مشاطه رأس و أسنان من مشطه و إذا فيه معقد في إحدى عشره عقده مغروزه بالأبر فنزلت هاتان السورتان فجعل كلما يقرأ آيه انحلت عقده و وجد رسول الله ص خفه فقام فكأنما أنشط من عقال و جعل جبرائيل (عليه السلام) يقول باسم الله أرقيك من شر كل شىء يؤذيك من حاسد و عين الله تعالى يشفيك و رووا ذلك عن عائشه و ابن عباس

و هذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله و قد أبى الله سبحانه ذلك في قوله «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا و لكن يمكن أن يكون اليهودى أو بناته على ما روى اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه و أطلع الله نبيه ص على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج و كان ذلك دلالة على صدقه و كيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم و لو قدروا على ذلك لقتلوه و قتلوا كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم له.

المعنى

«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» هذا أمر من الله سبحانه لنبيه ص و المراد جميع أمته و معناه قل يا محمد اعتصم و امتنع برب الصبح و خالقه و مدبره و مطلعته متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» من الجن و الإنس و سائر الحيوانات و إنما سمي الصبح فلقا لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه و هذا

قول ابن عباس و جابر و الحسن و سعيد بن جبیر و مجاهد و قتاده و قيل الفلق الموالي لأنهم ينفلقون بالخروج من أصلاب الآباء و أرحام الأمهات كما ينفلق الحب من النبات و قيل الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل جهنم من شدة حره عن السدى و رواه أبو حمزه الثمالي و علي بن إبراهيم في تفسيريهما و قوله «ما خَلَقَ» عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز أم يحصل منه الشر و تقديره من شر الأشياء التي خلقها الله تعالى مثل السباع و الهوام و الشياطين و غيرها «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» أي و من شر الليل إذا دخل بظلامه عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و علي هذا فيكون المراد من شر ما يحدث في الليل من الشر و المكروه كما يقال أعوذ من شر هذه البلده و إنما اختص الليل بالذكر لأن الغالب أن الفساق يقدمون على الفساد بالليل و كذلك الهوام و السباع تؤذى فيه أكثر و أصل الفسق الجريان بالضرر و قيل إن معنى الغاسق كل هاجم بضرره كائنا ما كان «وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» معناه و من شر النساء الساحرات اللاتي ينفثن في العقد عن الحسن و قتاده و إنما أمر بالتعوذ من شر السحره لايهامهم أنهم يمرضون و يصحون و يفعلون شيئا من النفع و الضرر و الخير و الشر و عامه الناس يصدقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين و لأنهم يوهمون أنهم يخدمون الجن و يعلمون الغيب و ذلك فساد في الدين ظاهر فلاجل هذا الضرر أمر بالتعوذ من شرهم و قال أبو مسلم النفاثات النساء اللاتي يملن آراء الرجال و يصرفنهم عن مرادهم و يردونهم إلى آرائهن لأن العزم و الرأي يعبر عنهما بالعقد فعبير عن حلها بالنفث فإن العاده جرت أن من حل عقد نفث فيه «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» فإنه يحمل الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فأمر بالتعوذ من شره و قيل إنه أراد من شر نفس الحاسد و من شر عينه فإنه ربما أصاب بهما فعاب و ضرر و قد جاء

في الحديث أن العين حق

و قد مضى الكلام فيه و روى

أن العصابة ناقة النبي ص لم تكن تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسابق بها فسبقها فشق ذلك على الصحابه فقال النبي ص حق على الله عز و جل ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه

و

روى أنس أن النبي ص قال من رأى شيئا يعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضر شيئا

و

روى أن النبي ص كان كثيرا ما يعوذ الحسن و الحسين (عليه السلام) بهاتين السورتين

و قال بعضهم إن الله سبحانه جمع الشرور في هذه السوره و ختمها بالحسد ليعلم أنه أحسن الطبائع نعوذ بالله منه.

(١١٤) سورة الناس مكيه و آياتها ست (٦)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و هي مثل سوره الفلق لأنها إحدى المعوذتين و هي ست آيات.

فضلها

الفضل بن يسار قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول إن رسول الله ص اشتكى شكوى شديده و وجع وجعا شديدا فأتاه جبرائيل و ميكائيل (عليه السلام) فقعده جبرائيل (عليه السلام) عند رأسه و ميكائيل عند رجله فعوذه جبرائيل بقل أعوذ برب الفلق و عوذه ميكائيل بقل أعوذ برب الناس.

أبو خديجه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال جاء جبرائيل إلى النبي ص و هو شاك فراقه بالمعوذتين و قل هو الله أحد و قال باسم الله أرقيك و الله يشفيك من كل داء يؤذيك خذها فلتهنيك

فقال:

[سورة الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)

الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (٦)

القراءه

قرأ أبو عمرو و الدورى عن الكسائى يميل الناس فى موضع الجر و لا يميل فى الرفع و النصب و الباقر لا يميلون.

اللغه

الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفى و أصله الصوت الخفى من قول الأعشى:

تسمع للحلى وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

قال رؤبه:

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا و قد أون تأوين العقق

و الوسوسة كالمهمه و منه قولهم فلان موسوس إذا غلب عليه ما يعتره من المره يقال وسوس وسواسا و وسوسه و توسوس و الخنوس الاختفاء بعد الظهور خنس يخنس و منه الخنس فى الأنف لخفائه بانخفاضه عند ما يظهر بنتوه و أصل الناس الأناس فحذفت الهمزه التى هى فأويد لك على ذلك الإنس و الأناس و أما قولهم فى تحقيره نويس فإن الألف لما كانت ثانيه زائده أشبهت ألف فاعل فقلبت واوا.

الإعراب

قيل إن قوله «مِنَ الْجِنَّةِ» بدل من قوله «مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ» فكأنه قال أعوذ بالله من شر الجنه و الناس و قيل إن من تبين للوسواس و التقدير من شر ذى الوسواس الخناس من الجنه و الناس أى صاحب الوسواس الذى من الجنه و الناس فيكون الناس معطوفا على الوسواس الذى هو فى معنى ذى الوسواس و إن شئت لم تحذف المضاف فيكون التقدير من شر الوسواس الواقع من الجنه التى توسوسه فى صدور الناس فيكون فاعل يوسوس ضمير الجنه و إنما ذكر لأن الجنه و الجن واحد و جازت الكنايه عنه و إن كان متأخرا لأنه فى نيه التقديم فجرى مجرى قوله فَأَوْجَسَ فى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى و حذف العائد من الصله إلى الموصوف كما فى قوله أ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا أَى بعثه الله رسولا.

المعنى

«قُلْ» يا محمد «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» أى خالقهم و مدبرهم و منشئهم «مَلِكِ النَّاسِ» أى سيدهم و القادر عليهم و لم يجر هنا إلا ملك و جاز فى فاتحه الكتاب ملك و مالك و ذلك لأن صفه ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير و ليس كذلك مالك و ذلك لأنه يجوز أن يقال مالك الثوب و لا يجوز ملك الثوب فجرت اللفظه فى فاتحه الكتاب على معنى الملك فى يوم الجزاء و جرت فى هذه السوره على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان لفظ

ص: ٤٤٥

ملك أولى هنا و أحسن و معناه ملك الناس كلهم و إليه مفزعهم في الحوائج «إِلَهِ النَّاسِ» معناه الذي يجب على الناس أن يعبدوه لأنه الذي تحق له العبادة دون غيره و إنما خص سبحانه الناس و إن كان سبحانه ربا لجميع الخلائق لأن في الناس عظماء فأخبر بأنه ربهم و إن عظموا و لأنه سبحانه أمر بالاستعاذه من شرهم فأخبر بذكرهم أنه الذي يعيذه منهم و في الناس ملوك فذكر أنه ملكهم و في الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم و معبودهم و أنه هو المستحق للعبادة دون غيره قال جامع العلوم النحوى و ليس قوله «النَّاسِ» تكرر لأن المراد بالأول الأجنه و لهذا قال «بِرَبِّ النَّاسِ» لأنه يربهم و المراد بالثاني الأطفال و لذلك قال «مَلِكِ النَّاسِ» لأنه يملكهم و المراد بالثالث البالغون المكلفون و لذلك قال «إِلَهِ النَّاسِ» لأنهم يعبدونه و المراد بالربيع العلماء لأن الشيطان يوسوس إليهم و لا يريد الجهال لأن الجاهل يضل بجهله و إنما تقع الوسوسة في قلب العالم كما قال فَوْسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ و قوله «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ» فيه أقوال (أحدها) أن معناه من شر الوسوسة الواقعه من الجنه و قد مر بيانه (و ثانيها) أن معناه من شر ذى الوسواس و هو الشيطان

كما جاء في الأثر أنه يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس

ثم وصفه الله تعالى بقوله «الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» أى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه إلى قلوبهم من غير سماع ثم ذكر أن هذا الشيطان الذى يوسوس فى صدور الناس «مِنَ الْجِنَّةِ» و هم الشياطين كما قال سبحانه «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ثُمَّ عطف بقوله «وَ النَّاسِ» على الوسواس و المعنى من شر الوسواس و من شر الناس كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن و الإنس (و ثالثها) أن معناه من شر ذى الوسواس الخناس ثم فسره بقوله «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» كما يقال نعوذ بالله من شر كل مارد من الجن و الإنس و على هذا فيكون وسواس الجنه هو وسواس الشيطان على ما مضى و فى وسواس الإنس وجهان (أحدهما) أنه وسوسة الإنسان من نفسه (و الثانى) إغواء من يغويه من الناس و يدل عليه قوله شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ فشيطان الجن يوسوس و شيطان الإنس يأتى علانيه و يرى أنه ينصح و قصده الشر قال مجاهد:

الخناس الشيطان إذا ذكر اسم الله سبحانه خنس و انقبض و إذا لم يذكر الله انبسط على القلب و يؤيده

ما روى عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ص: إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله سبحانه خنس و إذا نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس

وقيل الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور و هو المستتر المخفى من أعين الناس لأنه يوسوس من حيث لا يرى بالعين و قال إبراهيم التيمى أول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء و قيل إن معنى قوله «يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» يلقى الشغل فى قلوبهم بوسواسه و المراد أن له رفقاء به يوصل الوسواس إلى المصدر و هو أقرب من خلوصه بنفسه إلى صدره و فى هذا إشاره إلى أن

الضرر يلحق من جهه هؤلاء و أنهم قادرون على ذلك و لولاه لما حسن الأمر بالاستعاذه منهم و فيه دلالة على أنه لا ضرر ممن يتعوذ به و إنما الضرر كله ممن يتعوذ منه و لو كان سبحانه خالقا للقبائح لكان الضرر كله منه جل و عز و فيه إشارة أيضا إلى أنه سبحانه يراعى حال من يتعوذ به فيكفيه شرورهم و لو لا ذلك لما دعاه إلى التعوذ به من شرورهم و لما وصف سبحانه نفسه بأنه الرب الإله الغنى عن الخلق فإن من احتاج إلى غيره لا يكون إلها و من كان غنيا عالما لغناه لا يختار فعل القبيح و لهذا حسنت الاستعاذه به من شر غيره و

روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إذا قرأت قل أعوذ برب الفلق فقل في نفسك أعوذ برب الفلق و إذا قرأت قل أعوذ برب الناس قل في نفسك أعوذ برب الناس

و

روى العياشى بإسناده عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال قال رسول الله ص أما من مؤمن إلا و لقلبه في صدره أذنان أذن ينفث فيها الملك و أذن ينفث فيها الوسواس الخناس فيؤيد الله المؤمن بالملك و هو قوله سبحانه وَ أَيْدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ

ص: ٤٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩